التيه الإسرائيلي

في شبه جزيرة سيناء



تأليف

الكاهن حسني السامري

التيـــه الإسرائيلي
في
شبه جزيرة سيناء

تأليف

الكاهن حسني واصف السامري

مركز السامري الطيب
نابلس- جبل جرزيم، فلسطين

حقوق النشر

صادر عن دار نشر جامعة القدس
القدس - بيت حنينا، فلسطين

هاتف 02 5838654 فاكس: 02 5838653
البريد الالكتروني: darnashr@alquds.edu

ISBN-13
978-9950-384-00-2

الطبعة الاولى - ٢٠١٢ م

الإهداء

الى ولدي الغالي

المأسوف على شبابه

ابني البكر

وسام

اختطفته يد المنون

من بين يدي

اثر حادث طرق

بفضله وبتشجيع منه

تحقق اخراج كتابي هذا الى حيز الوجود

لولاه لبقيت الآمال أماني

الى روحه الطاهرة أهدي كتابي هذا

الكاهن

حسني واصف

مقدمة أ.د. سري نسيبة

رئيس جامعة القدس

حين وقفت في المتحف السامري على قمة جبل جرزيم في نابلس امام لوحة جدارية صنعتها يد فنان مبدع وفق ما أملاه عليه الكاهن حسني واصف مؤلف هذا الكتاب، شعرت وكأنني انظر إلى التاريخ ماثلا أمام عيني وحين اقترب الكاهن ووقف بجانب اللوحة، بعمته الحمراء، شارحا لي بعض غوامضها ومفسرا لي كلماتها التي كتبت بالخط العبري القديم اتسع احساسي بالزمان والمكان، فـ "دخلت التاريخ من بابه السامري" زمانا ومكانا. وكنت اسمع صدى كلماته قويا يتردد في صحراء سيناء التي ارتسمت على الخريطة مارة بنابلس وبمدن فلسطين وقراها حتى تنتهي إلى سيناء في جنوبها. وقد كان صدى كلماته قويا حيث أصم أذني عن سماع الكلمات ذواتها وعن إدراك معناها. وشعرت بقدمي وقد غاصت في رمال تلك الصحراء فجعلت اتحسسها بيدي وبدأت اسمع أنات التائهين في الصحراء فرفعت كفي اتفقد أذني. "أنت بخير؟" سألني الكاهن، فأجبت "أنا؟! نعم نعم!!" حمدت الله أن الرجل شعر بشيء مما حل بي فعدت إلى هنا زمانا وطلبت منه ان نترحل في باقي اقسام المتحف وابتعدت عن اللوحة لعلني أعود إلى هنا مكانا.

أرض فلسطين حَوَتْ من الأمم والأديان ما لم تحوه أرض وكثير منها طوته الأيام حتى لا نحس منهم من احد او نسمع لهم ركزا، لكن الطائفة السامرية خرجت من عمق التاريخ فحافظت على وجودها المتواصل على أرض فلسطين على مدى حوالي ثلاثة آلاف عام.

مؤلف هذا الكتاب هو كاهن سامري وقد عرض فيه قصة تيه بني إسرائيل الذي أعقب خروجهم من مصر وفق الرواية السامرية، وقد اعتمد أساسا على نصوص التوراة السامرية، وهذه التوراة بينها وبين التوراة اليهودية حوالي ٧٠٠٠ فرق. ومن أهم هذه الفروق ذكر كلمة جبل جرزيم في كل موقع ذكرت فيه التوراة اليهودية أورشليم. والتوراة السامرية تضم كتب موسى الخمسة فقط ولا تتعداها إلى الأسفار ٢٤ كما هو الحال في التوراة اليهودية.

كما اتكأ مؤلف الكتاب كثيرا على طريقة الجيومتريا (حساب الجُمَّل) وهي طريقة سامرية قديمة تقوم على إعطاء قيمة رقمية لكل حرف من حروف الاسم ومن ثم تاويل هذه القيمة بطريقة تضفي معنى جديدا على هذه الكلمة. وسيلاحظ القارئ استعمال المؤلف لصيغة الفعل "جَمْطَرْنَاهَا" (اي حسبناها وفق حساب الجمل) وصيغة الاسم "جَمْطَرَتُهَا" (اي قيمتها وفق حساب الجمل) في تاويل أسماء بعض الأشخاص والأماكن. بالإضافة الى اعتماد المؤلف على

نصوص التوراة السامرية وطريقة الجيومتريا، ساق المؤلف آراء بعض رجال الدين السامريين من الأجيال السابقة.

والحقيقة هي أن تيه بني إسرائيل ما زالت كثير من جوانبه يلفها الغموض، وفي هذا الكتاب ألقى الكاهن حسني واصف الضوءَ على كثير من هذه الجوانب الغامضة، حتى أنه حدد أسماء محطات التيه الاثنتين والأربعين وموقعها على الخريطة. وسنتعرف أكثر على مدى التجديد في هذا الكتاب بعد أن ينشر بالعربية وبلغات أخرى ونرى ما سيُكتب له أو عليه من النقد.

كما أسلفنا فهذا كتاب رعفت به يراعة كاهن سامري وعرض فيه موضوع التيه الإسرائيلي من وجهة نظر دينية سامرية. لكن الكاهن بدأ كتابه بفصول عامة عرف فيها بالعبرانيين وبأقدم أنبيائهم وبقصة نزولهم إلى مصر واستعبادهم هناك ومن ثم قصة الخروج من مصر ومن هنا انطلق الكتاب لعرض محطات التيه الاثنتين والأربعين التي مر بها بنو اسرائيل وختم كتابه بالوقوف على نتائج هذا التيه وبذكر أهمية جبل جرزيم. وسيجد القارئ في نهاية الكتاب ملحقا يحوي المصطلحات الواردة في الكتاب والتي تحتاج إلى توضيح.

ولا يسعني في هذه المناسبة إلا أن أتقدم بعميق الشكر للأستاذ محمد حامد مدرس اللغة العبرية في جامعة القدس و ذلك تقديرا لجهوده في مراجعة نص هذه المخطوطة لغويا وكذلك من ناحية مقارنتها مع النصوص المنقولة للتوراة اليهودية و تدقيقها ووضع الملاحظات للقارئ غير المختص حيث لزم ذلك كما ولا يفوتني الإشارة إلى أننا كمؤسسة علمية و بنشرنا لهذه الرواية التاريخية المهمة إنما نأمل أن نلقي المزيد من الضوء على جوانب أساسية من التاريخ العريق لبلادنا.

أ.د. سري نسيبة

رئيس جامعة القدس

تقديم: د.عدنان عياش

لما كان التاريخ مرآة الأمم يعكس ماضيها، ويترجم حاضرها ، ونستلهم من خلاله مستقبلها، كان من الأهمية بمكان الاهتمام به، والحفاظ عليه، ونقله إلى الأجيال نقلاً صحيحاً، بحيث يكون نبراساً وهادياً لهم في حاضرهم ومستقبلهم. فالشعوب التي لا تاريخ لها لا وجود لها، إذ به قوام الأمم، تحيى بوجوده وتموت بانعدامه .

مؤلف هذا الكتاب كاهن سامري له باع طويل في كتابة وتاريخ الطائفة السامرية، عرفتُ

مؤلف هذا الكتاب منذ زمن عندما كنت احضر لنيل درجة الدكتوراه، اخذت منه الكثير عن اخبار السامريين عاداتهم وتقاليدهم، وعندما طلب مني ان اقرا له ما كتبه عن التيه الذي حل لبني اسرائيل في سيناء، سعدت كثيرا لأني سأتعرف على معلومات جديدة عن الطائفة السامرية .

لقد عالج الكاهن حسني الجوانب المختلفة للتيه الاسرئيلي في ستة مراحل باسلوب علمي شيق، (المرحلة الاولى التحرر من العبودية اما المرحلة الثانية عبور بحر سوف و المرحلة الثالثة: محطة جبل سيناء والمرحلة الرابعة : محطة قادش برنع تقع على خط مستقيم بين رفح على ساحل البحر الابيض المتوسط وبين خليج العقبة على البحر الاحمر المرحلة الخامسة: محطة قادش المرحلة السادسة: عربات مؤاب و هي المحطة الثانية والأربعين والأخيرة من محطات التيه الاسرائيلي اذ تقع هذه المحطة على حدود الأردن اريحا)، لم يتوصل العالم حتى الان الى السيرة الحقيقية للتيه الاسرائيلي، ومن خلال هذا الكتاب، نرى ان الكاهن حسني يتوصل الى السيرة الحقيقية للتيه، نستطيع ان نقول انه موضوع ينتظره الكثير.

يضع الكاهن حسني بين ايدينا واحدا من اعماله المتعددة يتوج فيه اعماله التراثية والعقائدية

برقم قياسي هائل كما وكيفا لم يسبقه اليه أحد، اذ الكاهن هو مؤسس لدار التراث السامري، والمتحف السامري الذي يحوي الاثات بل الالاف من الكتب التي تعالج الموضوع السامري والتراث السامري والعقيدة السامرية، ومن خلال زياراتي المتحف السامري الذي يديره الكاهن حسني شاهدت الكثير من الزائرين الذين يفدون لمشاهدة الآثار السامرية والتراث السامري بشكل يومي تقريبا حيث يقوم الكاهن حسني بشرح وتوضيح اهمية الوثائق التي يحويها المتحف وهي كثيرة كما ذكرت.

في هذا الكتاب الذي بين ايدينا «التيه الاسرائيلي» يبين لنا الكاهن حسني قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع اخوته في منطقة سهل مرج بن عامر الذي يقع بين مدينتي جنين ونابلس ويذكره باسم سهل دوتان، وكيف احتال عليه اخوته عندما اخبر والده عن الحلم الذي راه في منامه» فاحتال اخوته عليه ورموه في البئر لغيرتهم منه وكرههم له بسبب ميول وحب والدهم الزائد له وتفضيله عليهم، وخاصة الأحلام التي رآها في منامه والتي كان يفسرها له والده، وكان اخرها رؤيته في احلامه ان والديه وإخوته يسجدون له، كما جاء في الشريعة السامرية، «وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لي» (تك ٣٧، ٩)، هذا الكلام وارد في القرآن الكريم في سورة يوسف عليه السلام «الآية» الجزء ١٢».

وإنني اذ أهنئ الكاهن حسني على إعداد هذا الكتاب القيّم الذي يعتبر اضافة حقيقية الى المكتبة السامرية والعربية، فإنني ادعو القارئ العربي ان يتفاعل مع هذا الكتاب ليستخلص النتائج بنفسه.

د.عدنان عياش
استاذ التاريخ المشارك - جامعة القدس المفتوحة

تمهيد

السامريون يُعتبرون ابناء التاريخ ليسوا كسائر شعوب الارض الذين يقولون كان لنا تاريخ لأن جذور تاريخهم في ارض كنعان تعود الى ما قبل ستة وثلاثون قرنا من الزمان باعتبارهم السلالة الحقيقية لشعب بني إسرائيل ومن هنا جاءت فكرة تاليف هذا الكتاب «التيه الإسرائيلي في شبه جزيرة «سيناء» للحفاظ على تاريخ السامريين وتوثيقه، وكما قيل: «الشعب الذي لا يعرف ماضيه، لا يعرف إلى اين يذهب».

ولقد احتار الكتاب والباحثون وعلماء الآثار منذ عشرات السنين في الوصول إلى حقيقة مسيرة التيه الإسرائيلي التي وردت تفاصيلها في الشريعة المقدسة (التوراة السامرية)، وجرت محاولات عديدة لمعالجة هذا التيه معتمدين على الحفريات التي اجرتها وتجريها البعثات الأثرية في الأماكن والمواقع التي مرت بها مسيرة التيه الإسرائيلي. ويعتقد الكثير من العلماء أن هناك اربعة اماكن جرى التيه الإسرائيلي في احدها وهي شبه جزيرة سيناء، السعودية، ليبيا واثيوبيا وذلك لتشابه بعض اسماء المواقع التي حلّو فيها ورحلوا عنها في هذه الدول، على اعتبار ان هذه الأماكن قريبة من مصر.

لم يتوصل العالم حتى الآن الى المسيرة الحقيقية للتيه الاسرائيلي مشككين بجغرافية التوراة ومصداقيتها، لاعتقاد بعض العلماء والباحثين انها مجموعة قصص اسطورية وخرافية من نسج خيال بعض الكهنة ورجال الدين.

السامريون هم المرجع الرئيس في كل ما يتعلق بالعبرانيين بصفتهم السلالة الحقيقية لشعب بني إسرائيل والذين لم يغادروا هذه الاراضي المقدسة (الكنعانية) منذ قدومهم اليها قبل ستة وثلاثون قرنا من الزمن وحتى الان، يتكلمون اللغة العبرية القديمة ويحتفظون باقدم نسخة خطية للتوراة العبرية والتي يعود تاريخها الى ما قبل٣٦٣٥ سنة حسب التقويم العبري السامري، والتي سردت قصة التيه الإسرائيلي بحذافيرها دون تحريف او تغيير او حذف.

إن نشر مثل هذا الكتاب لهو امر في غاية الاهمية لما يرويه عن قصة التيه بحسب ما جاء في الشريعة التوراتية العبرية القديمة، وقد اعتمد هذا الكتاب في بحثه على شهادة العديد من علماء السامريين وفقهائهم وكذلك الاطلاع والاستشهاد بما كتبه الكتاب والباحثون الأجانب على مختلف جنسياتهم ومذاهبهم؛ بالإضافة الى ما كشف عنه علماء الاثار مما يجعل منه مرجعا موثقا يطرح الكثير من الوقائع والأحداث والانقلابات والمفاجآت جعلت من المسيرة وكأنها امور لا تصدق.

مقدمة

يُحمد الإنسان دائما وابدا بحسب ذكائه وينبوع فطنته، وبتوجيه قلبه إلى الأدب، وانتبه إلى كلمات المعرفة، فقيمة الشيء تكمن في قوة دفعه، ليصبح كل ما يصنعه الانسان بقوده إلى الأمل والعمل، الأمل وعي لتحقيق الأحلام، به يتجدد المراد، لطمانة النفس، والعمل يبعث في الحياة معنى، حينئذ يأتي شعاع النور إلى بيته، مضيئا له دربه، ليقطف ثمرة نجاحه، أما استحالة الحصول على شيء هو أمرٌ لا مكان له في عالم الإنسان.

لا شيء يقف امام رضا الانسان الذي يمثله واقعه، والواقع هو اساس الحياة، الحياة التي يبعث فيها التاريخ دفعة الى الأمام، ليهديه إلى المعرفة، ومعرفة التيه الاسرائيلي، بطرح السؤال التالي، لماذا كتب رب العالمين على شعب بني اسرائيل تيههم الاربعين سنة في الزمان والمكان؟

لقد حاولت من خلال كتابي هذا ان اصل إلى حقيقة التيه الإسرائيلي، من حيث أحداثه في شبه جزيرة سيناء، مع تحديد الأماكن التي نزلوا فيها وعددها اثنين وأربعين محطة، ابتداء من المحطة الأولى التي خرجوا منها «رعمسيس» في مصر، وحتى وصولهم الى المحطة الأخيرة «عربات مؤاب» في الاردن- اريحا على حدود الأراضي الكنعانية.

بعد خروج الشعب الإسرائيلي من مصر من عبودية فرعونها بسنتين، بلغت مخالفاتهم عشر مخالفات وذلك منذ خروجهم من مصر وحتى وصولهم «قادش برنع» والتي تقع في منتصف خط ايلات – رفح على وجه التقريب. عندما أرسل النبي موسى بن عمران رواد التجسس إلى الأراضي الكنعانية، وبعد عودتهم من تجسسهم هذا القوا الرعب والخوف في قلوب شعب بني اسرائيل من قوة وشدة باس الكنعانيين، مما افقدهم رباطة جاشهم، وجعلهم يطلبون من موسى الرسول العودة الى مصر، وهنا حكم المولى على هذا الشعب بتيههم الأربعين سنة في شبه جزيرة سيناء، «ابناءكم يكونون رعاة في القفر اربعين سنة، يحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر». (عدد ١٤: ٣٣) .

سنوات التيه الإسرائيلي حكم الله بها على شعب بني إسرائيل لتصرفاته غير المتزنة وغير الواقعية والتي تنم عن ضعف إيمانهم بالله ورسوله على الرغم مما شاهدوه من معجزات وايات

واعاجيب بأم اعينهم، حيث اخرجهم رب العالمين من مصر بيد شديدة، وكذلك الخروج من البحر الأحمر بعد ان تجمدت لجج المياه من على يمينهم ويسارهم، وتفجرت المياه من الصخر لإرواء عطشهم، ونزول المن والسلوى في الصحراء من أجل تغذيتهم، وما شاهدوه اسفل جبل طور سيناء من رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل، حتى ان الشعب ارتعد في المحلة، وكان جبل سيناء كله يشتعل من أجل ان الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل. وعلى الرغم من ذلك كفروا، لهذا نزل الأمر الالهي في قادش برنع بالحكم عليهم بالتيه اربعين سنة عن كل يوم تجسسوا فيه في الأراضي الكنعانية.

ثارت الشكوك حول مسيرة التيه من قبل القائمين على الدراسات والابحاث للمجتمعات الصحراوية ومجتمعات البادية من كتاب وباحثين متبحرين ومستكشفين وعلماء آثار، من مختلف الجنسيات والمذاهب، من خلال كتاباتهم ومؤلفاتهم وابحاثهم عن قصة التيه في كيفية استساغة حياة مجتمع يضم في ربوعه المليونين من الأنفس، ضمن ظروف صحراوية مليئة بالمشاكل والصعاب وشح للمصادر المائية وقلة للموارد الغذائية، التخلخل البيئي والاجتماعي والسياسي، العصيان الفردي منه والجماعي الذي واكب بعض من هذه المحطات. والسبب في هذه الشكوك قلة المصادر والمخطوطات والحقائق التي في متناول ايديهم عن تلك المسيرة، واستخفافهم بالكتاب المقدس (التوراة)، بالإضافة الى اندثار الآثار البيئية والحضارية التي تركها هذا الشعب بسبب الطبيعة الجغرافية الصحراوية للمنطقة، واعتمادهم فقط على الرواة والرواية، ودراستهم للنسخة اليهودية من التوراة وتجاهلهم التوراة العبرية القديمة (السامرية) مما وضعهم في موقف لا يحسدون عليه في رسم خارطة واضحة المعالم للتيه. من أجل هذا جاء تشكك الباحثين والكتاب والمحللين في مصداقية هذا التيه من حيث مكانه وزمانه، بحجة ان طبيعة هذه الصحراء لا يمكنها ان تضم هذا العدد الهائل من السكان خلال كل هذه الفترة الزمنية ضمن هذه الظروف البيئية.

ومن أجل تسهيل مهمة استيعاب مسيرة التيه، تم تزويد الكتاب بالخرائط اللازمة والضرورية التي توضح تفاصيل المسيرة، فهي محاولة جادة لاستكشاف حقيقة التيه وواقعه، منذ تحرر بنو اسرائيل من العبودية المصرية حتى وصولهم الى حدود الأراضي المقدسة في «عربات مؤاب».

لقد اختار رب العالمين شعب بني اسرائيل من بين شعوب الأرض ليحمل اول رسالة سماوية في التاريخ نزلت على قائد هذه المسيرة «موسى بن عمران» من قبل المولى الذي قضى على الفراعنة المصريين، مستعبدي هذا الشعب، بتجارب عظيمة وآيات وعجائب وبيد شديدة وذراع ممدودة

ومخاوف مذهلة في ارض مصر، وذلك امام اعينهم وعلى مسامع شعوب الأرض، ولقد طرد المولى لأجل هذا الشعب سبعة شعوب اكبر واعظم منه، كل هذا من اجل أن تكون الأراضي الكنعانية نصيبا للشعب الإسرائيلي.

السامريون الذين يشكلون اصغر واقدم واعرق طائفة موجودة في العالم، يملكون اقدم نسخة خطية للشريعة المقدسة (التوراة)، مكتوبة على قلب الإنسان الأول بدليل النقل والعقل. إن معرفة الانسان الفطرية والعقلية لوجود خالقه الذي يتمثل بقدرته وحكمته برحمته وجبروته وبأزليته التي لا تضعف ذاته ولا صفاته، والذي بعث في الانسان السمع والبصر من اجل إدراك الجزئيات والعقل وحده ليدرك الكليات. الله الذي ابدع هذا الكون اذ جعل السموات في العلا دون عمد، بتوسط جلدهما النوران العظيمان، ومع ذلك لم يعترهما تحلل او ذبول عبر الأجيال السحيقة في القدم، والأرض اليابسة السابحة في المجال الكوني وما عليها من محيطات وانهار دون ان يطرأ عليها زيادة او نقصان وليعيش عليها الانسان. ايعجز صانع كل هذا الأشياء عن مسيرة تيهية في شبه جزيرة سيناء دامت اربعين سنة؟ كان هو قائد مسيرتها حيث بنى مسكنه في وسطهم، الملائكة تسير امامهم، سخر لهم عمود سحاب ليهديهم في الطريق نهارا ليقيهم من حرارة الجو الصحراوي، وجعل لهم عمود نار ليلا ليضيء مسيرتهم ويشعرهم بالدفء، وأنزل عليهم المن والسلوى طعاما، وفجر لهم الماء من الصخر ليروي ظماهم، كل هذا من اجل طمأنتهم وحمايتهم حتى يصل بهم الى الأرض الموعودة، ارض الكنعانيين بسلام، وقام بسردها وتدوينها في الكتاب المقدس «التوراة» بجميع محطاتها وجعل لكل محطة علامتها المميزة، والتي تحمل طابعا مميزا على مر السنين، من اجل أن تكون شاهدة عيان للأجيال القادمة، التيه الذي يعتبر اكبر واطول مسيرة جماعية في تاريخ البشرية جمعاء.

ضمن مهمة واضحة المعالم بدت لي وكأنها حيوية، وجدت نفسي أضع لمسات كتابي هذا، ومع انني لم اكن في وضع يسمح لي خوض غمار تجربة كهذه، والتي كانت بنظري من الصعوبة بمكان لحساسية الكتاب من الناحية السياسية والدينية والجغرافية، ومع ذلك وحتى نضع حدا للمتاهات العالقة في أذهان العديد من الكتاب والباحثين وعلماء الآثار ممن يشككون في التيه نفسه، وجدتُ ان علي التقدّم بكتابي هذا «التيه الاسرائيلي في شبه جزيرة سيناء» إلى القارئ الكريم لعل وعسى ان أكون قد أسديت خدمة لأبناء الطائفة السامرية خاصة، وللمجتمع العالمي عامة.

الفصل الأول

العبرانيون

الفصل الأول

العبرانيون

ينسب اسم العبرانيين إلى عابر احد اجداد ابراهيم الخليل عليه السلام، «ابراهيم بن تارح بن ناحور بن شاروج بن رعو بن فالج بن عابر» لذلك غلب اسم العبرانيين على هذا الشعب ابناء يعقوب عليه السلام والذين عرفوا بالأسباط الاثني عشر، لذا سميت دولتهم بالدولة العبرية. وهناك من ينسب اسم العبرانيين الى عبور ابراهيم عليه السلام نهر الأردن للوصول إلى الأراضي الكنعانية (الأراضي المقدسة)، حيث ورد في الشريعة المقدسة، « **فعبر ابرام في الارض حتى مدينة شكيم**» (تك ١٢،٦)، ان كلمة « يابر» باللغة العبرية القديمة تعني يعبر بالعربية. وقد اشار قاموس الكتاب المقدس «الطبعة الثامنة» الى هذه التسمية وجاء فيه، «**وقد منحهم اللقب الكنعانيون اذ سمو ابراهيم «ابرام العبراني» بعد ان عبر نهر الفرات الى فلسطين**». ولقد وردت كلمة عبري بالشريعة المقدسة عدة مرات منها حين اختُطف «لوط» ابن شقيق ابراهيم عليه السلام على ايدي الغزاة القادمين من الشرق (العراق)، إذ حضر أحد الهاربين من أرض المعركة ليخبر ابراهيم بما حدث، حيث جاء في التوراة، « **فأتى من نجا واخبر ابرام العبراني**». (تك١٤،١٣). وأردفت الشريعة عند نزول ابناء يعقوب الى مصر ضيوفا عند اخيهم يوسف قولها، «**بسبب ان المصريين لا يقدرون ان يأكلوا طعاما مع العبرانيين لأنه عار عند المصريين**» (تك ٤٣،٣٢)، وكذلك عندما نزلت ابنة فرعون إلى النهر من أجل الاستحمام فرأت سفطا بين الحلفاء وكان في السفط طفل فَرَقَّتْ له وقالت، «**هذا من أولاد العبرانيين**» (خر ٢،٦) .

ولد ابراهيم عليه السلام في السنة ٢٢٤٩ للخليقة أي قبل ٤١٩٥ سنه وذلك حسب التقويم العبري السامري، وكان تسلسله من آدم عليه السلام هو العشرين من سلالة الأذكياء والصديقين، وكان إبراهيم أول من وصل الى الأراضي الكنعانية من هذه السلالة قادما من بلاد ما بين النهرين (العراق) ارض ابائه وأجداده، إلى حين رحيله إلى حاران التي تقع شمال سوريا قرب الحدود العراقية التركية، فعندما كان في حاران خاطبه المولى قائلا، «**اذهب من ارضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة، وأبارك مباركيك ولاعنك العنه، وتتبارك فيك جميع شعوب الارض**». (تك ١٢، ١-٣)

لقد ابتدأ تاريخ العبرانيين بإبراهيم عليه السلام بصفته الجد الأكبر لشعب بني إسرائيل، حيث دعاه الله ان يكون زعيما للشعب الذي تتبارك فيه جميع قبائل الأرض، وقد ادرك إبراهيم

بالوحي والالهام وجود إله واحد أبدي خالق السموات والأرض وسيد الكون، وهاجر هذا الإنسان العظيم تاركا «بلاد الرافدين» أرض آبائه وأجداده ومكان ولادته، متجها إلى الأراضي الكنعانية ووصل إلى شمال سوريا حيث سكن في مدينة حاران.
على اثر وفاة «تارح» والد سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي عاش مئة وخمس واربعون سنة، غادر ابراهيم حاران وهو ابن خمسة وسبعين سنة، وكان هذا في سنة ٢٣٢٤ للخليقة اي قبل ٤١٢٠ سنة متوجهاً إلى الأراضي الكنعانية، هذا ما جاء في الشريعة المقدسة «التوراة السامرية». وهو مغاير لما جاء في «التوراة النسخة اليهودية» حيث ذكرت ان تارح عاش ٢٠٥ سنة اي أن وفاة تارح جاءت بعد ان غادر إبراهيم حاران بـ ٦٠ سنة. وردًا على ذلك ورد في التوراة السامرية، **«وعاش تارح سبعين سنة، ووَلِدَ ابرام وناحور وهاران»** (تك ١١، ٢٦)، وعلى اثر وفاة والده غادر ابرام حاران وكان يبلغ من العمر ٧٥ سنة بعد أن طلب منه المولى ذلك.

عندما توجه ابرام إلى الأراضي الكنعانية قام باجتياز نهر الأردن ووصل إلى شكيم (نابلس)، وليس كما جاء على لسان قاموس الكتاب المقدس الذي ذكر ان العبور كان من خلال نهر الفرات. ويُذكر انه عندما اجتاز ابرام (إبراهيم) النهر وصل الى مكان شكيم إلى «بلوطة الون مورا» (بلاطة). فاذا كان المقصود اجتياز نهر الفرات فيجب عليه ان يذكر اجتياز نهر الأردن حتى يصل إلى شكيم إلى الون مورا، وكما جاء في التوراة السامرية، **«وخرجوا ليذهبوا الى أرض كنعان، فأتوا إلى أرض كنعان»** (تك ١٢، ٥)، وهنا جاء العبور واجتاز ابرام في الأرض إلى مكان شكيم. اي بعد أن تم الخروج من حاران الواقعة عند منبع نهر البليخ أحد روافد نهر الفرات حدث الخروج. لكن عند الوصول إلى أرض كنعان قال اجتاز النهر وهنا تم العبور، وهذا ما يؤكد أن المقصود هو عبور نهر الاردن وليس نهر الفرات.

انتشر اسم العبرانيين بين الامم واستعمله المصريون والفلسطينيون والعبرانيون أنفسهم، حتى حملوا اسم «شعب بني اسرائيل» عند خروجهم من مصر وعودتهم إلى الأراضي المقدسة. وبهذا بدأوا يشعرون وهم في طريقهم إلى الأراضي الكنعانية بأنهم شعب له خصائصه الدينية والاجتماعية والعسكرية الخاصة به. وكان دخولهم إلى الاراضي المقدسة مجدا قوميا لهم.

الشعب العبراني كان يتكلم اللغة العبرية القديمة حيث نسبت هذه اللغة إلى هذا الشعب فهي أصل اللغات السامية وهنا نقصد اللغة العبرية القديمة السامرية وليست اللغة اليهودية الأشورية، حيث قام عزرا هسوفير والمعروف عند اليهود بـ عزرا ونخميا وفي عهد القبادي اليهودي زوربابل قبل ٢٣٠٠ سنة تقريبا بتغيير لغتهم العبرية القديمة إلى اللغة الأشورية انتقاما ونكاية بالسامريين حيث كان الخلاف السامري اليهودي حينئذ على أشده، ويقول الدكتور حسيب شحادة (جامعة هلسنكي) تحت عنوان « نافذة على السامريين» في عام ٢٠٠٥، **«يبدو أن الانشقاق النهائي بين اليهود والسامريين قد تم في نهاية القرن الثاني للميلاد في عهد**

المكابيين، في تلك الحقبة دمر يوحنان هركانوس اليهودي المكابي الهيكل السامري على جبل جرزيم مرتين، عام ١٢٨ ق.م. و عام ١٠٧ ق.م».

أما الدكتور احمد سوسة ضمن كتابه (العرب واليهود في التاريخ) تحت عنوان، «مصدر اللغة العربية عبري» كتب يقول، «هناك تقارب كبير وواضح باللفظ بين الكلمتين عربي وعبري فهما من اصل واحد، وهو يرجح ان كلمة عربي مشتقة من عبري ويستدل على ذلك بالتسلسل الزمني، فاللفظ عبري سبق لفظ عربي، فقد وردت كلمة هبري وعبيرون وخبيرو في رسائل تل العمارنة في مصر ويقصد بها البدو الرحل وسكان البادية».

ولقد ايد الدكتور» لفنسون» ذلك بقوله، «يلاحظ ان كلمة عبري ترتبط بكلمة عربي ارتباطا لغويا متينا لانهما مشتقتان من أصل واحد، وتدلان على معنى واحد وهو أن العبريين أو العرب هم قبائل رحل تنتقل بخيامها ومواشيها من مكان الى آخر»(سفر التاريخ اليهودي ص ٥٣)، واضاف قائلا تحت عنوان «الكنعانيون والأرض المقدسة» ، «الكنعانيون هم ذرية كنعان بن حام بن نوح، الذين سكنوا في فلسطين قبل قدوم العبرانيين، والعبرانيون هم الذين اطلقوا عليها اسم الأراضي المقدسة، أرض الميعاد، أرض العبرانيين. هذه الأراضي المقدسة التي نظر اليها موسى من عبر الاردن دون ان يسمح له من قبل المولى بدخولها»، واستطرد قائلا، «كانت من عادات الكنعانيين الشريرة ذبح الأطفال والزنى وشرب الخمر في معابدهم، ومع أن الله حكم على الكنعانيين بالهلاك بسبب بشاعة خطاياهم، إلا ان العبرانيين لم ينفذوا هذا الحكم بل اكتفوا في مواضع كثيرة بان يفرضوا عليهم الجزية. كما فعل الملك سليمان الذي فرض عليهم جزية يؤدونها له. وقد تخصص الكنعانيون بالتجارة حتى اصبح اسم كنعاني مرادفا للتاجر».

تاريخ العبرانيين وكما ورد في الكتاب المقدس «التوراة» بدأ بسيدنا إبراهيم عليه السلام، حين طلب منه المولى أن يذهب من حاران إلى الأرض التي يريه إياها ليجعله امة عظيمة ويباركه ويعظم اسمه، وليحمل هذا الاسم ذريته من بعده اسحاق ويعقوب وليقطع الرب معهم عهده، وبقي هذا الاسم عالق بهم حتى عرفوا بالأسباط الاثني عشر اولاد يعقوب، ولم يتاثر هذا الاسم إلا باسم آخر وقرين له، حين امر المولى يعقوب بتغيير اسمه إلى «إسرائيل» والذي يعني الله الحق. وجاء في الشريعة المقدسة ايضا «لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك اسرائيل» (تك ٣٢، ٢٨)، حتى تصبح هذه الذرية مثالية بالعبادة والرسالة واللغة والميراث والقومية.

وانتشر اسم العبرانيين بين سكان مناطق بلاد الشام وفلسطين ومصر، حيث جاءوا بمعتقدات وحدانية كالإيمان بالله خالق السموات والارض باعث الانسان والحياة. اما بالنسبة لسكان هذه المناطق كانت هذه الديانة غريبة ودخيلة عليهم لأنهم كانوا من عابدي الشمس والقمر

والنجوم والنار والأصنام والاوثان. واقتصر اسم العبرانيين على الأشياء غير الملموسة، كالمجتمع واللغة والدين، اما اسم إسرائيل فقد، اقتصر على الأشياء الملموسة فقط كالإنسان والميراث والقومية لأبناء هذا الشعب.

كتب أسعد منصور عن دعوة الله لإبراهيم إلى الأراضي المقدسة في كتابه «جغرافية الكتاب» ص٤٩ تحت عنوان عصر العبرانيين، **«قصد الرب إبادة أمم كنعان لشرّهم وزيغانهم وراء الأصنام فدعا إبراهيم من بين النهرين ووعده أن يعطيه ونسله أرض كنعان وقد تم الوعد لنسله بعد خروجهم من مصر».**

وخلاصة القول لقد ثبت بالدليل القاطع والبرهان المنطقي والمثبّت جغرافيا ان النهر الذي عبره ابراهيم عليه السلام هو نهر الأردن الذي عرف فيما بعد عند أصحاب العهد الجديد من التوراة «النهر المقدس» والذي عمد به المسيح كما يؤكد ذلك كتابهم السماوي.

وضمن مقالة كتبها السيد صلاح عارف طوقان، نشرت في جريدة القدس بتاريخ ١٩٧٦/٢/١٥ **حيث جاء في الصفحة(٤٠) من الباب الثاني، «تاريخ اوروبا العام» بالإنجليزية لرويسون وبريستد «غزو العبرانيين لفلسطين» حوالي ١٤٠٠ – ١٢٠٠ ق.م. ان العبرانيين هم كلهم في الأصل بدو رحل جاءوا من شبه الجزيرة العربية حوالي سنة ١٤٠٠ ق.م» .**

الاعتقاد السائد لدى الكتاب والباحثين العرب منهم والمستشرقين بان العبرانيين جاءوا من الجزيرة العربية، مستندين في هذا إلى أن هناك نفس الأماكن التي ذكرتها التوراة التي حلوا فيها ورحلوا عنها اثناء تيههم عند خروجهم من مصر، فهل كان استنادهم واعتقادهم في هذا يرتكز على اساس؟ واين تكمن الحقيقة هل في شبه الجزيرة العربية ام في ليبيا ام في اثيوبيا حتى أنه يقال ان هناك مواقع بنفس الأسماء التي ذكرتها الشريعة المقدسة. وهل يخفى على مثل هؤلاء الكتاب والباحثين ان هناك العديد من المواقع في العالم تتشابه في الأسماء، إما تَيَمُّنًا بالأسماء التي ذكرتها الكتب السماوية، او مثلها مثل الأسماء التي يطلقها الآباء والأجداد على ابنائهم، او العديد من الأشخاص ممن رحلوا وانتقلوا إلى هذه الأماكن اطلقوا عليها مثل هذه الأسماء، وإلا فالتاريخ سيعتبرها غدا حقيقة واقعة. لكن الأسماء التي ذكرتها التوراة في شبه جزيرة سيناء من حيث الاسم والموقع والمكان والزمان والبعد الجغرافي حصرت هذه المواقع بين مصر والبحر الأحمر (يم سوف) غربا، والبحر الأبيض المتوسط شمالا، وذراع خليج العقبة وقادش برنع شرقا، وجبل سيناء جنوبا، وهو ما سيتم اثباته خلال صفحات هذا الكتاب، بما لا يدع للشك مكانا بأن التيه الإسرائيلي جرت احداثه ومواقعه فقط في شبه جزيرة سيناء، وليس في أماكن أخرى من العالم.

غربة الأنبياء الثلاثة

اطلق إبراهيم عليه السلام العنان لثورته ضد عبادة الأوثان والأصنام في بلاد ما بين النهرين وفي منطقة سكناه (اوركشدم) بالذات، حيث قام بهدم اماكن عباداتهم، ولما اصبحت حياة إبراهيم هناك في خطر اوحى ذلك لوالده تارح بالرحيل، بعد معاناة اسرته وما لاقاه من الصعاب والأهوال والمشاكل وملاحقة ولده إبراهيم لقتله، كل هذا أدى به للهروب من هناك والقدوم إلى حاران.

ولما توفي تارح والد إبراهيم في مدينة حاران وتم دفنه فيها، وقع عبء المسؤولية على عاتق ابنه إبراهيم، إذ تردد للوهلة الأولى في القدوم إلى الأراضي الكنعانية، وانتابه الفزع والقلق من المصير المجهول الذي سيحل به وسيحدق بعائلته، لأن سكان المنطقة غير معروفين بالنسبة له ولربما يكونون صورة مصغرة عن سكان المنطقة التي رحل عنها، وكذلك مكوثه مع والده في حاران حيث سمع الكثير الكثير عن أهل المنطقة الجبابرة لما يتصفون به من شدة وقسوة، وهنا امر المولى سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام بان يترك ارضه وعشيرته وبيت أبيه وأن يواصل المسيرة وسيوجهه وسيكون معه، مُطَمْئِناً إياه بعدم الخوف والفزع، وليس هذا فحسب بل سيحصل على سبع بركات عظام كما وكيفا ولتشملهم القدسية كما جاء في الشريعة المقدسة، «**اجعلك امة عظيمة، أباركك، وأُعظم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركيك، ولاعنَكَ ألعَنُهُ ويتبارك فيك جميع قبائل الأرض**» (تك ١٢، ١-٣)، وهذا يتفق مع ما جاء في القران الكريم حيث وُصِفَ إبراهيم بانه امّة.

وتشجع هذا الإنسان الصديق على اثر مخاطبة الله له، فخرج من حاران حاملاً معه سلاح الحق والقدرة الإلهية مصطحباً معه زوجته ساره وابن اخيه لوط، وسار في دربه حتى وصل الى نهر الأردن وهو الحد الفاصل بين الأراضي الكنعانية الواقعة غربي النهر والأراضي الأرامية شرقي النهر، وفي عام ٢٣٢٤ للخليقة (٢١٠٩ ق. م.) حسب التقويم السامري وبعد ان عبر نهر الأردن وصل الى مكان شكيم إلى سهل (الون مورية) والذي يعرف بسهل بلاطة حيث يقع الى الشرق من مدينة شكيم (نابلس)، ومن هذا السهل صعد الى جبل جرزيم وبنى عليه مذبحاً، شكرا وامتنانا لرب العالمين الذي اوصله سالماً إلى هذه الأراضي الكنعانية التي سُمِّيت بذلك نسبة إلى الكنعانيين الذين كانوا يعيشون فيها، حيث ذكرت التوراة، «**ثم نقل من هناك الى الجبل، شرقي بيت ايل ونصب خيمته، وله بيت ايل من المغرب وعاي من المشرق، فبنى هناك مذبحا لله ودعا باسم الله**» (تك ١٢، ٨).

عندما انتشر القحط والمجاعة في الأراضي الكنعانية اضطر ابراهيم إلى النزول الى مصر ليتغرب هناك، وذلك في نفس السنة التي وصل فيها إلى الأراضي الكنعانية، اذ جاء في التوراة، «وحدث جوع في الأرض فحضر ابرام الى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً» (تك١٢ :١٠)، لهذا سميت تنقلاته هذه تغرب.

ثم ارتحل إبراهيم ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب وسكن عند بلوطات ممر الاموري قرب حبرون (الخليل)، وعلى إثر حادثة اختطاف ابن اخيه لوط وسلب املاكه من قبل الجيوش الغازية، من دول الملوك الأربع وهم امرافل ملك شنعار واريبوك ملك الاسار وكدرلعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوييم، الذين جاءوا من المشرق من بلاد ما بين النهرين من منطقة اشور حيث هاجموا وقهروا ملوك دول منطقة الأراضي الكنعانية الخمس، فاخذوا جميع املاك سدوم وعمورة واللتان تقعان اليوم في المنطقة الغربية للبحر الميت والتي لا تزال تشهد على ظلم اهلها وما حل بهم من دمار، واختطفوا ايضا لوطا ابن اخي إبراهيم الذي كان يسكن في سدوم، ولما علم إبراهيم عليه السلام بما حدث لابن اخيه لوط من احد الناجين من الحرب، قام إبراهيم بملاحقتهم ومعه ٣١٨ محارباً من الرجال الأشداء من غلمانه وتبعهم حتى حوض دان الذي يقع الى الشمال من الأراضي الكنعانية، وقهرهم هناك حيث نزل عليهم ليلاً نزول الصاعقة ولحق بفلولهم حتى حوبة التي تقع شمالي دمشق، كما ورد في التوراة، «واسترجع كل الأملاك، واسترجع لوطا ابن اخيه ايضا وأملاكه والنساء أيضا والشعب». (تك ١٤: ١٦)

قلق إبراهيم على مصير أبناء شعبه ولم يطمئن إلى الحالة التي سيؤول اليها نسله من بعده بعد حادثة ابن اخيه، فعلى إثر الأحداث والحروب التي واكبت فترة إقامته منذ ان قدم إلى هذه البلاد وحتى حادثة الاختطاف على ايدي ملوك المشرق جاءه كلام المولى بالرؤيا، «اعلم يقينا ان نسلك سيكون غريباً في ارض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم اربع مائه سنة ثم الأمة التي يستعبدون لها انا ادينها». (تك ١٥: ١٣-١٤)، وكانت هذه اول اشارة لتحرير شعب بني اسرائيل وجهها رب العالمين إلى إبراهيم ابي الأنبياء، يعلمه فيها انه لن يترك شعبه هذا تحت رحمة العبودية والإذلال، وسيحرر شعبه بيد قوية وايات عجيبة و معاجيز شديدة.

واطمان هذا الصديق على مصير ابناء شعبه بما أوحاه له رب العالمين، حيث سيحل بهم الحرمان والتشرد والإهانة ولكن في الجيل الرابع يرجعون إلى الأراضي المقدسة، وسيخرجون على أجنحة نسور الرحمة شعباً قوياً عظيماً تهتز وترتعب الدنيا باسرها لمسيرته هذه حتى يصل إلى الأراضي الكنعانية الموعود فيها من قبل الله رب العالمين بسلام.

لمّا بلغ إبراهيم من العمر مائة عام حيث كان في سن الشيخوخة رُزِقَ بابنه اسحق الذي تبوا مكانة اول انسان بالتاريخ يحفظ العهد (عهد الختانة) حسب قاعدتها الدينية كما امر الله بها،

حيث خَتَن إبراهيم ابنه إسحق وهو ابن ثمانية أيام، حتى يأتي من سلالته الطاهرة أبناء شعب بني إسرائيل، كما ذكرت التوراة، «**وختن إبراهيم اسحاق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله**».(تك ٢١، ٤). عندما أمر رب العالمين إبراهيم عليه السلام بتقريب ابنه «اسحاق» لم يمسك إبراهيمَ ابنُه وحيده عن ذلك، فنادى ملاك الرب إبراهيم من السماء ليعلمه أن رب العالمين من أجل فعلته هذه يَعِدُهُ بإعطائه أرض غربته له ولنسله من بعده ، كما ورد في التوراة، «**أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء كالرمل الذي على شاطئ البحر ويرث نسلك باب اعدائه، ويتبارك في نسلك جميع امم الارض، من اجل انك سمعت لقولي**» (تك ٢٢، ١٧-١٨).

وفي عهد الصديق اسحاق تعرضت أرض كنعان لنفس الظروف التي تعرضت لها زمن إبراهيم وذلك بعد مرور حوالي ٨٠ سنة، مما دفع اسحاق للتفكير بالهجرة إلى مصر اقتداء بأبيه إبراهيم إلا أن الرب أوحى إليه بغير ذلك، ومن الجدير بالذكر أنّ الأراضي المقدسة كل ثمانية عقود من الزمن كان يحدث فيها قحط أو زلزال أو وباء، وقد ثبت ذلك من خلال الأحداث التاريخية التي مرت بها، فما أن نوى إسحق النزول إلى الجنوب قاصداً الأراضي المصرية، ولما وصل إلى «ابيمالك» ملك الفلسطينيين إلى جرار في الجنوب، ظهر له الرب قائلا « **لا تنزل إلى مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك، تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك، لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد**».(تك ٢٦، ٣)

ومن نسل النبوة جاء يعقوب من نسل اسحاق، وقد اضطرت الظروف في عائلة النبوة إلى رحيل يعقوب عن العائلة متجها نحو خاله، فقبل ذهابه عليه السلام إلى (حاران) وهي تقع اليوم على الحدود السورية التركية العراقية، حيث يقيم خاله لابان بن بتونيل شقيق والدته هارباً من شقيقه عيسو، حيث باركه والده اسحق قبل ذهابه قائلا له، «**الله القدير يباركك ويجعلك مثمراً ويكثرك وتكون جمهوراً من الشعوب، ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك، لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم**» (تك ٢٨، ٣-٤).

وبعد مرور عشرين عاما من مكوث يعقوب عند خاله لابان، وأثناء رجوعه صادفته في طريقه ملائكة الله، وقال يعقوب اذ راهم، « هذا معسكر الله» فأطلق على المكان اسم «مخنايم» (تك ٣٢، ٢)، ومن هنا أرسل يعقوب رسلا سبقته إلى اخيه عيسو إلى ارض سعير بلاد ادوم قائلا له عن طريق رسله، «**تغربت عند لابان ولبثت إلى الآن وقد صار لي ابقار وحمير وغنم وعبيد وإماء وارسلت لأخبر سيدي لكي أجد نعمة في عينيك**» (تك ٣٢، ٤-٥)، فسكن يعقوب في ارض غربة أبيه في أرض كنعان .

لهذا نجد أنّ حياة الغربة لهؤلاء الأنبياء الثلاث ابتدأت منذ دخول سيدنا إبراهيم إلى الأراضي الكنعانية وانتهت عند خروج شعب بني إسرائيل من مصر والتي دامت ٤٣٠ سنة، وذلك تجسيدا

لوعيد الخالق لسيدنا ابراهيم حيث أُلقِيَ على إبراهيم السبات، واذا بظلمة مرعبة عظيمة واقعة عليه، فقال له، «اعلم يقينا ان نسلك سيكون غريبا في ارض ليست لهم، ويستعبدون لهم فيذلونهم اربع مئة سنة» (تك ١٥، ١٣)، وهذه المدة كان نصفها منذ قدوم ابراهيم الى الأراضي الكنعانية وحتى نزول يعقوب الى مصر ووقوفه امام فرعون مصر وكانت على النحو التالي،

منذ دخول إبراهيم أرض كنعان وحتى ميلاد ابنه اسحق	٢٥ سنة
كان عمر اسحق حين ولد ابنه يعقوب	٦٠ سنة
عمر يعقوب عندما وقف امام فرعون مصر	١٣٠ سنة
	المجموع، ٢١٥ سنة

ومن حكمة الله ان جعل هؤلاء الأنبياء يعيشون حياة البسطاء فرَعَوا الاغنام وتنقلوا من مكان إلى آخر طلبا للماء والكلأ، وباتوا في العراء وعاشوا في الطبيعة مما فسح لهم للمجال للتفكير في قدرة خلق الله والتامل في كينونة هذا الخلق الذي لابد له من خالق، إذ كانت ارواحهم تتغذى بالعبادة، ونفوسهم تنعم بالإيمان، ومن اجل ذلك كانت الأقوام القريبة منهم يتباركون بهم.

ولقد جاء في التوراة في سفر الخروج، « وأما إقامة بني إسرائيل وآبائهم التي أقاموها في أرض كنعان وفي أرض مصر اربعمائة وثلاثون سنة» (خروج ١٢، ٤٠)، وإذا طرحنا من ٤٣٠ سنة مدة غربة الأنبياء الثلاث ٢١٥ سنة، من تاريخ قدوم إبراهيم إلى الأراضي الكنعانية من حاران وحتى نزول حفيده يعقوب إلى مصر، وعندما وقف امام فرعون مصر وهو ابن ١٣٠ سنة. فتكون مدة إقامة بني إسرائيل في أرض مصر مساوية لمدة غربة الأنبياء الثلاث الا وهي ٢١٥ سنة.

هذا وقد جاء في التوراة النسخة اليهودية «واما إقامة بني اسرائيل التي اقاموها في مصر فكانت اربع مئة وثلاثين سنة» (خروج ١٢، ٤٠)، اي ان اقامة العبرانيين في مصر استمرت ٤٣٠ سنة، دون الإشارة إلى إقامتهم نصف المدة في أرض كنعان كما تم تفصيلها اعلاه. لهذا علق المؤرخ السامري ابو الفتح ابن أبي الحسن السامري الدنفي في كتابه «التاريخ السامري» ص ٣، على ما جاء في التوراة اليهودية قائلا، «إن حذف اليهود المخالفين عندهم «وآبائهم» وحذف «أرض كنعان» أيضا قد دعتهم الضرورة الى ذلك بما يثبت صحة ما ورد عندنا وأن اقامتهم بأرض كنعان كانت نصف المدة وهي مائتان وخمس عشر سنة تفصيلها مستفاد من الشرع الشريف».

نزول يوسف الى مصر

بينما كان يوسف بن يعقوب يبحث عن إخوته الرعاة في سهل دوتان الواقع على طريق نابلس- جنين وذلك بطلب من والده وجد اشقاءه هناك، فاحتال إخوته عليه ورموه في البئر لغيرتهم منه وكرههم له بسبب حب والدهم الزائد له وتفضيله عليهم، وخاصة الأحلام التي راها في منامه والتي كان يفسرها له والده، وكان اخرها رؤيته في احلامه آن والديه واخوته يسجدون له، كما جاء في الشريعة المقدسة، «واذا الشمس والقمر واحد عشر كوكبا ساجدة لي» (تك ٣٧، ٩)،

اثناء وجود يوسف في البئر وبينما كان يصرخ مستغيثا وطالبا النجدة، مر من ذلك المكان قافلة تجار مديانيون تعمل ما بين بلاد المشرق ومصر، عرض احد الأخوة بيعه لهؤلاء التجار فانتشلوه من البئر، وباعوه إلى تجار هذه القافلة، الذين انزلوه معهم إلى مصر. حيث باعوه إلى رئيس الشرطة في بلاط فرعون مصر، الذي أوكله بدوره إلى بيته وماله لبركته وحكمته وحسن تدبيره، ولما كان يوسف حسن الصورة والمنظر تعلقت به امراة سيده راغبة في معاشرته، ولما رفض مشاكستها، اتهمته بتهمة باطلة، حيث نادت اهل بيتها وقالت كما ورد في التوراة، «انظروا! قد جاء الينا برجل عبري ليداعبنا، دخل الي ليضطجع معي، فصرخت بصوت عظيم. وكان لما سمع اني رفعت صوتي وصرخت، انه ترك ثوبه بجانبي وهرب وخرج الى الخارج». (تك ٣٩، ١٤-١٥) ، وعلى اثر هذه التهمة الباطلة أُدخِلَ يوسف الى السجن.

وحدث أن فرعون مصر راى حلما مريبا ومزعجاً، وهو سبع بقرات ضعاف عجاف ياكلن سبع بقرات سمينة وممتلئة، ثم تكرر حلمه بصورة اخرى في نفس الليلة حيث راى سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها، فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السمينة الممتلئة، فانزعج فرعون مصر كثيرا جدا من احلامه هذه وخاف وارتعب فامر بإحضار الحكماء والسحرة المصريين ليفسروا له حلمه هذا لكنهم عجزوا عن تفسيره، ولما احضر يوسف امام فرعون مصر وأخذ يفسر له حلمه، أشار يوسف على فرعون بان يعين رجلاً بصيراً حكيماً حيث يوكل اليه مهمة جمع خُمس غلة ارض مصر في سنوات الرخاء السبع و يدخرها في المخازن لتكون ذخيرة للأرض لسنوات الجوع السبع التي تليها .

حَسُنَ الكلام في عينيّ فرعون وفي عيون عبيده ، قائلا لهم، ايوجد رجل فيه روح الله مثل هذا الرجل؟ فجعله فرعون حاكماً وسيدا على كل أرض مصر. وتربع يوسف بن يعقوب عليه

السلام سيداً على كل أرض مصر حيث قال له فرعون مصر وكما جاء في الشريعة المقدسة، «بعد ما أعلمك الله كل هذا، ليس بصير وحكيم مثلك. أنت تكون على بيتي، وعلى فمك يقبل جميع شعبي. إلا أن الكرسي الذي اكون فيه اعظم منك»(تك ٤١، ٣٩-٤٠)، وزوّجه من اسنات بنت فوطي فارع كاهن اون، وانجبت له ولدان الأول اسماه منسي لأن الله انساه سنين عذابه وشقائه والثاني افرايم لأن الله جعله مثمراً في أرض مذلته.

ولما انتهت سنوات الرخاء السبع وعم الخير البلاد، استغل يوسف حكمته وذكاءه بحيث ملأ جميع مخازن مصر بالقمح لحفظه، ولما ابتدأت سنوات القحط السبع وشمل القحط جميع البلاد المجاورة، إلا أنّ أرض مصر كان فيها الكثير من الخيرات بسبب حكمة وذكاء هذا الانسان العظيم لما يملكه من خبرة تخطيطية وحنكة اقتصادية.

لقد عبر الدكتور عبد الرزاق عبد المجيد، الذي شغل وظيفة نائب رئيس الوزراء المصري للشؤون الاقتصادية ووزير التخطيط لسنة ١٩٨٠ بقوله، «إن مصر ستحقق فائضاً في ميزانيتها، ربما للمرة الأولى في التاريخ منذ أيام يوسف الصديق». وكان يوسف الصديق الذي يعد أول وزير اقتصاد وأول مخطط يذكره التاريخ قد انقذ مصر من كارثة اقتصادية قبل اكثر من أربعة الاف عام، بناء على تخطيط دقيق استمر اكثر من اربعة عشر عاماً، وكان تخطيطه قائماً على الاقتصاد في الموارد خلال سبع سنوات، كان فيها فيضان النيل مرتفعاً وذلك تحسباً من سبع سنين تالية ينخفض فيها منسوب الفيضان، وقد اجتازت مصر بفضل هذا التخطيط الكارثة التي كان يمكن ان تواجهها لو لم يتم الإعداد لسنوات القحط مبكرا. وكما جاء على لسان حكيم زمانه، الفيلسوف السامري في القرن الرابع للميلاد «مرقة بن عمران» في كتابه العاجيز: «إن رب العالمين نجى سيدنا يوسف ووَهَبه حُنوّاً، فخضعت كل امم العالم بين يديه».

واشتد الجوع في الأراضي الكنعانية، فلما علم يعقوب عليه السلام بوجود قمح في مصر، طلب من ابنائه النزول إلى هناك ليشتروا القمح، ولما حضر هؤلاء الإخوة إلى يوسف لشراء القمح عرف يوسف إخوته وهم لم يعرفوه، واتهمهم بالجاسوسية وبانهم جاءوا لكشف اسرار البلاد المصرية، وكان هذا الاتهام عبارة عن خدعة سياسية من أجل التقرب الى إخوته بطريقة دبلوماسية حتى يعرّفهم به وكي يحضرهم إلى مصر ويعيلهم، خاصة بعد ان أصبح الملك الآمر الناهي في جميع أرض مصر. لقد افتعل يوسف بعض الدسائس التي خطط لها تخطيطاً جيداً من أجل التقرب من أشقائه، فوقع الأخوة في الفخ الذي رسمه لهم، وهنا وقف شقيقه يهودا يلقي خطبته أمام سيد مصر وحاكمها كما جاء في التوراة، «لئلا يشتد غضبك على عبدك لأنك في مقام فرعون. سيدي سأل عبيده قائلاً هل لكم أب أو أخ، فقلنا لسيدي لنا أب شيخ وابن شيخوخة صغير مات أخوه وبقي هو وحده لأمه وأبوه يحبه. فقلت لعبيدك انزلوا به

إلي فاجعل نظري عليه. فقلنا لسيدي لا يقدر الغلام أن يترك أباه. و ان ترك أباه يموت. فقلت لعبيدك ان لم ينزل أخوكم معكم لا تعودوا تنظرون وجهي، .... كيف أصعد إلى أبي والغلام ليس معي. لئلا انظر الشر الذي يصيب أبي» (تك ٤٤، ١٨-٢١) .
فلم يستطع يوسف ان يتمالك نفسه او يضبطها قائلاً لإخوته والدموع تذرف من عينيه وبصوت مرتفع، «أنا يوسف أحيٌ أبي بعد».(تك ٤٥، ٣)، فذُهِلَ أخوته لما سمعوا منه، ولم يستطيعوا ان يجيبوه فارتعدوا وخافوا وسقطوا على الأرض مذهولين.

وطلب يوسف عليه السلام من إخوته أن يسرعوا بالنزول إلى والده و يخبروه ان يوسف ابنك ما زال حيا وجعله الله سيداً على كل أرض مصر، فقم وانزل إليه وجميع ال بيتك وغنمك وكل ما تملك فيسكنك في ارض جاسان لتكون قريباً منه. وبعد ذلك ودع يوسف اشقاءه باكياً . وانتشر الخبر في بيت فرعون الذي سُرّ هو وعبيده بذلك.

لقد اجتمعت إلى جانب حكمة الله مجموعة من الأسباب دفعت بيعقوب للذهاب إلى مصر، فرغبة الأب برؤية ابنه بعد غياب دام لأكثر من عقدين من الزمن أمر يستحق العناء والمشقة بالإضافة إلى القحط الذي جعل من ارض كنعان شبه صحراوية والذي قد يؤدي إلى هلاك يعقوب وال بيته وقد يقضي على حيواناتهم التي كانت مصدر رزقهم الوحيد، وقد جاء نزول يعقوب إلى مصر بالإضافة إلى ما سبق تحقيقا للوعد الذي قطعه الرب مع الأنبياء الثلاث. فتجلت حكمة الله في هذه الأسباب مجتمعة لتدفع بيعقوب للذهاب إلى مصر هو واهله واللحاق بيوسف .

أبناء يعقوب في مصر

ولانتقل الإيمان بالتوحيد عبر الأنبياء الثلاث إبراهيم واسحق ويعقوب إلى ذريتهم من بعدهم إلى الأسباط الاثني عشر، ليجدد الله عهده معهم، وعلى إثر تسلم يوسف منصبه كحاكم ومتسلط في ارض مصر من قبل فرعونها بعد أن فسر احلامه، حيث عمل بإخلاص وامانة، ومرت سنوات الرخاء السبع لتحل محلها سنوات الجوع، ووصلت هذه المجاعة إلى ارض كنعان، ولما علم يعقوب والد يوسف بأن هناك قمحا في مصر طلب من اولاده الذهاب الى هناك ليحضروا قمحا.

وهكذا توجه عشرة من اخوة يوسف ليشتروا قمحا من مصر بناء على طلب والدهم، واما بنياميم اخو يوسف فلم يرسله يعقوب مع إخوته الى مصر لخوفه عليه بسبب ما حصل ليوسف، وعندما وصلوا إلى مصر ذهبوا إلى يوسف حيث كان هو المشرف على بيع القمح في مصر، وسجدوا له بوجوههم الى الأرض ولما نظر يوسف اليهم تذكرهم، اما هم فلم يتعرفوا عليه، فلم يظهر لهم من هو وكلمهم بجفاء لأنه أراد ان يمتحن قلوبهم ليستفسر عن اخيه بنياميم فيما اذا فعلوا به كما فعلوا به هو، وقام بسجنهم بتهمة التجسس. وبعد ثلاثة ايام اخرجهم جميعا من السجن ما عدا اخيهم شمعون، حيث احتفظ به في السجن، قائلا، «احضروا أخاكم الصغير إلي فأعرف انكم لستم جواسيس، بل انكم امناء فأعطيكم اخاكم وتتجرون في الأرض» (تك٤٢، ٢٠).

ولكن سرعان ما نفد القمح وكان لا بد ان يذهبوا مرة اخرى إلى مصر لإحضار المزيد، وبالفعل نزل الأخوة ومعهم بنياميم الأخ الأصغر بعد ان سمح لهم والدهم باخذه معهم. ولم يستطع يوسف ان يضبط نفسه فجرى إلى مخدعه وجلس يبكي، واخرج يوسف جميع الخدم والأغراب واختلى بإخوته وبكى بصوت عال امامهم قائلا، «أنا يوسف اخوكم الذي بعتموه إلى مصر» (تك ٤٥، ٤) وطلب منهم أن يحضروا يعقوب اباهم وكل عشيرتهم ليعيشوا في ارض مصر.

ونزل يعقوب عليه السلام واولاده وكل آل صلبه إلى مصر في سنة ٢٥٣٩ الخليقة (١٨٩٤ ق. م)، ملبيا دعوة ولده يوسف الذي اصبح ملكا على مصر، وكان عددهم سبعين نفرا وكانت اسماؤهم كالتالي:

أسماء ابناء يعقوب الذين نزلوا الى مصر

يعقوب		١	
راوبين	حنوك، فلو، حصرون، كرمي	٥	
شمعون	يموئيل، يامين، اوهد، ياكين، صوحر، شاؤول	٧	
لاوي	جرشون، قهات، مراري	٤	
يهوذا	شيله، فارص، زارح، حصرون، حامول	٦	
ياشيشاكر	تولاع، فوة، يشوب، شمرون	٥	
زبولون	سارد، ايلون ، ياحلئيل	٤	
دينا		١	
	ذرية ليه		٣٣
جاد	صفون، حجي، شوني، اصبون، عيري، ارودي، ارئيلي	٨	
اشر	يمنه، يشوة، يشوي، بريعة، شارح، حابر، ملكيئيل	٨	
	ذرية زلفه		١٦
دان	هيشم	٢	
نفتالي	ياحصئيل، جوني، يصار، شلوم	٥	
	ذرية بالهاء		٧
يوسف	منشى، افرايم	٢	
بنيامين	بالع، باكر، اشبيل، جيرا، نعمان ، ايحي ، روش ، مفيم ، حفيم، ارد	١١	
	ذرية راحيل		١٤
المجموع			٧٠

لم يشمل هذا الاحصاء نساء سيدنا يعقوب الثلاث اللواتي نزلن معه، وكذلك نسوة ابنائه الأحد عشر، بالإضافة الى إمائهم وعبيدهم والرعاة الذين يعملون عندهم، لأن الذين شملهم الإحصاء كان يعقوب ومن وُلِدُوا من صلبه والذين كان عددهم سبعين رجلا، واذا ما اضفنا من نزل معهم لأصبح العدد ما يقارب ١٢٠ فردا.

اثناء نزول يعقوب عليه السلام إلى مصر، انتابه الفزع والخوف من المصير المجهول الذي ينتظره في البلاد المصرية لتركه ارض غربته، وتشككه بما سمع من اولاده، وخوفه على مستقبل نسله من بعده في الأراضي المصرية، ولما وصل إلى مدينة بئر السبع التي كانت في ذلك الوقت مركزا للنقب ذبح ذبائح لإله ابيه اسحق، وفي رؤى الليل كلمه رب العالمين قائلا، «انا الله إله أبيك، لا تخف من النزول إلى مصر، لأني اجعلك امة عظيمة هناك، انا أنزل معك إلى مصر، وانا أصعدك ايضا، ويضع يوسف يده على عينيك». (تك ٤٦، ٣-٤)

وما ان سمع فرعون مصر خبر وصول والد يوسف وابناء عائلته، قال ليوسف، «أبوك واخوتك جاؤوا إليك، أرض مصر امامك في أفضل الأرض أسكن اباك واخوتك، ليسكنوا في أرض جاسان».(تك ٤٧، ٥) .

ولبّى يوسف امر فرعون، حيث أَسْكنَ اباه وعائلته في ارضجاسان، ووهبهم ملكاً في ارض مصر. ورأى يوسف لولده افرايم اولاد الجيل الثالث، اي انّه خلال ثمانين عاما من زواج هذا الصديق كان الجيل الرابع يُولَدُ على ركبتيه، وهذا يدل على السرعة الذهلة التي تم فيها نمو وتكاثر هذا الشعب، حيث ان البركة والسلام اللذان حلّا على أرض مصر بقدوم يوسف وآل يعقوب وكثرة الخيرات ادت إلى ارتفاع طبيعي في عدد السكان لا سيما في عدد ال يعقوب .

انتهى عهد يوسف وجميع اخوته وكل ذلك الجيل بوفاتهم وذلك على مدى مئتين وخمس عشرة سنة، وهي الفترة التي مكثها شعب بني اسرائيل في مصر منذ نزول يعقوب عليه السلام وابنائه واحفاده وحتى خروجهم من مصر، وفي تلك الحقبة الزمنية المذكورة اعلاه تكاثر ابناء هذا الشعب بصورة لم يكن لها مثيل، حيث وصل عددهم ما يزيد عن المليونين من الأنفس. اذ جاء في الشريعة الموسوية، «واما بنو اسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيرا جدا، وامتلأت الأرض منهم». (خر ١، ٧).

جاء في شرح «هذه مراحل بني اسرائيل» لأحد علماء السامريين الذي نُشِرَ في جريدة ا. ب السامرية، العدد ٨٤٠، «كان هذا الخروج بعد مجاورة المصريين مائتين وخمس عشر سنة من نزول السيد يعقوب وعائلته إلى مصر إلى وقت خرجوا في السنة الثابت فيها الجيرة والعبودية، لأنه على التقدير يكون منها اثنان وتسعون سنة جيرة، ومائة وثلاث عشرة سنة عبودية».

وعندما اتى ملك جديد على مصر، اراد ان يتجاهل يوسف وقومه وما صنعوه لمصر وشعبها، حيث ورد في خمسة اسفار موسى، «ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف». (خر ١، ٨)، المقصود بالملك هنا رعمسيس الثاني الذي تم خروج شعب بني إسرائيل من مصر في عهده،

وكان رعمسيس الثاني اشد الفراعنة المصريين قسوة للسلالة التاسعة عشر، وهذه الفترة كانت الأصعب على الشعب الإسرائيلي، و في عهده تم بناء مدينتيْ المخازن «فيتون و رعمسيس» على يد الشعب الإسرائيلي، حيث سُميت إحدى هذه المدن باسم رعمسيس. (اطلس كارتا ص ٤٠) .
الملك الجديد «رعمسيس الثاني» وضع نصب عينيه الانتقام من شعب بني إسرائيل لخوفه من قيام العبرانيين بخيانة مصر لصالح اعدائها، فحرّض ابناء شعبه بقوله، «ان هذا الشعب أكبر واعظم منكم، ويجب الاحتيال عليهم خوفا من نموهم مبكرا، وإذا ما حدثت حرب سينضمون إلى اعدائكم ويحاربونكم من اجل الصعود من ارض مصر». فجعل المصريون عليهم رؤساء تسخير لكي يُذلوهم بأثقالهم، وازدادت شدة ظلم المصريين للعبرانيين يوما بعد يوم واضطهادهم لهم فاستعبدوهم بعنف حتى اصبحت حياتهم جحيما.

ومن ضمن الأوامر التي اصدرها فرعون مصر «رعمسيس الثاني» ومسخريه القضاء على ابكار ابناء الشعب الاسرائيلي لوقف تكاثرهم، فاستدعى القابلات قائلا لهن، «حينما تولِدان العبرانيات وتنظرن على الكراسي ان كان ابنا فقتلاه، وان كان بنتا فتحيا، ولكن القابلتيْن خافتا الله ولم تفعلا كما كلمهما ملك مصر واحييتا الاولاد» (خروج ١، ١٦-١٧) ، ولما احتج فرعون مصر امامهن على هذا التكاثر، اخبرنه بان النساء العبرانيات يتوالدن كالحيوانات دون الحاجة إلى قابلات.

لم يشفع للعبرانيين ما قدّموه من خدمات لفرعون مصر وشعبه في المجالات الاقتصادية والعمرانية كبناء الترع والسدود وتعليم للمصريين فنون الزراعة، حيث تجلّى خوف فرعون مصر في خروج العبرانيين من بلاده اذ سيتركون وراءهم فراغا كبيرا من الصعب ان يسده المصريون او أي من الشعوب الأخرى. لأن العبرانيين ساعدوهم في جعل بلادهم مصر اعظم دولة في ذلك التاريخ، اقتصاديا وعسكريا وسياسيا، وبنوا لهم الاهرامات، وجعلوا من الاراضي المصرية مملوكة للفراعنة، وانقذوهم من القحط الذي كاد ان يقضي على دولتهم.

الفترة الزمنية ما بين وفاة يوسف وتنصيب هذا الملك، فترة الراحة والاستجمام التي عاشها شعب بني اسرائيل، لا تساوي فترة العذاب والشقاء التي ذاقها هذا الشعب على يد المصريين بتحريض من فراعنتها، لأن مقابلة الإحسان بالإساءة من الصعب أن تتقبلها المجتمعات الأخرى، وهكذا عبر تناسخ الأزمنة والقرون وما مثلته الأحداث من تاريخ ودين نجد أن نمط حياة المجتمعات لمثل هذه الفترة الزمنية التي اشرنا إليها اعلاه وخاصة بالنسبة للشعب العبراني، من رغد حياة وشقاء، امل وعمل، توازن بين الخير والشر، تقارب وتنافر بين مد الاعمار وتجاوب الأحداث، طموحات هُنا وشقاء هناك، كل هذا جعل من حياة هذا الشعب في مصر فيها الكثير من التوازن والشيء المعقول، وكانت هناك قاعدة واسلوب لتسلسل الاحداث وتناسقها، قيست بميزان العقل الإنساني

المليء بالفطنة والحكمة من جهة وما قدمته لنا التنقيبات والحفريات الأثرية من جهة اخرى، لنقف على حقيقة الفترة الزمنية التي عاشها الشعب العبراني في مصر، تدعمها خلفية تاريخية دينية وتحاليل أثرية.
ان كل شيء في هذا الوجود له معادلة تكوينية، جعلها المولى اساساً لجميع مخلوقاته البشرية والحيوانية، تتحرك تلقائياً متخذة لنفسها طابعاً مستقلاً، من حيث الحركة والدوران، الحاجة والمحتاج، النتاج والنوعية، التقدمة والأجر وكما هو ظاهر للعيان من خلال للوجودات المرئية منها وغير المرئية، خلق الله السموات والأرض، الشمس والقمر، الليل والنهار، الخير والشر، الغنى والفقر، الجسد والروح والروحانية، لذا لا بد ان يكون للمدة التي مكثها الشعب الاسرائيلي في مصر مثل هذه المعادلة أيضا لتنطبق عليها.

لهذا نجد أن العناية الفائقة التي حظي بها ابناء شعب اسرائيل من قبل رب العالمين لم يحظ بها أي شعب اخر، فقد نزل يعقوب وابناؤه الى ارض مصر كافراد اسرة واحدة، وكان عددهم سبعين نفرا، وما لبثوا ان أصبحوا عشيرة، ثم خرجوا كامة عظيمة الشان وكان تعدادهم يربوا على المليوني نسمة خلال فترة ٢١٥ سنة. كل هذا بفضل نعم الله عليهم، ورعايته لهم، وقد خرجوا من مصر بمنظر رهيب، وآيات عظيمة، ومعاجيز كبيرة لا مثيل لها عبر التاريخ.

حياة البداوة التي عاشها اباء هذا الشعب واجداده، وما واكبها من تنقل وعدم استقرار، يجوبون الأرض ذهاباً وإياباً باحثين عن الماء والكلأ وسط مقاومة سكان الأرض من الكنعانيين هناك، وما أن نزلوا إلى مصر حتى أثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيرا جدا، وامتلأت الأرض منهم في ظل فرعونها ملكاً وبيوسف الصديق حاكماً، حيث نعموا بالاستقرار وطيب الإقامة في منطقة رسوبية خصبة «أرض جاسان» بفضل ما حصلوا عليه من المواد الغذائية وما اغدق عليهم من اموال وحسن معاشرة. لهذا اتكلوا على استمرارية الرخاء والعز وحياة الترف والنعيم، وكان لا بد ان تاتي تتمة لمعادلة التحول هذه، والتي مثلت النصف الثاني من فترة إقامة ابناء هذا الشعب في مصر، لينتهي بها فترة حياة الرخاء والترف متجاهلين بذلك الأرض المقدسة التي وعد الله رب العالمين اباءهم واجدادهم بها، وسيطرت على تفكيرهم حياة العبودية والخنوع، حياة الذل والهوان، مما أشغلهم عن التفكير في الرجوع إلى المكان الذي أتى منه اباؤهم الا وهو أرض كنعان.

كانت حياة العبرانيين منذ نزولهم إلى الأراضي المصرية، حياة ملؤها السعادة والرخاء، ملؤها الحرية والأمل، حياة أنمت في عروقهم روح الاتكالية، وبقيت على هذه الحال حتى تربع على عرش مصر فرعون جديد، هذا الملك لم يكن يعرف يوسف ولم يعترف بفضله على بلاده. وقد وضع نصب عينيه مقاومة العبرانيين في بلاده، ولذا تحولت حياة العبرانيين إلى جو من الذل والعبودية والشقاء والتعاسة بدل حياة الرخاء والسعادة التي عاشها هذا الشعب في زمن

فراعنة مصر أثناء فترة حكم يوسف. واستغل ملك مصر الجديد هذا سلطانه وجبروته ضد الشعب الإسرائيلي مسخراً إياه في بناء مدن مخازن كل من «فيتون ورعمسيس» وفي تشييد الأهرامات، شق الطرق وفتح الترع والقنوات، بناء العمران تحضير اللبن ونقل الحجارة الضخمة، ورغم كل هذا أخذ هذا الشعب ينمو ويزداد، كما جاء على لسان التوراة، «ولكن بحسبما أذلوهم هكذا نمو وامتدوا ، فاختشوا من بني اسرائيل، فاستعبد المصريون بني اسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل».(خر ١: ١٣-١٤)

العبـــودية

وقف أبناء سيدنا يعقوب أمام فرعون مصر عند وصولهم إلى مصر، ليُعلِمُوه أنّهم قدموا ليتغربوا في الأرض، لأن أرض كنعان خالية من المراعي لماشيتهم ولشدة القحط في أرض كنعان، ويطلبون السكن في أرض مصر، كما ورد في التوراة ، «وقالوا لفرعون جئنا لنتغرب في الأرض، إذ ليس لغنم عبيدك مرعى، لأن الجوع شديد في أرض كنعان. فالآن ليسكن عبيدك في أرض جاسان» (تك ٤٧، ٤) .

في الواقع مهما تكن طبيعة الغربة فإنها قاسية ولا تحتمل، حتى وإن كان فيها رغد حياة وسعادة، ولتصبح غربة العبرانيين أكثر تعاسة تحولت حياتهم إلى شقاء وعبودية ورحلة طويلة من العذاب. فعندما قام فرعون جديد على مصر ولم يكن يعرف يوسف بن يعقوب العبراني الأصل وما فعله لمصر من إنقاذ البلاد المصرية من المحْل وكذلك تعميرها بحكمته وحنكته وروحانيته، حتى أصبحت البلاد المصرية بنبوّته في مصاف الدول العظمى في ذلك الحين، طلب هذا الملك الفرعوني من شعبه أن يحتال على شعب بني إسرائيل خوفا من نموهم وتكاثرهم فإذا ما حدثت حرب انضموا إلى أعدائهم وحاربوهم وصعدوا من الأرض المصرية. ومع ذلك ورغم كل هذا طالبوا بعدم ترك أماكن سكناهم وجعلهم أسرى وعبيد بأيدي مستعبديهم، وقد استغلهم المصريون أبشع استغلال لتعمير بلادهم من خلال خبرتهم وحنكتهم، بل وأكثر من ذلك منعوهم من إنجاب الذكور، خوفاً من ازدياد عددهم كي لا ينقلبوا عليهم مستقبلا. وذاق بنو إسرائيل أشد أنواع العذاب أثناء تولي فرعون مصر الجديد هذا منصبه كملك على مصر، إذ جعل عليهم رؤساء تسخير من أجل أن يذلونهم بأثقالهم، مستعبدين الشعب الإسرائيلي بعنف فمرت حياتهم في عبودية قاسية في الطين واللبِن وفي كل عمل في الحقل، مستغلين جبروت قدرتهم ضد شعب اسرائيل. وكان فرعون مشرفا بنفسه على أعمال الانتقام هذه، ويراقب عن كثب تنفيذها بواسطة رؤساء التسخير وكل ذلك ضد أبناء هذا الشعب المغلوب على أمره.

العنف والاضطهاد من قبل المصريين تجاه الشعب الإسرائيلي هو الذي جعل تأقلم هذا الشعب في الحياة المصرية مستحيلاً، لأن حياة المصريين كانت مثالية بعد أن احتلوا المركز الأول للحضارة والتقدم من بين شعوب ذلك العصر، وكان شعب بني إسرائيل له أبلغ الأثر في وصول مثل هذا المجتمع إلى التقدم الحضاري الذي حققه، فشعب إسرائيل هو الذي بنى لهم وعمر، وقدم لهم دون أن يأخذ، ووهب دون مقابل، من أجل هذا كان تقدم الحضارة المصرية أكثر فأكثر وأصبحت مرهوبة الجانب وقوة لا تقهر، حتى أن شعب مصر وفرعونها ارتعب من سطوة ورهبة هذا الشعب العظيم. مما دعا فرعون مصر إلى أن يوصي شعبه بتضييق الخناق عليهم ومحاصرتهم كي لا

ينمون، فإذا حدثت حرب مع أعداء للمصريين، لا يتمكن أبناء الشعب الاسرائيلي من الانضمام إلى أعدائهم ويحاربونهم، ويصعدون من الأرض.
وأيقن شعب اسرائيل أن خلاصه من عبودية فراعنة مصر وشعبها ليس بالسهولة المكنة، وبهذا لم يطالبوا بالخروج طوال سنين مكوثهم هناك، حتى أن التذمر كبتوه في صدورهم، ولم يتفوهوا به إلا بعد وفاة فرعون مصر الذي استعمل القبضة الحديدة ضد أبناء هذا الشعب الأعزل دون مبرر، وأخيرا تنفس شعب بني إسرائيل الصعداء. كما ذكرت الشريعة المقدسة بقولها: «وتنهد بنو اسرائيل من العبودية وصرخوا. فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية. فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب».(خر ٢: ٢٣-٢٤).

إنّ سنوات العبودية وقساوتها هي التي بعثت بهم الحمية والأمل في الخلاص من الذل، والتطلع إلى التحرر الذي أصبح يملأ قلوبهم غبطة من أجل الخلاص والخروج من هذه البلاد، والعودة إلى أرض الميعاد التي كان آباؤهم وأجدادهم قد أخبروهم بها وأعلموهم بأنّها ورثة من رب العالمين لشعبه الأمين.

استجاب رب العالمين، الذي ظواهره كنوز وخفاياه خواص، لتنهد وأنين الشعب الإسرائيلي وصراخه لكي ينقذهم من هذا العذاب الذي أصابهم على يد فرعون مصر وعبيده وأبناء شعبه حيث بعث النبي موسى بن عمران نبي العظمة والاسم ورجل الإنسانية والعطاء الذي احتل المرتبة السادسة والعشرين من سلالة الأذكياء والصديقين، والذي كان هذا الشعب موعودا بقدومه لإنقاذهم، فمع ظهور كليم الله ويد يمينه، الذي عاش وترعرع بين أحضان أعدائه في البلاط الفرعوني وبين الأمراء والمقربين من فرعون، بين جدران العز والعظمة، حياة كلها رغد عيش وتقدم، إلا أنّه أبى أن يرضى بالظلم الواقع على شعبه أمام عينيه، حيث تُحاك ضدهم الدسائس والقتل والفتك بهم، وفضّل أن يترك نمط العيش في البلاط الفرعوني، وآثر أن يدافع عن شعبه مهما كلفه الأمر غاليا.

بيد قوية وبذراع ممدودة وبأحكام عظيمة صنع الله على يدي نبيه موسى اثنتي عشرة معجزة ابتداء من تحول العصا التي بيدي هارون إلى ثعبان أمام فرعون مصر وسحرته وعبيده، وانتهاء بغرق ملك مصر « فرعونها وجيشه في البحر الأحمر (بحر يم سوف)، ونظرا لغيرة موسى بن عمران على أبناء جنسه اختاره الله لقيادة هذا الشعب ومواجهة فرعون مصر ومطالبته بإطلاق سراحهم ليعودوا إلى أرض الآباء والأجداد، وليحمل راية التحرير، تحت شعار الأمر الإلهي قائلا: «أطلق شعبي ليعبدني في البرية» (خر ٥، ١).

رسول الخلاص

الحرية منغمسة بدم الإنسان منذ نعومة أظفاره، جعلها الباري سبحانه وتعالى تتحرك بدمه، وكلما تجاهلها أثارتها في مشاعره وأحاسيسه حركة الدم الشريانية حتى تنبهه وتوقظه من غفوته عنها.

هكذا كان الأمر مع موسى بن عمران الذي ولد في سنة ٢٧١٢ وتوفي في سنة ٢٨٣٢ للخليقة (١٧١٩- ١٥٩٩ ق.م.)، ولما كان هناك أمر صادر من فرعون مصر بقتل أولاد العبرانيين من الذكور على أثر تحذيره من قبل سحرته وعرفانه بأن دمار مصر سيأتي على أيدي عبرانيّ سيولد قريباً، صدرت الأوامر من قبل فرعون مصر بقتل كل ذكر يولد للعبرانيين في مصر، حيث كلّم ملك مصر قابلتيْ العبرانيات قائلاً «حينما تُوَلّدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسي ان كان ابنا فاقتلاه، وان كان بنتا فتحيا». (خر ١: ١٦)، لكن القابلتين خافتا الله ولم تفعلا كما امرهما فرعون مصر، بل استحيتا الأولاد، وكان من بينهم هذا الإنسان العظيم، حيث جاء في التوراة عن ميلاده، «وذهب رجل من بيت لاوي واخذ بنت لاوي، فحبلت المرأة وولدت ابنا. ولما رأته أنه حسن، خبأته ثلاثة أشهر، ولما لم يمكنها ان تخبئه بعد، أخذت له سفطا من البردي وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته على حافة النهر، ووقفت اخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به». (خر ٢: ١-٤).

وقد ورد في قصة مولد سيد الانبياء موسى بن عمران عليه السلام والتي وضعها العالم السامري الشهير «اسماعيل الرميحي» باللغة العربية قبل حوالي سبعمائة عام أنّ سحرة البلاط الفرعوني اخبروه بأن سيولد عند العبرانيين طفل تكون نهاية البلاط الفرعوني على يده ، وتخوفا من ان يولد هذا الطفل ويعيش، أمر فرعون بإبعاد ذكور العبرانيين عن نسائهم لكي لا يعاشروهن فيحملن منهم، وكذلك أمر بقتل كل مولود ذكر لدى العبرانيين وذلك برميه في النيل، رغم كل هذه القيود استمر العبرانيون بالتكاثر وادّعت القابلات اللواتي كنّ يولّدن النساء العبرانيات بأنّ تلك النساء يتوالدن كالحيوانات أي دون الحاجة إلى قابلات.

ولقد جاء على لسان علماء السامريين قولهم، «وعمت البشرى بميلاد هذا الإنسان العظيم، هذا النور الذي خلقه المولى منذ بداية هذا الكون حيث دعا المولى «ليكن نورا وكان النور» خلقه اسمه في البداية لحين ظهور هذا النبي قد أخفاه ولقد رآه حسن هو في تكوينه، وان الربوبية قد قالت له انتني بسلام يا من لأجلك انا تراءيت لأظهر على يدك معاجيزي».

وجاء على لسان العلامة السامري وفريد عصره الكاهن خضر بن اسحاق الذي عاصر القرن التاسع عشر الميلادي ضمن كتابه «مولد موسى بن عمران» يصف الأمر الذي أصدره فرعون مصر لشعبه قائلا: «ان كل ولد يولد للشعب العبري يطرحوه في وسط النهر وخرج من لدن فرعون هذا الأمر وأرسل فرعون ودعا لقابلات شعب اسرائيل الذي اسم واحده شفره والثانية فوه كل ولد مولود للعبرانيين تطرحوه في النهر وكل بنت تحيوها». ولما كانت ابنة فرعون مصر تشكو من مرض البرص، وعندما نزلت ذات يوم الى النهر لتغتسل، رأت سفطا بين الحلفاء في النهر فارسلت أَمَتَهَا واخذته، وما ان فتحت السفط لتنظر فيه فإذا بصبي يبكي فرقت له وشفيت على التوّ، من اجل هذا احتفظت ابنة فرعون بالولد ومنعت والدها من قتله، كما كان يفعل مع سائر أولاد العبرانيين، هذا ما جاء في كتاب الأساطير السامرية ، وقالت: «هذا من أولاد العبرانيين» وطلبت من والدة الصبي «يوكابد» أن ترضعه، ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون، واطلقت عليه اسم «موسى» بمعنى المغيث أو الشافي بسبب شفائها من المرض على إثر نظرتها له.

ولما كبر موسى وترعرع في البلاط الفرعوني في مصر وتعلم وأتقن العلوم وفنون الفروسية، وصاحب رجال السياسة وعلماء مصر وشعرائها، وما أن بلغ سن العشرين كما جاء على لسان خضر بن اسحق الكاهن، وهو من علماء السامريين في القرن التاسع عشر ضمن كتابه «مولد موسى» في تلك الأيام خرج الى إخوته لينظر في اثقالهم والمذلة التي يقاسون منها، فرأى رجلاً مصريا يضرب رجلاً عبرانيا من اخوته، فأثار ذلك غضبه بشدة واقدم على قتل المصري وطمره في الرمل. وما أن سمع فرعون مصر بهذا الأمر حتى طلب ان يُقْتَل موسى، كما جاء في التوراة: «فهرب موسى من مصر من وجه فرعون وسكن في ارض مديان» (خر ٢، ١٥).

وعلى إثر ذلك هرب موسى بن عمران من البلاط الفرعوني على الرغم مما وصل إليه من سمو وعلو شأن هناك، مفضلا ان يقاسي ما يقاسيه شعبه ليشعر بآلامهم ويحزن لحزنهم، لما يتحملونه من ويلات العذاب والحرمان والذل والعبودية حتى انطبعت في ذهنه ابشع صور الوحشية لما يقاسيه شعبه المغلوب على امره وتحمله غلائل القيود والضرب بالأسواط والعمل بالأشغال الشاقة وحرمانهم من التغذية من قبل اولئك القابعين بين اروقة القصور الفاخرة في البلاط الفرعوني.

وبعد ان توفي رعمسيس الثاني فرعون مصر، الذي كان من اعظم ملوك الدولة التاسعة عشرة واشدهم باسا تولى الحكم من بعده ابنه فرنفتاح. وجاء في الشريعة المقدسة على أثر موت فرعونها هذا: «تنهد بنو اسرائيل من العبودية وصرخوا، فصعد صراخهم إلى الله من اجل العبودية فسمع الله انينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب، ونظر الله إلى إسرائيل وعلم الله».(خر ٢، ٢٣-٢٤)

لقد خلق الله الناس احرارا فالقدرة الالهية تكره الذل والعبودية، وما ان سمع الله انين الشعب الذي وعد اباءه واجداده بان يحفظهم ويصونهم ويرعاهم ويجدد عهده معهم، وعندما نظر المولى إلى شعب بني اسرائيل ورأى مذلتهم وقسوة شعب مصر وفرعونها عليهم، علمَ ان ساعة الصفر قد دنت ولا بد من محاكمة المصريين الذين زرعوا في ابنائه «شعب بني اسرائيل» الذل والخنوع والعبودية ليخرجهم من الأراضي المصرية ومن ذل العبودية مالكا حريته رافعاً رأسه امام جميع شعوب الأرض القادم إليها، ولتهتز من اسمه ولترتجف من تحركاته الشعوب، حيث تستقبله الأراضي المقدسة وهي الأرض الموعود بها بعزة وكرامة، بعد أن يُمحى عنه عار الخضوع والخنوع، فتحتضنه بقدسيتها وبخيراتها الكثيرة والعديدة، ولقد جاء في محكم كتابه المقدس، **«إنني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من اجل مسخريهم، اني علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض الى أرض جيدة وواسعة إلى ارض تفيض لبنا وعسلاً».** (خر ٣، ٧-٨)

واختار الله لهذه المهمة انساناً اميناً شجاعاً حكيماً مقداماً وغيوراً، ليتلقى رسالته السماوية وليلبي نداء استغاثة شعبه التي اطلقها من اجل تحريره من العبودية بعد ان ذاق هذا الشعب مرارة العيش، وانغمس في خضم الاضطهاد والذل، حتى كاد أن يصبح نقيض درب مع الحرية . لذلك ألقى رب السموات والأرض مهمة تحرير شعب بني اسرائيل من العبودية على رسول المحبة والسلام موسى بن عمران مخاطباً اياه، **« والآن هذا صراخ بني إسرائيل قد أتى إليّ، ورأيت أيضاً الضيقة التي ضايقهم بها المصريون، فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعب بني اسرائيل من مصر».** (خر ٣، ٩-١٠)

وقد جاء على لسان الشاعر الكاهن السامري العازر بن فينحاس الذي عاصر القرن الرابع عشر الميلادي واصفا هذا النبي العظيم قائلا، **«فاه لفاه كلم الله موسى، على مشهد الخلائق، افواه مقدسة، بالرؤيا وليس بالخيال».** واما الكاهن العلامة خضر بن اسحاق الذي جاء ذكره اعلاه مادحا هذا النبي العظيم في كتابه مولد موسى بقوله، **«جاء صاحب المعاجيز، جاء صاحب العجائب، جاء صاحب الصوم ، جاء صاحب العهود ، جاء صاحب الشفاعة، جاء خاص كل الخلائق».**

هذه المسؤولية التي أراد الله أن يعطيها إلى نبيه وكليمه موسى بن عمران كان اهلا لها، وبما ان حمل المسؤولية ليس بالأمر السهل فهي مهمة كبيرة وصعبة، خاصة إذا كانت مسؤولية تحرير شعب بأكمله من الذل العبودية مما جعل هذا الإنسان يرفضها، خوفا من عبئها وعدم نجاح مهمته هذه، وهو يعلم أن الفراعنة أشداء وذوو قسوة فالمسؤولية لا تؤخذ بل تعطى. فاعلمه الله بان نهاية الظلم ستكون النصر المبين لشعبه الإسرائيلي، وسيتم تحريره وخلاصه، لأنه موعود مع القدر منذ الأزل لهذا تم اختيار المولى له ليحمل لواءها.

لقد دوّن علماؤنا السامريون في شروحاتهم أن الدنيا خلقت من أجل موسى بن عمران، هذا الانسان العظيم، مستندين على كلام الله في شريعته المقدسة قائلا، « **لا يدين روحي في الانسان الى الأبد. والذي هو بشر، وتكون أيامه مئة وعشرين سنة**». (تك ٦، ٣)، لكن ان يفسر اليهود هذه الآية لزيغانه هو بشر، فلنا هنا وقفة وعلامة سؤال، من هو الانسان الذي حدد الله عمره مئة وعشرين سنة ؟ أليس هو النبي موسى بن عمران ؟

وهناك حقيقة اخرى ان آدم عاش من العمر ٩٣٠ سنة تاركاً للألف ٧٠ سنة، وكذلك الأمر عندما حدث الطوفان وفنيت البشرية جمعاء، وانقذ المولى نوح من اجل هذا النبي ايضا، حيث عاش من العمر ٩٥٠ سنة، تاركا للألف ايضاً ٥٠ سنة، ٧٠ + ٥٠ = ١٢٠ ومجموع ما ترك هؤلاء الأنبياء من عمريهما يؤكد على أن البشرية بعثت من أجل موسى بن عمران، وهذا ما يؤكد التفسير السامري للآية التوراتية أعلاه، «**لا يدين روحي في الانسان إلى الأبد، والذي هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين سنة**».

عندما بعث رب العالمين سيدنا آدم إلى الوجود كان ذلك ايضا من اجل موسى بن عمران، وهذا ما يستنتجه الإنسان منا من خلال جمطرة ادم = ٤٥ ثم قال الله ليس جيدا أن يكون آدم وحده، فصنع له نظيرة، «**فأوقع الله الإله سباتا على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما. وبنى الله الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة**»(تك ٢، ٢١-٢٢)، و جمطرة حواء = ١٩ وبعملية الطرح لأن حواء اخذت من آدم ٤٥ – ١٩ = ٢٦، أليس تسلسل الرسول الكليم موسى بين الأذكياء والصديقين من آدم هو السادس والعشرون ؟

سلالة موسى بن عمران طاهرة ليس لأنه من سلالة الأذكياء والصديقين ويحتل مرتبة السادس والعشرين منهم فقط، بل لاقترانه أيضا بزوجته صبورة (عصفورة) ابنة «رعوئل كاهن مديان»، ويعني اسم رعو- ئل، المؤلف من مقطعين اليف الله وهذا دلالة على إيمان هذا الرجل وكذلك كنيته كاهن مديان بالإضافة إلى نسب هذا الكاهن الذي يعود إلى سلالة إبراهيم من قيطوره، اي أن سيدنا موسى تزوج على سنة وشرع سيدنا إبراهيم. العلامة الكاهن عمرم داره بن سارد الذي عاصر القرن الرابع للميلاد جاء وصفه للأذكياء والصديقين من خلال بيت الشعر «سياجم ربرابيم»: «آدم الأول وشات الخليفة وانوش الداعي وخنوخ المصلي وإبراهيم الرئيس وإسحاق المخلص ويعقوب صاحب التقوى ويوسف الملك الحر وموسى النبي».

ومن خلال جمطرتنا[1] أسماء موسى وصبورة زوجته واولاده جرشم والیعازر، على التوالي، ٣٤٥، ٢٨١، ٥٤٣، ٣١٨، فهناك رابطة جمطرية لهذه الأسماء، إن مجموع كل اسم منهما على حدا = ١٢ والمقصود هنا بهذا الرقم الأسباط الاثني عشر. بالإضافة إلى الأرقام المشتركة بين موسى ٣٤٥

[1] المقصود هنا هو الجيومتريا اي حساب الجمل وفيه يتم حساب القيمة الرقمية للكلمة ومن ثم تأويل هذه القيمة.

وبين جرشم ٥٤٣، وكذلك ارقام مشتركة بين صبوره ٢٨١ واليعازر ٢١٨ ، هل جاءت هذه الأرقام هكذا، ام من خلالها تكمن عظمة الشريعة التوراتية. على اعتبار ان سيدنا موسى كان له ميولا مع ولده جرشم، وأن السيدة صفورة كان ميولها مع اليعازر، وهذا ما حدث ايضا مع إسحق عليه السلام حيث كان ميوله مع ولده عيسو، بالوقت ان زوجته رفقة كان ميولها مع ابنهما يعقوب، ويعقوب كان له ميولا مع ولده يوسف، حيث جاء في التوراة «وأما اسرائيل (يعقوب) فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه» (تك ٣٧، ٣) .

ليس غريبا ان يطالع الإنسان مثل هذه الجمطرات لأن الله عندما رزق هذا الإنسان الحليم من زوجته صبورة (عصفورة) ولدين اسميا الأول جرشم وهو مشتق من مقطعين «جر» وتعني ساكن (غريب)، «شَمْ» وتعني هناك، ومعناه انه سكن في ارض غريبة، أما اسم الولد الثاني اليعازر وهو ايضا مؤلف من مقطعين: «الي» وتعني الإله، و«عازر» وتعني ساعد، ومعناه أن الله هو الذي ساعده على غربته. هذا ما أعلمتنا به الشريعة المقدسة من تفسير لهذين الاسمين، فاسرار الشريعة لا تعد ولا تحصى وستبقى إلى ابد الأبدين يكمن فيها الكثير من الخفايا والأسرار.

يقول العلماء الإسرائيليون ان التوراة لها سبعون وجها (المقصود ٧٠ تفسيرا)، لهذا نجد العديد من التفسيرات للكلمة والآية والسورة، بما لا يعارض التفاسير الأخرى، مما يعطي الكثير من المرونة في تفسير التوراة إلى يوم الدين، وهذا يبرهن على أن الكتب السماوية لا يستطيع الانسان منا تفسيرها تماما بل يستطيع ان يجتهد في فيها.

إن التأمل في الحياة يؤدي ببصيرة الإنسان إلى مدى عظمة الخالق وروعته، حيث وجدنا أن معظم الرسل الذين بعثت بهم روح النبوة، كانوا كلهم رعاة غنم. فالطبيعة هي التي أوحت لهم وبعثت فيهم الإلهام الديني والوحي اللدنيوي ولتكون صلتهم بالخالق والمخلوقات صلة المحبة والإخلاص والتفاني. لهذا وجدنا ان الله اختار موسى بن عمران نبيا ورسولا وكليما وامين بيته مخاطبا إياه بينما كان يرعى غنم حميه[1] يترو كاهن مديان، كما جاء في الشريعة المقدسة: «واما موسى يرعى غنم يترون حميه كاهن مديان، فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب (جبل سيناء)، وظهر له ملاك الله بلهيب نار من وسط عليقة، فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار، والعليقة لم تكن تحترق! فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة؟ فلما رأى الله انه مال لينظر، ناداه الله من وسط العليقة وقال: «موسى موسى»، فقال: ها أنذا، فقال: لا تقترب إلى ههنا. اخلع حذاءك من رجليك، لأن الموضع الذي انت واقف عليه أرض مقدسة. وتابع المولى كلامه مع الرسول: أنا إله ابيك، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب. وغطى موسى وجهه لأنه خاف أن

[1] الحم: هو ابو الزوجة

ينظر إلى الله. فقال الله، اني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. إني علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين، وأصعدهم من تلك الأرض الى أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبنا وعسلا، إلى مكان الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، والآن هوذا بني إسرائيل قد أتى إلي، ورأيت أيضا الضيقة التي يضايقهم بها المصريون، فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر». (خر ٣، ١-١٠)

كان موسى يعلم أن المهمة التي اوكلها الله إليه ليست بالأمر السهل، بادئ ذي بدء عليه أن يقنع شعبه الإسرائيلي بها وأن يؤمنوا برسالته هذه وان يطيعوه، لأن تحرير شعبه من العبودية ليس أمرا سهلا بل هو مهمة صعبة للغاية وشاقة، وكذلك مجابهة فرعون مصر الملك الذي لا ينازعه احد في ملكه ورايه وسطوته وكبريائه، ملك يعتبر نفسه إلها على الأرض دون منازع، وهو بالذات يعرف السطوة التي يملكها فرعون، وكيف ان كل من يقف أمامه بمهمة كهذه، مصيره الموت الزؤوم.

من اجل هذا اجاب موسى ربه قائلا، «من أنا حتى اذهب إلى فرعون، وحتى أُخرج بني إسرائيل من مصر». (خر ٣، ١١)، وهنا وعده الله رب العالمين بان يكون معه، مؤازرا له بالآيات والعجائب و المعاجيز ويسانده باخيه هارون صاحب طلاقة اللسان والأمر الناهي للشعب العبراني في مصر. وبدا موسى الاستفسار من الله قائلا، عندما اتي إلى الشعب واقول لهم ، «إله آبائكم أرسلني إليكم، فإذا قالوا لي، ما اسمه ؟ فماذا اقول لهم «اهيه الذي اهيه» هو الذي ارسلني إليكم، الله إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب لرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور» (خر٣ ، ١٣-١٥). وعلى الرغم من تزويده بالكثير من العجائب والآيات مثل العصا التي طرحها الى الأرض فصارت ثعبانا، وكذلك عندما ادخل موسى يده في عبه واخرجها فإذا هي برصاء مثل الثلج ولما اعادها إلى عبه واخرجها ثانية فإذا هي عادت مثل جسده، وزوده بمعجزة ثالثة فكان إذا ألقى من ماء النهر على الأرض تحول إلى دم، ورغم كل الإغراءات من آيات وأعاجيب وتكليم الله له إلا انه أجاب قائلا، لست أنا صاحب كلام بل انا ثقيل الفم واللسان ارسل بيد من ترسل، فحمي غضب الله على موسى قائلا، «اليس هارون اللاوي أخاك؟ أعلم انه هو يتكلم، وأيضا ها هو خارج لاستقبالك. فحينما يراك يفرح بقلبه، وهو يكلم الشعب عنك». (خر٤، ١٤-١٦)

الحوار الذي دار ما بين رب العالمين ونبيه موسى الكليم يعبر هنا عن كيفية استلام المسؤولية والعمل بها، إنه درس للبشرية في كيفية معالجة الأمور ويجب اعتباره عينة لقياس جميع أمور

الحياة بالا تتخذ الأمور باستهانة، بل تؤخذ بالخبرة والتعليم والإتقان والتفاني وبالجهد والعمل لأن الحياة عبارة عن دروس يجب أن نتعلمها ممن لديهم الخبرة والمعرفة، حتى يتم النجاح في المسيرة التي يخطها كل فرد في هذه الحياة لنفسه.

وهكذا قبل هذا النبي حمل لواء تحرير شعب بني إسرائيل، بعد أن تسلح بسلاح القدرة الإلهية، إذ أيقن أن المسؤولية التي حمله الله إياها مصيرها النجاح، وأن حمل المسؤولية ليس بالأمر الهين أو بالأمر البسيط، إنه مصير أناس بين يديه، ومصير شعب تحت رحمته، وكل خطوة محسوبة عليه. من اجل هذا نقول إن المسؤولية لا تؤخذ بالقوة أو العنفوان أو للصلحة بل تعطى لمن هو جدير بها، وتعطى لمن يستحقها، وتعطى لمن يكون اهلا لها، وتعطى لمن يضع مخافة الله بين عينيه.

وبعد أن قام هذا الإنسان العظيم بتعبئة شعبه من أجل التحرر من العبودية، عندها دخل موسى وهارون وقالا لفرعون مصر، «**هكذا يقول الله إله إسرائيل، اطلق شعبي ليعيدوا لي في البرية**». وهنا اجابهم فرعون «من هو الله حتى اسمعَ لقوله فاطلقَ إسرائيل؟ لا اعرف الله وإسرائيل لا اطلق» (خر ٥، ١-٢)، هنا امر فرعون في ذلك اليوم مسخري الشعب ومدبريه أن لا يعطوا الشعب تبنا لصنع اللبن كامس واول أمس، ويذهبوا هم ويجمعوا تبنا لأنفسهم، على الا ينقص ذلك من عملهم شيئا، وهذه المادة كانوا يحصلون عليها من جراء دراسة القمح في البيادر، وهي مادة متطايرة وتسمى هذه المادة عند الفلاحين «موسى ناعم» وكانوا في القديم يمزجون هذه المادة مع التراب من نوع الحور الأبيض.

ورغم توسلات كل من موسى وهارون إلى فرعون مصر وعبيده لإطلاق شعبهم، إلا ان ذلك لم يُجدِ نفعاً بل ازدادت معاملتهم قسوة وشدة، وعندما صادف خروج هذين النبيين من لدن فرعون مصر قابلوا مدبري بني اسرائيل فقالوا لهما، «**ينظر الله اليكما ويقضي، لأنكما انتنتما رائحتنا في عيني فرعون وفي عيون عبيده حتى تعطيا سيفا في أيديهم ليقتلونا**» (خر٥، ٢١)، فلم يستطع موسى ان يقف امام هذا المشهد ورجع مسرعا إلى ربه مخاطبا إياه قائلا، «**لماذا أسات إلى هذا الشعب؟ لماذا أرسلتني؟ فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب. وأنت لم تخلص شعبك**». (خر ٥ ، ٢٢-٢٣).

فاجاب الرب موسى، «**الآن تنظر ما أنا افعل بفرعون، فإنه بيد قوية يطلقهم وبيد قوية يطردهم من أرضه**». انا القادر على كل شيء، وانا سمعت انين بني إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون، وتذكرت عهدي، انا أُخرجكم من تحت اثقال المصريين وانقذكم من عبوديتهم واخَلِّصُكم بذراع ممدودة وباحكام عظيمة واتخذكم لي شعبا واكون لكم إلها». (خر٦، ١-٧)

الحوار الرباني الموسوي جاء ليعلم الإنسانية كيفية التعامل والتفاهم وتسيير الأمور، إن الحوار البناء يولد المعرفة والحياة الأفضل، كل هذا ضمن إطار معقول ومقبول، حتى يصل الطرفين إلى تقبل الأمور دون ان تصل إلى طريق مسدود وليس هذا فحسب، كانت نتيجة الحوار الذي دار بين النبي موسى مع الله رب العالمين في النهاية تماما كما وعد الله موسى في تحرير هذا الشعب بيد قوية وممدودة. لقد كان باستطاعة المولى ان يخرجهم بضربة واحدة، وأن يقول كن فيكون، لكن المولى أراد في هذا ان تنال الإنسانية دروسا وعبرا عبر التاريخ في كيفية التقدم في المحادثات السلمية التي اجراها موسى مع فرعون مصر، فالقوة ليست لمن يملك السلاح والجبروت، بل لمن يملك النفس الطويل، فإعطاء الفرصة للحل بالطرق السلمية هو الطريق السليم، وهو النجاح بحد ذاته، وهذا ما اراد المولى ان ينقله إلى البشرية عن طريق سرد قصة الخروج من مصر والتحرر من العبودية، كل ذلك عن طريق الحوار واتساع افق المحاور بحد ذاته، حتى يكون هناك نجاح في المداولات والمحاورات والمحادثات، والمهم في النهاية هو التوصل الى قرار والى نتيجة مرضية سواء اكانت هذه النتيجة سلمية ام كانت عن طريق الحرب.

كل ذلك ليمتثل فرعون مصر وعبيده وابناء شعبه لإرادة المولى لتحرير شعب بني إسرائيل من بلادهم بكامل حقوقهم غير منقوصة. هذه الحقوق التي اكتسبوها خلال مدة وجودهم في أرض مصر حصلوا عليها بعرق جبينهم وبخدمتهم وشقائهم، اما تجريدهم من كل ذلك فإرادة رب العالمين تابى هذا. كما جاء على لسان التوراة حيث قال لهم فرعون مصر، «اذهبوا اعبدوا الرب. غير ان غنمكم وبقركم تبقى، وكان رد موسى الرسول الى فرعون مصر قائلاً، «انت تعطي أيضاً في أيدينا ذبائح، ومحرقات لنصنعها للرب الهنا. فتذهب مواشينا أيضاً معنا لا يبقى ظلف لاننا منها نأخذ لعبادة الرب الهنا». (خر ١٠، ٢٤-٢٦)

كانت الطريق الى أرض الميعاد والوصول اليها محفوفة بالمخاطر والصعاب حتى لا يشعر ابناء الشعب الإسرائيلي أن خروجهم كان بالأمر السهل الهين، ولئلا يندم الشعب إذا ما جابهوا مشكلة أو حرباً وبعد ذلك يفكرون بالعودة إلى مصر. وعندما تقبل الإسرائيلي طعم مرارة الحياة في مصر، مما جعله يقبل بالذل والهوان والاضطهاد والعبودية، كان لابد للإسرائيليين ان يجابهوا ويكافحوا وان يصبروا ويصمدوا أمام جميع التيارات حتى يتحرروا من ظل العبودية التي لبسوا ثوبها طيلة قرن ونيف من السنين، وبهذا كان رب العالمين يقسّي قلب فرعون وقلوب عبيده من اجل أن يجعل اياته واحكامه ويُكثِرَ عجائبه في أرض مصر، وكان في كل مرة يشدد قلب فرعون كي لا يطلق شعب بني إسرائيل من ارضه.

لكن الامر لم يَرُقْ لسيدنا موسى عليه السلام، لأنه كان يرغب في إطلاق سراح الشعب باسرع ما يمكن حيث كان مشغول البال والفكر طالما لا يزال شعبه راقداً في الأراضي المصرية يحمل

كابوس العبودية والألم والاضطهاد والمصير الغامض، هنا فاجأ الباري الرسول الكليم بقوله تعالى، «الان تنظر ما أنا افعل بفرعون فإنه بيد قوية يطلقهم وبيد قوية يطردهم من ارضه... أنا أُخرجكم من تحت اثقال المصريين وأُنقذكم من عبوديتهم وأُخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة واتخذكم لي شعبا واكون لكم إلها». (خر ٦، ٦-٧) وابتدأت الضربات الاثنتي عشرة بعدد الأسباط الاثنى عشر ابناء شعب بني إسرائيل على فرعون مصر وعبيده وشعبه والتي مثل كل واحد منها معجز واعجوبة وآية لا يستطيع على فعل واحد منها سوى خالق هذا الكون ومبدعه. إنها معاجيز لا تنفذ إلا بواسطة يد المولى القوية وذراع الإله الممدودة وبأحكام رب العالمين العظيمة، وبآيات لها عبرها الزمنية على مدى الدهر، لتكون شاهدة على عظمة الخالق ورسوله الكليم الذي قام بتنفيذ هذه المهمات بصدق وامانة. بتحويل الماء الى دم، وضربة الضفادع، ضربة البعوض، ضربة الذبان، ضربة إهلاك الماشية، ضربة الدمامل ضربة البرد، ضربة الجراد، ضربة الظلام، ضربة موت الأبكار، بالإضافة الى ضربتين هما عصا هارون تتحول إلى ثعبان، وكذلك مطاردة فرعون لهم وغرقه في البحر هو وجيشه. اذحررهم المولى من العبودية، واخرجهم من مصر في سنة ٢٧٥٤ للخليقة، اي قبل ٣٦٨٦ سنة (١٦٧٩ ق.م.) حسب التقويم العبري السامري، خرج شعب بني اسرائيل من مصر ظافرا ومنتصراً حاملاً لواء راية التحرير بقيادة النبي الأعظم موسى بن عمران.

معطيات إحصائية

اختلف الباحثون والمحققون بخصوص كيفية تكاثر وازدياد نمو ابناء شعب بني إسرائيل في مصر بهذه السرعة المذهلة، نزلوا ٧٠ نفراً، افراد أسرة واحدة أبناء يعقوب، وخلال مدة ٢١٥ سنة من مكوثهم هناك خرج هذا الشعب بستمائة الف رجل، ما عدا الأولاد والنساء وابناء سبط لاوي، حيث جاء في التوراة ، «فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت، نحو ست مئة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد، وصعد معهم لفيف كثير ايضا». (خر ١٢، ٣٧-٣٨) وبإضافة ما دون سن العشرين من ابناء هذا الشعب الذين لم تذكرهم الإحصائية، والذين يمثلون في المجتمعات نسبة ٢،١ وايضا جميع ابناء سبط لاوي، واولئك الذين هاجروا معهم من الساميين الذين اختلطوا معهم، والذين ذكرتهم الشريعة عندما قالت صعد معهم لفيف كثير ايضا، اي أن عددهم تجاوز المليونين من الأنفس عندما خرجوا من مصر، إذ جاء في التوراة « اثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً حتى امتلأت الأرض منهم» (خر ١ ، ٧)، مثل هذه الزيادة في عدد سكان العبرانيين وخلال فترة زمنية قصيرة نسبيا، ليس امراً مستحيلاً، لأن الشريعة اكدت تكاثرهم ونموهم بحيث ان ارض مصر امتلأت منهم، حتى أن فراعنة مصر ارتعبوا وخافوا من تكاثرهم هذا، على الرغم من ان الشعب المصري كان عدده في ذلك الوقت يقارب الثمانية ملايين نسمة.

منذ قدوم سيدنا ابراهيم الى الأراضي الكنعانية وحتى خروج شعب بني إسرائيل من مصر، سميت هذه الفترة بحياة غربة العبرانيين التي استمرت مدة ٤٣٠ سنة، نصف هذه الفترة الزمنية كان بارض الكنعانيين وكانت على النحو التالي، إبراهيم مكث في الأراضي الكنعانية ٢٥ سنة حتى ميلاد ولده إسحاق، وعاش إسحاق في الأراضي الكنعانية ١٨٠ سنة، وكان نزول يعقوب إلى مصر بعد وفاة إسحق بعشرة سنوات، فتصبح المدة ٢١٥ سنة، اما النصف الآخر فكان في مصر، حيث سميت هذه التنقلات غربة، بسبب أن الشعب العبراني لم يتوطن بالأراضي الكنعانية، إلا حين رجوعه إليها وإقامة دولته العبرية فيها.

وصف أبو الفتح ابن أبي الحسن الدنفي السامري مؤلف «كتاب التاريخ السامري» صفحة ٣ تفاصيل هذه المدة بقوله، «مائتان وخمسة عشر سنة تفاصيلها مستفادة من الشرع الشريف. لأن ابراهيم عليه السلام منذ دخوله الأراضي المقدسة ولما رزق اسحاق ٢٥ سنة، ومن اسحاق حتى رزق يعقوب ٦٠ سنة، ومن اسحاق عليه السلام إلى دخوله الى مصر مائة وثلاثين سنة».

اما تفاصيل هذه المدة من وجهه تاريخية دينية كانت بخروج إبراهيم عليه السلام من حاران إلى موعد ميلاد إسحاق ٢٥ سنة، ومن إسحاق إلى مولد يعقوب ٦٠ سنة ومن يعقوب إلى لاوي ٨٧ سنة، ومن لاوي إلى قات ٥٣ سنة، ومن قات إلى عمرام ٧١ سنة ومن عمرام إلى مولد الرسول موسى ٥٥ سنة، ومن مولد الرسول حتى حدوث المعاجيز ٨٠ سنة وهكذا فإن مجموع هذه المدة يصبح ٤٣٠ سنة.

هذا التكاثر والنمو لأبناء شعب بني اسرائيل في مصر، اكده القس القانوني «جور رولنس» في كتابه « السنن القويم في تفسير أسفار الكليم» ص٢٩٢ حيث جاء في كتابه، «**أن الإسرائيليين لو لم يكثروا تلك الكثرة لم يخف المصريون منهم، وما كثرة الاسرائيليين بالنسبة إلى سائر سكان مصر يومئذ فإن المرجح كان سكانها نحو ثمانية ملايين، فلو حسبنا الإسرائيليين مع من هاجر اليهم من الساميين واختلطوا بهم وصاروا منهم مليونا لم يكن ذلك وراء التصديق، وكيف أمكن الاسرائيليين أن يستولوا على أرض كنعان مع كثرة سكانها لو لم يكونوا كثيرين، على ان بعضهم قال أن الإسرائيليين كانوا يومئذ نحو الفي الف**».

لكن هناك راي مخالف لما اكدّه القس القانوني المذكور اعلاه، صدر من جامعة النجاح الوطنية من قبل عمادة البحث العلمي، حيث جاء في كتابها رقم ١ت/ب ع ص/٠٧ والصادر بتاريخ ٢٠٠٧/٧/١ تحت عنوان (كتاب التيه الاسرائيلي في شبه جزيرة سيناء) يقول فيه، «**من المفروض ان يكون عدد بني اسرائيل حين خروجهم من مصر لا يزيد عن ٨١٦٠ شخصا مضافا اليهم من آمن معهم برسالة موسى**».

ويذكر هنا ان في السنتين الأوائل من خروجهم مات من هذا الشعب للمخالفات التي فعلوها ما ينوف عن عشرات الآلاف، واذا ما سلمنا بما جاء في كتاب البحث العلمي الصادر عن جامعة النجاح الوطنية فإننا نتوصل إلى انه ينفي ما جاءت به «التوراة». لأن مثل ما جاءت به عمادة البحث العلمي بالنسبة لعدد شعب بني اسرائيل ينفي كل الأحداث في التوراة، والمترابطة بعضها ببعض.

ويقودنا مثل هذا الاستنتاج إلى العوامل التي ادت إلى مثل هذا التكاثر، فالعبرانيون سكنوا في اخصب الأراضي المصرية «أرض جاسان» وهي جزء كبير من الدلتا الشرقية لنهر النيل، ذات الأراضي الخصبة، والمعلوم ان الإسرائيليين زراعيون من الدرجة الاولى، ولهم كانوا يملكون قطعان ماشية كبيرة جدا، بالإضافة لكونهم اقتصاديون وحرفيون ورجال صناعة، بالإضافة إلى انهم كانوا تحت الرعاية المباشرة ليوسف ملك مصر. اي أن جميع العوامل التي تؤدي إلى تكاثر هذا الشعب كانت متوفرة وقائمة، وما واكبها من ظرف اجتماعي واقتصادي وسياسي

كان ملائما ومناسبا لهم، عدا عن رعاية رب العالمين لهم كشعبه الخاص، فما ان شعر بضيق هذا الشعب وصراخه من قبل مسخريه وعلم باوجاعهم، حتى قرر انقاذهم من أيدي فراعنة مصر، واصعادهم من الأراضي المصرية والوصول بهم الى الأراضي الكنعانية، الأرض الجيدة والواسعة، الأرض التي تفيض لبنا وعسلا.
اذا ما تابع الإنسان منا تسلسل التاريخ منذ الخليقة وحتى الآن، نجد ان البشر يتنازعون من أجل تحسين الحالة الاقتصادية لهم، وهم دائما وابدا يتوقعون المجاعة، ولقد كان علماء الإحصاء في الماضي القريب يخشون من التكاثر الطبيعي للإنسان، ويتوقعون ان تحدث مجاعة في العالم في النصف الأخير من القرن العشرين، وها نحن نرى الآن في العشر الأول من القرن الحادي والعشرين، بدلا من ان يأكل الناس بعضهم البعض لقلة الغذاء، نجد أن هناك فائضا غذائيا اذا ما استغل بطريقة صحيحة فإنه سيعيل عالما آخر بحجم عالمنا الآن على الرغم من تضاعف عدده كل خمسة عشرين سنة تقريبا. وهنا يوصلنا إلى مفهوم واقعي وحقيقي، ان الله خالق السموات والأرض، هو كفيل بإعالة كل نفس يبعثها في هذا الوجود، هذا على مستوى حياة الملايين وحتى المليارات من الأنفس، فكيف يستغرب البعض ما حصل لأبناء شعب بني اسرائيل بالنسبة لعددهم المليونيْن من الأنفس وكيفية استيعاب صحراء مثل شبه جزيرة سيناء لهم مدة اربعين سنة.

ابناء العبرانيين الذين نزلوا إلى مصر كان عددهم في الواقع سبعون فردا من ابناء يعقوب وهذا العدد من صلبه فقط، كما جاء على لسان الشريعة الموسوية، «**جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر الخارجة من صلبه. ما عدا نساء بني يعقوب ، جميع النفوس ست وستون نفسا .وابنا يوسف اللذان ولدا له في مصر نفسان. جميع نفوس بيت يعقوب التي أتت إلى مصر سبعون**» (تك ٤٦: ٢٦-٢٧)، لكن إذا اضفنا عليهم زوجات اولاده وكذلك اماءهم وخدمهم واولئك الرعاة من الساميين وأفراد عائلاتهم الذين كانوا يخدمونهم ويرعون ماشيتهم، لأصبح عدد الذين نزلوا إلى مصر ما يقارب المئة وعشرين نسمة على الأقل.

اشرنا اعلاه انّ اولاد يعقوب ومن اصطحبهم في النزول الى مصر كان عددهم يقارب المئة وعشرين نفرا، وإذا ما وضعنا احصائية تقريبية صورية، على اعتبار ان من بين هؤلاء كان هناك ما يقارب الثمانين من المؤهلين للتكاثر والإنجاب وحتى الفوري منه بما فيهم الخدم، وهذا ما يستطيع كل فرد ان يستنتجه من خلال اسماء واعمار الذين نزلوا إلى مصر من ابناء يعقوب عليه السلام، اما المدة التي مكثها شعب بني اسرائيل في مصر كانت ٢١٥ سنة، وعلى افتراض ان كل ٣٠ سنة هناك جيل تكاثري كامل، وهذا شيء طبيعي بالنسبة للظروف التي كانت متوفرة لهذا الشعب الطبيعية منها والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وقوة بينتهم وشدة بأسهم ومراسهم، بالإضافة ان رب العالمين حافظ عليهم كما يحافظ الإنسان على حدقة

عينه، فأثمروا وتوالدوا ونمو وكثروا كثيرا جدا، حتى امتلأت الارض المصرية منهم، حيث بلغ معدل تكاثرهم ما يقارب الاثني عشر نفراً لكل فرد منهم، واذا ما افترضنا ان نسبة الوفيات ٣٠٪، بالإضافة إلى ان هناك ما نسبته ٥٠٪ إناث، فيبقى تكاثر الجيل اربعة اضعاف فقط، ويذكر ان قابلية تكاثر الأفراد الذين نزلوا إلى مصر وخلال فترة قصيرة جدا من السنوات كانت ٦٠ من أبناء يعقوب + ٢٠ ممن لحقوا بيعقوب من خدم ومزارعين، فيصبح عدد القابلين للإنجاب = ٨٠ فردا، وعلى افتراض انّ كل ثلاثين سنة هناك اربعة اضعاف عددهم، وانه عند نزولهم كان قابلا للتكاثر على التو، وفي عملية حسابية بسيطة نصل الى العدد المطلوب عند خروجهم من مصر ٨٠×٤×٤×٤×٤×٤×٤×٤×١,٦ فيكون المجموع = ٢٠٩٧١٥٢ نسمة. (٢١٥/٣٠ = ٧,١٦ لذلك تم الضرب في ٤ سبع مرات و ١,٦) .

ومما يؤكد صحة هذه التوقعات الإحصائية، انّ سيدنا يوسف عليه السلام رأى الجيل الرابع من ولده افرايم في نفس هذه الفترة، حيث جاء في الشريعة المقدسة: « **ورأى يوسف لافرايم أولاد الجيل الثالث. وأولاد ماكير بن منسى ولدوا على ركبتي يوسف**» (تك ٥٠، ٢٣)، اي انه خلال مدة ٧٥ عاماً رأى الجيل الرابع لولده افرايم، وولد على ركبتيه الجيل الثالث من منسى .

إنّ معطيات هذه الاحصائية، استندت إلى العوامل التالية:

أولا: منذ نزول ابناء يعقوب الى مصر اقترن شبابهم بفتيات مصريات واتخذوا منهن زوجات لهم، مما زاد عدد شعب بني اسرائيل، وهذا ما المحته التوراة كما حدث ليوسف الذي تزوج من المصرية اسنات بنت فوطي فاره الكاهنية.

ثانيا: توفر الأرض الرسوبية الخصبة في أرض جاسان منطقة إقامتهم.

ثالثا: الغربة التي منحتهم القوة والعزم والحيوية والنشاط، مما ساعد في زيادة التكاثر والإنجاب.

رابعا: عدم حدوث كوارث طبيعية في أماكن سكناهم، عكس ما كان يحدث بين الفينة والأخرى في المناطق المصرية المحيطة بهم.

خامسا: نسبة الأعمار التي كان يعيشها إنسان ذاك العصر يتجاوز بما معدلة ٣٠٪ من السنين عما هو عليه اليوم.

سادسا: العديد من الساميين ارتحلوا مع بني اسرائيل عند خروجهم من مصر.

سابعا: للولى الذي اتخذهم ابنه البكر، حيث كان يرعاهم ويستجيب لندائهم وطلباتهم ويحافظ عليهم مثلما يحافظ النسر على فراخه.

ثامنا: لم يكن بين ابناء هذا الشعب لا عاقر ولا عاقرة، وكذلك كثرة النسل والانجاب.
كل هذه الأسباب وغيرها تؤكد العدد الذي ذكرته الشريعة المقدسة وذلك عند خروج الشعب الاسرائيلي من مصر و تحرره من عبودية فرعون والذي تجاوز مليوني نسمة، حيث جاء في التوراة: «فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس ألى سكوت، نحو ست مئة الف ماش من الرجال عدا الأولاد وصعد معهم اضيف كثير أيضا مع غنم وبقر مواش وافرة جدا» (خر ١٢، ٣٧-٣٨) .

أرض جاسان

في سنة ٢٥٤٠ الخليقة أي قبل ٢٩٠٥ سنة (١٨٩٤ق.م.)، نزل سيدنا يعقوب وابناؤه وعائلاتهم الى مصر قادمين من ارض كنعان بناء على دعوة تلقاها من ولده يوسف، بعد ان عينه فرعون مصر حاكما عاما عليها، وأسكن يوسف اباه يعقوب وبامر من فرعون مصر في أرض جاسان، كما جاء على لسان الشريعة المقدسة، «انزل إلي. لا تقف. فتسكن في ارض جاسان وتكون قريباً مني أنت وبنوك وبنو بنيك وغنمك وبقرك» (تك٤٥، ٩-١٠).

ولقد جاء في قاموس الكتاب المقدس، «أرض جاسان هي من أخصب الأراضي الزراعية المصرية لكونها أرض رسوبية، كثيرة المراعي القطعان والمواشي. تعرف بأرض الخير والبركة، تقع على شاطئ النيل الشرقي الى الشرق من الدلتا، من ممفيس الى البحر الابيض المتوسط وحدود الطريق الى أرض فلسطين وإلى الشمال الشرقي من القاهرة. وهي المنطقة المعروفة الآن بالشرقية الممتدة من جوار أبي زعبل الى البحر ومديرية جعفر إلى وادي الطميلات»

فرع النيل النيلوزي كان يخترق الارض الجاسانية ويصب عند مدينة صان الحجر، هذا ما جاء في كتاب «منطقة قنال السويس» لمؤلفه الكاتب فؤاد فرج حيث يقول، «أرض جاسان (رعمسيس) كانت تقع على الفرع النيلوزي لنهر النيل، ولقد اتصل فرع النيل النيلوزي بالبحر الأحمر، لأول مرة في التاريخ بواسطة الترعة التي حفرت في عهد سنوسرت الثالث (١٨٨٧-١٨٤٩ ق.م.) وكان فمها عند مدينة صان الحجر ومصبها في البحر الأحمر الذي كان يصل في هذا العصر إلى بحيرة التمساح. صان الحجر الذي اتخذها رعمسيس مقراً له وشيد فيها معبداً عظيماً جعله مسكناً لإقامته به. وعني رعمسيس عناية كبيرة بوادي الطميلات وبني مدينة فيوم (فيتون) المذكورة في التوراة، وبنى فيها مخازن للغلال والسلاح. وهذه هي التل الكبيرة الحالية. ثم اكمل مدينة أخرى غربي فيوم كان قد أسسها والده سيتي الأول وتعرف اثارها الآن بتل اليهودية، أو ليوبتوليس بجوار شبين القناطر على فرع النيل النيلوزي. وبعد ذلك شيّد مدينة بير رمسيس (رعمسيس) على ضفاف النهر (فرع بيلوز) واختلف المؤرخون في تعيين موقعها بالضبط، لكن كان الغرض من انشائها السيطرة على سياسة البحر المتوسط للمحافظة على مستعمرات مصر الاسيوية».

اما الاستاذ عبد الرحمن زكي، فقد ذكر في كتابه «سيناء ارض المعارك، «أن أرض جاسان تقع بين منف وفليسيوم».

كلمة جشن بالعبرية والتي يقابلها بالعربية جاسان مركبة من مقطعين جش- ن، (جشن) ومعناها بالعبرية تقدّم او اسكن، واما حرف (ن) فللجماعة، وهذا يعني انها ستكون ماوى لسكن جماعي «إسرائيل»، وبالعبرية «جشن» و معناها الطرب والكيف، وهذا يضاف الى طبيعة أراضيها التي كانت تعرف بأرض البركة الخيرة والمعطاءة. ان قسماً من هذه الأراضي (جاسان) تعرف حالياً ببوادي الطميلات، وهي «بركة التل الكبير» او بركة البار المستعملة للصيد وهذا ما تبقى من الأراضي الزراعية المصرية التي كانت تقع على حدود مصر الشرقية في العصر الفرعوني.

لقد اختلف الكتاب والباحثون بتمييز ارض جاسان عن ارض رعمسيس، **فمنهم من قال أن أرض جاسان هي جزء من أرض رعمسيس،** كما جاء في قاموس الكتاب المقدس. اما بخصوص ما جاء في «كتاب السنن القويم في تفسير اسفار الكليم- المجلد الاول» **«أن أرض جاسان تسمى أرض رعمسيس وهي نفس الأرض. ولقد أكد هذا القول الترجمة اليونانية المعروفة بالترجمة السبعينية للكتاب المقدس».**

والحقيقة أن التوراة وضحت هذه النقطة بالذات، حين اشارت على ان يوسف اسكن أباه وإخوته في أفضل الأراضي المصرية، معرفةً ومبينةً بانها ارض رعمسيس، **«فأسكن يوسف أباه وإخوته وأعطاهم ملكاً في أرض مصر، في أفضل الأرض في أرض رعمسيس كما أمر فرعون.**(تك ٤٧:١١)، اما اختيار يوسف الصديق أرض «جاسان لإقامة شعب بني إسرائيل، لخصوبتها ووفرة مياهها ولاختراق النيل النيلوزي في وسطها ليروي جميع اراضيها، وكذلك لكون الإسرائيليين يملكون قطعانا كبيرة من الماشية وهذه الأراضي صالحة للرعي ولقربها من البلاط الفرعوني وهو مكان تواجد يوسف حيث يشرف اولا بأول على ابناء شعبه، ولصلتها بالأراضي الكنعانية المؤدية إلى الأراضي الفلسطينية. وما أن علم فرعون مصر أن والد يوسف وإخوته جاءوا إلى مصر قال ليوسف، **«أرض مصر أمامك في أفضل الأرض أسكِنْ أباك وإخوتك ليسكنوا في أرض جاسان** (تك ٤٧، ٦)، وفي الواقع أن فرعون مصر حدد مكان نزول عائلة يوسف القادمين إلى مصر في أرض جاسان وحيثما يريد يوسف. وبما أن أرض جاسان (رعمسيس) كانت أفضل الأراضي في مصر، لكونها أراض رسوبية زراعية ذات مراع خصبة وكان يخترقها فرع النيل النيلوزي، فوقع اختياره عليها لسكن والده وإخوته.

هنا ويذكر ان نزول ابناء يعقوب إلى مصر حينئذ، كان من عائلة واحدة كبيرة فقط تستوعبها مثل هذه المدينة، لكن عندما كبرت هذه العائلة واصبح عددها بمئات الآلاف توسعت رقعة سكناهم حيث انتشر سكنهم في جميع انحاء ارض جاسان.

وعندما طلب الله من العبرانيين الاستعداد للتحرر من عبودية المصريين، تجمعوا من جميع أنحاء أرض جاسان في منطقة واحدة الا وهي منطقة رعمسيس بقيادة موسى بن عمران، ومن هنا للكان وتحت لواء موحد انطلقوا من أرض رعمسيس منظمين منضبطين وراء قيادة حكيمة

كما ورد في خمسة اسفار موسى، «فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ست مئة الف ماش من الرجال عدا الأولاد» (خر ١٢ ، ٣٧)
ولما ضرب الله معاجيزه على مصر كانت أرض جاسان التي يسكن فيها ما يربو على مليوني نسمة من الشعب الاسرائيلي بعيدة عن هذه الضربات ولم تصبها اي منها، حيث جاء في الشريعة الموسوية، «فضرب البَرَد في كل أرض مصر، جميع ما في الحقل والناس والبهائم وضرب البَرَد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل. إلا ارض جاسان حيث كان بنو اسرائيل فلم يكن فيها برد». (خر ٩، ٢٥ - ٢٦)، وهنا دلالة على ان رعمسيس هي جزء من الأراضي الجاسانية.

اختلف المؤرخون على تحديد زمن خروج شعب بني إسرائيل من مصر، فمنهم من حدده بالقرن الثالث عشر ق.م. وقال آخرون إن الخروج تم في القرن الرابع عشر أو الخامس عشر ق.م. ومنهم من لم يستطع تحديد الزمن.
في الواقع كان الخروج حسب ما جاء في الكتاب المقدس «التوراة العبرية القديمة» في القرن السابع عشر قبل الميلاد، وعلى وجه التحديد سنة ١٦٧٩ ق.م. وهذا التاريخ كما ورد في الشريعة المقدسة عن تسلسل الأذكياء والصديقين، منذ أن بعث سيدنا آدم عليه السلام إلى الوجود، وحتى وصول شعب بني إسرائيل الى الأراضي المقدسة بقيادة موسى، ان عدد هذه السنوات هو ٢٧٩٤ للخليقة، وبطرح اربعين سنة «سنوات التيه» لأصبحت سنة الخروج وهي ٢٧٥٤ للخليقة.

كتاب التاريخ السامري «التوليدا» دوّن تسلسل الكهنة العظام الذين تولوا الرئاسة الكهنوتية الكبرى منذ عهد اليعازر بن هارون والذي كان أول كاهن أكبر يتربع على هذا المنصب عند دخول شعب بني إسرائيل الأراضي المقدسة قبل ٣٦٥٠ سنة، وكان هذا في عهد ملك إسرائيل «يشوع بن نون»، القائد الإسرائيلي الذي استلم القيادة بعد موسى الرسول. ومن الجدير بالذكر ان سلالة الكهنوت هذه منذ اول كاهن أكبر اليعازر بن هارون وحتى الكاهن الأكبر الحالي هارون ابو الحسن ١٣٦ كاهنا اكبر، ولكل واحد من هؤلاء الكهنة العظام كان هناك سرد للحوادث الهامة التي جرت في عهده.

ان لكتاب التاريخ السامري (التوليدا) أهمية كبرى لما يحويه من تواريخ عديدة والتي مجموعها من آدم وحتى كاهننا الأعظم الحالي ٦٤٤٤ سنة وهي على النحو التالي، ما دونته التوراة (الشريعة الموسوية السامرية) منذ آدم عليه السلام وحتى نزول الرسالة السماوية على موسى وهو ابن ثمانين عاما ٢٧٥٤ سنة، وبالإضافة إلى سنوات التيه الاسرائيلي - ٤٠ سنة، فيصبح تاريخ الوصول إلى الأراضي الكنعانية ٢٧٩٤، وكذلك منذ وصول شعب بني اسرائيل وحتى يومنا هذا - ٣٦٥٠ سنة. فإذا تم جمع سنوات التيه - ٤٠ سنة + ٣٦٥٠ منذ أن قدم شعب بني اسرائيل إلى الأراضي الكنعانية وحتى الآن فيكون المجموع ٣٦٩٠ سنة، فإذا ما طرحنا من هذا المجموع السنوات

الميلادية ٢٠١٢ (٣٦٩٠-٢٠١٢ = ١٦٧٨) وبذلك يصبح القرن السادس عشر ق.م. هو تاريخ الخروج.
في الخامس عشر من شهر ابيب (نيسان) هذا الشهر الذي اعتبره المولى راس الشهور العبرية بسبب تحرير شعب بني اسرائيل من العبودية، ففي سنة ١٦٧٨ ق.م خرج شعب بني اسرائيل من الأراضي المصرية (ارض جاسان) بعد أن استمر وجودهم فيها مائتين وخمس عشر سنة، في منتصف هذه الليلة قاموا بتقديم قرابينهم لله الواحد الأحد، وكان هذا القربان الجماعي الأول من نوعه في تاريخ الدولة العبرية، والذي كان برائحته السرورية التي صعدت إلى السماء بمثابة شهادة عرفان وتقدير من قبل هذا الشعب المقدس الى بارئه مكللا بالإخلاص الديني، والولاء الدنيوي، لتخليصهم من أيدي الفراعنة المصريين الذين مرروا حياتهم وأذاقوهم طعم الذل والحرمان وطعم الشقاء والعذاب.

ان خروج شعب بني إسرائيل من مصر متوجهين الى الأراضي الكنعانية (الأراضي المقدسة) كان بدايةً لسنوات التيه الإسرائيلي التي استمرت أربعين سنة. وكلمة «التيه» هي من الفعل تاه اي ضلّ، وهي العقوبة التي كتبها رب العالمين على جيل العبودية من شعب بني إسرائيل في شبه جزيرة سيناء، حيث حكم الله بسقوط جيل العبودية في شبه جزيرة سيناء من ابن عشرين سنة فصاعدا ممن تذمروا على الله، وذلك كي لا يدخلوا الأرض المقدسة التي وعد الله بإعطائها لأبائهم الأنبياء الثلاث، ابراهيم واسحاق ويعقوب، واما أطفالهم فإنّهم «سيدخلون هذه الأرض» حيث جاء في الشريعة المقدسة، «فجثثكم انتم تسقط في هذا القفر، وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة، ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر، كعدد الأيام التي تجسستم فيها الأرض اربعين يوما، السنة يوم. يوم تحملون ذنوبكم اربعين سنة فتعرفون ابتعادي». (خر ١٤، ٣٢-٣٤).



خارطة(١): موقع ارض جاسان

شبه جزيرة سيناء

تبلغ مساحة شبه جزيرة سيناء ٣٦ الف ميل مربع، وهي مثلثة الشكل قاعدتها ساحل البحر المتوسط في الشمال وراس محمد في الجنوب، وجغرافيتها على شكل اللسان البارز، وتقع بين ذراعي البحر الأحمر، حيث يبلغ طول ضلع خليج السويس ١٥٠ ميلا، وطول ضلع خليج العقبة ١٠٠ ميل، ويبلغ طول ساحلها على البحر المتوسط حوالي ١٣٠ ميلا، وتتراوح درجة حرارة هذه الجزيرة ما بين ٤٠-٥٠ درجة مئوية نهاراً وعشرة درجات ليلاً، وتصل في الشتاء درجة الحرارة فيها إلى الصفر ليلا.

إن شبه جزيرة سيناء هي ارض واسعة ذات رمال وصخور تنحصر ما بين حدود مصر الشرقية وبين حدود فلسطين (الأراضي الكنعانية) غرباً، وتقسم من الناحية الطبيعية إلى منطقتين، للنطقة الشمالية المشرفة على ساحل البحر الابيض، واهم ودیانها وادي العريش وفيها بعض الواحات، والمنطقة الجنوبية هي منطقة جبلية ومن أهم جبالها جبل سيناء الذي يتوسط قسمها الجنوبي ما بين ذراعي البحر الأحمر العقبة والسويس، ويعرف هذا الجبل بجبل حوريب او جبل موسى ويؤكد ذلك الكاتب والباحث جستنيان (**منطقة قنال السويس - فؤاد فرج**)، **ويقول يوسيفوس أن جبل موسى عظيم الارتفاع ومن المستحيل تسلقه، لأنه حاد الصخور وشديد الانحدار ولا يستطيع احد أن يطيل النظر إليه دون أن تؤلمه عيناه لأنه شديد الضوء ويظن يوسيفوس أن هذه الأحوال الطبيعية هي التي جعلت جبل موسى اكثر استعدادا لأن يكون الجبل الذي من فوقه أعطِيَت الشريعة كما ورد في قاموس الكتاب المقدس.**

إنّ طبيعة هذه الجزيرة تختلف ما بين موقع واخر فالأرض الساحلية من رفح إلى بور سعيد ذات تربة متماسكة السطح يوجد فيها ماء ومرعى، وإذا ما توجهنا من العريش نحو الغرب نرى أنّ العشب والماء بدا بنضبان، وعلى امتداد قناة السويس وحتى جنوب مدينة السويس نجد للنطقة منطقة كثبان لأن تربتها متفككة ولا تتماسك، اما على طول خليج العقبة نجدها سهلاً رملياً، وهضبة التيه فهي سهول مستوية وسطح متماسك، أما القسم الجنوبي من سيناء فهي منطقة الجبال النارية المرتفعة، ومنطقة الساحل محدودة وماؤها اقل عذوبة من ماء المنطقة النارية.

كلمة سيناء تلفظ بالعبرية «سيني» وأصل الكلمة هي سين كما جاء على لسان الشريعة «**خرج ابناء اسرائيل من محطة يم سوف ونزلوا في محطة سين**»، وعندما نزلت الوصايا العشر (الكلمات العشر) وحيث ان حرف (ي) في الأبجدية العبرية يرمز عدديا إلى الرقم عشرة

بإضافة حرف (الياء) إلى كلمة سين ليطلق عليها سيني، وكذلك ربما أُخِذَ هذا الاسم ايضا من نبتة تنبت في هذه الصحراء واسمها «سيني»، والتي راها موسى عندما كان يرعى غنم حماه يترو وكانت النار تشتعل فيها وهي لا تحترق، حيث جاء في الشريعة المقدسة قوله، « **وظهر له ملاك الله بلهيب هذه النار من وسط العليقة «سيني» فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق»** (خر ٣: ٢)،

فهناك ترابط في جمطرة الأسماء حيث أن جمطرة اسم سين = ١٢٠ ، وكذلك سنوات حياة موسى المائة والعشرين، لهذا نرى ان اسم سيناء مرتبط بعدد سنين حياة الرسول موسى، وبعد نزول الوصايا العشر على جبل طور سيناء (جبل حوريب) أُضيف حرف الياء إلى كلمة سين لتصبح سيني ليأخذ هذا الجبل قدسيته، ومن هنا اتخذ هذا الاسم للمنطقة الصحراوية «سيناء»، أي أن الاسم نابع من التوراة، أما اضافة شبه الجزيرة لكون طبيعتها الجغرافية هكذا. هذا ولقد ورد اسم برية سيناء في الشريعة ٣٥ مرة وجبل حوريب ١٧ مرة، كما تعني سيناء عند الاراميين القمر.

لقد احتلت سيناء اهمية كبرى بالنسبة للكتاب والمؤرخين المفكرين والباحثين على اختلاف جنسياتهم واعراقهم منذ زمن بعيد وحتى وقتنا الحاضر، وقد تناولوها بالبحث ضمن الجدل العلمي والتاريخي، جغرافيا سياسياً دينياً ومناخياً، واختلفوا في كيفية احتضان هذه الصحراء القاحلة لأطول مسيرة في التاريخ ضمت ما يزيد على الليونين من الانفس، حتى ان بعضهم انكر التيه الإسرائيلي بتاتا وحدوثه في شبه جزيرة سيناء، متسائلين من اين لهم المأكل والمشرب والملبس؟ وعن كيفية مقاومتهم للمناخ الصحراوي الذي يسود ارجاءها؟ ومكان المرعى لقطعانهم ولمواشيهم الكثيرة جدا؟ ومع ذلك لم يجمع اثنين منهم على راي واحد فيما بينهم، بالإضافة لذلك فقد تساءلوا عما إذا كان هذا التيه قد حدث ام لا، وإذا كانت مسيرته على ساحل البحر المتوسط ام على ساحل البحر الأحمر ام توغلوا في شبه هذه الجزيرة أو حدث في اماكن اخرى؟ كلها أسئلة كانت تبحث عن أجوبة عندهم. إنّ مثل هذا الاختلاف في الآراء يثبت حدوث التيه فعلا، وهذا ما سنوضحه لاحقا ضمن هذا الكتاب.

ان هؤلاء الكتاب والمفكرين يشككون من خلال آرائهم هذه بما جاء في الكتاب المقدس «التوراة» الذي سرد قصة التيه بحذافيرها، وكذلك ينكرون ايضا القدرة الإلهية القادرة على كل شيء، ويتجاهلون نبوة موسى بن عمران رسول الله وكليمه وأمين بيته، ويستهترون بشهادة الملايين ممن شاهدوا وعاصروا هذا التيه، فاذا كان رب العالمين هو خالق السموات والارض وما عليها من مخلوقات فهل يعجز عن تيه كهذا؟ فلماذا يستشهدون ببعض السلبيات التي وردت خلال قصة التيه هذه ولا يصدقون حدوثه على الرغم من تدوين الكتب السماوية وبإسهاب لقصة التيه؟

ان التيه الاسرائيلي هو تجسيد لما ورد في الكتاب المقدس «التوراة» لوعيد الرب لبني اسرائيل، «فجثثكم انتم تسقط في هذا القفر، وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة، ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر، كعدد الأيام التي تجسستم فيها الأرض اربعين يوما، للسنة يوم، تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادي» (عدد ١٤، ٣٣- ٣٤) ان التدقيق فيما جاء بالتوراة عن خط سير اليهود (وبليم ويلكوكس) وهجرتهم في برية سيناء وصحراء سيناء وبرية شور وبرية فران...الخ كما يقول الاستاذ فؤاد فرج «يجعل الإنسان يستنتج أنه مهما كان قديراً ومهما كان ملما بجغرافية سيناء فإنه يعجز عن رسم خط سير هذا الشعب على خريطة جغرافية. ولكن أسهل الحلول وأقربها إلى المعقول هو خط سير الذي يمر بشمال سيناء وينتهي إلى مثلث العريش – رفح - القصيمة.

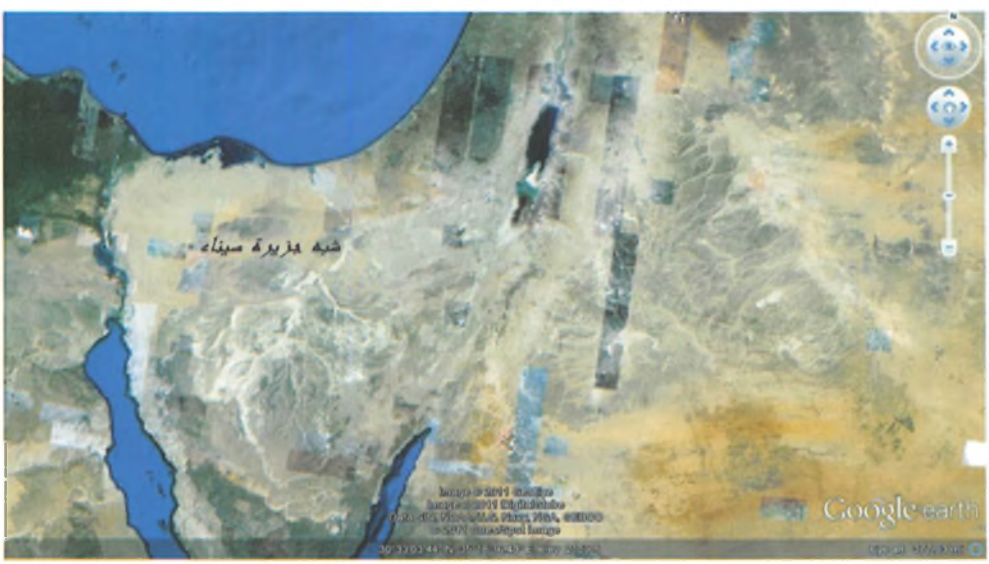
ان هناك صعوبة في رسم خط سير المسيرة على خريطة جغرافية، كما جاء على لسان الكاتب فؤاد فرج اعلاه، الذي قال، «ان أسهل الحلول الخط الذي يمر بشمال سيناء وينتهي إلى مثلث العريش رفح القصيمة»، فقوله عن الخط الذي يمر بشمال سيناء صحيح، لكنه يضيف إلى ذلك صعوبة رسم خط للسيرة على خريطة جغرافية. لكن الكتاب المقدس «التوراة» لم يتجاهل أي بعد جغرافي، بالإضافة إلى المسيرة الواضحة للعالم، والخرائط الجغرافية الملحقة التي تشير الى حقيقة مسيرة التيه بما فيها من للنازل التي حلوا فيها ورحلوا عنها.

إن معظم مؤرخي الأديان اجمعوا أن الاسرائيليين لم يسيروا في الطريق الساحلي في شمال سيناء لقربها إلى الحدود الكنعانية نظراً لمعرفة هذه الطريق عند المصريين والفلسطينيين أيضاً. ولكنهم اختلفوا في اتجاه للسيرة في الجنوب. ولقد اعتمد مثل هؤلاء المؤرخين في اقوالهم هذه على الآية الشرعية. «وكان لما اطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق ارض الفلسطينيين مع انها قريبة. لأن الله قال لئلا يندم الشعب اذا رأوا حرباً ويرجعون إلى مصر.» (خر، ١٣- ١٧) فالله لم يهدهم إلى الطريق الصحيح خوفاً من ندمهم ورجوعهم اذا اشتركوا في الحرب، وليس لمعرفة هذه الطريق عند المصريين والفلسطينيين، أما السير وبليم ويلكوكس عبر عن رايه قائلاً، أن اليهود اتخذوا طريق سيناء الشمالي، جنوب غربي بحيرة المنزلة.

ولقد أعرب جارفس الذي شغل منصب محافظ سيناء عن رايه حين قال، «وهنا يجب أن نقرر أن ذكر اسم البحر الاحمر هو الذي جعل الناس يعتقدون أن جيش فرعون غرق بالقرب من خليج السويس وأن اليهود اتجهوا في هجرتهم صوب جنوب سيناء. وأضاف أن المثلث الواقع بين رفح – العريش والقصيمة أقام به الشعب اليهودي مدة بقائه في برية سيناء. وفي كتابه سيناء ارض المعارك لخص الكاتب عبد الرحمن زكي هذه المسيرة في شبه جزيرة سيناء قائلا، «خرجوا من الدلتا (ارض جاسان) الى برزخ السويس(فيتوم) جنوبا الى رأس خليج السويس والمستنقعات الموجودة حوله وساروا جنوبا ومروا بعيون موسى ويقطع

الوديان المعروفة هناك ويأتون الى وادي غرندل ومنه الى سهل الرخاء ثم ياخذ وادي فاران الى جبل موسى(وهو الطريق المعروفة الآن وادي تتبعها السيارات الى دير سانت كاترينا). وهناك يمر الطريق بعين ابي صوبر ليأخذ وادي سعال الى عين الجدجده فوادي واتر الى ساحل خليج العقبة ومن هناك يأخذ الطريق اتجاهه نحو الشمال الى أرض الميعاد».

إن معالجة الكتاب والباحثين وعلماء الآثار كانت معظمها بطريقة سلبية بالنسبة لتيه العبرانيين في شبه جزيرة سيناء، متجاهلين القدرة الالهية القادرة على كل شيء، وهي التي رعت وحمت واحتضنت الشعب الاسرائيلي، وهو الذي أرسل موسى نبيه لإنقاذ شعبه من عبودية فرعون مصر، بمعاجيز كانت اعظم واروع مما يتصوره عقل الانسان، وانزل على يديه التوراة المقدسة في جبل سيناء وبنى هيكله. فكيف يتعجبون من احتضان هذا الشعب في شبه جزيرة كهذه، اذ ارسل لهم المولى كل ما يحتاجونه كالمن والسلوى لتغذيهم، واخرج لهم الماء من الصخر ليروي ظماهم، وقاهم من الجو الصحراوي بعمود نار ليشعرهم بالدفء ليلا وغمام نهارا ليقيهم من الحر الصحراوي وليتلمس لهم الحل والترحال، فخلال الاربعين سنة لم ينقص عنهم شينا، إذ نصرهم على اعدائهم، وعاشوا في شبه جزيرة سيناء ذات المناظر الصحراوية الخلابة وسواحلها المرجانية البراقة وجبالها الشاهقة الزاهية اللمعان، وهضابها الجميلة، وابناء الشعب الاسرائيلي يسرحون ويمرحون في ارجائها متنعمين بما حباهم المولى من نعمه واحسانه.



صورة رقم ١ : صورة جوية لشبه جزيرة سيناء

الفصل الثاني

رعمسيس

الفصل الثاني

رعمسيس

المحطة الأولى

ولكي يتسنى لنا تحديد مسيرة التيه الإسرائيلي في شبه جزيرة سيناء والوقوف على حقيقتها ووضع حد لكل من شكك ويشكك في حدوثها وواقعيتها، لا بد من التعمق في البحث والتمحيص والدراسة في كيفية حدوث هذا التيه، وهذا التعمق من شانه الوصول بنا إلى الأماكن التي دونتها الشريعة المقدسة الواحدة تلو الأخرى والبالغ عددها ٤٢ محطة، كما دونتها الشريعة المقدسة السامرية، «**هذه رحلات بني اسرائيل الذين خرجوا من أرض مصر بجنودهم عن يد موسى وهارون، وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الله، وهذه رحلاتهم بمخارجهم: ارتحلوا من رعمسيس في الشهر الأول، في اليوم الخامس عشر من الشهر الأول، في غد الفسح**».(عد ٣٣: ١-٣)

كان الخروج من مصر بيد قوية حيث اخرجهم المولى من العبودية بهدف الوصول بالشعب الإسرائيلي الى الأراضي الكنعانية، كما حلف الرب لهم ولآبائهم بان يعطيهم هذه الأراضي من اجل عبادة الرب والسير في دربه بحسب اوامره ونواهيه، فمتى يسأل الأبناء عن سبب الخروج، يقوم الآباء بسرد قصة الخروج لتكون عبرة زمنية، تروي لهم كيف أن فرعون مصر وعبيده عندما قسى قلبهم ورفضوا إطلاق الشعب الاسرائيلي، عاقبهم الرب وقتل كل بكر في ارض مصر من البشر إلى البهائم، لذلك طلب المولى من موسى الرسول أن يدون قصة الخروج بحذافيرها منذ رحيلهم في الخامس عشر من الشهر الأول للسنة العبرية غداة الفسح من رعمسيس المحطة الأولى، وحتى وصولهم إلى المحطة الأخيرة الأثنين والاربعين في عربات مؤاب والتي تقع على حدود نهر الأردن إلى الشمال من اريحا.

كانت رعمسيس هي نقطة الانطلاق الأولى الشعب الاسرائيلي عند خروجهم من مصر باتجاه الأراضي المقدسة، وذلك باوامر من رب العالمين من أجل تحريرهم من عبودية فرعون مصر، كما جاء في التوراة، «**فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس إلى سكوت**». (خر ١٢، ٣٧)، بيد انه في سفر العدد الاصحاح ٣٣ الآية ٥ جاء، « **فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس ونزلوا في سكوت**». نجد هنا اختلافا في الصيغة ما بين الآيتين، لكن ليس هناك اختلاف في المضمون، فاذا لم تتضمن الآية التي جاءت في سفر الخروج أنهم نزلوا في محطة سكوت، جاءت الآية في سفر

العدد لتؤكد ذلك، من منطلق هذه الآية وتلك يستطيع الباحث أن يضع النقاط على الحروف، فإذا ما اعتُمِد على فحوى الآيتين، نجد ان الارتحال والنزول تمّ في كل محطة من المحطات، وهذا ما يثبت واقعية كل منزلة على حدا دون أن نجعل للشك مجال او حتى استفسار.
رعمسيس كانت مدينة الازدهار والخيرات، مياهها تزخر بالأسماك، بركها ملأى بالطيور، وكانت تقع جنوب مدينة بيلوز على فرع النيل النيلوزي على بعد ٧٠ كم إلى جهة الشرق من مدينة صان الحجر، شكلت رعمسيس مع فيتون المخازن التي قام العبرانيون ببنائهما لرعمسيس الثاني ملك مصر كما جاء بالشريعة المقدسة ، «فبنوا لفرعون مدينتي مخازن: فيتون ورعمسيس». (خر ١، ١١)، ولا تزال اطلال مدينة فيتون في التل الكبير الذي كان معروفاً باسم تل الوادي.

دوّن الكتاب المقدس في المزمار(٧٨، ١٢) ان الأعاجيب والمعاجيز والأيات تمت في رعمسيس حيث جاء، «قدام آبائهم صنع اعجوبة في أرض مصر، بلاد صوغن». ويقصد هنا لأبائهم بنو يعقوب، وبلاد صوغن هي ارض جاسان، التي تعتبر رعمسيس جزء منها.

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس عن هذا الموقع «رعمسيس اسم مصري قديم معناه « ابن إله الشمس» وهي مدينة في مصر تقع في أرض جاسان وهي أخصب منطقة في البلاد والتي سكنها بنو اسرائيل بأمر من فرعون. «ولقد بنى رعمسيس الثاني هذه المدينة في حدود مصر الشرقية وسماها باسمه».

رعمسيس عند اوريجانوس تعني « بلد الفساد» وكأن بداية الطريق هو خروج الإنسان من بلد الفساد أو من مثيرات الخطية والشر.

تقع رعمسيس شرقي الدلتا في حدود مصر الشرقية، وكان رعمسيس الثاني من اشهر فراعنة مصر حيث خاض حربا ضد الحثيين وحلفائهم وذلك بالقرب من قادش في لبنان فقهرهم وتعقبهم إلى نهر العاصي، ولقد بنى له العبرانيون في زمانه مدينتي المخازن فيتون و رعمسيس، واطلق رعمسيس الثاني اسمه على هذه المدينة.

شملت رعمسيس جميع الاراضي الواقعة من فرع النيل الشرقي (دمياط) وحتى ترعة الاسماعيلية والبحر الاحمر، وترجع خصوبة هذه الأراضي الى كونها أراض رسوبية قابلة للزراعة والرعي في ان واحد.

عندما وصل يعقوب عليه السلام وجميع اهل بيته الى مصر، قال فرعون ليوسف وكما جاء

في خمسة أسفار موسى، « ابوك واخوتك جاءوا اليك. أرض مصر قدامك. في افضل الارض اسكن اباك واخوتك. ليسكنوا في أرض جاسان». (تك ٤٧، ٥-٦) وهكذا فعل يوسف، « فأسكن يوسف اباه واخوته واعطاهم ملكا في ارض مصر في افضل الأرض، في أرض رعمسيس كما أمر فرعون». (تك ٤٧، ١١)، حيث اسكنهم في ارض رعمسيس التي تقع في قلب ارض جاسان الكبرى لموقعها ولخصوبة اراضيها، وهو ما أكدته لنا المعاجيز التي حدثت في مصر، حيث كانت تضرب فرعون مصر وعبيده وشعبه وجميع الأراضي المصرية، في حين ان الأراضي الجاسانية لم يصبها اي اذى، إذ جاء في الشريعة المقدسة، «ولكن اميِّزُ في ذلك اليوم ارض جاسان، حيث شعبه يقيم فيها، لا يكون هناك معجز» (خر ٨، ٢٢).

ولقد اختار يوسف أرض جاسان لأبيه واخوته وأهل بيته للأسباب التالية:

أولا: خصوبة أرض جاسان الرسوبية.

ثانيا: كون ارض جاسان غير ماهولة بالسكان المصريين.

ثالثا: كره الشعب المصري لتربية ورعاية الماشية، وبسبب عبادته لبعض من انواعها.

رابعا: تجنبا لحدوث احتكاك بين الإسرائيليين والمصريين في المستقبل.

خامسا: حتى يكون تكاثرهم ونموهم بحرية تامة دون تاثير ومضايقة من المصريين.

سادسا: لكون المصريين متكبرين ومعتزين بانتمائهم االسلالة الفرعونية.

سابعا: موقعها الجغرافي حيث تقع على الطريق المؤدية إلى الاراضي الكنعانية.

ثامنا: وفرة الماء فيها لاختراق فرع النيل النيولوزي هذه الأرض.

تاسعا: مناخها المعتدل لقربها من ساحل الأبيض المتوسط.

عاشرا: حتى يكونوا قريبين من ملكه (ملك يوسف) اي من البلاط الفرعوني.

من الطبيعي ان يوسف الذي اختصه الله بالحكمة والمعرفة كان يعرف ويعلم بمصير شعبه من بعده، فلم يعجز عن التخطيط لبناء مستقبل اهله وعشيرته، فمن هؤلاء ستخرج أمة عظيمة، من اجل هذا طلب يوسف من إخوته إحضار ابيه من الأراضي الكنعانية إلى مصر قائلا لهم، «يقول ابنك يوسف قد جعلني الله سيدا لكل مصر انزل ولا تقف، وتسكن في ارض جاسان وتكون قريباً مني انت وبنوك وبنو بنيك وغنمك وبقرك وكل مالك واعولك هناك لأنه يكون ايضاً خمس سنين جوع لئلا تفتقر انت وبنيك وكل مالك. (تك ٤٥،٩-١١). لقد خطط يوسف الصدّيق لأبناء عشيرته بحكمته وخبرته ونظرته الثاقبة المبنية على المدى البعيد، لقد اختار لأبيه واخوته افضل واخصب الأراضي المصرية ليسكنوا فيها. هذا الإنسان الذي انقذ أعظم دولة في العالم حينذاك من الجوع ، والتي كان عدد سكانها يتجاوز الثمانية ملايين نسمة، هذه المملكة المصرية الفرعونية كانت تملك اعظم جيوش العالم قوة وعدداً واضخمها اقتصادا وتنظيما، فلم ينقذهم من الجوع فحسب بل خطط وبنى لهم اقتصادا

قويا حتى ان دول المنطقة المحيطة خضعت لعظمة هذه الاقتصاد المصري بالإضافة إلى المناعة العسكرية ايضاً. بعد ان اصبح يوسف سيدا على كل مصر والحاكم الأمر فيها، كانت نظرة يوسف عليه السلام نيرة وحكيمة لمستقبل شعب بني إسرائيل بالإضافة إلى ما علمه من آبائه واجداده مما سيحل بالعبرانيين أثناء غربتهم هذه، غير ان نظرة فرعون مصر كانت ضيقة ومحدودة إذ منحهم أرض رعمسيس والتي احتلت الجزء الشمالي من ارض جاسان وكان يعقوب وأولاده سيسكنون فيها لفترة محدودة فقط، ظنا منه أن العبرانيين لن يصبحوا في يوم من الأيام شعبا قادرا على تهديد المصريين لكثرتهم وقوتهم، مع انه أراد من فعلته هذه ان يكرم سيدنا يوسف لإنقاذه اقتصاد مصر وانتشالها من كفر الجوع، الذي لو حل في البلاد لدمرها. أما الذين حكموا مصر بعد وفاة يوسف من الفراعنة توقعوا أن وجود العبرانيين في هذه الأراضي بالذات يشكل خطرا عليهم، ومن هنا جاء التحذير من قبل الفراعنة الذين تولوا الحكم الواحد بعد الأخر من تعاظم قوة العبرانيين في مصر وتكاثر عددهم، على الرغم من ان العبرانيين لم يشكلوا اي خطر على مصر سوى لنهم أرادوا الخروج منها والتحرر من بيت العبودية.

اختلف المؤرخون حول زمن خروج بني إسرائيل من مصر، والاعتقاد السائد عند العالم ان خروج بني اسرائيل حدث في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهناك من أشار أن الخروج تم في زمن الهكسوس (ملوك الرعاة) وهذا ما أيده المؤرخ اليهودي يوسف بن متتياهو. وكتب الدكتور اسرائيل فنكلشتاين ونيل اشر سيلبرمان في كتابهما « التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها» تحت عنوان تعارض التواريخ والملوك صفحة ٩٠ :« يؤرخ طرد الهكسوس – عموما- على أساس السجلات المصرية والدلائل الاثرية للمدن المحطمة في كنعان، بحوالي ١٥٧٠ ق.م. ويضيف بأن طبقا بين التواريخ الملكية للملوك الاسرائيليين مع تواريخ مصادر خارجية مصرية وآشورية يمكن وضع تاريخ الخروج الجماعي في سنة ١٤٤٠ ق.م.» .

إن تاريخ خروج شعب بني اسرائيل من مصر حدث حسب التقويم السامري والذي يرتكز على حسابات فلكية وتاريخية ودينية دقيقة في القرن السابع عشر ق.م. في سنة ٢٧٥٤ للخليقة، والذي يصادف في سنة ١٦٧٨ ق. م. اي في القرن السابع عشر. ولقد أكد مثل هذا التاريخ المؤرخ المصري «مانثيو» الذي عاش نحو سنة ٢٥٠ ق.م. أما أولئك العلماء الذين يقولون ان الخروج حدث في عصر «منفتاح» او حوالي عام ١٢٢٠ ق.م. قد بني رأيهم هذا على تفسير خاطئ للنصب التذكاري الذي أقامه منفتاح، وفيه يذكر انتصاره على إسرائيل وغيرها من الأمم التي كانت تقطن فلسطين في ذلك الحين. فقد ظنوا أن في ذكر اسرائيل اشارة إلى الخروج، مع انه يستدل من هذه الاشارة إلى أن بني اسرائيل كانوا في ذلك الحين قد خرجوا من مصر، وقضوا زمن التيه في البرية ودخلوا فلسطين واستقروا في البلاد زمنا طويلا قبل انتصار منفتاح عليهم وهذا ما يناقض رأي هؤلاء العلماء كما ذكر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٤٠.

في منتصف ليلة الخامس عشر من الشهر العبري الأول للسنة الأولى لخروج شعب بني إسرائيل من مصر، والتي صادفت سنة ٢٧٩٤ للخليقة اي سنة ١٦٧٨ ق.م. حسب التقويم العبري السامري وبعد ان قام شعب بني اسرائيل بتقديم القرابين لرب العالمين والذي اشترك بتقديمها كل بيت من بيوت العبرانيين في مصر، انطلق هذا الشعب بعد تجمعه في رعمسيس متخذين منها نقطة لانطلاقهم للتحرر من عبودية فرعون مصر، إذ خرجوا من رعمسيس هذه المدينة التي روت تربتها بعرق جبين أبناء شعب بني اسرائيل وما علق بجوها من انين وشقاء ومذلة وشدائد هذا الشعب، بعد أن مرر المصريون حياته بعبودية قاسية في الطين واللبن، وعبر هذا الألم وذاك الشقاء جاءت ساعة الصفر لخروجهم ولانطلاقتهم نحو الحرية والتحرر، على أن تكون رعمسيس مكانا لتجمع الشعب الاسرائيلي، لكي يحظوا بالخلاص من عبودية وذل فراعنة مصر وابناء شعبها.

كتب الفيلسوف السامري مارقة بن عمران، الذي عاش في القرن الرابع الميلادي، واصفا هذا التحرر في شرحه للآية التي جاءت في سفر الخروج (١٢، ٢)، **«هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور. هو لكم أول شهور السنة»**، حيث وصف التحرر من بيت العبودية قائلا، **«انه نهاية الأسى وبداية الفرج، ابتداء فترة الرضوان واغلاق فترة تستر وجه الله عن هذا الشعب، قدوم الجود وزوال الغضب، باب البركة انفتح على مصراعيه ونهاية اللعنة وإلى الأبد»** (نقلا عن أ.ب. اخبار السامريين العدد ٦٨٢ -٦٨٦ ص ٢٧).

أما الدكتور عدنان عباش «أستاذ التاريخ بجامعة القدس المفتوحة» وضمن كتابه الطائفة السامرية في نابلس وصف الخروج قائلا، **«وللخروج معنى روحي عميق في حياة الشعب وفي حياة الكنيسة إذ ان في التحرر من العبودية رمزا إلى عمل الله المجيد في الخلاص من عبودية الخطية والتحرر من سلطانها»**.

ان اسم مدينة «رعمسيس» يوحي لنا من خلال جمطرة حروفها ٤٣٠ والذي يعني نهاية غربة ابناء شعب بني إسرائيل والتي اقاموها في أرض كنعان، منذ قدوم إبراهيم عليه السلام الى شكيم (نابلس)، وحتى تحرر شعب بني إسرائيل من مصر على يد موسى الرسول والتي استمرت ٤٣٠ سنة.

هناك حد فاصل ما بين زمن التحرر من العبودية وتوقيت العودة الى الأراضي المقدسة، وهي سنوات التيه التي دامت اربعين سنة، وهذا ما يرمز إليه اسم هذه المدينة رعمسيس من حيث تجزئة الاسم إلى مقاطع (رع) تعني باللغة العبرية تائه وكما جاءت في الآية الشرعية. **«وبنوكم يكونون تائهين (رعاة) في القفر أربعين سنة، ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر»**. (عد ١٤، ٣٣)، وحرف (م) جمطرته ٤٠ ويرمز الى سنوات التيه الأربعين، أما احرف س.س وجمطرتهما ١٢٠ ترمز الى سنوات حياة حامل لواء تحرير هذا الشعب من العبودية

موسى بن عمران. ويعني هذا الاسم أن ابناء هذا الشعب يتوهون مدة اربعين سنة ويأتي رسول المحبة لينقذهم من العبودية.

قبل خروج بني إسرائيل من الأراضي المصرية، طلب منهم الأنبياء موسى وهارون أن يتجمعوا بمكان واحد، وينظموا انفسهم ويتاهبون للرحيل من مصر، لذلك قرروا أن تكون مدينة رعمسيس نقطة انطلاقهم للأسباب التالية:
أولا: موقعها الجغرافي وتمركزها في منطقة جاسان التي كان يسكن بها ابناء شعب بني اسرائيل لتسهيل عملية تجميعهم بهذا الموقع.
ثانيا: تشييدهم لهذه المدينة التي سكن فيها العديد من ابناء الشعب الإسرائيلي حيث قاموا ببنائها مع عائلاتهم.
ثالثا: كانت هذه المدينة مربوطة بشبكة طرق صالحة وسهلة مع جميع اجزاء اراضي جاسان.
رابعا: قربها من الأراضي الكنعانية الموعود بها هذا الشعب. وكذلك لوقوعها على الطريق المؤدية إلى فلسطين، والواقعة على الساحل الشمالي لشبه جزيرة سيناء.
وفي الرابع عشر من الشهر الأول للسنة العبرية الأولى من الخروج والتي تصادف عام ١٦٧٨ قبل الميلاد خرج شعب بني إسرائيل أمام جميع المصريين حيث كانوا يدفنون ابكارهم الذين اماتهم المولى بمعجز الضارب[٢] ، وكان معجز موت ابكار المصريين هو الحادي عشر من سلسلة المعاجيز التي صنعها الله بهم، وتجلى الخروج برعاية الذات الالهية بعظمتها وقدرتها للشعب الاسرائيلي من اجل إخراجه وتحريره من العبودية ، حيث جاء في الكتاب المقدس «التوراة»: «فإني اجتاز في ارض مصر هذه الليلة واضرب كل بكر في ارض مصر من الناس والبهائم واضع احكاماً بكل الهة المصريين. انا الرب» (خر ١٢:١٢).

يرى العلامة ترتليان بخصوص قتل الابكار: «أن المصريين قد دفعوا ثمن ما فعلوه بقتلهم أولاد العبرانيين والقائهم في النهر، فأدبهم الرب بذات فعلهم». (١٦٩) ولقد سمح الله بقتل جميع الأبكار، ولا تترك ماشية واحدة في مصر، صورة رمزية لعمل الله الذي سيبيد الشر».

بفضل المولى ومساندته لشعب بني إسرائيل بالعديد من الأيات و المعاجيز والأحكام واليد الممدودة والذراع الطويلة التي انهكت قوى فرعون مصر وشعبه استطاع بنو اسرائيل الخروج من مصر، مع أن المكان والزمان كانا واحدا الا وهو الأراضي المصرية، إلا أنّ عقاب المولى لم يصب شعب بني إسرائيل، لذلك جاء هذا الخروج بناء على طلب من فرعون مصر وبإلحاح من شعبه وليس هذا فقط بل طلبوا منهم أن يباركهم رب هذا الشعب وأن يتوسطوا لهم لديه، رغم انهم كانوا يبكون وينوحون على ما آل إليه حالهم من موت أبكارهم. إن أجواء البلاد المصرية كانت تعطرها

[٢] إشارة إلى آية موت ابكار المصريين.

رائحة القرابين السرورية التي قدمها أبناء الشعب الإسرائيلي كشكر وعرفان للقادر الكامل فعله، لقد كان صراعا بين الخير والشر، بين الصالح والطالح، بين المؤمن والكافر، صراع بين عابدي الله وبين عبدة الأوثان والأصنام.

خرج شعب بني إسرائيل من رعمسيس وكان عددهم ما يقارب المليوني نسمة تقريبا وذلك بعد مرور ٢١٥ سنة على تواجدهم في الديار المصرية، حيث جاء في الشريعة المقدسة، « فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس الى سكوت، نحو ست مئة الف ماش من الرجال عدا الاولاد. وصعد معهم لفيف كثير ايضا». (خر ١٢، ٣٧-٣٨)، وهذا يعني ان مكوث شعب بني اسرائيل في مصر لم يستمر ٤٣٠ سنة كما جاء في التوراة النسخة اليهودية «وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مئة وثلاثين سنة» (خر ١٢، ٤٠)، لكن التوراة الاسرائيلية السامرية «العبرية القديمة» ذكرت «وأما اقامة بني اسرائيل وآبائهم التي أقاموها في أرض كنعان وأرض مصر فكانت اربع مئة وثلاثين سنة. وكان عند نهاية اربع مئة وثلاثين سنة، في ذلك اليوم عينه، ان جميع أجناد الله خرجت من ارض مصر. هي ليلة تحفظ لله لاخراجه اياهم من ارض مصر. هذه الليلة هي لله. تحفظ من جميع بني اسرائيل في اجيالهم». (خر ١٢، ٤٠-٤٢)، ولربما يتساءل البعض كيف مكثوا في مصر مدة ٢١٥ سنة بينما في التوراة السامرية جاء ٤٣٠ سنة ؟ الحقيقة أن التوراة قصدت ٤٣٠ سنة وهي سنوات غربة هذا الشعب منذ ان تغرب إبراهيم جدهم الأكبر وكان عمره ٧٥ سنة اي منذ قدومه إلى الأراضي الكنعانية، وحتى خروج شعبه الإسرائيلي من مصر، وذلك بعد ان مكث ابراهيم ٢٥ سنة في الأراضي الكنعانية وُلد له اسحاق، ولما كان عمر اسحاق ٦٠ سنة ولد له يعقوب، وعندما بلغ يعقوب من العمر ١٣٠ سنة نزل إلى مصر. (٢٥+٦٠+١٣٠=٢١٥ سنة) .

ولإحياء ذكرى الخروج سنويا، وابقى عالقة بأذهان بني اسرائيل، طلب المولى من موسى وهارون ان يؤدي هذا الشعب في ليلة الرابع عشر من الشهر الأول للسنة العبرية فريضة الفسح كما ورد في التوراة، «هذه فريضة الفسح: كل ابن غريب لا يأكل منه. ولكن كل عبد مبتاع بفضة تختنه ثم يأكل منه. النزيل والأجير لا يأكلان منه. في بيت واحد يؤكل. لا تخرج من البيت إلى خارج، وعظما لا تكسروا منه. كل جماعة اسرائيل يصنعونه.» (خر ١٢، ٤٣-٤٧) ، ومن الجدير بالذكر، ان السامريين في هذه الليلة من كل عام يقومون بعمل فريضة الفسح من على قمة جبلهم المقدس «جبل جرزيم» بحسب ما نصت عليه الشريعة العبرية نصا وروحا. لكن اليهود لا يعملون بهذه الفريضة بحجة عدم وجود الهيكل، بينما يؤكد السامريون انّ هذه الفريضة ليس لها علاقة بالهيكل اطلاقا، لأن على كل الشعب ان يعمل بهذه الفريضة وليس فقط الكهنة خدمة الهيكل الذي يقربون الاضاحي على اختلاف انواعها في الهيكل، بالإضافة إلى

عدم وجود الهيكل عندما تم عمل أول قربان بعد خروج شعب بني إسرائيل، فكيف يتم الربط بين هذا وذاك ؟ وكذلك جاء في الشريعة انه فريضة أبدية يعملها الشعب ولا يجوز قطعها سواء اكان الهيكل موجود ام لا، إنها ليلة تحفظ لرب العالمين، كما جاء في الشريعة المقدسة، «هي ليلة تحفظ لله لإخراجه اياهم من ارض مصر. هذه ليلة هي لله. تحفظ من جميع بني اسرائيل في احيالهم».(خر ١٢، ٤٢)

ان رحيل ابناء شعب اسرائيل من مصر تمّ انطلاقا من رعمسيس التي لا يختلف على موقعها احد، إلا من ينكر التيه بحد ذاته ممن لا يؤمنون بالكتب السماوية أو حتى بوجود الخالق. لكن أولئك الذين كتبوا عن مسيرة التيه الإسرائيلي، اختلفوا على خط هذه المسيرة، فمنهم من سار بها من رعمسيس باتجاه ساحل البحر الأبيض المتوسط حتّى وصلوا الى وادي مصر ونزلوا الى قادش برنع المعروف موقعها جيدا للباحثين والمؤرخين وعلماء الاثار. ومنهم من اكد ان عبور الشعب الإسرائيلي تم في بحر يم سوف (البحر الأحمر). ومنهم ايضا من خرج بالمسيرة من رعمسيس وعبر بحر يم سوف، على اعتبار ان هذا البحر هو البحيرات المرة، ومن ثم اتجه بها الى قلب شبه جزيرة سيناء حتى وصل الى ميناء إيلات ومن هناك توجه بالمسيرة الى قادش برنع. مع انحراف بسيط في برية شور، كما هو موضح في الخريطة رقم ٢، وكذلك هناك من توجه بمسيرة التيه من جنوب ارض جاسان (رعمسيس) مخترقا البحر الأحمر (يم سوف) شمالي خليج السويس، وتوجه جنوبا بالمسيرة على ساحل البحر الأحمر (ذراع السويس الشرقي)، وعندما وصلوا الى موقع منزلة يم سوف، اتجه بالمسيرة الى الشرق نحو برية سيناء، مارين بالمنازل دفقة - اليش - رفيديم إلى ان وصلوا جبل سيناء (حوريب)، ومن هناك انتقلوا عبر للنازل قبروت هتاوه – حصيروت، إلى أن وصلوا الى إيلات، ومن هذه المنزلة دخلوا في عمق برية فاران حتى وصلوا الى قادش برنع. وهناك للسيرة التي خطط لها هرتيل حيث خرج بالسيرة من رعمسيس واتجه بها من الأراضي المصرية حتى وصل الى البحيرات المرّه جنوبا واخترقها على انها بحر يم سوف، ثم انحرف إلى الجنوب الى ايليم، ومن هذه المحطة وفي خط مباشر مخترقا قلب برية فاران الى ان وصل قادش برنع. هذا عدا عن الكثيرين ممن تناولوا بالبحث والتمحيص قصة التيه الإسرائيلي ولكن دون جدوى، وذلك فيما يتعلق بالوصول إلى مواقع الاثنين واربعين محطة التي ذكرتها الشريعة المقدسة باسمائها واماكنها. انظر الخارطة في الصفحة المقابلة ، والتي وردت في كتاب عولام هتناخ



خارطة، وردت في كتاب عولام هتناج

صحيح أن العديد من هذه المحطات مبهمة الموقع والمكان، لكن الوقوع في الخطأ بالخطوط الرئيسية للمسيرة هو أمر غير مقبول وغير جائز، لأن التوراة وضحتهما بخطوط عريضة دون أدنى شك، وهذا ما سنقوم بتوضيحه من خلال معالجتنا إلى المحطات الأخرى التي نزل فيه وارتحل عنها الشعب الإسرائيلي أثناء تيهه في شبه جزيرة سيناء.



خارطة (٢)، موقع رعمسيس

ســـكـــوت

المحطة الثانية

محطة سكوت تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبي، اي شمال شبه جزيرة سيناء وتعرف الآن بمدينة العريش، وكلمة سكوت تعني بالعربية العريش اي «المظلة» ومن هنا نبع اسمها هنا باللغة العربية .

تحرك العبرانيون بقيادة موسى بن عمران من محلة رعمسيس ونزلوا في سكوت، كما ورد في سفر الخروج الإصحاح ١٢ الآية ٣٧، «فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت»، وجاء في التوراة ايضا في سفر العدد الاصحاح ٣٣ الآية ٥-٦، «فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس ونزلوا في سكوت. ثم ارتحلوا من سكوت ونزلوا في آثم التي في طرف البرية» كلا الايتين تحملان نفس المعنى وإن تغيرت الصيغة، إلا ان في الاولى لم يرد ذكر النزول لكن ما ورد في سفر العدد جاء ليؤكد ذلك.

محلة سكوت هي المحطة الثانية التي نزل فيها شعب بني إسرائيل بعد خروجهم من رعمسيس في مصر وبالرغم من الفرحة والبهجة التي غمرت الإسرائيليين بسبب السماح لهم من قبل فرعون مصر بالخروج من البلاد المصرية وتحررهم من العبودية إلا انهم خرجوا خائفين ومضطربين لأن المصريين ناقمين عليهم بسبب موت ابكارهم وخوفا من اللحاق بهم، ولكن ما ان وصل الشعب الإسرائيلي إلى هذه المحلة حتى اطلقوا عليها اسم سكوت، اي محطة الهدوء والراحة.

خرج الشعب الإسرائيلي من رعمسيس وكانت وجهتهم ارض الميعاد (الأراضي الكنعانية)، حيث قالت الشريعة المقدسة، «فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ست مئة الف ماش من الرجال ما عدا الأولاد». (خر ١٢ : ٣٧) وهذا يدل على ان عدد شعب بني إسرائيل الذين خرجوا من مصر كان يتجاوز للمولودين من الأذهان شيبا وشباباً نساءً واطفالاً بالإضافة إلى الفيف من الساميين والمصريين الذين خرجوا معهم، «وصعد معهم لفيف كثير ايضا» (خر ١٢: ٣٨)، خرجوا بعد ان تأكد ابناء الشعب المصري وحكامه الفراعنة ان بقاء الشعب الإسرائيلي في بلادهم يعني فناءهم واندثارهم من الوجود.

تقع محطة سكوت (العريش) على الطرف الشرقي من بحيرة البردويل، هذه البحيرة المنحصرة ما بين شبه جزيرة سيناء والبحر الأبيض المتوسط حيث يفصلها عنه ممر ضيق يعرف بالشريط

اليابس، هذا المر يتخلله الان بعض الترع والقنوات المائية إلا انه كان ممراً يابساً في العصور القديمة وفي العصر الذي خرج فيه الشعب الإسرائيلي من مصر حيث مروا فيه ليصلوا إلى منزلة سكوت «العريش» وهي المحطة الثانية بعد منزلة رعمسيس. رعمسيس التي تجمع فيها بني إسرائيل من اجل انطلاقهم للتحرر من العبودية، في طريقهم للوصول إلى الأراضي الكنعانية.

إن اختلاف الكتاب والباحثين في تحديد موقع سكوت التي نزل فيها بنو إسرائيل عند خروجهم من رعمسيس امر غريب، «فمنهم من أشار إلى أنها داخل الحدود المصرية وتقع إلى الغرب من البحيرات المرة في وادي الطميلات وأضاف أن المكان غير معروف بالضبط وأنها كانت على سفر يوم من رعمسيس وهو ما افاد به» قاموس الكتاب المقدس، فظن البعض انها تل المسخوطة، وظن آخرون أنها المدينة المحيطة بالفيوم.

أما يوحنان اهاروني (اطلس كارتا) عبر عن رايه، «بأن تحرك الإسرائيليين كان من نقطتين منفردتين من رعمسيس الأولى الذين توجهوا في مسيرتهم إلى الشرق حتى وصلوا آتم ثم انحرفوا إلى الشمال الشرقي إلى مجدل وواصلوا اتجاههم إلى الشمال الشرقي ايضاً ومن دخولهم شاطئ البحر الابيض المتوسط وصلوا إلى «بعل صفون»، أما النقطة الثانية فهم الذين ساروا من فيتوم واتجهوا إلى سكوت في الشمال الشرقي ثم اتجهوا شمالاً إلى آتم حيث اجتمعوا هناك بالفريق الثاني ثم توجهوا إلى مجدل ومن ثم إلى بعل صفون، ولقد أطلق على كل من البحر الابيض وخليج العقبة « يم سوف» واستطرد اهاروني يقول أن بني إسرائيل لم يسلكوا عند خروجهم من مصر الطريق القصيرة قرب البحر والمعروف بأنه الطريق المؤدية إلى ارض فلسطين لوجود على طول هذا الطريق محطات ومراكز حاميات مصريه، وأردف قائلاً، ولا واحدة من محطات شبه جزيرة سيناء العديدة التي نزل فيها أبناء هذا الشعب معروفة تماماً، فقط نحن متأكدين من موقع قادش برنع، حيث المنطقة غنية بمياهها ومنابعها والواقعة في الجهة الجنوبية من أرض كنعان. أما مثل هذه المواقع على الخارطة ما هي إلا مواقع تقديرية.

والرد على ما جاء به يوحنان أن الشعب الإسرائيلي تحرك من نقطتين منفردتين من رعمسيس، الاولى الذين اتجهوا إلى الشرق حتى وصلوا آتم ثم انحرفوا إلى الشمال الشرقي إلى مجدل والثانية فهم الذين ساروا من فيتوم واتجهوا إلى سكوت في الشمال الشرقي ثم اتجهوا شمالاً إلى اتم حيث اجتمعوا هناك بالفريق الثاني ثم توجهوا إلى مجدل ومن ثم إلى بعل صفون، وانه غير متاكد من المحطات سوى موقع قادش برنع الغني بمياهه ومنابعه. في الحقيقة لا يعقل ان مسيرة الشعب التي قادها رب العالمين وموسى نبيه الأمين تسير باتجاهين مختلفين، كما أن المسيرة لم تتجزأ طوال الأربعين سنة، فعلى ماذا استند في استنتاجاته هذه حول عدم المعرفة بأي المحلات

او المحطات التي نزل فيها هذا الشعب سوى قادش برنع، وانهم لم يسلكوا طريق ارض فلسطين بسبب القوة المصرية في المحطات والمراكز والحاميات الموجودة على طول هذه الطريق؟ وهل تستطيع حامية مصرية أن تقف امام زحف شعب يحميه ست مائة الف مقاتل؟ ومع ذلك فإنّ معظم المواقع التي حلوا فيها ورحلوا عنها معروفة الاتجاه والبعد الجغرافي وعدد الأيام التي مكثوا فيها، وبذلك استطعنا تحديد اماكنها من خلال كتابنا هذا.

ويعتقد أسعد منصور في كتابه جغرافية الكتاب ص٢٧٩ في شرحه عن مدينة رعمسيس ان أقرب طريق إلى الأراضي الكنعانية هي طريق برزخ السويس ولكن الرب متفهم أن يسيروا فيها، فساروا إلى الجنوب الشرقي حتى وصلوا شاطئ البحر سوف. وفي الواقع ان شعب بني إسرائيل لم ينطلق من مدينة رعمسيس الى الجنوب الشرقي ليصل الى شاطئ بحر سوف كما اشار إليه اعلاه الكاتب المصري ، بل انطلق الى الشمال الشرقي حتى وصل سكوت (العريش)، ومن هذه المحطة رجع الإسرائيليون إلى اطراف برية اتم، ومن هذا الموقع انطلقوا جنوباً حتى وصلوا إلى شاطئ بحر سوف ليعبروا على شبه جزيرة سيناء.

اما الكاتب اللواء رفعت الجوهري في كتابه سيناء ارض القمر، فقد علق على هذه المنزلة بقوله، «بقايا هذه المدينة موجودة في تل المسخوطة بجوار محطة ابو صوفر على بعد ١٧ كم غربي مدينة الاسماعيلية واسمها المصري تبخو او سبخوت أو (سكوت) ومعنى هذا الاسم باب الشرق». واستطرد قائلا، «تقع العريش على بعد ٢٨ ميلاً من حدود مصر الشرقية الواقعة عند رفح».

ان تسمية هذه المحلة «سكوت» والتي تعني باب الشرق كما جاء في كتاب رفعت الجوهري فيها الكثير من الواقعية، لأن كل راغب بزيارة بلاد الشرق لا بد وان يمر في هذه البلدة لأنها تمثل مفتاح الشرق والطريق المؤدية إلى فلسطين. لقد خرج بنو إسرائيل من رعمسيس واتجهوا في مسيرتهم مع احد فروع النيل الذي كان حينئذ يخترق الاراضي الجاسانية وكان يصب حينئذ في الطرف الغربي لبحيرة البردويل والتي كانت تسمى في الماضي بحر السربوني وكانت مشهورة بسمك البردويلي (البوري) وما زالت، وهي تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط(البحر الكبير) الجنوبي. ولقد التف هذا الشعب عند خروجه من رعمسيس حول هذه الجزيرة البحرية إلى أن وصل الى طرفها الشرقي إلى منزلة سكوت.

ان المنازل التي مر فيها ابناء الشعب الإسرائيلي أثناء مسيرة التيه التي دامت أربعين سنة في شبه جزيرة سيناء بقي العديد منها مبهم الموقع بسبب الطبيعة الجغرافية للصحراء، لكن هذه المنازل قليلة بالنسبة لعدد المواقع التي نزلوا فيها، ومع ذلك فالتوراة العبرية القديمة «السامرية» يوجد

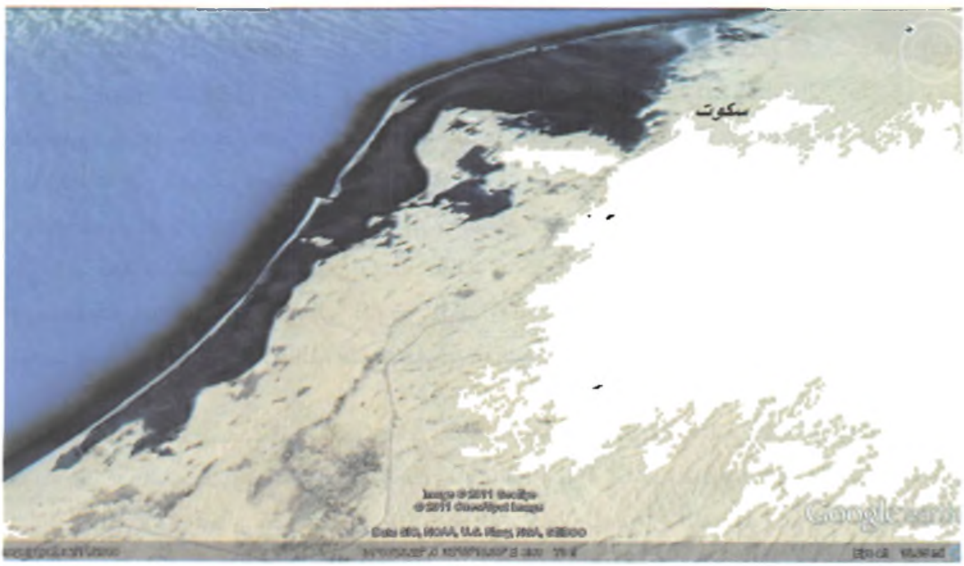
فيها تفاصيل أوفر وأوضح بالنسبة للتيه وحيثياته. فالعديد من الكتاب والباحثين ابدوا اراءهم بخصوص مسيرة التيه والقوا الادعاءات جذافا هنا وهناك، فمنهم من انكر قصة التيه كليا، ومنهم من توقع المسيرة في شمال شبه جزيرة سيناء، واخرين جنوبها، ووسطها، ومواقع اخرى لا صلة لها بشبه جزيرة سيناء كليا، ووصل خيالهم الى اقطار مجاورة لشبه جزيرة سيناء بحجة أن هناك محطات ومواقع شبيهة بالتي ذكرتها التوراة لمثل هذه للواقع، ولكن اين تكمن الحقيقة؟

عندما وصل شعب بني إسرائيل الى محطة سكوت «العريش» جاء في التوراة المقدسة «وكان لما **اطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبه، لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حربا ويرجعوا إلى مصر. فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف».** (خر ١٣، ١٧-١٨)

الأية الشرعية جاء فيها أن الله لم يهدهم الى طريق أرض الفلسطينيين، وهذا يعني ان الله قد سير امامهم ملائكته ليهديهم الى الطريق ويوجههم الى الأمكنة التي ينزلون فيها ويرحلون عنها، لذلك منذ أن ابتدات رحلتهم التيهية هذه كان مخطط لها من قبل المولى، فكيف يعجز هذا وذاك من الكتبة والباحثين والمفكرين ممن تناولوا هذا التيه بالبحث والتمحيص عن اكتشاف الخط الرئيسي لهذه المسيرة والتي اراها لنا واضحة المعالم كوضوح الشمس، جميع الباحثين والكتاب وعلماء الأثار لا يختلفون على موقع أرض جاسان و رعمسيس التي تقع إلى الشمال الشرقي من الدلتا، ومن الطبيعي ان يخرجوا من مصر بعد ان سمح لهم فرعون مصر بالخروج منها وذلك على الطريق المؤدية إلى أرض الميعاد والمعروفة بالطريق إلى فلسطين، والتي تعرف بأقصر الطرق للوصول إلى الأراضي الكنعانية، لكن الله لم يهدهم إليها لأن المخطط الرئيسي لهذه المسيرة هي الذات الإلهية وليس أحد سواها، إذا الى اين أدت هذه المحطة؟ اليس إلى سكوت باب المشرق؟ والتي تقع على ساحل البحر الكبير (البحر الأبيض المتوسط) عند نهاية الشريط البري ما بين البحر الكبير وبين بحيرة البردويل. كما هو مبين موقعها على الخارطة رقم ٢.

من هذه المحطة «سكوت» بالذات اراد الله للشعب الإسرائيلي ان يسير في طريق برية بحر سوف، بدل أن يسير في الطريق الساحلية، وهي الطريق الصحيحة التي تؤدي الى الأراضي الكنعانية وهكذا كانت الرؤية الالهية لهم، إذا كان خروجهم من رعمسيس الى سكوت التي تقع على طريق الأراضي الكنعانية على ساحل البحر الابيض المتوسط، وكل من ينظر إلى الخريطة يعرف ويعلم كيفية المسيرة اذ لا بد وان يسيروا في طريق برية بحر سوف، اي بانحراف ما يقارب مداه ١٢٠ درجة إلى الخلف، حتى تكون الصورة واضحة للعالم لكل متتبع لقصة التيه هذه، وليعلمنا المولى ان كل ما خططه كان لمصلحة شعبه، شعب بني إسرائيل.

لقد عاش سيدنا موسى وترعرع في كنف البلاط الفرعوني حيث تعلم الثقافة المصرية وتدرب على فنون القتال، هذه الظروف اتاحت له التعرف على طبيعة مصر و جغرافيتها. إن هذا الانسان العظيم الذي اختاره المولى لقيادة وتحرير ابناء شعبه من الذل والعبودية بعد ان وهبه الله الحكمة والمعرفة والروحانية مما جعله على دراية بكل بواطن الأمور، حيث بحث وخطط عند توليه قيادة هذا الشعب للخروج به من مصر، وكان على علم ومعرفة بالطريق المؤدية إلى فلسطين، لكن ارادة المولى أقوى من كل شيء، حيث اراد ان يحرف هذا الشعب عن المسار الحقيقي من اجل ان تتم وتكتمل آياته وعجائبه في ارض مصر، وبانحراف بسيط إلى الشمال الشرقي في مسيرتهم أتوا إلى ذلك المر البرى او الشريط اليابس الذي يفصل بحيرة البردويل عن البحر الأبيض المتوسط . (انظر الصورة ٢)



صورة جوية رقم ٢

لذلك عندما خرج بنو إسرائيل من مصر قاصدين الأراضي الكنعانية لم يهدهم الله إلى الطريق الفلسطينية المؤدية للأراضي الكنعانية، واستنتاجنا من ذلك ان هذه الطريق تقع ما بين مصر التي خرجوا منها وبين الوجهة القاصدين اليها الا وهي ارض كنعان. لذلك لا بد وان هذه الطريق تقع في شبه جزيرة سيناء وفي القسم الشمالي منها. اما ان الله لم يهدهم إلى الطريق الصحيح بسبب مخافة هذا الشعب من محطات ومراكز الحاميات المصرية فذلك سبب مبالغ فيه، لأنه وبالرغم من قوة وعظمة الجيش المصري الا انه سمح لهذا الشعب بالخروج من مصر، حيث ان فرعون مصر بحد ذاته سمح لأبناء العبرانيين بالتحرر والخروج، ولا بد لجميع هذه الحاميات

والمراكز ان تنصاع لأوامره ولا تستطيع مخالفة مثل هذه الأوامر لأنها صادرة عن فرعون ملك الديار المصرية الذي يعتبر عند المصريين بمثابة الالهة، وكذلك ما قيمة الحاميات أو المراكز امام اندفاع شعب خرج متحررا من مصر بتجهيزاته الكاملة ويملك من القوة العسكرية والبشرية ستمائة الف رجل؟

إن الله عز وجل لم يهد الشعب الإسرائيلي إلى طريق ارض فلسطين وذلك خوفا من ندم الشعب الإسرائيلي إذا ما رأوا حرباً فيتراجعوا، وهذا ما حدث بالفعل حيث ندم الشعب الإسرائيلي عندما زاد فرعون مصر من بطشه بهم، فقالوا إلى موسى وهارون، « **ينظر الرب اليكما ويقضي لأنكما انتنتما رائحتنا في عيني فرعون وفي عيون عبيدة حتى تعطياً سيفا في ايديهم ليقتلونا**» (خر ٥، ٢١)، وتكررت مثل هذه الصور عند مواجهتهم المشاكل، حيث كان هذا الشعب يغضب ويثور ويطالب بالرجوع الى مصر، الى العبودية والاستعباد، فكيف يكون الأمر حين يجابهون مشاكل اكبر أو حروب، فمن اجل ذلك لم يهدهم المولى إلى طريق ارض فلسطين، كما جاء في التوراة، «**فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف**» (خر، ١٣، ١٨).
بالإضافة إلى ما سبق، فان الله تعالى لم يهدهم الى طريق ارض فلسطين لكونهم تجاهلوا ان ياخذوا معهم رفات النبي يوسف عليه السلام عند خروجهم من ارض مصر، حيث جاء في الشريعة المقدسة وعلى لسان يوسف قائلا لأخوته، « **انا اموت، ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم واسحاق ويعقوب. واستحلف شعب بني إسرائيل قائلا، الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا**»، (تك ٥٠، ٢٤-٢٥).

فعندما وصل هذا الشعب الى سكوت «العريش» لم يهتد الى طريق ارض فلسطين وسلك طريق برية بحر سوف حيث رجع إلى أرض جاسان ثانية من أجل ان ياخذ عظام يوسف من مصر، يوسف عليه السلام الذي كان قد استحلف بني إسرائيل قائلا لهم، «**ان الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم**» (خر ١٣، ١٩)، وبما أن يوسف نبي كما ذكرته الشرائع، والنبي عادة يملك من الحاسة السادسة ما يمكنه من الاطلاع على امور من الغيب لا يستطيع الانسان منا الاضطلاع عليها، لذلك لا بد من الالتزام بالوعد الذي قطعه هذا الشعب ليوسف ويجب أن ينفذ، وعندما نسي او تجاهل الشعب الإسرائيلي هذا الوعد الذي قطعه ليوسف دفع ثمن ذلك برجوعه إلى الديار المصرية ثانية من اجل اخذ عظام يوسف معه. ولا بد هنا من الإشارة إلى الآية التوراتية التي ترشدنا إلى ان الشعب الإسرائيلي حمل عظام يوسف معه عندما رجع ثانية إلى مصر، وهذا يعني ان الشعب الإسرائيلي لم يحمل عظام يوسف عندما خرج في المرة الأولى، اي عندما خرج من رعمسيس واتجه إلى سكوت، «**فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف. وصعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصر. واخذ موسى عظام يوسف معه، لأنه كان قد استحلف بني إسرائيل بحلف قائلا، ان الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم**». (خر ١٢، ١٨-١٩)

ولقد اكد هذا المفهوم العلامة السامري مارقة بن عمران فيلسوف زمانه قائلا: عندما هم العبرانيون للرحيل من سكوت «العريش» لم يستطيعوا. ووقف موسى وهارون والشعب بأسره وامتلكهم الخوف والرعب، يتساءلون عن السبب؟ وعندما استفسروا من جميع كبار الشعب في جميع الاسباط، خرجت اليهم «شاره بنت آشر» قائلة، ليس هناك أي شيء يبعث إلى القلق، أنا اعرف السبب وافسر اعاقتكم هذه، انني أذكر يوم توفي يوسف بن يعقوب ملك مصر، استحلف الشعب الإسرائيلي بأن يأخذوا معهم عظامه من مصر، وأخبرتهم شاره بمكان عظام يوسف»، وبعد ان ظل مدفونا في ارض مصر ١٤٤ سنة. واخذ موسى عظام يوسف معه.

كتب تسفي ميسيناي في كراسه « الارتباط» صفحة ٢٣، «سكان منطقة العريش والذين ينعتون من قبل العرب بـ«يهود سيناء». يدعون بدورهم بأنهم ايضا من أصل يهودي منذ سنين طويلة خلت». مثل هذا الادعاء لم يؤكده اي كاتب سبقه من قبل، لكنه يؤكد على ان مدينة العريش هي نفسها التي ذكرتها التوراة تحت اسم «سكوت».

ويحتفل الإسرائيليون في كل عام بالعيد السادس من اعيادهم بعيد سكوت «للظال» حيث جاء في الشريعة، «في الخامس عشر من هذا الشهر السابع عيد المظال سبعة ايام لله».(لا ٢٣، ٣٤) وورد هذا الاسم ثانية في التوراة لهذه الغاية، « تعمل لنفسك عيد المظال «سكوت» سبعة أيام عندما تجمع بيدرك ومن معصرتك، وتفرح في عيدك انت وابنك وابنتك وعبدك وامتك واللاوي والغريب واليتيم والارملة الذين في ابوابك. سبعة ايام تعيد لله الهك في المكان الذي اختاره الله لأن الله الهك يباركك في كل محصولك وفي كل عمل يديك فلا تكون إلا فرحا»(تث ١٦، ١٣-١٥)

ذكرت التوارة اسم سكوت لأول مرة، عندما رحل سيدنا يعقوب من فدان ارام قادماً إلى الأراضي المقدسة، فبعد أن ترك اخاه عيسو توجه الى مكان قرب مخاضة يبوق والتي تقع شرقي نهر الاردن، حيث بنى هناك بيت له ومظلات لمواشيه وذلك عند منتصف المسافة ما بين بحيرة طبرية والبحر الميت» وأما يعقوب فارتحل إلى سكوت وبنى لنفسه بيتاً وصنع لمواشيه مظلات لذلك دعا اسم المكان سكوت». (تك ٣٣، ١٧)، وتعني سكوت بالعربية ايضاً السكينة والهدوء، من أجل أن يستريح من مشاق السفر والتعب وعدم الاستقرار الذي لازمه طيلة رحلته هذه، واستقر في هذه المحلة ما يقارب العشر سنوات، وخلال مكوثه في هذا المكان كبر اولاده وقوي عودهم، لأنه خشي ان يدخل الاراضي الكنعانية واولاده صغار السن بعد، حيث قال لأخيه وكما ورد في الشريعة المقدسة، «سيدي... عالم أن اولادي رخصة، والغنم والبقر التي عندي مرضعة». (تك ٣٣، ١٣)، وبعدها أتى يعقوب واولاده إلى مدينة شكيم، فما ان رأى شكيم بن خمور ابن ملك شكيم دينا ابنة يعقوب حتى تقدم للزواج منها، والتي كان عمرها حينئذ ست عشرة سنة، حيث قالت الشريعة عنها فتاة، اما أن يقول البعض أن عمر ابنة يعقوب

حين تقدم ابن ملك شكيم للزواج منها كان ست سنوات فهذا أمر غير معقول حيث، قالت عنها التوراة بانها فتاة، وهذه دلالة على مكوثه مدة عشرة سنوات في سكوت، لكي يكبر أولاده ويقوى عودهم، ويستطيعوا أن يتحماوا دخول هذه الأراضي التي كان أهلها حينذاك أشداء قساة.

المواقع التي حل بها ورحل عنها ابناء شعب إسرائيل في شبه جزيرة سيناء أثناء مسيرتهم التيهية هذه، كان يُطلَق على كل منها اسما بعد الحدث، تماما كما جرى في محطة **سكوت** بالذات، فحين انطلاقهم من المحطة الاولى رعمسيس ووصولهم إلى هذه المحلة وعندما لم يهدهم المولى إلى طريق الفلسطينيين مع انها قريبة خوفا من ان يندموا إذا ما رأوا حربا ويرجعوا إلى مصر، أدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف، وهذا يعني رجوعهم ثانية إلى مصر، ففي هذه المحطة اصابتهم الدهشة وسكتوا لهذه المفاجئة الغير سارة بالنسبة لهم، لذلك اطلق عليها الشعب الإسرائيلي «سكوت».



خارطة (٣)، موقع محلة سكوت

آتـــــم

المحطة الثالثة

انتقل العبرانيون من محلة العريش (سكوت) المحطة الثانية في سلسلة المحطات الاثنتين والاربعين ووجهتهم كانت إلى الغرب بدل ان تكون إلى جهة الشرق للوصول إلى الأراضي الكنعانية، لأن الله لم يهدهم إلى طريق أرض الفلسطينيين مع انها قريبة، ولئلا يندم الشعب إذا ما راوا حرباً ويطالبوا بالرجوع إلى مصر. لهذا ادار الله الشعب الإسرائيلي في طريق برية بحر سوف، هذه البرية التي تقع ما بين البحر الكبير (البحر الابيض المتوسط) شمالا، وبين بحر يم سوف (البحر الأحمر) جنوبا، وبين وادي العريش شرقا وبحيرة التمساح غربا، وتدعى برية شور.

ولما لم يهدهم الله إلى الطريق الصحيح من سكوت إلى الشرق إلى طريق ارض فلسطين مع انها قريبة، ادار الله وجهتهم نحو الغرب إلى طريق برية بحر سوف، بعد ان ساروا بالممر اليابس ما بين بحيرة البردويل وبين البحر الكبير (البحر الابيض المتوسط)، ومنها إلى وادي العريش فطريق برية بحر سوف متجهين غرباً، حتى وصلوا إلى اتم، التي تقع على حدود مصر وشبه جزيرة سيناء. نلاحظ ان هذه المسيرة رعمسيس-سكوت- آتم، مسيرة شبه دائرية ومركزها برية بحر سوف (شور)، من أجل هذا جاءت الآية اتعلمنا ان الله أدار الشعب في طريق برية بحر سوف. «وارتحلوا من سكوت ونزلوا في آتم في طرف البرية» (خر ١٣:٢٠).

كتب العلامة وفريد عصره مارفه بن عمران في شرحه سورة الخروج من مصر والذي عاصر القرن الرابع للميلاد قائلا، «كان المخطط لهذه المسيرة هو رب العالمين، الذي طلب من موسى أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروت، حيث حدد موقعها بين مجدل والبحر الأحمر، أمام بعل صفون، كان هذا العمل من أجل محبة الله وعطفه على هذا الشعب، يريد أن يحارب وينتقم من فرعون وشعبه، وحتى يجعل قلب فرعون قاسيا ويلحق بهذا الشعب ثانية، بعد أن قيل له إن شعب بني إسرائيل مرتبك في الأرض، وبعد أن لام المصريون أنفسهم، كيف سمحوا لهذا الشعب أن يتحرر من عبوديتهم، طلبوا من فرعون مصر السماح لهم بملاحقتهم والانتقام منهم، بإرجاعهم عبيدا لهم». إنّ ما ذكره هذا العالم يؤكد انه بعد وصول بني اسرائيل إلى العريش رجعوا ثانية الى مصر وعند محلة فم الحيروت تم اختراق البحر (البحر الاحمر) لينتقم رب العالمين من فرعون وعبيده

آتم هذا الاسم يحوى في طياته المعنى الكبير لهذا التيه، إنها كلمة عبرية مركبة من مقطعين (ات) وتعني باللغة العبرية ال التعريف وحرف (م) وجمطرته ٤٠ يدل على الأربعين سنة «سنوات التيه» تيه الشعب الاسرائيلي في سيناء، حيث ان موقع اتم هي نقطة الرجوع ثانية الى مصر، هي الفاصل ما بين البلاد المصرية وصحراء سيناء. من اجل هنا جاءت الآية تشير على ان اتم تقع في طرف البرية، «وارتحلوا من سكوت ونزلوا في آتم في طرف البرية» (خر ٢٠:١٣).

وهناك تفسير اخر لحلة آتم المحطة الثالثة التي يحلون فيها بعد أن رحلوا من رعمسيس وانتقلوا الى سكوت ثم رجعوا إلى اتم، كلمة اتم مركبة أيضا من حرف (ا) أول الحروف الأبجدية العبرية وتعني ابتدأ وحرف (تم) تعني بالعبرية نهاية، وهنا أراد الله أن يخبرنا ان نهاية فرعون مصر وجيشه قد ابتدأت، ها أنا ذا قادم لوضع حد لنهايتهم.

كتب قاموس الكتاب المقدس واصفا موقع آتم بأنه مكان حل فيه العبرانيون عند خروجهم من أرض مصر، وآتم تقع شرقي سكوت التي يرجح أن مكانها في الوقت الحاضر تل المسخوطة والتي كانت على طرف الصحراء. ولذا يظن أن آتم كانت بالقرب من مدينة الاسماعيلية الحالية، وبعد أن عبروا البحر سار العبرانيون ثلاثة ايام في برية آتم الى أن وصلوا مرّة.

عندما ذكرت التوراة أن الله ادار الشعب الإسرائيلي بعد استراحتهم في سكوت، وأتاههم عن الطريق التي تؤدي إلى الأراضي الفلسطينية، ادارَهم وأرجعهم المولى ثانية من حيث أتوا، أي إلى المكان الذي خرجوا منه في الأراضي المصرية. لقد حصل الخروج من مصر اولا ومن ثم العودة إليها ثانية، كما ذكرت الشريعة المقدسة، «ثم ارتحلوا من سكوت ونزلوا في آتم التي في طرف البرية. ثم ارتحلوا من آتم ورجعوا على فم الحيروت التي قبالة بعل صفون ونزلوا أمام مجدل (عد ٣٣: ٦-٧)، في الحقيقة القول بأن آتم تقع شرقي سكوت، بحجة ان سكوت تقع داخل الحدود المصرية وليست شمالي سيناء على شط البحر الأبيض المتوسط، أي أن رعمسيس - سكوت- آتم تقع على خط مستقيم، في حين أن الآية «ثم ارتحلوا من آتم ورجعوا على فم الحيروت التي قبالة بعل صفون» ومن هناك تم عبور البحر الأحمر، وجاء أيضا في الآية في سفر الخروج أن الله أدار الشعب عندما وصلوا محطة سكوت فكلمة ادار التي جاءت في الشريعة تعني حركة دائرية، أي الرجوع من حيث خرجوا من مصر، فكيف نسمح لأنفسنا بالقول بان رعمسيس - سكوت - آتم جميعها تقع على خط مستقيم، ومن أجل هذا اختلف العلماء والكتاب والباحثون وعلماء الآثار في الوصول إلى حقيقة التيه.

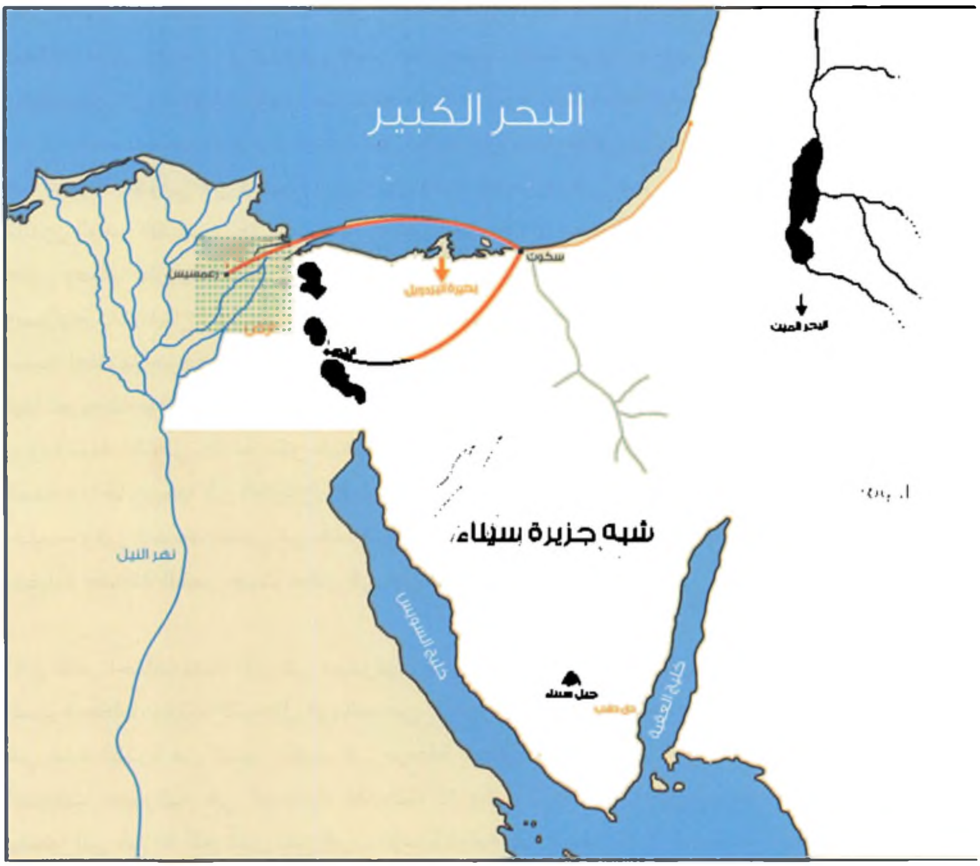
لم يكن من السهل على الشعب الإسرائيلي الذي وضع كل آماله في الوصول إلى الأراضي الكنعانية بالسرعة الممكنة، أن يطلب المولى منهم الرجوع ثانية إلى الأراضي المصرية، وكان الأمل في

الخلاص من العبودية لم يحن بعدُ، إنه الشعور بالإحباط والتقهقر بحد ذاته. لكن الله ومن أجل ان يشعرهم بالطمانينة جعل لهم عند ارتحالهم من منزلة سكوت وأثناء طريقهم إلى آتم عمودا من السحاب نهارا وعمودا من النار ليلاً، كما ذكرت التوراة « **وارتحلوا من سكوت ونزلوا في آتم في طريق البريه. وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلا في عمود ليل ليضيء لهم. لكي يمشوا نهارا وليلا. لم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب** »(خر١٣، ٢٠-٢٢)، وقد لاحظنا ان في رحيلهم من رعمسيس إلى سكوت لم يكن هناك مثل هذه الأعمدة من السحاب والنار، وبما أن التوراة تنويريه، بمعنى أن كل انسان في هذا الوجود يستطيع ان يبحث فيها ويجد ضالته المنشودة واضحة كنور الشمس، فيما اذا حاول الإنسان أن يخوض غمار كينونتها. ولهذا نرى أنه حينما تحرك بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت اتخذوا طريقهم وكما اشرنا إليه سابقاً مع مجرى فرع النيل النيلوزي والذي واكب مسيرتهم منذ لحظة تحركهم من رعمسيس وإلى الشمال الشرقي حتى مصبه في الطرف الغربي من بحيرة البردويل، ومن ثم ساروا في ممر بري «الشريط اليابس» الواقع ما بين البحر الكبير وبين بحيرة البردويل ومن خلال مسيرة نصف دائرية حول هذه البحيرة حتى وصلوا طرفها الشرقي إلى سكوت. لقد كانت هذه الطريق منذ لحظة تحركهم وحتى وصولهم ذات مناخ طبيعي رطب وجو ساحلي جميل، فإذا ما جابهتهم درجة حرارة عالية نسبياً لطفتها حركة النهر ونسيم البحر على السواء. إن مثل هذا الجو لا يسمى جوا صحراوياً، لهذا لم يحتاجوا إلى مثل هذه الأعمدة التي وهبها الله لهم ليقيهم من حر النهار الصحراوي ومن برودة ليله القارس، إذ لم يكن هناك حاجة لهما. إن المناخ الذي كان سائداً في تلك الفترة من السنة مناخاً ربيعياً لأن الخروج حدث في الشهر الأول من السنة العبرية، عند ابتداء فصل الربيع «ابيب» وفي النصف الثاني من هذا الشهر، ففي تلك الأيام كانت الصحراء تنعم أثناء مسيرتهم بإضاءة كاملة للقمر حيث كان في مرحلة البدر وما بعده.

لكن الأمر اختلف عنه الآن في مسيرتهم التي ابتدأت من سكوت إلى محطة آتم، حيث اختلفت المسيرة كلياً، وابتدا الترحال في السدس الأخير من الشهر اذ تنعدم الرؤية ليلاً بسبب ان القمر في هذه الفترة من الشهر يكون في مرحلة المحاق، حيث تكون الرؤية معدومة ليلا. وكذلك اصبحت مسيرتهم في الصحراء القاحلة، الا وهي برية آتم وبرية بحر سوف، من أجل ان يصلوا إلى منزلة آتم التي تقع قرب الإسماعيلية إلى الشمال من البحيرات المرة على خط سير قناة السويس، وأثناء هذه الطريق لا بد وان يقطعوا طريق شور الصحراوي والممتدة من وادي العريش وحتى الإسماعيلية، انها مسيرة صحراوية قاسية لا على الأطفال والنساء وحدهم بل على المتقدمين في السن ايضا من ابناء هذا الشعب الإسرائيلي لذا جعل الله لهم أثناء مسيرتهم الترحالية التيهية هذه من سكوت إلى آتم التي تقع على حدود المصرية السينائية وفي طرف

البرية بالذات عمود سحاب نهارا يسير أمامهم ليهديهم في الطريق، وعمود نار ليلا ليضيء لهم. ولم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب.

لقد أحاط رب العالمين أبناء شعب إسرائيل برعايته وعنايته، حيث صانهم وحفظهم واقتاد هذا الشعب بعظمته وقدرته، فسار أمامهم وأضاء لهم نهاراً عمود سحاب ليهديهم ليس في الطريق فحسب بل ليقيهم حرّ المناخ الصحراوي نهارا، وعمود نار ليلاً ليضيء لهم الدرب وليقيهم من البرد الصحراوي الشديد.



خارطة (٤): موقع محلة اثم

فم الحيروت

المحطة الرابعة

إنّ موقع منزلة **فم الحيروت** واضح جغرافيا ومعروف اسميا، حيث يقع على الذراع الغربي للبحر الأحمر المعروف بخليج السويس الذي يحتضن شبه جزيرة سيناء من الناحية الغربية، ومن الطرف الشمالي لهذا الذراع بالذات، حيث نلاحظ أنه يشبه جسم الحوت تماماً وفي مقدمته فم واضح المعالم والصورة، ومركزه على راس شمالي خليج السويس، ومن هنا جاءت تسمية هذا الموقع **فم الحيروت**، حيث ذكرت التوراة: «**وينزلون أمام فم الحيروت**» (خر١٤: ٢)، اي ان هذا الاسم ليس لمكان بري بل اسم لمكان بحري، وكلمة حيروت عبرية، ومن المعتقد ان اسم الحيوان البحري بالعربية (الحوت) مشتق او محرّف من هذا الاسم العبري. ومن الجدير بالذكر انه يوجد بحيرة إلى الجهة الشمالية من هذا الموقع تسمى بحيرة التمساح (الحوت)، إذا فلا غرابة لإطلاق مثل هذا الاسم على هذا الموقع، وكذلك تحديد مكانه، كما هو موضح في الخارطة رقم ٥.



صورة رقم ٣: موقع فم الحيروت على ضفاف بحر سوف

ان الموقعَيْن آتم و **فم الحيروت** موجودان على خط طول موازي للحدود المصرية السينائية ما بين البحيرات المرّة وخليج السويس على ساحل البحر الأحمر الغربي للذراع المصري. وينحصر موقع **فم الحيروت** هذا ما بين بعل صفون التي تقع على الشاطئ الغربي من خليج السويس، وبين

مجدل والتي تعني بالعبرية البرج، ولقد ورد في الشريعة المقدسة الآية، «ثم ارتحلوا من آتـم ورجعوا على فم الحيروث، التي قباله بعل صفون ونزلوا امام مجدل». (عد ٣٣، ٧)، اي ان وصولهم إلى فم الحيروث ذكرته التوراة بانه رجوع، ولقد كان الخروج من مصر، اي رجعوا من حيث خرجوا، لأسباب سياتي شرحها فيما بعد، منها حتى يظن فرعون مصر أن الإسرائيليين مرتبكون في أرض مصر وليسعى وراءهم، فيتمجد الرب بفرعون وجيشه، فتصبح الصورة التي رسمها الله إلى النبي موسى قد اكتملت وتحققت، وهو ما اعلمتنا به الشريعة المقدسة خمسة أسفار موسى بقولها، « فيقول فرعون عن بني اسرائيل، هم مرتبكون في الأرض. قد استغلق عليهم القفر. وأشدّدُ قلب فرعون حتى يسعى وراءهم. فأتمجد بفرعون وبجميع جيشه، ويعرف المصريون أني أنا الرب» (خر ١٤، ٣- ٤).

ولقد دلّت رحلة المسيرة التي سبقتها، بان موقع فم الحيروث يوجد في الاراضي المصرية، والدلالة على ذلك ما جاء في المسيرة الانتقالية التي سبقتها عندما ارتحل بنو اسرائيل من سكوت وحلّوا في آتـم التي تقع في طرف البرية، مع الاخذ بعين الاعتبار ان شبه جزيرة سيناء تدعى برية، وطرف البرية تقع على الحدود، ومن الطبيعي أن تكون المقصودة هنا هي حدود مصر- سيناء.

لقد ذكرنا سابقا انّ الله قد ادار الشعب الإسرائيلي من موقع سكوت عبر برية اتم ليرجع إلى مصر، ولدعم مثل هذا المفهوم جاء ذكر الرجوع من نقطة آتم التي تقع في طرف البرية في سيناء، أي انه تم الدخول ضمن الأراضي المصرية وذلك حينما جاءت المرحلة التالية من المسيرة. ولأن موقع فم الحيروث يقع داخل الحدود المصرية وقريب من المكان الذي انطلقوا منه عند ابتداء الخروج، فإن هذا المكان يكون قريباً من ارض جاسان ولهذا سمي رجوع، حيث لم يهدهم المولى إلى طريق ارض الفلسطينيين مع انها قريبة. وكما نلاحظ على الخارطة ٥ فإن هذه المسيرة كانت كمسيرة دائرية او شبه دائرية، ومن هنا جاءت كلمة ادار الله الشعب.

وعندما رأى الشعب المصري ان العبرانيين مرتبكون في الأرض المصرية حيث ورد في اكثر من آية ان هذا الشعب عند رجوعه إلى مصر خاله المصريون شعبا مرتبكا، حينئذ سعى المصريون بقيادة فرعونهم وراء شعب بني اسرائيل وأدركوهم عند البحر عند فم الحيروث امام بعل صفون، فلمّا اقترب فرعون رفع بنو اسرائيل عيونهم واذا بالمصريين وراءهم، ففزعوا جدا وتحدى الشعب نبيه، كما جاء في التوراة، بقولهم، «هل لأنه ليست قبور في مصر اخذتنا لنموت في البرية، ماذا صنعت بنا حتى اخرجتنا من مصر. أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين، كف عنا فنخدم المصريين؟ لأنه خير لنا ان نخدم المصريين من أن نموت في البرية» (خر ١٤، ١١-١٢)، ولقد وصف مارقة بن عمران في كتابه «سفينة

مارقة» عمود ٢٧٤، حالة الشعب الإسرائيلي هذه بقوله، «وانقسم الشعب إلى ثلاث اراء؛ الأول قائلا؛ كف عنا فنخدم المصريين، لأنه خير لنا ان نخدم المصريين من أن نموت في البرية، اجابهم النبي العظيم؛ لا تعودون ترونهم ايضا إلى الأبد. الثاني قال؛ نهرب من المصريين إلى البرية، اجابهم موسى الرسول؛ لا تخافوا. قفوا وانظروا خلاص الله الذي يصنعه لكم اليوم. الثالث قال؛ نقوم ونحارب المصريين. قال لهم موسى؛ الله يحارب عنكم وانتم تصمتون».

احداث التيه التي جرت في جزيرة صحراوية لمدة اربعين سنة لها اهمية كبيرة، فلقد كان باستطاعة المولى ان يصل بهذا الشعب إلى الاراضي الكنعانية بكل سهولة وراحة لكنه تعالى اراد ان يجعل كل هذه الأحداث قابلة لتصور العقل البشري، فكان بإمكانه ان ينتقم من فرعون مصر وعبيده وابناء قومه بضربة واحدة، وان يخلّص شعب بني إسرائيل من ذلهم وعبوديتهم وبأسهل الطرق وابسطها والا يكون هناك سنوات تيه ويصل بهذا الشعب إلى الارض الموعودة بالسرعة الممكنة، لكنه لم يفعل ذلك حتى تشاهد وتسمع شتى شعوب الارض ما فعله ويفعله الله تجاه الشعب الإسرائيلي القدس الذي اتخذه ابنه البكر.

لقد كانت مسيرة الشعب الإسرائيلي في شبه جزيرة سيناء حيوية وضرورية ليدرك هذا الشعب مدى اهميته عند خالقه. لذا فان رجوع العبرانيين إلى فم الحيروت ما هي الا حكمة الهية مقصودة، حيث اعتقد فرعون مصر وعبيده أن الإسرائيليين مرتبكون في الارض وقد استغلق عليهم القفر.» فلما أُخبِرَ ملك مصر أن الشعب قد هرب، تغير قلب فرعون وعبيده على الشعب، فقالوا ماذا فعلنا حتى اطلقنا إسرائيل من خدمتنا». (خر ١٤، ٥)، وبينما العبرانيون مقيمون في منزلة فم الحيروت، جاء هذا التحول في موقف فرعون وعبيده ضد شعب إسرائيل، بقولهم ماذا فعلنا حتى اطلقنا الإسرائيليين من خدمتنا؟ فشدّ مركبته واخذ قومه معه ومعظم مركبات مصر وجنودها، وشدّد الله قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بني إسرائيل حتى ادركوهم نازلون عند البحر عند فم الحيروت امام بعل صفون.

وعلى ضوء ما تقدم فان حدود فم الحيروت كانت من البحر الاحمر شرقا وسلسلة جبلية غربا ومحلة مجدل شمالا و منزلة بعل صفون من الجنوب، ويدعى هذا الموقع اليوم بخليج السويس. وكانت منطقة العبور من هذه المنطقة بالذات الواقعة في الطرف الشمالي من البحر الاحمر (بحر يم سوف) ، كما جاء في التوراة، «مركبات فرعون وجيشه القاهما في البحر، فغرق افضل جنوده المركبية في بحر سوف» (خر ١٥، ٤).

ويذكر أن اسم بحر سوف كان يطلق دائماً على البحر الاحمر، ولقد خصصنا بحثاً خاصاً لهذه التسمية ضمن هذا الكتاب وهناك اسم اخر لهذا البحر وهو بحر القلزم. بينما سمي البحر الابيض المتوسط بأسماء عدة منها، البحر الكبير، البحر الأعلى، بحر الروم.

علّق ابو الحجاج حافظ في كتابه «تيه القلب» قائلاً، «ان غرق فرعون لم يكن عند رأس خليج السويس بل كان في بحيرة سربونيس (أي بحيرة البردويل) التي تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط الجنوبي، شمال شبه جزيرة سيناء، والتي يذكر بعض المؤرخين انها كثيراً ما كانت تغطي بالرمال وأنها ابتعلت عدداً كبيراً من الجيوش». وسانده في اقواله هذه بعض من الكتاب والمؤرخين، وهنا لابد لنا من وقفة، فاذا غطت الرمال هذه البحيرة وجيشا ما بين احضانها لتبتلعه، فكيف على الجيوش الأخرى أن تقع في نفس الخطأ، ولا تكون حذرة مما وقع فيه من سبقها من الجيوش الأخرى، كما جاء على لسان الكتاب والمؤرخين اعلاه؟ لكن هناك ملاحظة اخرى، عندما يبدأ البعض من الجيش بالغرق الم يكن الآخرون حذرين ايضا ويهربون من الموت المحدق بهم، لينجو منه جزء موليا الادبار هارباً؟ كيف والمقصود هنا بجيش فرعون مصر بحد ذاته، الذي يعرف المنطقة تمام المعرفة لأنها تقع ضمن حدود بلاده.

وإذا ما حدثت مثل توقعات هذا المؤلف لجيوش عدة كما قال، فإنّ ذلك لن يحدث على الأقل لجيش مصر ابن المنطقة. لكن التوراة وضحت وبينت كيف كان غرق فرعون مصر وجيشه في البحر الأحمر بالتفصيل، عندما كانوا يلحقون بشعب بني إسرائيل والذي كان تعداده مليوني نسمة، فكيف مرّوا امامهم وكان يفصل بينهم عشرات الامتار فقط، ومع ذلك مروا بسلام امام جيش فرعون ومركباته الذي غرق هو فقط و ابتلعهم البحر كما جاء في الشريعة المقدسة أن المكان بحر وليس بحيرة. فجميع البراهين والإثباتات تشير الى أن مكان الغرق حدث في البحر الاحمر. وهناك إثبات دامغ و قاطع على أن البحر الاحمر هو المكان الذي غرق به جيش فرعون سيأتي توضيحه تحت عنوان بحر سوف.

ويجب على مثل أولئك الكتاب والمؤرخين ان لا يتناسوا ان القدرة الالهية التي كانت حقيقية وظاهرة للعيان أمام جميع ابناء شعب إسرائيل وابناء المصريين على حد سواء، مما جعل فرعون مصر وافراد جيشه يعبّرون عن رأيهم قائلين، نهرب من إسرائيل لأن الرب يقاتل المصريين عنهم.

عبور البحر الاحمر

البحر الأحمر الذي اطلقت عليه الشريعة الموسوية اسم بحر سوف، بحر القلزم، يفصل آسيا عن إفريقيا ويتصل بالمحيط الهندي عن طريق مضيق باب المندب، يبلغ طوله ١٤٩٠ ميلا، (عرضه ١٨ ميلا)، ويتصل بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق قناة السويس، التي تم حفرها في سنة ١٨٦٩ ميلادية. اما متوسط عرض البحر الأحمر ١٥٠ ميلا ويتفرع في شماله الى خليجين هما، خليج العقبة الذي يقع على الذراع الشرقي إلى الشمال، والمعروف براس موسى حيث توجد هناك ينابيع تدعى عيون موسى، والأخر خليج السويس الذي يقع على الذراع الغربي الى الشمال، ويبعد عن البحر الأبيض المتوسط ٧٠ ميلا. وتنحصر شبه جزيرة سيناء بين ذراعي البحر الأحمر بين العقبة والسويس.

أطلق العبرانيون اسم بحر سوف على البحر الاحمر حيث وردت هذه التسمية ضمن الآيات التالية، «فرد الرب ريحا شديدة جدا، فحملت الجراد وطرحته إلى بحر سوف» (خر ١٠، ١٩)، وكذلك في الآية، فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف» (خر ١٣، ١٨)، كما استخدم العبرانيون كلمة البحر التي وردت ضمن الآيات التالية، « كلم بني إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروت بين مجدل والبحر امام بعل صفون» (خر ١٤، ٢)، والآية، «فسعى المصريون وراءهم وادركوهم، جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروت امام بعل صفون» (خر ١٤، ٩) والآية، وارفع عصاك ومد يدك على البحر وشقّه» (خر ١٤، ١٦) ، والمقصود بالبحر هنا البحر الاحمر.

والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا في الآيات الأولى وردت كلمة «بحر سوف »، لكن في الأيات الأخرى التي تلتها والتي ذكرناها اعلاه وردت كلمة « البحر»؟ لقد جاءت «ال التعريف» لكي تخبرنا وتعلمنا ان المقصود هو نفس البحر الاحمر.

ومما يؤكد لنا ان البحر الأحمر هو بحر سوف، انه عندما حصل معجز الجراد حملت الرياح الشرقية هذا الجراد من الصحراء والقته على أرض مصر. عندئذ طلب فرعون مصر من موسى وهارون بعد أن اعترف بخطئه إلى الله واليهما، طلب منه الصفح ليرفع عنه هذا الموت، واستجاب الله لنداء النبيين برفع الجراد عن مصر، وهبت رياح غربية شديدة جدا، حيث جاء في الشريعة المقدسة، «فحملت الجراد وطرحته إلى بحر سوف». (خر ١٠، ١٩)، وبما ان بحر سوف يقع إلى الشرق من مصر فإن الرياح الغربية قذفت هذا الجراد إلى هذا البحر الا وهو البحر الحمر.

كتب قاموس الكتاب المقدس مؤكدا على ان بحر سوف هو البحر الأحمر قائلا، «إن الحادثة المهمة المقرونة بالبحر الأحمر هي مرور شعب بني إسرائيل منه وغرق المصريين» (خر ١٤-١٥) ، وكثيرا ما يشير الكتاب المقدس إلى هذه الحادثة (عد ٣٣، ٨، وتث ١١، ٤). وقد اختلفت الآراء في مكان عبور بني اسرائيل والترجيح انهم عبروا خليج السويس بالقرب من طرفه الشمالي.

على الرغم من اختلاف العلماء على موضع العبور، لكن المتتبع الى المحطات التي نزل فيها بنو إسرائيل واحدة فواحدة لا يعجز عن تحديد المسيرة في شبه جزيرة سيناء من ناحية، وخاصة مكان العبور بالذات من ناحية أخرى، لكن لربما يكون هناك بعض الكيلو مترات بين موقع واخر، والتي لا تؤثر في مجريات الخطوط العريضة لهذه المسيرة التيهية ككل.

اثناء نزول شعب بني إسرائيل في محلة فم الحيروت والتي تقع على راس الذراع الغربي للبحر الاحمر، ولكي يتمجد الرب إله إسرائيل بفرعون مصر إله المصريين وجيشه، وحتى يتخلص العبرانيون من عبودية المصريين وذلهم وإلى الأبد، تشدد وغلظ قلب فرعون عبيده حتى يسعوا وراء بني إسرائيل، ولحق جيش مصر بقيادة فرعونها وفرسانه وجميع خيل مركباته، حتى ادركوهم وهم مخيمين عند البحر امام بعل صفون. ولما لم يبال هذا الملك وشعبه بجميع المعجزات والعجائب والأحكام والآيات التي انزلها الله سبحانه وتعالى بشعب مصر التي انهكت قواهم وابادت مزروعاتهم واتلفت شجر حقولهم ودمرت بلادهم، والتي كان آخرها موت ابكارهم وابكار حيواناتهم، ومع ذلك ها هو يسعى لإعادة عقارب الساعة إلى الوراء بغية استعباد وإذلال هذا الشعب من جديد. متجاهلا أن رب السماوات والارض بذاته وعظمته بقدرته وملكوته قائد حملة تحريرهم.

كان فرعون مصر وسائر ابناء شعبه ذوو قلوب متحجرة تقسى اكثر فاكثر ضد ابناء هذا الشعب، ومع ذلك دون جدوى سعوا وراءهم حتى ادركوهم و تبادر لذهنهم أن مصير هذا الشعب اصبح بين ايديهم. الا أن المولى كان يرمي من هذا الرجوع تنفيذ وإنزال عقابه بفرعون مصر وعبيده. وكي يستوفي ابناء شعب إسرائيل حقوقهم التي سلبها منهم هذا الملك وابناء شعبه جاء هذا اليوم الذي سيرتاحون فيه من الذل والإهانة.

واقترب فرعون مصر وجيشه ومركباته من العبرانيون، وعندما راهم شعب بني إسرائيل فزعوا بشده وقالوا لموسى انه خير لنا ان نخدم المصريين من أن نموت في البرية لكن موسى قد طمانهم، وعندها نادى المولى موسى قائلا ، «مالك تصرخ إلي، قل لبني إسرائيل أن يرحلوا، وارفع عصاك ومد يداك على البحر وشقه فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على

اليابسة». (خر ١٤، ١٥-١٦). وهكذا فعل النبي موسى وكما امره رب العالمين وما ان رفع يده على البحر حتى انشق البحر فعبرهم ونصب مياهه كند، وتحولت كل الخفايا إلى ظواهر، وتعظم موسى والقدرة الالهية تسانده، والملائكة تعظمه والفرج اصبح في متناول يد شعبه، ومن الجانب الآخر لاحقت القدرة الالهية فرعون مصر وشعبه لتدمرهم وتفنيهم، فالخوف أعمى قلوبهم، والحقد دمرهم والملائكة تعطيهم الدرس تلو الآخر ليكونوا عبرة لشعوب الأرض.

شدد الله قلوب المصريين حتى يسعوا وراء الشعب الإسرائيلي، حتى يتمجد الله بفرعون وكل

جيشه بمركباته وفرسانه. فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم، ولينتقل عمود السحاب من امامهم ليقف وراءهم. فدخل بين عسكر المصريين وعسكر الإسرائيليين، ولاحق فرعون وجنوده بني إسرائيل وكلما اقتربوا منهم سلط الله عليهم عمود سحاب من السماء ليحول دون وصول فرعون اليهم، وكان يرسل عمود نور لينير الطريق أمام بني إسرائيل، فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل. وما ان مدّ موسى يده إلى البحر حتى ارسل الله ريحا شرقية شديدة كل الليل، وجعل البحر يابسا وانشق الماء. عندها دخل بنو اسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم. وتبعهم المصريون وجميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر ودخلوا وراءهم، وازعج الله عسكر المصريين بعمودي النار والسحاب وخلع بَكَر مركباتهم حتى ساقوها بثقل. وهنا قال المصريون: «نهرب من إسرائيل، **لأن الله يقاتل المصريين عنهم**». (خر ١٤، ٢٥)

وما ان صعد آخر إنسان من شعب بني إسرائيل، واصبح جميع الساعين وراء هذا الشعب من المصريين في وسط البحر مدّ موسى يده على البحر عند إقبال الصبح ليرجع الماء إلى حالته الدائمة ليغمر المصريين ومركباتهم وفرسانهم ولم يبق منهم أحد. فخلّص الله الإسرائيليين في ذلك اليوم من يد المصريين.

ولقد سمي البحر الأحمر بـيم سوف، وكلمة «يم» تعني بالعربية بحر، و«سوف» تعني بالعبرية النهاية، وهكذا كانت نهاية فرعون مصر وجيشه الذين سعوا وراء العبرانيين لقتلهم، وتم غرقهم وكانت نهايتهم في هذا البحر، لهذا اطلقت عليه الشريعة الموسوية «يم سوف». اي انه في هذا البحر كانت نهاية فرعون مصر وجيشه.

ورأى الإسرائيليون الفعل العظيم الذي صنعه الله بالمصريين، فخشي الشعب الله وآمنوا به وبعبده موسى، حينئذ رنّمَ موسى وبنو إسرائيل تسبيحة لله (نشيد از ياشر)، كما جاءت في الشريعة المقدسة: «**الله قوتي ونشيدي، وصار خلاصي. هذا إلهي فأمجده، إله أبي فأرفعه. الله رجل الحرب. الرب اسمه، مركبات فرعون وجيشه القاهما في البحر، فغرق أفضل جنوده**

المركبية في بحر سوف، تغطيهم اللجج. قد هبطوا في الاعماق كحجر. يمينك يا الله معتزة بالقدرة. يمينك يا الله تحطم العدو». (خر ١٥، ٢-٦)

ايمان موسى كان راسخا دائما وابدا، إلا ان ابناء شعبه كانوا بالرغم مما شاهدوه من المعجزات والآيات كانوا يتمردون على الله وعلى نبيه لأبسط الاسباب، وبما ان الأب لا بد في نهاية المطاف ان يصفح عن هفوات ابنائه، وهذا ما جرى فعلاً بالنسبة لشعب إسرائيل الذي اتخذه المولى ابنه البكر حيث صفح الرب عنهم. لكن العبودية رسخت في عقولهم وترعرعت في نفوسهم واستهوت ضمائرهم واخذت تستهوى قلوبهم.
صاحب المجد والاحسان الذي ثبت الأرض بقدرته ورفع السماء بحكمته وخلق النورين العظيمين وبعث الإنسان والحيوان، هو الذي ضرب المصريين بيد قوية وبذراع ممدودة وها هو رب العالمين يجري ريحا شرقية شديدة حتى جف البحر ليصبح يابسة يمشون في وسطها والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم. ولم يكتف المولى عند هذا الإجراء من اجل إنقاذ شعبه المقدس بل أراد ان يكلل هذه المعاجيز والعجائب والآيات بدفع المصريين ثمن عنادهم وغلظهم وثمن استعبادهم وقهرهم وقتلهم لأبناء شعب إسرائيل من الأبكار. انه حساب وعقاب لأولئك الذين اذلوا هذا الشعب، على الرغم من التحذير تلو الآخر ومع ذلك لم يجد نفعا، فالعهد الذي قطعه الله مع ابراهيم ها هو يتحقق كما جاء في الشريعة المقدسة، «اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريباً في ارض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلوهم أربع مائة سنة ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها». (تك ١٥، ١٣-١٤)

إن ملك مصر الطاغية المتمثل بفرعونها كان يرفض الانصياع لأوامر الرب التي كان يبلغه بها موسى الكليم بقوله المأثور، « اطلق شعبي ليعبدني» فرد عليه فرعون بغلظة وفظاظة وكأنه رب العزة والخلق، «من هو الرب حتى اسمع لقوله فأطلق إسرائيل. لا أعرف الرب وإسرائيل لا اطلق» (خر ٥، ٢).

وتجلت عظمة الخالق وقدرته لكي يظهر لفرعون مصر الذي نصب نفسه الهة على الارض زورا وبهتاناً انه وحده تعالى القادر على كل شيء وليس احد سواه. وهكذا سمح لفرعون مصر وجيشه ومركباته وفرسانه باللحاق بعسكر شعب إسرائيل داخل البحر ساعين وراءهم الى ان وصلوا وسط البحر، وهنا تخلعت بكرات مركباتهم فساقوها بثقل وانزعج عسكر فرعون واخذت الأحداث تتلاحق والاضطراب يسود عسكرهم، عندها علموا أنها نقطة اللاعودة فرجع ماء البحر كما كان حيث غمر فرسان جيش فرعون ومركباته. وهنا حانت ساعة الخلاص للشعب الإسرائيلي من ضيم المصريين وجبروتهم، وامعن ابناء العبرانيون النظر كل في غريمه متارجحاً بين موجات الموت متخبطاً ومستغيثاً، معترفا باثامه واخطائه التي ارتكبها بحق أفراد هذا الشعب الإسرائيلي.

وادركت الشعوب القاطنة في الأراضي المقدسة والمجاورة أن وجهة بني إسرائيل هي تلك الأراضي الكنعانية التي وهبها رب العالمين ميراثاً لأبناء الشعب الإسرائيلي الموعود بها. حينئذ ارتعد سكان فلسطين واندهش أمراء ادوم واخذت الرجفة أقوياء مؤاب، واصابت سكان كنعان الهيبة والرعب. ولقد مهد المولى الطريق أمام شعب بني إسرائيل من أجل غرسهم في جبل ميراثهم قائلا، «ثم **ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور. فساروا ثلاثة أيام في البرية ولم يجدوا ماء فجاءوا إلى ماره».**(خر ١٥، ٢٢-٢٣). برية شور التي ذكرتها هذه الآية هي بحد ذاتها برية آتم التي ورد ذكرها في سفر العدد الاصحاح ٣٣ الآية ٨ ، «**ثم ارتحلوا من فم الحيروت وعبروا في وسط البحر إلى البرية، وساروا مسيرة ثلاثة أيام في برية آتم ونزلوا في مارة**». اي أن هناك تغيير لفظي لاسم البرية، فبينما ذكر اسمها في سفر الخروج، **برية شور**، ورد اسمها مغايرا في سفر العدد، آتم، إن الاسمين مختلفين فقط لكنهما لنفس البرية ولذات الموقع والمنزلة.

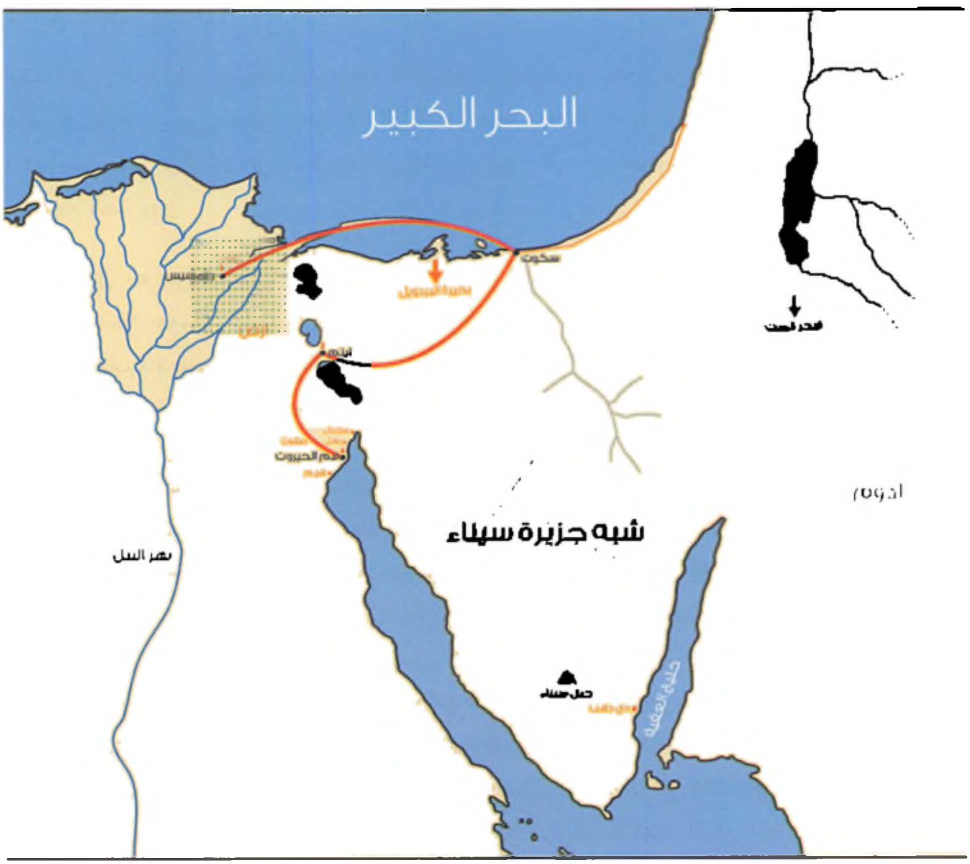
عندما نزل هذا الشعب أمام البحر « **فم الحيروت**» داهمهم الخطر من قبل جيش فرعون، فطلب المولى أن يرفع موسى عصاه، ومد يده إلى البحر فشقه، وهكذا عبر بنو إسرائيل البحر إلى البرية، وهذا يدل على ان مكان وجودهم كان بقرب البحر الأحمر عند منزلة «**فم الحيروت**» عندما داهمهم المصريون.

ان الانتقال تم من منطقة ساحلية على الجانب الغربي من البحر الاحمر، وهي المنطقة التي تتصف بمناخ جميل رطب، حيث انتقلوا عبر البحر إلى أن وصلوا الى الساحل الشرقي منه والذي يتصف بطبيعة صحراوية ومناخ جاف، حتى انهم ساروا مدة ثلاثة أيام منذ خروجهم من البحر في برية قاحلة ولم يجدوا فيها ماء إلى أن جاءوا إلى «مره».

في الرحلة التي ساروا بها من **سكوت** إلى **آتم** تمّ تحديد هذه المحطة بانها تقع في طرف البرية، وشرحنا أن المقصود بطرف البرية هو الحدود المصرية السينائية قرب الاسماعيلية، وجاء تأكيد آخر على ذلك حيث جاء في الآية الشرعية، «**ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور. فساروا ثلاثة أيام في البريّه ولم يجدوا ماء فجاءوا إلى مارّه**»(خر١٥، ٢٢)، اي ان اسم هذه الصحراء يعود إلى اسم المحطة التي نزلوا فيها بعد ان خرجوا من سكوت، أو اسمها يعود إلى برية آتم، ثم نزلوا في آتم التي تقع في اعلى الشمال من هذه البرية اي عند حدودها الشمالية. واتجهوا بمسيرتهم عندما خرجوا من البحر من الشمال الى الجنوب على طريق ساحل البحر الأحمر الشرقي للذراع المصري. والسبب في ذلك انه كلما توغلوا داخل الصحراء فإن الحرارة تشتد وتصبح لا تطاق خاصة لأولئك الأطفال الذين اشتركوا في المسيرة. لذلك فضلوا أن تكون مسيرتهم مع الخط الساحلي لأنه الطف مناخاً فيما لو ساروا مخترقين الصحراء.

المتتبع للمحطات الأربع السابقة منذ خروجهم من رعمسيس في مصر، ووصولهم إلى سكوت ومن ثم رجوعهم إلى آثم وتحركهم جنوبيا إلى ان وصلوا إلى فم الحيروت، ثم عبورهم البحر بعد ان داهمهم المصريون الذين حسبوا ان الإسرائيليين مرتبكون في الأراضي المصرية، يستنتج انّ المقصود هو البحر الأحمر (يم سوف)؟

إن الله أراد من تدوين قصة خروج شعب بني إسرائيل من مصر وتحرره من بيت العبودية، ان تكون عبرة لشعوب الأرض قاطبة، وان نهاية الظلم قادمة لا محالة فالإنسان خلق حرا يكره الظلم. إن الكتب السماوية التي أنزلها الله تقدم الكثير من العبر والمواعظ للشعوب، وهي ليست كتب تاريخ او أحداث عابرة كما يحلو للبعض وصفها واتخاذها، إنما هي كتب منزلة من عند رب العالمين تمثل الحقيقة والواقع.



خارطة (٥)، موقع محلة فم الحيروت

مـرّة

بعد انشقاق ماء البحر الأحمر بمعجزة من السماء ومن قبل المولى عز وجل، عبر شعب بني اسرائيل بحر سوف، حيث اصبحت مياه البحر سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم حتى وصلوا إلى بر الأمان على شاطئ البحر الأحمر الغربي لخليج السويس، وذلك يعني أن الله حمل شعبه مثلما يحمل النسر عشه.

وصل هذا الشعب بعد مسيرة دامت ثلاثة أيام في البرية دون أن يجدوا ماء حتى وصلوا إلى منزلة «مرة»، وهنا جابهتهم مشكلة مرارة المياه في برية شور (برية آتم)، ولم يستطيعوا أن يشربوا منها لمرارتها، فاطلقوا على هذا المكان اسم مرة، كما جاء في التوراة، «ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور فساروا ثلاثة ايام في البرية ولم يجدوا ماء فجاءوا إلى مرة». ولم يقدروا أن يشربوا ماء من مرة لأنه مر. لذلك دعي اسمها «مرة». فتذمر الشعب على موسى قائلين، ماذا نشرب» (خر١٥، ٢٢-٢٤).

انّ مسيرة التيه الإسرائيلي في شبه جزيرة سيناء تناولتها التوراة بإسهاب وبسرد كاف لكل التفاصيل من خلال الأسفار الأربع الأخيرة من التوراة، مما لا يدع مجالا للشك بمواقع التكنات التي حلوا بها، وبالأخص المنازل الأولى من التيه والتي عجز العالم عن تحديدها واكتشافها بشكل قاطع حتى وقتنا الحاضر، ومثال ذلك محطة مرّه، حيث كان شعب بني اسرائيل ينزل في محطة فم الحيروت، وبعد أن حددها الكتاب المقدس «التوراة» جاء عبور بحر سوف (البحر الأحمر) وما واكبه من قدرات خارقة للمولى وعلى مرأى الملايين من الناس، ليسيروا في برية شور (برية آتم) مسافة ثلاثة أيام وهناك وجدوا ماء مرّا قرب البحيرات المرّة، والماثلة أمامنا الى اليوم بموقعها ومرارة مائها، وقد سميت بالبحيرات المرّة نسبةً إلى الموقع الذي نزل فيه الشعب الاسرائيلي حيث أطلق عليها منزلة مرّة لمرارة مياهها. ومن ثم انتقلوا من هناك الى ايليم، فهل يبقى هناك ادنى شك في هذه المواقع؟ وهل هناك ما هو أوضح من هذه التفاصيل لطبيعة هذه المواقع على الرغم من مرور ستة وثلاثين قرنا من الزمان.

وللتأكيد على ما جاء في سفر الخروج بالنسبة لمحطة مرة والذي تم توضيحه اعلاه، فقد جاء في سفر العدد الاصحاح ٣٣ الآية ٨ قوله، « ثم ارتحلوا من امام فم الحيروت وعبروا في وسط البحر الى البرية، وساروا مسيرة ثلاثة أيام في برية آتم ونزلوا في مرة». فتذمر الشعب

على موسى قائلين، «ماذا نشرب». ولما توجه موسى الى مولاه ماذا يفعل، «فأراه الله شجرة فطرحها في الماء فصار الماء عذبا». (خر ١٥، ٢٥).

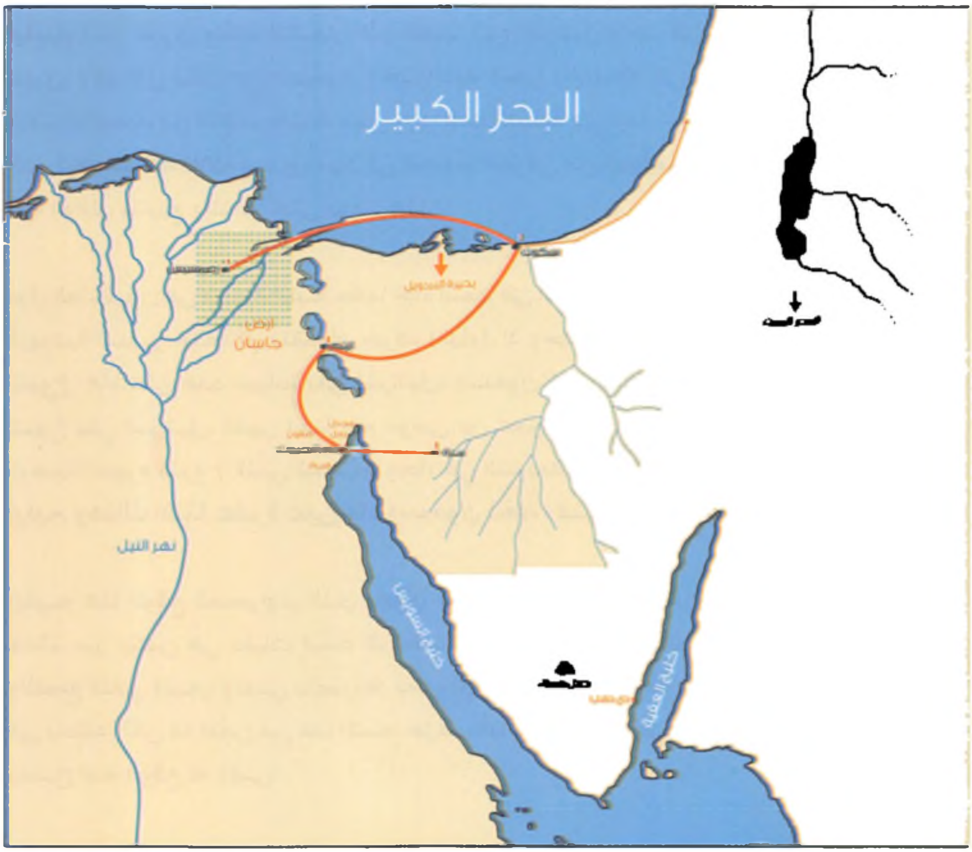
لقد امتحن الله تعالى موسى وشعبه في محطة مرّه، كما ذكرت التوراة، « فقال إن كنت تسمع لصوت الله الهك، وتصنع الحق في عينيه، وتصغي الى وصاياه وتحفظ جميع فرائضه، فمرضا ما مما وضعته على المصريين لا أضع عليك. فإني انا الله شافيك» (خر ١٥، ٢٦)، والعبرة من سياق هذه الآية ان من يخالف المولى ولا يعمل بفرائضه ووصاياه، ستحل به وتلاحقه المشاكل والصعاب بما فيها الأمراض.

اراد الله ان يوضح لشعبه في هذه المنزلة ان الحياة ليست مجرد اكل وشرب، بل هي دين ودنيا، أوامر ونواه، اخذ وعطاء، حلاوة ومرارة، حب وعذاب، مرض وشفاء، فعندما تأخذ بيدك اليمنى عليك ان تعطي بيدك اليسرى، فقد منح الله الشعب الإسرائيلي ما لم يمنحه لأي شعب اخر من شعوب الأرض قاطبة، فقد وهبهم الحرية بعد أن كانوا عبيدا للمصريين وقام بتقليبه، ومع ذلك وبامتحان بسيط فشلوا ونسوا آياته ومعجزاته ولم يحفظوا فرائضه ووصاياه، فلم يكن منهم سوى التذمر والتمرد والصراخ والعتب، فلقد اوصاهم الله بأن يتعظوا ويؤمنوا بالله ويحفظوا فرائضه ووصاياه حتى لا يصيبهم ما أصاب المصريين من عذاب وشقاء .
ان العهد الذي قطعه رب العالمين مع آباء واجداد الشعب الإسرائيلي ونبيه الذي امنه على بيته جعله يحافظ على هذا الشعب، لكن لكل شيء في هذا الوجود حدود، حيث ارسل المولى إشارات تحذيرية شملت الشعب وراعيه، فبعد أن قام موسى الكليم بالدعاء لله من اجل الماء، وما ان ارتوى الناس حتى جاء تحذير رب العالمين لهم بأنهم إن لم يسمعوا ويصغوا لوصايا مولاهم ويكرهوا الباطل ويمقتوه، ويبتعدوا عنه ولا يقربوه ويجتنبوا التذمر والمعصية لأنها مكروهة عند رب العالمين، فإن الأمراض لن تبتعد عنهم وسيكون مصيرهم كسائر الشعوب في حيرة من أمرهم وفي خوف دائم واضطراب.

إن خروج شعب بني إسرائيل بصورة جماعية منتصرا جعله يحلم لمدة طويلة بما صنعه الله لأجله، حيث سخر لهم الجو والبحر والبر لخدمتهم، ومع ذلك ما ان مرت ثلاث ايام في الصحراء دون ماء ثم نزلوا بعدها في مكان ذو ماء مر المذاق، حتى بدأوا بالكفر والصراخ وكأنها نهاية المطاف بالنسبة لهم. إن ما مر به الشعب الإسرائيلي في الصحراء من عطش وانعدام للماء كان أمرا صعبا عليهم، لكن أن يتناسى ابناء هذا الشعب فضل الله عليهم بهذه السرعة لهو أمر عظيم وخطيئة كبرى مما أوجب تحذير ووعيد رب العالمين لهم.

وبعد أن دعا موسى رب العالمين، أوحى له المولى أن يضع شجرة صحراوية في الماء المر، فأصبح الماء المرُّ عذبا، هذه هي القدرة الإلهية التي تلعب دائما دورها في هذا الكون. فإذا ما نال الإنسان كل شيء بسهولة، أصبح ضياعه منه أيضا سهلاً فلا يصبح للحياة معنى أو طعم، وهكذا صنع الله اذ بعد أن عطش هذا الشعب كثيرا وجد الماء. وكان الحياة في هذه الحالة عند الإسرائيلي بعثت من جديد.

إن الباحث والكاتب عن المسيرة يستطيع من موقع ومكان هذه البحيرات أن يحدد اتجاه وموقع هذه المنزلة بالذات، بدل أن يقع في متاهات عديدة كما حصل مع البعض الذين اتجهوا بالمسيرة نحو الطريق إلى فلسطين أي على ساحل البحر الأبيض المتوسط (البحر الكبير) شمالا، وكذلك من اتجهوا بها من رعمسيس إلى الأمام مخترقين قلب شبه جزيرة سيناء. وكان منزلة مرّه أو غيرها من المنازل غير مذكورة في التوراة إطلاقا .



خارطة (٦): موقع محلة مره

ايليم

المحطة السادسة

ايليـم هي المنزلة السادسة في سلسلة المحطات التي نزل بها الشعب الإسرائيلي ورحل عنها، منذ تحرره من ذل عبودية فرعون مصر قادمين من مرّة، كما جاء في خمسة اسفار سيدنا موسى، «ثم جاءوا إلى ايليم وهناك اثنا عشر عين ماء وسبعون نخلة ونزلوا هناك عند الماء». (خر ١٥، ٢٧، عد ٣٣، ٩) .

ايليـم اسم عبري معناه الأشجار، لأن شعب بني إسرائيل وجد في هذا الموقع سبعين شجرة نخيل، وهو اول مكان في الصحراء وجدوا فيه شجراً بالإضافة إلى اثنتي عشرة عيناً من الماء. ويعتقد العديد من الكتاب والنقاد ممن زاروا هذه المنطقة في شبه جزيرة سيناء ان واحة الغرندل التي تبعد مسافة ثلاثة وستين ميلاً إلى الجنوب الشرقي من السويس هي موقع ايليم، ويوجد في هذا الوادي ينابيع واشجار حتى يومنا هذا.

نزل العبرانيون في محطة ايليـم كما جاء اسمها في الشريعة الموسوية «بينما في التوراة النسخة اليهودية تسمى «ايلم» اي بنقصان حرف (الياء)، إذ وجد بنو إسرائيل في هذا الموقع اثني عشر ينبوع ماء على عدد أسباط بني إسرائيل، وسبعون شجرة نخيل على عدد سبعين شيخا من شيوخ بني إسرائيل، الذين اختارهم موسى بن عمران من الشعب كمجلس شورى بناء على توصية صهره يترو (النبي شعيب)، وجاء في الشريعة المقدسة عن هذا المكان، «ثم جاءوا إلى ايليم وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة. فنزلوا هناك عند الماء.»(خر ١٥، ٢٧).

ايليـم هذا الموقع الصحراوي الذي يحوي بين ربوعه هذا العدد من الينابيع، لا بد وأن يكون هناك سر يكمن في طيات اسمه المركب من مقطعين الأول (اي) وتعني بالعبرية جزيرة، والمقطع الثاني (ليـم) وتعني بالعبرية بحر، اي ان هذا المكان ما هو الا جزيرة بحرية، لكثرة الماء في باطنه، لكن إذا نقص من هذا الاسم حرف «الياء» كما جاء في التوراة النسخة اليهودية، فهل يصبح اسم الموقع له معنى؟

ان لتفسير موقع ايليم باللغة العبرية مغزى اخر، فإذا جزّء هذا الاسم إلى مقطعين، الأول ايل التي تعني غزال، والثاني يم وتعني بالعبرية الكثير يصبح للمعنى دلالة على كثرة الغزلان في

هذا الموقع لوجود أشجار نخيل فيه، والماء الغزير، والجو الرطب نسبيا لقربه من البحر، بالإضافة الى ان العشب متوفر هناك، جميع هذه العناصر مناسبة ليكون هذا المكان مناخا ومسرحا لمرح الغزلان، خاصة وأن قلة وجود السكان في هذه المنطقة الشبه الصحراوية يجعلها مناسبة جدا لتكون مرتعا لحركة الغزلان فيها. وكما أشرنا سابقا إن كل اسم من هذه المحطات له معان خاصة مثل ما أشرنا إليه أعلاه، ويذكر ان الشريعة الموسوية لها سبعون وجها من حيث التفسير، كما اشار إليه علماؤنا السابقون، وان التوراة لا تفسر بل يجتهد فيها اجتهادا.

اراد الله ان يُثبت لشعب بني إسرائيل من هذا الموقع بالذات انه لا حاجة لتنمر هنا وعصيان هناك، فإذا كانت اتم التي تقع في برية شور قاحلة ولا يوجد فيها ماء، والمحطة التي تلتها مرّة ذات ماء مر، فها هي محلة ايليم التي اتوا اليها ليس فيها عين ماء واحدة بل اثنتي عشرة عينا على عدد أسباطهم، وهكذا ستبقى مسيرتهم كلها مفاجآت إيجابية لصالحهم، لأن المولى لم ولن يخذلهم طالما عملوا بأحكام الله وبتعاليمه ووصاياه وكذلك طالما قائد مسيرتهم هذه موسى بن عمران عليه السلام.

لقد تجّهز بنو إسرائيل قبل خروجهم تجهيزاً كاملاً بان تزودوا من مصر بالمأكل والشرب، وخرجت معهم مواشيهم وأغنامهم من أجل أن يأكلوا من لحمها ويشربوا من حليبها ويستفيدوا من أصوافها، وها هي السبعون نخلة ما هي إلا بارقة أمل ليستظلوا بظلها الطبيعي، وليأكلوا من ثمرها، ومع أنها قليلة العدد بالنسبة لجمهورهم الكبير، إلا ان الله عندما يطرح بركته في شيء فإنه يتكاثر ويصبح كنجوم السماء في العدد.

ولما خرج ابناء هذا الشعب من مرة كانت وجهتهم إلى الجنوب، والجنوب الشرقي إلى ان وصلوا منزلة ايليم، ولما تابعوا مسيرتهم وصلوا إلى يم سوف، كما قالت الشريعة، «ثم ارتحلوا من ايليم ونزلوا على بحر سوف» (عدد ٣٣، ١٠).

ان ايليم تقع ما بين منزلة مرّة وبين منزلة يم سوف، وكليهما على ساحل بحر سوف (البحر الأحمر)، وهذا يعني تحديد المكان والزمان والاتجاه والطبيعة ليكونوا قد اتخذوا مسارا واضح المعالم والصورة.



خارطة (٧)، موقع محلة ايليم

يـم سـوف

المحطة السابعة

تمثل منزله «يم سوف» المحطة السابعة من سلسلة المحطات التي نزل فيها ورحل عنها بنو إسرائيل، حيث تقع هذه المحلة على ساحل البحر الأحمر ذراع السويس من الناحية الشرقية، ولقد أطلق على هذه المحلة اسم «يم سوف» لوقوعها على ساحل البحر الاحمر، حيث جاء في التوراة: « ثم ارتحلوا من ايليم ونزلوا على بحر سوف» (عد ٣٣، ١٠) .

حددت الشريعة مثل هذه المواقع جغرافيا من حيث بُعد المسافات بينها، والمدة الزمنية في الحلّ والترحال، واتجاه المسيرة أيضا، كما وضحت الشريعة أيضا اسم المكان أو المنزلة، مما يسهل على الباحث متابعة وتحديد اماكن وجودها الواحدة تلو الأخرى كل منها على حدا.

إن موقع «يم سوف» جاء ليثبت ويدعم الموقف القائل أن الخط التي سارت فيه هذه المسيرة التاريخية الدينية والتي تعد اكبر مسيرة جماعية في التاريخ القديم منه والحديث لكونها استمرت أربعين عاما وجمعت ما يقارب المليوني نسمة، إذ كان هذا الخط بمحاذاة ساحل البحر الأحمر (خليج السويس) الشرقي، الممتد على الذراع الغربي من البحر الأحمر والذي يحتضن صحراء سيناء من الجهة الشرقية منه. ومن هنا نبع اسم موقع يم سوف، لأنه يقع على ساحل بحر سوف. وكما أشرنا سابقا ان اسم «سوف» يعني النهاية، ولما كانت نهاية فرعون مصر ومن كان معه من الجيش والشعب في هذا البحر، اطلق عليه اسم بحر سوف، ومن هنا اتخذت هذا المحطة اسمها لوقوعها على شاطئ خليج السويس الشرقي، في منتصف للسافة ما بين شمال وجنوب خليج السويس.

ان الوصول إلى حقيقة التيه ومكان وقوع احداثه، ليس من الصعوبة بمكان كما يتصوره البعض من الباحثين وعلماء الآثار، حيث أن واقع حياة العبرانيين في مصر لا يختلف عليه اثنان، وإذا ما تتبع الإنسان منا كل محطة ومحطة فلا بد ألّا يهمل أياً منها، لأن كل واحدة من هذه المواقع لها صلة بالأخرى وهذا ما يقوده إلى الحقيقة .

عندما انزل المولى ضرباته على شعب مصر والتي سميت بالمعاجيز والآيات والأعاجيب، طلب فرعون من موسى أن يتضرع إلى الله كي يرفع هذا الغضب عنه، فطلب موسى من فرعون مهلة ثلاثة ايام يذهب فيها إلى البرية من أجل ان يصلي إلى الله حتى يرفع ضرباته عن المصريين.

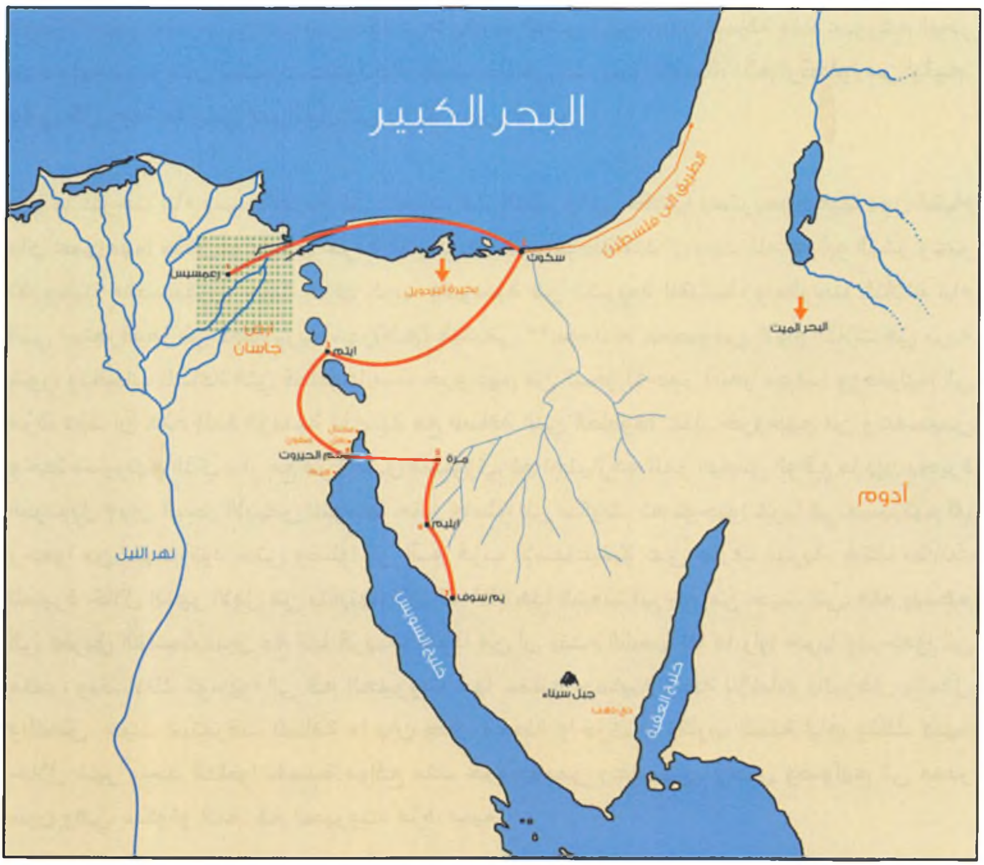
اليست هذه البرية هي شبه جزيرة سيناء؟ وكذلك عندما امر المولى بني إسرائيل بالخروج من مصر ومن أرض جاسان بالتحديد، ومن المعروف ان الطريق إلى ارض كنعان هي طريق ارض فلسطين فهي اقرب الطرق للخروج حيث تقع شمال سيناء وجنوب البحر الأبيض المتوسط، فهل يختارون طرقا أخرى بعيدة كل البعد من اجل الوصول إلى ارض الميعاد؟ وهل يعقل ان يختاروا طرقا اخرى بعيدة كل البعد عن شبه جزيرة سناء خاصة ان برفقتهم اطفالا وشيوخا وعجزة بالإضافة إلى ما يحملونه من مؤن وحاجيات ومواشي؟ وكذلك عندما نزل الأمر الرباني بالتيه اربعين سنة، وكانوا اثناء نزول هذا الأمر في موقع قادش برنع الذي يقع في منتصف المسافة ما بين خليج العقبة وبين غزة، حيث جاء في التوراة، «**وإذ العمالقة والكنعانيون ساكنون في الوادي، فانصرفوا غدا وارتحلوا إلى القفر في طريق بحر سوف**» (عد ١٤، ٢٥)، أليس المقصود بالرجوع إلى القفر هنا هو الرجوع إلى صحراء شبه جزيرة سيناء؟ ومن الجدير بالذكر أن شبه جزيرة سيناء يحتضنها خليجي العقبة من الشرق وخليج السويس من الغرب والذي تقع في منتصف ساحله الشرقي محلة «يم سوف»، وهناك سؤال اخر، اين كان يعيش العمالقة والكنعانيون؟ وهل كانت هذه الأقوام تسكن في السعودية أو ليبيا او اثيوبيا، من اجل ان تاتي لتحارب الشعب الاسرائيلي؟ إن هذه الأقوام كانت تعيش في النقب جنوب فلسطين. وعندما أمر بنو إسرائيل من قبل المولى بالانصراف الى القفر في طريق بحر سوف، الذي اشارت إليه التوراة عندما خرجوا من مصر ودخلوا البحر، إذ جاء في الشريعة، «**فغرق أفضل جنوده في بحر سوف**» (خر ١٥، ٤).

نحن على يقين ان بحر سوف هو البحر الأحمر بحد ذاته، فمن خلال متابعتنا للرياح الشرقية التي حملت معجز الجراد من صحراء سيناء إلى مصر، كما جاء في التوراة، «**فمد موسى عصاه على أرض مصر فجلب الرب على الأرض ريحا شرقيه كل ذلك النهار وكل الليل. ولما كان الصباح حملت الريح الشرقية الجراد فصعد الجراد على كل ارض مصر**»(خر١٠، ١٣) ومن ثم الرياح الغربية التي ارسلها الله لإبعاد الجراد عن مصر نحو بحر سوف، حيث ذكرت التوراة، «**فرد الرب ريحا غربيه شديده جدا فحملت الجراد وطرحته إلى بحر سوف لم تبق جرادة واحده في كل تخوم مصر**»(خر١٠، ١٩)، فالرياح الشرقية التي جلبت الجراد من صحراء سيناء والرياح الغربية التي حملت الجراد بعيدا عن أرض مصر نحو بحر سوف أكدت ان المقصود ببحر سوف هو البحر الاحمر والقفر هو شبه جزيرة سيناء، وكذلك متابعتنا لمسيرة الخروج التي كانت على محاذاة ذراع البحر الأحمر الغربي اي بمحاذاة خليج السويس والى الجنوب، حيث وصلوا الى منزلة سكوت ورجعوا إلى الأراضي المصرية بعد ان امارهم المولى ثانية الى مصر الى آتم ومن ثم رحلوا ونزلوا عند فم الحيروت التي تقع بين مجدل وبعل صافون على راس خليج السويس. وبعد عبورهم البحر ومسيرتهم ثلاثة ايام في برية شور (آتم) ونزولهم في مرّه ، وبعد ذلك إلى ايليم إلى ان وصلوا الى محلة بحر سوف، ان المدة الزمنية منذ عبورهم البحر الأحمر

(بحر سوف) وحتى وصولهم ونزولهم في موقع يم سوف لا تتجاوز العشرة أيام. فمن غير الممكن أن نتصور أنهم اتجهوا بمسيرتهم داخل الصحراء عند عبورهم البحر، وبعد ذلك رجعوا إلى موقع بحر سوف

فمن هذه المنزلة (منزلة يوم سوف) غادر العبرانيون ساحل البحر الأحمر الذي ساروا بمحاذاته منذ عبورهم بحر سوف، وبداوا بالتوغل رويدا رويدا في داخل صحراء شبه جزيرة سيناء.

الفحوى الضمنية للشريعة الموسوية التي أوحى المولى بها لنبيه موسى، يجب الا نمر عليها مرور الكرام فهي لم تأتِ لحفظ معاني كلماتها وآياتها وسورها وأسفارها. إنما هي تنوير لعقولنا ولأنفسنا كي نتطور ونجد دربنا حتى نصل إلى المعرفة والفهم والذكاء والاستنتاج ومن ثم إلى اقصى درجات الروحانية .



خارطة (٨)، موقع محلة يم سوف

برية سين

المحطة الثامنة

في الخامس عشر من الشهر الثاني للسنة العبرية لخروج بني إسرائيل من مصر، وخلال شهر كامل من خروجهم من رعمسيس قطع بنو إسرائيل بمسيرتهم المواقعَ التالية، رعمسيس، سكوت، اتم، فم الحيروت، مرّة، ايليم، وبحر سوف، إلى ان وصلوا برية سين حيث استغرقت هذه المسيرة شهراً كاملاً. وهذا يعني ان المدة منذ خروجهم من رعمسيس وحتى عبورهم البحر الأحمر عند خليج السويس كانت ما يقارب العشرين يوما، لأن المسافة منذ عبورهم البحر ووصولهم برية سين استمرت عشرة أيام حيث جاء في الشريعة المقدسة، «ثم ارتحلوا من ايليم. وأتى كل جماعة بني إسرائيل الى برية سين» (خر ١٦:١) .

وإذا ما طرحنا أيام السبت الأربع التي تخللت هذا الشهر والتي كانوا يستريحون فيها دون القيام بأي عمل مهما كان نوعه لأن حرمة السبت بقيت محفوظة منذ ان بعث الله ادم أبو البشر وعبر الأذكياء والصديقين، حيث انزلها الرب كوصية في الشريعة المقدسة، وبطرحنا الثلاثة أيام التي استغرقوها في قطع برية شور(اتم) فيتبقى ٢٣ يوماً، اما بخصوص الأيام الثلاث في برية شور، وبحساب المسافة التي قطعوها منذ خروجهم من البحر الأحمر (بحر سوف) ووصولهم الى مرّة، نجد انّ هذه المدة الزمنية مناسبة مع المسافة التي قطعوها عند خروجهم من رعمسيس وخط مسيرتهم الذي سار مع فرع النيل النيلوزي، ثم اجتيازهم الممر اليابس الواقع ما بين بحيرة البردويل وبين البحر الأبيض المتوسط حتى وصلوا الى سكوت، ثم توجهوا غربا في مسيرتهم أي رجعوا من حيث أتوا، حتى وصلوا الى آتـم قرب الإسماعيلية على طرف البرية. هكذا كانت المسيرة خلال الشهر الأول من بدايتها، لأن الله أتاه هذا الشعب ليرجع من حيث اتى، فلم يهدهم الى طريق الفلسطينيين مع انها قريبة، خوفا من أن يندم الشعب اذا ما راوا حربا ويرجعوا الى مصر، وبعد ذلك توجهوا إلى فم الحيروت. إنها عملية حسابية قابلة للإثبات بالبرهان والعقل والمنطق، حيث استغرقت المسافة ما بين كل محطة وأخرى ما يقارب الستة أيام، وذلك لأنهم خلال شهر واحد قطعوا خمسة مواقع منذ خروجهممن رعمسيس وحتى وصولهم الى مدبر سين وهي، سكوتو اتـم، فم الحيروت، مرّه، ايليم.

لقد كان بنو إسرائيل في مسيرتهم التاريخية نحو الأراضي المقدسة لا يعرفون الكلل أو الياس، لأن هدفهم الأول كان الهروب من اعداءهم المصريين، وثانياً الوصول الى الأراضي الكنعانية

(الأراضي المقدسة)، ولا بد من الإشارة هنا الى ان سرعتهم كانت محدودة بسبب تركيبة الشعب المكونة من الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة، وكذلك انعامهم واغنامهم وعتادهم. وجاء في محكم توراته المقدسة، " **ثم ارتحلوا من بحر سوف ونزلوا في برية سين**" (عد ٣٣، ١١).
بعد أن نزل بنو إسرائيل وساروا على شاطئ البحر الأحمر الغربي لشبه جزيرة سيناء كان لا بد أن يتوغلوا في قلب الصحراء ويقطعوا برية سين، حتى يصلوا إلى المكان الذي وعدهم به رب العالمين ألا وهو الأراضي المقدسة لذا ارتحلوا من موقع يم سوف على شاطئ البحر الأحمر ليتوغلوا شبه جزيرة سيناء إلى الداخل ولأول مرة منذ الخروج المعهود من رعمسيس.

اسم برية صحراء سيناء يعني الكثير، حيث يقع في وسط طرفها الجنوبي الجبل المقدس جبل سيناء (حوريب)، ولما كان موسى يرعى غنم يترو حميه كاهن مديان، وعندما وصل إلى جبل الله "حوريب" والذي يعرف ايضا بـ "جبل موسى"، كما جاء في التوراة، "**وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة. فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار، والعليقة لم تكن تحترق**" (خر٣، ٢)، ناداه رب العالمين بالا يقترب وليخلع حذاءه من رجليه لأن الموضع الذي هو فيه ارض مقدسة. واعتقد ان هناك ربط ما بين جمطرة سين = ١٢٠ وبين عدد سنين حياة الرسول الكريم المائة والعشرين.

ان اسم "صحراء سيناء" بالعربية حُرِّفَ من اللغة العبرية "مدبر سين"، اما كلمة صحراء فهي نابعة من الكلمة العبرية "مدبر" المؤلفة من مقطعين الأول مـــد وتعني بالعربية، شاسع وواسع وبر، تعني مساحة من الأرض خالية (صحراء)، اي ان المعنى الكامل لمدبر سين هو البر الواسع الممتد ومن هنا جاءت هذه التسمية بالذات، بينما كلمة "سيناء" بالعربية حرفت عن كلمة "سين" بالعبرية. ان برية سين هي اول برية يصل إليها العبرانيون بعد عبورهم البحر، لأن برية آتـــم تعد تابعة إلى البلاد المصرية حيث كان فرع النيل النيلوزي يخترق جزء من برية آتـــم ليروي جزء من اراضيها وليصب غربي بحيرة البردويل. إن اول منطقه يصلها العبرانيون بعد خروجهم الحقيقي من مصر هي برية سين التابعة لشبه جزيرة سيناء، وذلك بعد عبورهم بحر سوف (البحر الأحمر) ووصولهم الى موقع مـرّه في سيناء.

بعد أن وصل شعب بني إسرائيل الى برية سين اتجهوا الى الشرق منها، حيث نفد المخزون الغذائي الذي كان يحملونه معهم، واصبحوا لا يملكون شيئاً من الطعام، وبدت السيرة لهم كأنها بلا نهاية. فتذمر الشعب الإسرائيلي باجمعه، فنهرهم موسى وهارون بسبب تذمرهم هذا بقولهما، "**في المساء تعلمون أن الله اخرجكم من أرض مصر. وفي الصباح ترون مجد الله لاستماعه تذمركم على الله. وأما نحن فماذا حتى تتذمروا علينا**".(خر ١٦، ٦-٧)

هنا وقد جاء في كتاب عولام هتناخ - ص ١٠٢ ، «ارحلوا من إوايم الى صحراء سين، وصحراء سين تمتد بين ايليم وصحراء سيناء، وبين يم سوف الذي (ورد في التوراة) والشريط الممتد شمال شرق خليج السويس، أبناء إسرائيل وصلوا الى هناك من ايليم بعد شهر من خروجهم من مصر ... وهنا احتج بنو إسرائيل على موسى، عندئذ نزل المن، لكن في الشاطئ الشمال الشرقي لا توجد هناك مراع جيدة، وفي المقابل يكثر هنا نوع من الأشجار على ضفاف الأودية. والتي لها صلة في ظاهرة المن، وفي هذه البرية «مدبر سين» حدثت معجزة طير السلوى.

بعد ان سمع الله تذمر شعب بني إسرائيل في هذا المحلة «سين»، بقولهم الى موسى وهارون انما اخرجتمانا الى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع، فما كان من رب العالمين إلا ان انزل عليهم المن والسلوى، ففي المساء صعدت السلوى وغطت المحلة. وفي الصباح كان سقيط الندى حوالي المحلة، وعندما استفسر الشعب عن هذا السقيط اجابهم موسى انه الخبز الذي اعطاهم الرب ليأكلوا.

لقد كان هذا التذمر الثاني منذ دخولهم صحراء سيناء، حيث كان التذمر الأول في مرّة، اما التذمر الآخر فكان بسبب توغلهم في الصحراء من جديد، ونفاذ الطعام الذي كان معهم، وكذلك إحساسهم انهم يتنقلون في الصحراء من برية إلى أخرى دون جدوى او بارقة امل، ونفذ صبرهم وضاقت انفسهم واشتد غضبهم، واخذوا يكيلون التهم جذافاً ضد رائدي مسيرتهم النبيين العظيمين قائلين وكما ورد في الشريعة المقدسة، «ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأخذ خبزاً للشبع فأنكما اخرجتمانا الى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع».(خر ١٦، ٢)

وقد وجه قادة المسيرة موسى وهارون اللوم الى شعبهما، قائلين لهم، بالأمس القريب فقط كنتم عبيداً عند المصريين واخرجكم رب العالمين من تحت أيديهم. والآن تتظلمون بقولكم، ليتنا متنا في مصر ونحن جالسين على القدور. في الصباح ترون مجد الرب فلتسمعوا تذمركم له، وأما نحن ما نحنا حتى تتذمروا علينا، فالتفت كل جماعة بني إسرائيل نحو البرية، وهنا ظهر مجد الرب في البرية فكلم الله موسى قائلاً، «سمعت تذمر بني إسرائيل، كلمهم قائلاً في العشية تأكلون لحماً وفي الصباح تشبعون خبزا وتعلمون أني أنا الرب الهكم» (خر ١٦، ١٢).

وصف المولى شعب بني إسرائيل بـ «الشعب غليظ الرقبة» كما جاء في الشريعة المقدسة، «قل لبني إسرائيل، انتم شعب صلب الرقبة. إن صعدت لحظة واحدة في وسطكم أفنيك» (خر ٣٣، ٥)، إنه شعب يريد ان يحصل على كل شيء، دون تعب او صبر، إنه يتمرد على رسوله

وريه، كيف ان الله اخذ انفسه شعبا من وسط شعب، بتجارب وآيات وعجائب وحرب ويد شديدة وذراع رفيعة ومخاوف عظيمة مثل كل ما فعل الرب الههم في مصر وامام اعينهم لكن عندما ينقصه شيء من نعم الحياة، فإن صبره ينفد ويكفر حتى لأبسط الأسباب. وبما ان الله اختاره من بين شعوب الأرض قاطبة فإنه يعرف سر هذا الشعب وبواطنه، وكيفية مداواته له، والطرق الواجب اتباعها معه. بالوقت الذي يعطيه ما يريد، لكن المولى يحاسبه على اخطائه وافعاله لأنه يمهل ولا يهمل.

المن والسلوى

على الرغم مما صنعه الله لشعب بني إسرائيل حيث حررهم من العبودية وأخرجهم بيد شديدة ليأتي بهم إلى الأرض التي أقسم لآبائهم أن يعطيها لنسلهم من بعدهم، حيث سار أمامهم وعمودي النار والسحاب يدلهسان لهم دربهم، ومع ذلك تذمر أبناء هذا الشعب حانقين صارخين، يا ليتنا متنا عند قدور اللحم في مصر، أخرجتنا لأجل أن تميتنا، فوعدهم رب العالمين أنهم في الليل سيأكلون لحما، وفي الصباح سيأكلون خبزا. حيث قال الله لموسى، «ها أنا امطر لكم خبزا من السماء! فيخرج الشعب ويلتقطون حاجة اليوم بيومها. لأمتحنهم، أيسلكون في ناموسي أم لا؟ ويكون في اليوم السادس أنهم يهيئون ما يجيئون به فيكون ضعف ما يلتقطونه يوما فيوما». (خر ١٦، ٤-٥)

ففي المساء كانت تصعد طيور السلوى من البحر وتغطي مساحات كبيرة حول المخيم الذي يعسكر فيه الإسرائيليون في برية سين، والسلوى هو طير يشبه البط بحجمه ناصع البياض، كان يصعد من البحر الأحمر وعلى مرأى أعين الشعب الإسرائيلي ليغطي جميع محلاتهم. وفي الصباح كان سقيط الندى يتواجد حوالي المحلة، وما أن يرتفع الندى وإذا على وجه البرية شيء دقيق مثل القشور كالجليد على الأرض. وعندما تساءل بنو إسرائيل عن المن فيما بينهم، «من هو» لأنهم لم يعرفوا ما هو. فمن أجل هذا السؤال اطلقوا على هذا الخبز اسم «المَن» بتضخيم حرف الميم. كما قال موسى، «هو الخبز الذي أعطاكم الله لتأكلوا» (خر ١٦، ١٥)، وهو كبذر الكزبرة أبيض اللون، وطعمه كرقاق بعسل. وكانوا يلتقطونه قبل بزوغ الفجر، وإذا ما طلعت الشمس كان يذوب. وكان يلتقط الواحد منهم حسب أكله، وإذا ما أكثر منه إلى الصباح كان ينتن ويتعفن، أما في اليوم السادس التقطوا خبزا مضاعفا من أجل عطلة السبت فلم ينتن أو يتعفن. والمن الذي امطره المولى كان هبة الله من السماء، والسلوى التي صعدت من البحر الأحمر وغطت المحلة كانت هبة الله أيضا. كل ذلك من أجل تغذية شعب بني إسرائيل الذي فقد مؤنه أثناء مسيرته وخلال شهر واحد بعد خروجهم من مصر.

ذكر كتاب عولام هتناخ ص ١٠٢ يقول، «بعد قصة الاحتجاج على نقص المياه في الصحراء، جاءت قصة الاحتجاج على نقص الغذاء في صحراء سين، الشعب احتج هنا أمام موسى وهارون أنكم اخرجتمونا من مصر، حيث كانوا يجلسون حول القدور، والآن يتوقعون الموت جوعا، في رد المولى على احتجاجات الشعب هذه، يجمع قصتين معا، قصة السلوى وقصة المن، والتي ترد على الاحتجاج ثنائي، الرب عندما احتجوا قائلين أنهم كانوا يجلسون حول قدور اللحم، أرسل لهم المولى السلوى، ولما احتجوا قائلين أنهم كانوا يأكلون الخبز حتى يشبعون، أرسل لهم المولى المن».

لقد كان المن والسلوى طعام الإسرائيليين خلال سنوات التيه الأربعين حتى وصلوا إلى الأراضي الكنعانية. فاخذ هارون قطعة من «المَن» ووضعها امام الله في الهيكل أمام تابوت العهد لحفظها لترى اجيال بني إسرائيل الخبز الذي أطعمه الله إلى أبناء الشعب الإسرائيلي اثناء مسيرتهم في التيه، وكان هذا بناء على أوامر رب العالمين، حيث جاء في الشريعة: **«خذ قسطا واحدا واجعل فيه ملء العمر منا، وضعه أمام الرب للحفظ في أجيالكم»** (خر ١٦-٣٢) .



خارطة (٩): موقع برية سين

دفقة

المحطة التاسعة

خرج العبرانيون من «برية سين» متابعين رحلتهم في اتجاه الجنوب الشرقي من موقعهم الذي كان ينزلون فيه «يم سوف» حتى وصلوا الى المحطة التاسعة «دفقه»، ان اسم «دفقه» وكما وصفه الباحث السامري مرجان الأسعد في شرحه للسفر الرابع (العدد) بقوله « دفك لبم» وتعني بالعربية أصاب قلوبهم بالصميم، ولهذا المعنى قيمته الاسمية والموضوعية ، ولقد أُطلق على هذه المحلة اسم دفقة لأن قلوبهم أُصيبَت بالصميم كما اورد الباحث مرجان اسعد في تفسيره لكلمة دفقه، وذلك عندما علمت شعوب الأرض بما حصل لشعب بني اسرائيل في البحر الأحمر حيث انشق البحر ووقفت اللجج يمنة ويسرة الأمر الذي أخاف الدول الشرقية المجاورة وحرّض العمالقة للقدوم لمحاربة هذا الشعب في عقر سكنه.

ويُعتقد ان موقع محلة دفقة موجود في المكان المعروف الآن بوادي المغارة ما بين البحر الأحمر و رفيديم، حيث يتوفر الماء هناك لأن هذا الوادي تجري فيه العديد من الجداول الصغيرة، إذ لم يَشْتَكِ الشعب من قلة الماء او عدمه في هذه المحطة. و بعد ان اتجهوا من بحر سوف الى الشرق متوغلين داخل الصحراء ليقطعوا برية سين كان لا بد من توجههم الى الجنوب الشرقي والنزول في هذا الموقع للاستراحة بعد عناء رحلة برية صحراوية. انّ هذه المسيرة لم تكن بمحض اختيارهم وإرادتهم، بل لانهم مسيرون فيها وليسوا مخيّرين، لأن الله هو القائد الحقيقي لهذه المسيرة، حيث كان يتجلى بعمودي نار وسحاب ليلاً ونهاراً، وهما اللذان حددا لهم وجهة هذه المسيرة والمكان الذي سينزلون فيه، ومدة إقامتهم في كل محطة والمكان الذي سيرحلون إليه، لذلك لاحظنا أن الوجهة الحقيقية للمسيرة هي إلى الجنوب، والمكان المقصود هو جبل سيناء (جبل موسى) والذي يقع في أقصى الجنوب ويتوسط أولئك الذراعين الذيْن يحتضنا هذا المكان، كما جاء في التوراة، «ثم ارتحلوا من برية سين ونزلوا في دفقة» (عدد ٣٣، ١٢)

انّ العديد من المحطات التي نزل فيها العبرانيون لم يأتِ ذكرها في التوراة إلا مرة واحدة ، ودون الإشارة إلى موقعها الجغرافي او طبيعة مناخها، واذا وُجِدَ فيه ماء ام لا، او المدة التي اقاموها في هذه المنزلة او المحلة، لكن يستطيع الباحث ان يعرف ذلك من اسمها وموقعها بين محطتين مذكورتين في الشريعة المقدسة، ولا بد لاحداها أن تذكرها التوراة بتفاصيل أفضل من الأخرى عندها يستنتج الباحث المزيد من المعلومات عنها بالنسبة إلى ماهية المحطة التي نزلوا فيها وطبيعتها ايضا، على الرغم من أن كل المحطات التي نزل فيها بنو اسرائيل تقريبا ذات مناخ صحراوي.

إنّ نزول بني اسرائيل في محلة دفقة والرحيل عنها تمّ دون أي اعتراض أو تذمر من الشعب الإسرائيلي، وذلك لوفرة الغذاء سواء أكان من المن (الخبز) أو السلوى (اللحم) الذي منّ الله به عليهم، إضافة إلى جداول الماء التي كانت تجري فيها.



خارطة (١٠)، موقع محلة دفقه

الّيــش

المحطة العاشرة

محطة الّيش هي المحطة العاشرة التي نزل فيها بنو إسرائيل أثناء مسيرة التيه، وجاء اسمها في الكتاب المقدس التوراة العبرية القديمة (السامرية) والتي يعود تاريخها إلى ما قبل ثلاثة آلاف وستمائة وتسعون سنة خلت «الّيش»، بينما ورد اسم هذه المحطة في التوراة النسخة اليهودية «الوش» والتي تعود أقدم نسخه خطية منها إلى ما قبل ألف سنة فقط حيث تم استبدال حرف الياء في التوراة السامرية بحرف الواو في التوراة النسخة اليهودية، فماذا يعني كل من الاسمين؟ إن اسم الّيش كما ورد في التوراة السامرية مركب من مقطعين، ال - يش، (ال) وتعني بالعبرية الله، (يش) وتعني موجود، أي ان الله موجود معكم في هذا المكان، لهذا أطلق عليه المولى اسم الّيش. كانت المناسبة لإطلاق مثل هذا الاسم عليها؟ عندما سمع بنو إسرائيل ان العمالقة قادمين من المشرق أي من منطقة النقب في الأراضي الكنعانية لمهاجمتهم في عقر منازلهم في جنوب شبه جزيرة سيناء خاف الشعب وارتبك، حينئذ طمأنهم المولى في هذا الموقع، من اجل هذا اطلقوا عليه اسم اليش. ومن الجدير بالذكر ان هذا الموقع يشرف على منطقة جبل سيناء (الجبل المقدس) حيث نزلت الوصايا العشر على سيدنا موسى، ولكن هل للاسم الذي جاء في التوراة النسخة اليهودية «الوش» أيُّ معنى؟

ان شبه جزيرة سيناء التي احتضنت مسيرة التيه لبني اسرائيل لأربعين عاما حوت الكثير من المواقع التي يصعب تحديد مكانها بالضبط بسبب طبيعتها الصحراوية، لكن هذا لا يؤثر كثيرا على تحديد السلك الرئيسي لمسيرة التيه هذه، وإن حصلت بعض الأخطاء فإنها لن تتجاوز بضعة كيلومترات بين محطة وأخرى، فالحقيقة الدامغة والتي لا يمكن إنكارها هي أن للمسيرة من حيث المكان والزمان ووجهتها الرئيسية لا غبار عليهما.

لقد تم الاعتماد في تحديد للمنازل والمحلات التي نزل فيها بنو اسرائيل قبل كل شيء على الكتاب المقدس الشريعة العبرية القديمة (السامرية)، وعلى العديد من المراجع لأولئك الذين تفرغوا ودرسوا وبحثوا في هذا المجال من غربيين وعرب ومستشرقين ويهود وممن زاروا المواقع التي مر فيها بنو اسرائيل أثناء تيههم في شبه جزيرة سيناء، أما المواقع المبهمة فقد تم تحديدها بشكل تقريبي، وبالأخص موقع الّيش، حيث ذكرته الشريعة المقدسة، «وارتحلوا من دفقة ونزلوا في اليش» (عد ٣٣، ١٣)، فمن خلال تفسير اسم هذه المحطة تم تحديد موقعها على وجه

التقريب، إذ انه محصور بين موقعين اثنين وهما دفقة التي رحلوا منها واتوا إلى اليش، والمحطة التي سينزلون فيها آلا وهي رفيديم .

ان موقع اليش ينحصر ما بين محطة يم سوف التي تقع على ساحل البحر الأحمر والتي تتوسط ذراع السويس من اقصى شماله وحتى راس محمد في الجنوب، وبين جبل سيناء (سانت كاترينا) الذي يقع إلى الجنوب الشرقي من هذا الموقع. وبعد ان خرج بنو إسرائيل من يم سوف اجتازوا برية سين المحدودة المعالم، فالعديد من الباحثين والمؤرخين وعلماء الآثار يعلمون ويعرفون موقع برية سين حيث تمرد فيها الشعب الإسرائيلي على موسى وهارون، بعد ان شحت المؤن والمواد الغذائية كما انزل عليهم المولى المن والسلوى لأول مرة فيها، فبعد ان مروا من دفقه ونزلوا فيها، ارتحلوا إلى اليش الواقعة الغرب الشمالي من حدود رفيديم المشهورة تاريخيا ودينيا والواقعة في الجهة الغربية الشمالية من جبل سيناء.

ان أبناء الشعب الإسرائيلي قد ساروا في طرق واضحة المعالم، وهي طرق سلكها من قبلهم البدو الرُحَل الذين يعرفون ويفقهون مثل هذه الطرق اكثر من غيرهم، ومن الطبيعي ان يسلك هذا الشعب الطرق السهلة وغير الوعرة وغير الجبلية، لأن برفقتهم اطفالا و نساء وشيوخا، وبما ان رب العالمين هو رائد مسيرتهم وقائدها فقد تلمس لهم الطرق الأصلح والأحسن، فلم تحصل معهم اية حوادث أو مشاكل تذكر في كل من دفقة واليش وحتى العديد من مواقع التيه الإسرائيلي، لذلك ورد في الشريعة المقدسة انهم نزلوا فيها وارتحلوا عنها، كما لم يات ذكرهم في سفر الخروج، حيث جاء في التوراة، «وارتحلوا كل جماعة بني اسرائيل من برية سين، بحسب مراحلهم حسب تعاليم المولى ونزلوا في رفيديم» (خر١٧، ١).



خارطة (١١)، موقع محلة أليش

رفيديم

المحطة الحادية عشر

رفيديم هي المحطة الحادية عشرة من سلسلة المحطات الاثنتين والأربعين التي نزل فيها ابناء الشعب الإسرائيلي ورحلوا عنها اثناء مسيرة التيه، والتي جرت معظم احداثها في شبه جزيرة سيناء المصرية. وقد اطلقت الشريعة التوراتية السامرية على هذه المحطة اسم «رفيديم». لكن الاسم جاء مغايرا في النسخة اليهودية اي بنقصان حرف «الياء» (رفيدم). اما بالنسبة لما جاء في التوراة السامرية، فالاسم مركب من مقطعين رف- يديم ، رف وتعني بالعبرية كلل أو تعب، يديم تعني بالعبرية ايدي، اي «كلل الأيدي»، وذلك يعني انه عندما قدم العمالقة لمحاربة شعب بني إسرائيل في رفيديم، قال موسى ليشوع: «**انتخب لنا رجالا واخرج حارب عماليق. وغدا اقف انا على رأس التلة وعصا الله في يدي**».(خر ١٧، ٩)، ولما كانت الحرب على اشدها بين الإسرائيليين والعمالقة، كان موسى وهارون وحور يقفون على راس التلة المشرفة على الحرب الدائرة وعصا الله في يد موسى، فإذا رفع موسى يده فإن الغلبة تصبح للإسرائيليين، وإذا أخفض يده فإن الغلبة تصبح للعمالقة، فلما اصاب موسى الإرهاق، وضع كل من هارون وحور حجرا تحت موسى ليجلس عليه وقاما بدعم يديه. وبقيا هكذا إلى ان هزم يشوع العماليق بحد السيف، فامر الرب موسى، «**اكتب هذا تذكارا في الكتاب وضعه في مسامع يشوع. فاني سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء**»، (خر ١٧، ١٤) ، ومن هنا أطلق الإسرائيليون على هذا الموقع اسم «رفيديم» اي «كلل الايدي». لكن ماذا تعني كلمة «رفيدم» التي جاءت في التوراة النسخة اليهودية؟

إنّ الشعب الإسرائيلي كان توّاقا لطعم الحرية، بعد أن ذاق الذل والهوان والعبودية وقساوتها خلال عقود عدة. فبقدرة المولى وعظمته استطاع هذا الشعب ان ينال حريته، وما انتصارهم على العمالقة اعظم قوة في المنطقة إلا تهديد لتلك الأمم التي تنتظر الشعب الإسرائيلي لتنال منه في عقر داره.

ولقد جاء في الشريعة الموسوية، « **ثم ارتحل كل جماعة بني إسرائيل من برية سين بحسب مراحلهم على موجب أمر الله، ونزلوا في رفيديم**» (خر ١٧، ١)، إلا ان رفيديم لم يكن فيها ماء للشرب، فخاصم الشعب موسى قائلين له، «اعطونا ماء لنشرب» فعاتبهم موسى قائلا، لماذا تخاصموني ؟ لماذا تجربون الله ؟ وفي الحقيقة ان الامر في هذه المحلة «رفيديم» مغاير عن

المحطتين السابقتين حيث لم يجدوا ماء للشرب وظما الشعب لقلة الماء، وبدل ان يتريثوا حتى يعالج موسى وهارون الشكلة قاموا بالتذمر عليهم ولم يكتفوا بذلك بل خاصموهم متجاهلين أنهم يسيرون في صحراء قاحلة جرداء، رغم انهم لم يطلبوا من رب العالمين ماء حتى يمنعه عنهم، أو حتى من موسى ليقول لهم لنه ليس هناك ماء، بل بدأوا بالخصام والتذمر مع رسول الله، وكانهم فقدوا إيمانهم بالنجاة من هذه الصحراء، لكن لهذا التذمر عواقب وخيمه ونتائج سلبية، لأنه تعالى أرسل لهم تحذيرا تلو الآخر، لكن الأمر اختلف هذه المرة حيث جاء التذمر من بني إسرائيل اشد واقسى من سابقيه، إذ قالوا لموسى، «لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش». (خر ١٧، ٣)

عندها نفد صبر رسول الله فصرخ إلى الرب قائلا، ماذا أفعل بهذا الشعب، بعد قليل يرجمونني. فطلب المولى سبحانه وتعالى من رسوله موسى، « مر قدام الشعب وخذ معك من شيوخ إسرائيل. وعصاك التي ضربت بها النهر خذها في يدك واذهب. ها انا اقف امامك هناك على الصخرة في حوريب، فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب». وفعل الرسول كما طلب منه مولاه امام عيون شيوخ إسرائيل ودعا اسم الموضع « مسة ومريبة» من اجل مخاصمة بني إسرائيل، ومن اجل تجربتهم لله قائلين « أفي وسطنا الله أم لا ؟ (خر١٧ ، ٥-٧)، وما اصطحاب موسى لشيوخ إسرائيل معه الا ليُعلِمُوا الشعب الإسرائيلي بالذي شاهدوه امامهم، وليؤمنوا بالله وبعطائه السخي للعبرانيين، وأنه لن يتركهم حتى يصلوا إلى ارض الميعاد. ولقد حدّد لنا المولى في شريعته المقدسة موقع هذه المحطة من خلال الآية، « ها أنا اقف امامك هناك على الصخرة في حوريب» حيث تقع هذه المحطة إلى الغرب من جبل سيناء (حوريب) المقدس.

العمالقة

العمالقة هم شعب من سلالة عيسو وهو شقيق سيدنا يعقوب أولاد اسحق عليه السلام، وكان العمالقة يسكنون في منطقة جنوبي النقب ما بين سعير وقادش.

وكانت رفقة والدة يعقوب وعيسو عاقراً، فصلى إسحاق إلى الرب من أجلها، فاستجاب الرب له فحبلت زوجته بتوأم، حيث قال لها الرب: « في بطنك امتان، ومن احشائك يفترق شعبان، شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير.(تك ٢٥،٢٣)، ولقد ولدت رفقة غلامان اسمتهما عيسو ويعقوب فكبرا، وكان عيسو انسان البرية حيث كان يعرف الصيد وكان يُعرَف بأدوم (احمر)، لطلبه من أخيه يعقوب أن يطعمه من طعامه الأحمر، والتي تعني بالعبرية (ادوم).

ولما كان عيسو ابن أربعين سنة اتخذ زوجة له اسمها يهوديت ابنة بانيري الحثي، وبسمة ابنة ايلون الحثي وهما من بنات كنعان، اللتان لم تنالا اعجاب إسحاق ورفقة، ومن اجل ذلك اتخذ عيسو «محلة» ابنة اسماعيل بن ابراهيم زوجة له. فولدت يهوديت لعيسو اليفاز، ثم أخذ عيسو نساءه وابناءه وبناته ومواشيه وكل بهائمه وكل مقتنياته التي امتلكها في أرض كنعان، ومضى إلى أرض أخرى بعيدا عن وجه أخيه يعقوب، لأن املاكهما كانت كثيرة على السكن معاً، حيث جاء في التوراة، «فسكن عيسو في جبل سعير، وعيسو هو أدوم». (تك ٣٦،٨).

واما مواليد اليفاز بن عيسو في جبل سعير هم، تيمان، أومر ، صفوا ، جعتام، وقناز، وكانت «تمناع» سرية لاليفاز بن عيسو حيث ولدت لاليفاز العماليق.

العمالقة شعب ضخام الجثة، طويلو القامة، عريضو المنكبين، لا يضاهي اجسامهم اي شعب من شعوب الأرض، جبارين قساة فتاكين في الحروب، سادوا على جميع امراء أدوم بجبروتهم وباسهم وسلطانهم، وكانت هيبتهم تسبقهم في طول البلاد وعرضها، وما أن سمعوا بقدوم شعب بني إسرائيل إلى الأراضي الكنعانية خاصة بعد انتصار هذا الشعب على اعظم جيوش العالم انذاك وهو جيش فرعون الذي غرق في البحر حتى أصابتهم الدهشة والرهبة خوفا من أن تتزعزع هيبتهم ويفقدوا مكانتهم بين الشعوب حيث جاء في التوراة المقدسة، «إن الدهشة ركبت أمراء أدوم». (خروج١٥، ١٥).

ولكي يحفظ العماليق رهبتهم وهيبتهم على جميع شعوب المنطقة، قرروا محاربة الشعب

الإسرائيلي القادم إلى الأراضي الكنعانية، وفي عقر محلاتهم التي ينزلون فيها. لهذا جاء العمالقة من ارض ادوم مكان سكناهم، والتي سميت بذلك نسبة لأهلها الادوميين، التي تمتد من جبل سعير جنوب الخليل وحتى اراضي النقب، قدموا لمحاربة الإسرائيليين، حيث أتوا إلى رفيديم واعلنوا الحرب على شعب بني إسرائيل هناك، «وأتى عماليق وحارب إسرائيل في رفيديم». (خر ١٧، ٨).

وكانت هذه المعركة الاولى من نوعها التي يخوضها الشعب الإسرائيلي خارج حدود مصر ضد جيش العمالقة، شديدو المراس الذين كانوا ينظرون إلى الناس وكانهم بُغاث، لضخامة وكبر اجسامهم. هذه الحرب هي التي نبّهت العبرانيين الى ان الوصول الى الأراضي المقدسة ليس بالأمر السهل، وسيكون الوصول إليها محفوفا بالمخاطر والمجازفات الصعبة. إنّ هذه المعركة هي التي اعطت لهذا الموقع (رفيديم) اهميته الدينية ومكانته التاريخية.

لقد كان جلُّ اهتمام العمالقة في أن ينالوا شرف الانتصار على الشعب الإسرائيلي، الذي اهتز العالم باسره لمساعدة الرب له ووقوفه بجانبه، والذي صنع المعجزات والأيات والأعاجيب لأجله، لذلك قاموا بتجهيز جيش ضخم، وتحركوا به من ارض ادوم متجهين الى رفيديم، الواقعة الى الغرب من جبل سيناء والتي تبعد عنه بضعة كيلومترات فقط، وساروا مخترقين النقب متجهين إلى الجنوب الشرقي حتى وصلوا إلى موقع قادش برنع، ثم اتجهوا بمسيرتهم في طريق الاموريين حتى وصلوا إلى الطريق المعروفة بطريق جبل سعير التي تقع على ساحل خليج العقبة الغربي، ثم اتجهوا إلى الشرق مخترقين برية سيناء التي تشرف على محلة رفيديم، ووصلوا إليها وكلهم امل ان النصر سيكون حليفهم، لكنهم عندما وصلوا محلة رفيديم كانوا منهوكي القوى، ونفذت المؤن منهم، فطول المسافة ارهقهم والظما انهك اجسادهم، وشدة الحرارة في الصحراء أضعفت قوتهم.

ولما علم العبرانيون ان العمالقة قادمين لمحاربتهم، طلب موسى الرسول من يشوع بن نون القائد الإسرائيلي أن ينتخب رجالاً ليخرج ويحارب العماليق، كما جاء في التوراة على لسان موسى، «انتخب لنا رجالا واخرج حارب عماليق. وغدا اقف على راس التلة وعصا الله في يدي». (خر ١٧، ٩)

ودارت معركة حامية الوطيس بين الجيشين، جيش إسرائيل احفاد سيدنا يعقوب الذي يحارب عن عقيدة وإيمان بمساندة رب العالمين وموسى الكليم، وجيش العمالقة احفاد عيسو، الذي يحارب بعقيدة الجبروت والطغيان وسلطان الظلم والفتك. ووقف سيدنا موسى على رأس التلة

المشرفة على المعركة وعصاه بيده وكان معه هارون شقيقه وحور، حيث ورد في التوراة، «وكان اذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب، وإذا خفض يده أن عماليق يغلب. فلما صارت يدا موسى ثقيلتين، اخذا حجراً ووضعاه تحته فجلس عليه». (خر ١٧، ١١-١٢) فكلما رفع موسى يداه كانت الغلبة للعبرانيين وكلما ثقلت يداه وانخفضتا كانت الغلبة للعماليق ، فدعم هارون وحور يديه، فظلت يداه ثابتتين حتى غروب الشمس، الى ان هزم يشوع العماليق وقومه بحد السيف، ومحى الله ذكر هذا الشعب من تحت السماء لأجل شعبه المقدس وطلب من سيدنا موسى ان يكتب هذا تذكاراً في الكتاب،« اكتب هذا تذكارا في الكتاب وضعه في مسامع يشوع. فإني سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء». (خر ١٧، ١٤).

ولقد بنى موسى مذبحاً لانتصار العبرانيين على العمالقة وسماه «شيما ناسي» أي (الله المنتصر). وعلى اثر انتهاء المعركة وانتصار العبرانيين على العمالقة، طلب الله من نبيه موسى أن يسجلها من اجل الذكرى، فقد محى الله ذكر العمالقة من العالم لأجل هذه المعركة.

لقد تناول علماء السامريين وحكمائهم هذه المعركة التي دارت بين جيش إسرائيل بقيادة موسى بن عمران وبين العمالقة، بملاحم شعرية من خلال مؤلفاتهم العديدة، نذكر منها، الكاهن اهارون بن منر بن العازار الذي عاصر القرن الثالث عشر للميلاد، وكذلك العازار بن فينحاس بن يوسف الذين عاش في القرن الرابع عشر للميلاد، حيث وصفوا هذه المعركة باللغة العبرية القديمة، باجمل الأوصاف التي يرتلها الشعب السامري بأجمل الأصوات خلال الأعياد في كل عام في الكنائس السامرية، واصفين من خلالها كيف كان موقف الجيشين المتعادين مقابل بعضهم البعض، حيث ابتدات حربهم بمعركة كلامية بالتخويف والإرهاب ، وهكذا حصل بين قائدي الجيشين، يوشع بن نون الذي اختاره موسى، والعملاق رئيس جند العمالقة. وهذا اقتباس من الملحمة الشعرية التي الفها وحيد عصره الكاهن اهارون بن منر:

العملاق: من أنت حتى تحارب رئيس المتمردين.

يوشوع: أنا يوشوع رئيس المثقفين.

العملاق: انظر إلى صورتي كل شعبي مثلي يذبحون الى الشياطين.

يوشوع: وجوهنا طاهرة نؤمن بنبوة موسى.

العملاق: يوشوع ، رأيت عصافير يلاحقون الصقور، كيف يكون هذا.

يوشوع: إن كنت انت الصقر، ها هو النسر الكبير(موسى) يقف على رأس الجبل يفتح يديه.

العملاق: أنا بن اليفاز بن عيسو الذي كان صيده في فمه.

يوشوع: أنا بن نون بن عدن بن شوتالح بن افرايم بن يوسف رئيس الرؤساء.

يترو كاهن مديان
(شعيب)

ينتسب المديانيون إلى مديان بن ابراهيم عليه السلام. فعندما كانت ساره زوجة إبراهيم عاقراً قالت ساره لإبراهيم «هوذا الرب قد امسكني عن الولادة. ادخل على جاريتي لعلي ارزق منها بنين» (تك ١٦، ٢) فسمع ابراهيم لقول سارة، واتخذ من جاريتها المصرية هاجر زوجة له بعد عشر سنين من اقامته في ارض كنعان، فحبلت وقال لها ملاك الرب كما ورد في الشريعة المقدسة، «ها انت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل، لان الرب قد سمع لمذلتك» (تك ١٦، ١١).

وبعد ثلاث عشرة سنة افتقد الله سارة، فحبلت وولدت لإبراهيم ابنا في شيخوخته واسماه إسحق، وختن ابراهيم إسحق وهو ابن ثمانية ايام كما امره الله. وكان إبراهيم حينها ابن مئة سنة، ولقد ماتت سارة في قرية كريات اربع في حبرون (الخليل) في ارض كنعان، ودفنت في مغارة الكفيلة.

وعلى إثر وفاة زوجته ساره تزوج إبراهيم عليه السلام من قيطورة، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا، حيث أعطى أولادها الهدايا وصرفهم عن ابنه اسحاق إلى الشرق، والمقصود بالشرق هنا أي ما وراء البحر الميت من ناحيته الشرقية. فالمديانيون هم من سلالة إبراهيم عليه السلام (مديان)، وكان احد كهنتهم يترو (النبي شعيب)، وكانت إقامتهم إلى الجنوب من وادي الأردن ووادي موسى حتى خليج العقبة. وعندما غزا ملك الادوميين هداد بن بداد بلاد المديانيين الذين كانوا يسكنون في بلاد المؤابيين كسرهم هناك وانتصر عليهم، وانتقل هؤلاء المديانيون إلى الجنوب وسكنوا جنوب النقب على ساحل خليج العقبة الغربي وكانت مضاربهم من طابا وحتى موقع «دي ذهب» .

ولقد ورّث ابراهيمُ إسحق كل ما كان له، وأما السراري (الجواري) اللواتي كنّ لإبراهيم فاعطاهم هدايا وصرفهم عن اسحق ابنه إلى ارض المشرق، «وكان بنو مديان عيفة وعفر وحنوك وابيداع والدعة».(تك ٢٥، ٤)

وبعد ان علم يترو كاهن مديان بكل ما صنعه الله لموسى ولشعبه الإسرائيلي، حيث اخرجهم الله من مصر ظافرين ونصرهم على العمالقة، اصطحب يترو معه صفورة زوجة موسى، وولديه جرشم واليعازر متوجها إلى العبرانيين في رفيديم.

يعتقد الكتاب والباحثون ان يترو (النبي شعب) هو والد صبورة زوجة موسى بن عمران، لكن في الحقيقة نسب كاهن مديان (يترو) مع الرسول موسى بن عمران هو كنسب شقيقها وليس والدها، وذلك استنادا على الوقائع التالية، ان كلمة حماه بالعبرية لها معان عدة منها، الزوج، والد العروس، وشقيق الزوجة، ومعان أخرى، حيث جاء في الشريعة «**إنك عريس (ختن) دم لي**» (خر ٤، ٢٥)، وكذلك حين خاطب الرسول حوباب بن رعوئيل طالبا ان يصطحبه،» **وقال موسى إلى حوباب بن رعوئيل المدياني حما(ختن) موسى**» (عدد ١٠، ٢٩)، ولا شك ان والد صبورة هو رعونيل كما دونته التوراة « **فلما أتين إلى رعوئيل ابيهن**» (خر ٢، ١٨)، وعندما اشارت الشريعة إلى أن يترو سيصحب معه صبوره ووليديها جاء في التوراة « **وأخذ يترو حما موسى صبورة زوجة موسى**» (خر١٨، ٢) ولم تقل الشريعة ابنة يترو بل قالت زوجة موسى. بالإضافة إلى فرق عشرات السنين ما بين يترو شقيق صبورة وبين رعونيل والدها كما أشارت الشريعة المقدسة. فمثلا عندما اتى موسى إلى رعونيل والد صبورة كان عمر موسى ٢٠ سنة. ولما ترك موسى ارض مديان لتحرير شعبه من عبودية فرعون مصر كان ابن ٨٠ سنة. والسؤال الذي يطرح نفسه ألم يتغير كاهن مديان خلال الستين عاما؟ اذن صبورة هي شقيقة يترو وليست ابنته، ويؤيد ذلك إخواننا الدروز على اعتبار ان النبي شعيب (يترو) لم يتزوج لينجب صبورة زوجة موسى او غيرها من الأخوات وذلك حسب ما نصت عليه الديانة الدرزية، (**بحث كتب بهذا الشأن في جريدة أ.ب السامرية**).

ولقد كان يترو يسكن في برية فران، ولكن موقع هذه البرية يتناقض مع ما يعتقده العديد من المؤرخين والباحثين الذين يقولون أن للديانيين كانوا يسكنون في الساحل الشرقي لخليج العقبة (غربي المملكة العربية السعودية)، والدليل على ذلك انه حين ارتحل العبرانيون من **جبل سيناء** والذي يقع في جنوب شبه جزيرة سيناء، نزلوا في **قبروت هتأوه** التي تقع في برية فاران. وهاتان المحطتان موجودتان في الجانب الغربي لخليج العقبة ويتوسطان ما بين إيلات (خليج العقبة) من الشمال وحتى مضائق تيران في الجنوب، بأبعاد مختلفة عن شاطئ الذراع الغربي للعقبة، وليسوا موجودين في الجانب الشرقي من هذا الخليج.

ولما خرج بنو إسرائيل من برية سيناء وجاؤوا الى برية فاران التقى سيدنا موسى هناك بشقيق زوجته، «حوباب بن رعوئيل المدياني» وطلب موسى منه ان يصطحبه إلى الأراضي المقدسة قائلا له، « **اننا راحلون إلى المكان الذي قال الرب أعطيكم إياه اذهب معنا فيحسن إليك لأن الرب قد تكلم عن إسرائيل بالاحسان**» (عد١٠، ٢٩) فرد عليه حوباب بن رعونيل، بلغة الجمع وليس بلغة المفرد، بالا تتركنا انك تعرف منازلنا في البرية، تكون لنا كعيون. مما يؤكد لنا أن حوباب يمثل احد افراد المديانيين، الذين يسكنون في هذه البرية بقوله لا تتركنا، لان الرسول كان يكلمه بين مساكنهم في برية فاران.

ولقد تم تحديد موقع برية فاران، عندما كان سيدنا موسى يرعى غنم يترو حمية كاهن مديان، فساق الغنم الى ما وراء البرية إلى جبل حوريب، حيث ظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط العليقة، اي ان حدود هذه البرية البحر الاحمر (الذراع الشرقي) من جهة الشرق وبرية سيناء من الجهة الغربية. وهكذا كان عندما رعى موسى غنم يترو، فساق الغنم إلى وراء البرية، وكان لا بد له ان يصل إلى جبل حوريب (جبل سيناء) ، وهذا إثبات آخر لأولئك الذين يقولون ان جبل سيناء يقع في منطقة شمالي صحراء سيناء، القريب من وادي مصر (وادي العريش)، على طريق شور. وهذا يخالف ايضاً راي اولئك الذين يحسبون ان برية سيناء وجبلها يقعان إلى الشرق ما بين رأس محمد وخليج العقبة اي على ذراع العقبة الشرقي، وذلك يعني ان موسى يجب ان يقطع البحر الأحمر في كل مرة يرعى غنم كاهن مديان حتى يصل إلى جبل سيناء، او ان ينتقل هو وانعامه عبر سفن لاختراق البحر الأحمر من اجل أن يرعى اغنامه في جزيرة سيناء، فإذا كانت ارض مديان تقع جنوب جبل سيناء، فذلك يعني ان موسى كان يدور حوالي رأس خليج العقبة، وحتى يصل إلى جبل حوريب (سيناء) يلزمه رعي اغنامه اشهر في كل مرة، فهل يعقل مثل هذا الافتراض؟

ان برية فاران التي يسكنها المديانيون قريبة وملاصقة لبرية سيناء، من اجل هذا قام كاهن مديان «يترو» وزوجة الرسول موسى عليه السلام «صبوره» وابنيها جرشام واليعازر بركوب الحمير من مديان ليخترقوا بها صحراء فاران ليصلوا إلى رفيديم، فاستقبل موسى هناك الكاهن يترو واخبره بكل ما صنعه الرب بفرعون مصر وجنوده من أجل الإسرائيليين، وبكل للشقة التي أصابتهم في الطريق وتخليص الرب لهم، فسُرَّ يترو جداً بما سمع وقال كما جاء في محكم كتابه: «**الان علمت أن الرب اعظم من جميع الالهة لأنه، في الشيء الذي بغوا به كان عليهم**» (خر ١٨، ١١) .

وأثناء نزول يترو ضيفا لدى موسى عليه السلام ، وبينما كان رسول الله يقضي بين الناس كعادته، فيفض مشاكلهم ويعقد المصالحات، ويقضي في المنازعات والخلافات، راه يترو على هذه الحال، إذ كانت اعداد كبيرة من الناس تنتظر دورها لعرض مشاكلها عليه، حينئذ قال يترو لموسى عليه السلام : «**ما هذا الأمر التي أنت صانع للشعب؟ ما بالك جالسا وحدك وجميع الشعب واقف عندك من الصباح إلى المساء**»؟ **فقال موسى لحميه، «إن الشعب يأتي إلي ليسأل الله، إذا كان لهم دعوى يأتون إلي فأقضي بين الرجل وصاحبه وأعرفهم فرائض الله وشرائعه**» (خر ١٨، ١٤-١٧)، فاجابه يترو كاهن مديان، «**انت والشعب الا تكلان من هذا الأمر إنه أعظم منك، ولا تستطيع أن تصنفه لوحدك، فالان اسمع نصيحتي، «كن انت للشعب امام الله، وقدم أنت الدعاوي إلى الله، وعلمهم الفرائض والشرائع، وعرفهم الطريق التي يسلكوها، والعمل الذي يعملونه، وأنت تنظر من**

جميع الشعب ذوي قدرة خائفين الله، أمناء مبغضين الرشوة، وتقيم عليهم رؤساء الوف ورؤساء مئات ورؤساء خماسين ورؤساء عشرات، فيقضون للشعب كل حين، ويكونان كل الدعاوي الكبيرة يجيئون بها اليك. وكل الدعاوى الصغيرة يقضون هم فيها. وخفف عنك نفسك فهم يحملون معك» (خر١٨، ١٩-٢٣).

فسمع رسول الله موسى لكلام حميه، صاحب التفكير السليم والموعظة الحسنة، لأنه راى في هذا الإنسان الكثير من العقلانية والحكمة والتجربة والوعظة، مما جعله كاهنا متمرساً شديد الملاحظة سريع البديهة، واضعا الأمور في نصابها الصحيح، وانسانا مؤمنا، ملما بالفرائض الدينية وبالشرائع السماوية، ولقد علمتنا التوراة من هذا الموقف أن الانسان مهما بلغ من الكمال، حتى وان كان نبياً مثل موسى عليه السلام، لا يستطيع أن يستغني عن أخيه الانسان في المشورة والخبرة والموعظة.

إن مثل هذه القضايا اليومية التي كان يقضي فيها الرسول الصادق الأمين لأبناء شعبه من العبرانيين، هي التي جعلته مشغولاً طوال الوقت. ومن أجل ذلك كان في بعض الأحيان حين يتوجه اليه الشعب بنداء أو تذمر او مخاصمة يصرخ أمام الرب من اجل هذه الطلبات او ذاك التذمر او تلك المخاصمات، لأنه لم يكن لديه الوقت الكافي كي يعالج مثل هذه الأمور برويّة وهدوء.

لقد كان يترو الكاهن المدياني انساناً عظيماً حكيماً صاحب خبرة وحكمة، واثقاً من نفسه، كان لا يسدي النصائح ليثبت أنه حكيما بل يعرض اراءه وافكاره النيرة، فحينما اختتم حديثه مع رسول الله موسى عليه السلام قال له، إن فعلت هذا الامر واوصاك الله تستطيع القيام به وهذا كله بعد إذن رب العالمين، لأنه هو اعظم من جميع الالهة. وإذا اوصاك بفعله وكان كلامي واقعياً ومضمونه مقبولاً، ومستقبله حسناً، فاعمل به، ولا ابغي ان يشغلك كلامي هذا، او افعالك تلك عن السيرة، التي انت بصدد اتمامها وعلى اكمل وجه، والوصول بها إلى بر الأمان.

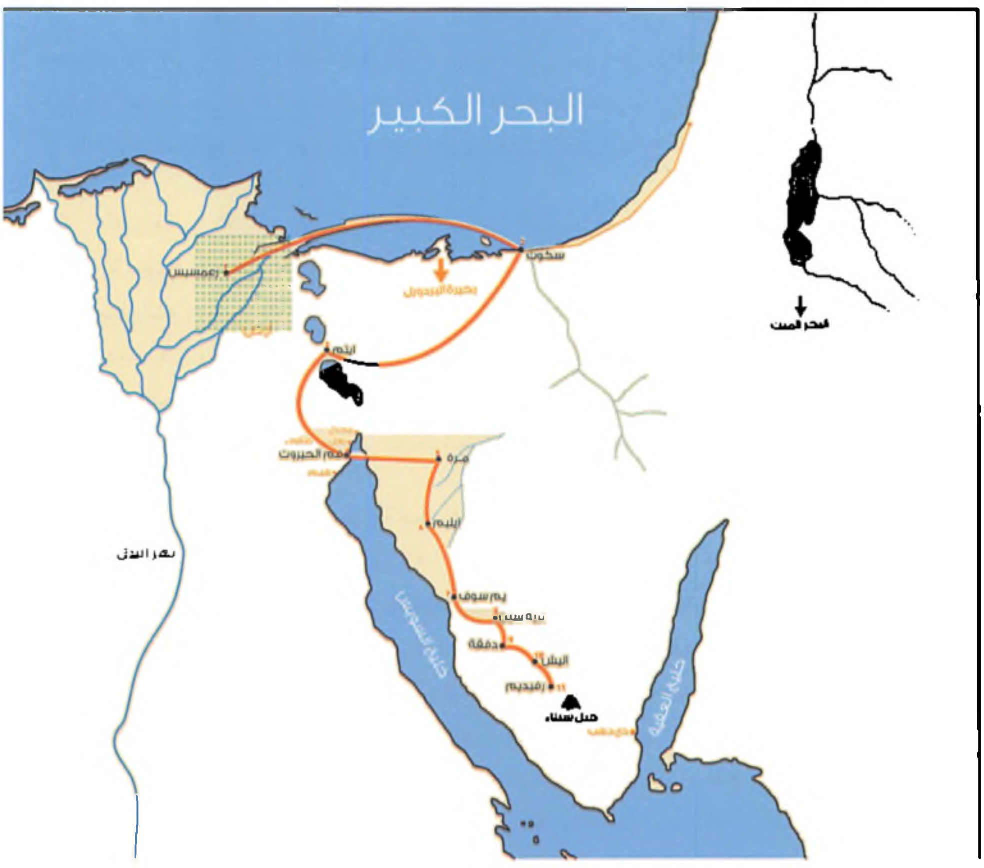
و لقد استرشد رجل الله موسى الكليم بهذا الكاهن الحكيم وعمل بنصحه وارشاداته، فهو مثال للتواضع الذي ملكه موسى بن عمران. اما سر حكمة هؤلاء الكهنة المديانيين يكمن في ان هؤلاء القوم هم شعب من سلالة ابراهيم، ولقد وضحنا هذا في مستهل فصلنا هذا، فعندما صرف إبراهيم ابنائه من السراري[4] اعطاهم الهدايا، والتي كانت من نصيب ولده مديان، فالعصا التي ورثها يترو من سلالة الاذكياء والصديقين ومن ادم عليه السلام الذي اقتطعها من الجنة وحينما طرده المولى من الجنة إلى بلاد الشرق بقيت معه، وسر هذه العصا هو انها مكتوب عليها الحساب الفلكي والكوني والحكمة الزمنية، وليس لها مثيل في الوجود، وهي التي صنع موسى من خلالها المعجزات والاعاجيب، ولقد حصل موسى بن عمران على هذه العصا اثناء مكوثه عند كاهن مديان، قبل أن يستلم النبوة من قبل رب العالمين.

---

[4] الجواري

وكان وجود هذه العصا عند هؤلاء القوم سببا في جعل امرائهم» كهنة مديان» اصحاب معرفة وحكمة وفلسفة في الحياة. وكان والد السيدة صبورة كاهن مديان رعوئيل، قد اعطى ابنته زوجة للرسول الكليم عندما اقام في مضاربهم وعمل راعي غنم لديهم، هذا وبعد وفاة هذا الكاهن نصب ولده يترو كاهنا بدلا منه، ولهذا السبب نجد انه عندما قابل الرسول، حوباب بن رعوئيل في برية فاران اثناء عودته إلى الأراضي المقدسة قرب خليج ايلات (العقبة) لم يناده بلقب الكاهن لأن حوباب لم يكن بالفعل هكذا.

واقتبس كهنة مديان المعرفة وامتلكوا الحكمة، من جراء وجود العصا عندهم، وكذلك المدة التي اقامها موسى خلال الستين عاماً في ديارهم، بالإضافة إلى بيئتهم الصحراوية التي اضفت عليهم صفاء الذهن والذكاء وبعد النظر، وكذلك طبيعة الظروف التي عاشها هؤلاء من حروب طاحنة وظروف قاسية، مما جعل لمثل هؤلاء الكهنة خبرة اجتماعية وفلسفة زمنية وحكمة سياسية.



خارطة (١٢)، موقع محلة رفيديم

الفصل الثالث

جبل سيناء

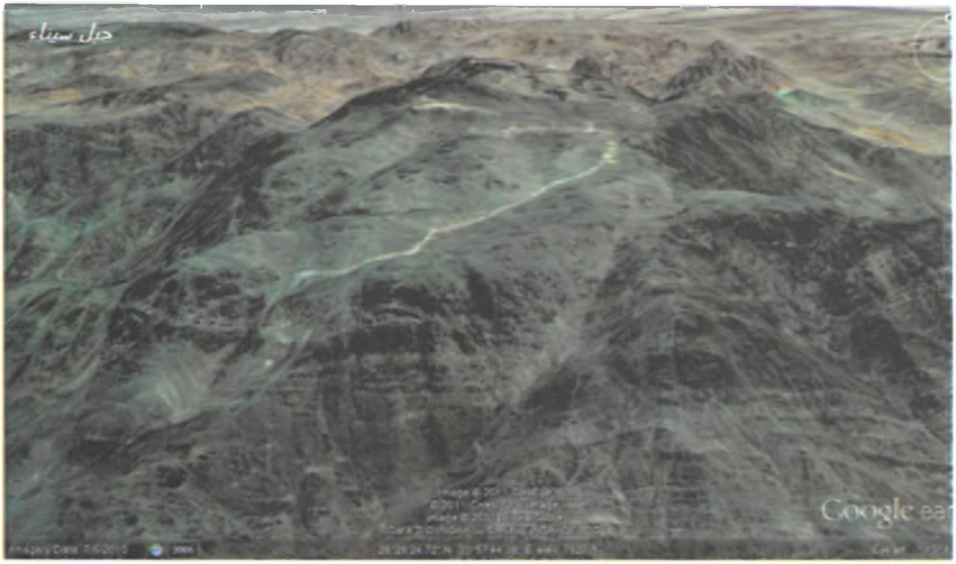
الفصل الثالث

جبل سيناء

المحطة الثانية عشر

ان الموقع الجغرافي لجبل سيناء حددته مسيرة هذا الشعب في شبه جزيرة سيناء، فبعد الانتصار العبرانيين على العمالقة في رفيديم رحلوا من هذه المنزلة ونزلوا في جبل الله (جبل سيناء)، كما جاء في التوراة، « **ثم ارتحلوا من رفيديم ونزلوا في برية سيناء** » (عد ٣٣، ١٥)، اذ يقع هذا الجبل جنوب شبه جزيرة سيناء، تحتضنه ذراعي البحر الأحمر، خليج السويس من الغرب وخليج العقبة من الشرق في وسط المسافة بينهما والى الجنوب من برية فاران. ففي هذه المحطة نزلت التوراة على موسى وكانت حادثة العجل الذهبي كما تم بناء هيكل موسى فيها. ولقدسية هذا المكان وقيمته الدينية والتاريخية ذكرت التوراة المقدسة هذا الموقع خمسا وثلاثين مرة باسم برية سيناء وجبل سيناء، وباسم حوريب سبع عشرة مرة.

ولقد مكث العبرانيون عند هذا الجبل سنة كاملة، حيث جاء في الشريعة، «**في الشهر الثالث بعد خروج بني اسرائيل من ارض مصر، في ذلك اليوم جاءوا الى برية سيناء. ارتحلوا من رفيديم وجاءوا الى برية سيناء فنزلوا في البرية، هناك نزل اسرائيل مقابل الجبل**». (خر ١٩، ١-٢)، كما ورد في التوراة ايضا حين ترك بنو اسرائيل جبل سيناء ، «**وفي السنة الثانية للشهر الثاني في العشرين من الشهر ارتفعت السحابة عن مسكن الشهادة فارتحل بنو اسرائيل في رحلاتهم من برية سيناء وحلت السحابة في برية فاران**» (عد ١٠، ١١-١٢)، المقصود في السنة الثانية هنا لخروج شعب بني اسرائيل من مصر، ويبعد هذا الجبل عن قادش برنع مسيرة احد عشر يوما، كما جاء في الشريعة المقدسة، «**احد عشر يوما من حوريب على طريق جبل سعير الى قادش برنع**» (تث ١، ٢)، وتحيط بهذا الجبل مساحة كبيرة من برية سيناء، وهي مساحة كافية ليعسكر فيها جميع العبرانيون مدة عام كامل. وقد انزل الله الوصايا العشر من على جبل سيناء وأبرم مع بني اسرائيل العهد ليكون الها لهم، وان يكونوا شعبا له، وقد اعطى الله موسى لوحيْ الجوهر والشريعة والوصية من على هذا الجبل، « **اصعد إلي الى الجبل وكن هناك، فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم**». (خر ٢٤، ١٢) .



صورة رقم ٤: صورة جوية لجبل سيناء

ومن خلال هذه المسيرة نجد ان رب العالمين قد حدد في شريعته المقدسة اسم الموقع الذي نزل فيه بنو اسرائيل وارتحلوا عنه أثناء مسيرتهم التيهية هذه. بالإضافة الى عدد الأيام التي مكثوها في كل موقع. وكذلك البعد الجغرافي وكيفية الاتجاه. وإذا ما حصل تذمر أو تمرد، انفراج أو معاناة في هذا الموقع أو ذاك. وكل ذلك حتى تبقى الشريعة المقدسة ذو قيمة دينية قدسية على مر الأجيال في الماضي والحاضر والمستقبل. ولكي لا تشوبها شائبة على مر التاريخ. لهذا نجد أن البحث مازال جاريا لغاية الآن حول قصة التيه رغم مرور آلاف السنين عليها وكأنها وليدة البارحة.

هنا وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس على لسان يوسيفوس: **«أن جبل موسى (جبل سيناء) عظيم الارتفاع ومن المستحيل احد أن يطيل النظر إليه دون أن تؤلمه عيناه لأنه شديد الضوء». ويظن يوسيفوس أن هذه الطبيعة لجبل موسى تجعله أكثر قابلية ليكون الجبل الذي أعطيت الشريعة فوقه. وتوجد اليوم عند جبل موسى أديرة وكنائس، اكتشفت بعض النسخ القديمة من الإسفار المقدسة فيها، وأهمها النسخة السينائية للتوراة في اللغة اليونانية الموجودة الآن في دير القديسة كاترين وقد كتبت في القرن الرابع الميلادي».**

ويفيد اطلس يديعوت احرونوت. ومن خلال ما دونه عبر خريطة سيناء التي تظهر خروج بني اسرائيل من مصر داعما فكرة نزول الشعب الإسرائيلي جنوب سيناء. قائلا: **«الإسرائيليون عرفوا من عهد البيزنطيين فقط، إن جبل سيناء هو بحد ذاته جبل موسى. والذي يقع جنوبي شبه جزيرة سيناء. وكما أن الباحثين في علوم التوراة يؤكدون أن أبناء شعب**

بني اسرائيل عبروا البحر من أقصى خليج السويس الشمالي، وساروا بدربهم عن طريق ساحل البحر الأحمر الشرقي ذراع السويس. الى أن وصلوا الى جنوبي سيناء الى جبل موسى، وبعد موقف جبل سيناء توجهوا الى الشرق الى أن وصلوا الى ذراع خليج العقبة قرب دي الذهب، ومن هناك توجهوا شمالا الى ايلات».

ان جبل سيناء هو جزء من برية سين التي تقع جنوبي برية فاران، وهي تعني الكثير بالنسبة لأبناء شعب بني اسرائيل، فهي المحطة الثانية عشرة من المحطات التي نزل فيها وارتحل عنها الشعب الإسرائيلي، وهي ترمز لعدد أسباط بني اسرائيل الاثني عشر، ان «سين» كلمة عبرية جمطرتها ١٢٠ وهي عدد سنوات حياة الرسول موسى عليه السلام، والذي حرر شعبه من العبودية والاستعباد، اما بإضافة حرف (الياء)على كلمة «سين» تصبح «سيني»، وجمطرة هذا الحرف العبري (الياء)= ١٠، حيث يرمز الى العشرة كلمات (العشرة وصايا) التي نزلت على موسى بن عمران في جبل سيناء، ومن هنا جاءت التسمية العربية لها «سيناء».

امتازت هذه المحلة بأحداث هامة جداً أثرت تأثيرا كبيرا في حياة شعب بني اسرائيل، حيث تم فيها توطيد دعائم النظام الديني لهذا الشعب من قبل المولى، حيث جاء في التوراة، «وقال الرب لموسى، اصعد الي الى الجبل وكن هناك، فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم» (خر ٢٤، ١٢)، ومن على هذا الجبل المقدس تجلّى الرب للرسول الكريم، عندما ناداه من الجبل وطلب منه ان يكلم بني اسرائيل، كما ورد في الشريعة المقدسة ، « هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني اسرائيل؛ انتم رأيتم ما صنعت بالمصريين. وأنا حملتكم على اجنحة النسور وجئت بكم إلي. فالآن إن سمعتم صوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فان لي كل الأرض. وانتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة».(خر ١٩، ٣-٦)، وعاهد العبرانيون الرب على هذا الكلام الذي سمعوه من الرسول الكريم وقال الله الى موسى ها انا آت إليك في ظلام السحاب ليسمع الشعب حينما اتكلم معك، فيؤمنوا بك ايضا الى الأبد، «ثم اعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة (الوصايا العشر)؛ لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله. (خر ٣١، ١٨)، وموافقة الشعب على هذا العهد تمت من هذا الموقع، وعند سفح هذا الجبل جرت حادثة صنع العجل الذهبي، وكذلك زيارة موسى الثانية للجبل وفي رحابه تم إحصاء العبرانيون كل سبط على حده، كما جاء في الكتاب المقدس (التوراة)؛ «وقال الرب لموسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع، في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر أحصوا كل جماعة بني اسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم، بعدد الأسماء، كل ذكر برأسه، من ابن عشرين سنة فصاعدا، كل خارج للحرب في اسرائيل» (عد ١، ١-٣)، وفي هذه البرية تقدس هارون وبنوه، كما ورد في التوراة ،«وتقدم هارون وبنيه الى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء. وتلبس هارون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكهن لي. وتقدم بنيه وتلبسهم اقمصة. وتمسحهم كما مسحت آباءهم ليكهنوا لي. ويكون ذلك لتصير لهم مسحتهم كهنوتا أبديا

في أجيالهم» (خر ٤٠، ١٢-١٥)، ولقد تناولت الأسفار الأربع في الشريعة المقدسة، الخروج، اللاويين، العدد والتثنية قصة التيه وأحداثه لأهميته الدينية والتاريخية في الماضي والحاضر والمستقبل، اذ طلب المولى عز وجل من الشعب الاسرائيلي ان يتذكر دائما وابدا ذكرى خروجه من مصر وتحرره من عبودية فرعونها، حيث جاء في الشريعة المقدسة في سفر التثنية الاصحاح ٦ الآية ٢٠ -٢٣ قائلا، «اذا سألك ابنك غدا قائلا، ما هي الشهادات والفرائض والأحكام التي اوصاك بها الرب الهنا؟ تقول لأبنك، كنا عبيدا لفرعون في مصر، فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة. وصنع آيات وعجائب عظيمة وردية بمصر، بفرعون وجميع بيته أمام اعيننا، وأخرجنا من هناك لكي يأتي بنا ويعطينا الأرض التي حلف لآبائنا».

لقد جاء في التوراة، «القول الى بيت يعقوب وإخبار بني اسرائيل» فماذا قصدت الشريعة المقدسة بذلك؟ إن المقصود ببيت يعقوب هنا سلالة الأسباط الاثني عشر اولاد يعقوب عليه السلام. واما بني اسرائيل هم اللفيف من الساميين والمصريين الذين خرجوا من مصر معهم واندمجوا مع العبرانيين. اي إن بيت يعقوب وبني اسرائيل هنا تشمل الشعب العبري جميعه سواء اكان ابناء يعقوب او غيرهم من الذين انخرطوا مع هذا الشعب من الساميين والمصريين.

وكما جاء في التوراة ايضا، « هناك نزل اسرائيل مقابل الجبل » هنا جاءت ال التعريف على الجبل دلالة على أن المقصود بالجبل هو المكان الأول الذي خاطب به رب العالمين موسى وكان من جبل سيناء (جبل حوريب)، وجاء في الشريعة المقدسة ايضا، « فساق الغنم الى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب» (خر ٣، ١) وذلك عندما كان سيدنا موسى يرعى غنم يترو كاهن مديان، وعندما اقترب الرسول من هذا المكان لينظر في تلك العليقة التي اشتعلت بالنار حيث إنّها لم تحترق قال له المولى، «اخلع حذائك من رجليك، لان الموضع الذي أنت واقف عليها ارض مقدسة» (خر ٣، ٥)، فمن هنا جاء احترام الأماكن المقدسة، اي الدخول إلى الأماكن المقدسة بدون ارتداء الأحذية، وذلك حين جاء موسى واراد الاقتراب إلى هذا المكان «جبل الله» فأمره بخلع حذائه. إن هذا الحدث لهو عبرة لجميع أصحاب الديانات السماوية إذ لابد من الحفاظ على حرمة الأماكن المقدسة سواء كانت كنس او مساجد او معابد او أماكن مقدسة اخرى. إنّ المقصود بـ«الموضع» في الآية اعلاه هو جبل سيناء وكذلك الاية التي قالت « هناك نزل اسرائيل مقابل الجبل» حيث قصد بالجبل هنا جبل سيناء ايضا.

إنّ كلام رب العالمين من على جبل سيناء جاء ليعلم شعب بني اسرائيل ان كل اقوال الرب من فرائض، عهود، شرائع ودساتير يجب حفظها والعمل بها، فمثل هذه العهود هي الرابطة التي قطعها الرب مع ابائهم واجدادهم، وها هو يقطعها مع بني اسرائيل وجهاً لوجه وعن طريق نبي الكون ورسول المحبة، هذا العهد يتمثل بحفظ التوراة والعمل بفرائضها ووصاياها وتعاليمها

نصاً وروحاً دائماً وابداً لتبقى في قلوب ابناء هذا الشعب لتحيي ضمائرهم على السنتهم ليرددوا احكامها واتنقش نفوسهم ولتبقى بين ظهرانيهم، من اجل أن يتقوا الله خالقهم في اعمالهم وخطواتهم.
لقد طلب المولى من العبرانيين ان يحفظوا انفسهم جيداً، وحفظ النفس يأتي بحفظ وصاياه وشرائعه، احكامه ونواهيه التي انزلها رب العالمين على رسوله في جبل سيناء، والتي سمعها هذا الشعب باذنيه، وابصرها بعينيه، وذلك حين جمع الرسول ابناء شعبه ووقفوا جميعهم امام الرب في حوريب، حيث كان الجبل حينذاك يضطرم نارا إلى كبد السماء، فكلمهم الرب من وسط النار ليسمعوا صوته ليهتز العالم باسره دون أن يشاهدوا صورته، وطالبهم في هذا الموقف بالعمل بالوصايا العشر التي انزلها بالواح الجوهر. وتجسدت هذه الصورة باجمل إشكالها في قلوب العبرانيين وباحلى صورها، ولم يحظَ شعب من شعوب الارض قاطبة بما حظي به هذا الشعب، كل ذلك كي لا يعمل هذا الشعب تمثالا منحوتا له على صورة ذكر او انثى حيوان او طير، وحتى لا يرفع عينيه إلى السماء وينظر الى الشمس او القمر ونجوم السماء التي قسّمها الرب لجميع الشعوب التي تحتها ليسجد لها ويعبدها، فالعبادة فقط لرب العالمين خالق السماوات والأرض ولا احد سواه.

عظمة هذا الشعب تكمن بوصوله إلى الأراضي المقدسة وإتباع الفرائض والأحكام التي انزلها رب العالمين في شريعته المقدسة ليعمل بها ويتقيد بنصوصها، كل ذلك حتى يكون الشعب الإسرائيلي مميزا من بين الشعوب، ويكون الرب إلها لهم. فمن يتمعن بكلام المولى لبني اسرائيل يجد انه عرض سخي من قبل الرب لهذا الشعب الذي خلقت الدنيا لأجله ومن اجله، وسيكونون له مملكة كهنة وأمة مقدسة، إن هذا الاختيار والتفضيل والرعاية والتقديس لبني اسرائيل له معانٍ كبيرة وعظيمة، فقول للولى انتم رأيتم ما صنعته بالمصريين وانا حملتكم على اجنحة النسور، لهو صورة واضحة المعالم والأهداف وهي حادثة فريدة من نوعها في تاريخ البشرية حين انتقم الله من شعب لأجل شعب اخر، بعز وكرامة وعلى مشهد ومسمع امم العالم، ليكون ذلك عبرة لتلك الشعوب التي تفكر باعتراض طريق مسيرتهم إلى الأراضي الكنعانية. إن هذا الشعب ليس كسائر الشعوب الأخرى بل هو فريد من نوعه بمعبوده ورسوله، بدينه وتجربته بعاداته وتقاليده، فهو شعب مركب من مملكة كهنة وامة مقدسة، مملكة كهنة على الصعيد الديني وامة مقدسة على الصعيد الدنيوي، ليكون هناك توازن ما بين الأعمال الدينية والأعمال الدنيوية.

لقد كلّم العلي القدير ابناء اسباط اسرائيل الاثني عشر في حوريب وكما جاء على لسان الرسول في عربات مؤاب في اردن اريحا وكما دونتها الشريعة المقدسة في سفر التثنية قائلاً لهم، «كفاكم قعود في هذا الجبل ! تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر، أرض كنعان ولبنان إلى النهر الكبير

نهر الفرات» (تث ١، ٦-٧)، فالمدة التي نزل فيها هذا الشعب في برية سيناء كانت طويلة نسبياً، إذ دخلوها في بداية الشهر الثالث لخروج بني اسرائيل من مصر، وخرجوا منها في العشرين من الشهر الثاني للسنة الثانية للخروج، اي ما يقارب سنة كاملة، «ارتفعت السحابة عن مسكن الشهادة، فارتحل بنو اسرائيل في رحلاتهم من برية سيناء فحلت السحابة في برية فاران» (عد ١٠، ١١-١٢)، كما امرهم المولى بالاكتفاء من الجلوس في هذه المحطة وامرهم بالتحول والارتحال، على أن يكون التحول هنا ايجابي وهدفه الأراضي المقدسة، وعلى اثر هذا التحول والارتحال ياتي دور الدخول، لذلك نجد انهم عندما كانوا في هذه المحلة تحولوا الى جهة الشمال وبشكل عمودي، مارين بعدة مواقع على خط متواز مع خليج العقبة، الى ان وصلوا حدود الأراضي المقدسة إلى موقع قادش برنع.

ولقد اختلف العديد من المؤرخين والباحثين حول تحديد موقع هذا الجبل بالذات، وقد عبّر اطلس يديعوت احرنوت عن مثل هذا الاختلاف في وجهات النظر من خلال خارطة تم توزيعها وقد علّق على هذه الخارطة بقوله، المعروف عندنا فقط من عهد البيزنطيين أن جبل سيناء هو جبل موسى في الجنوب لشبه جزيرة سيناء، وان الرأي السائد بين باحثي الكتاب المقدس يقول،

الرأي الأول: أن بني اسرائيل عبروا البحر في الجزء الشمالي من خليج السويس وواصلوا على طول عمق ساحل سيناء، وتاخروا في برية فاران ومن هناك توجهوا الى الشرق إلى جبل موسى وبعد الوقوف في جبل سيناء توجهوا الى الشرق ووصلوا إلى خليج ايلات قرب دي الذهب، ومن هناك توجهوا شمالاً إلى ايلات.

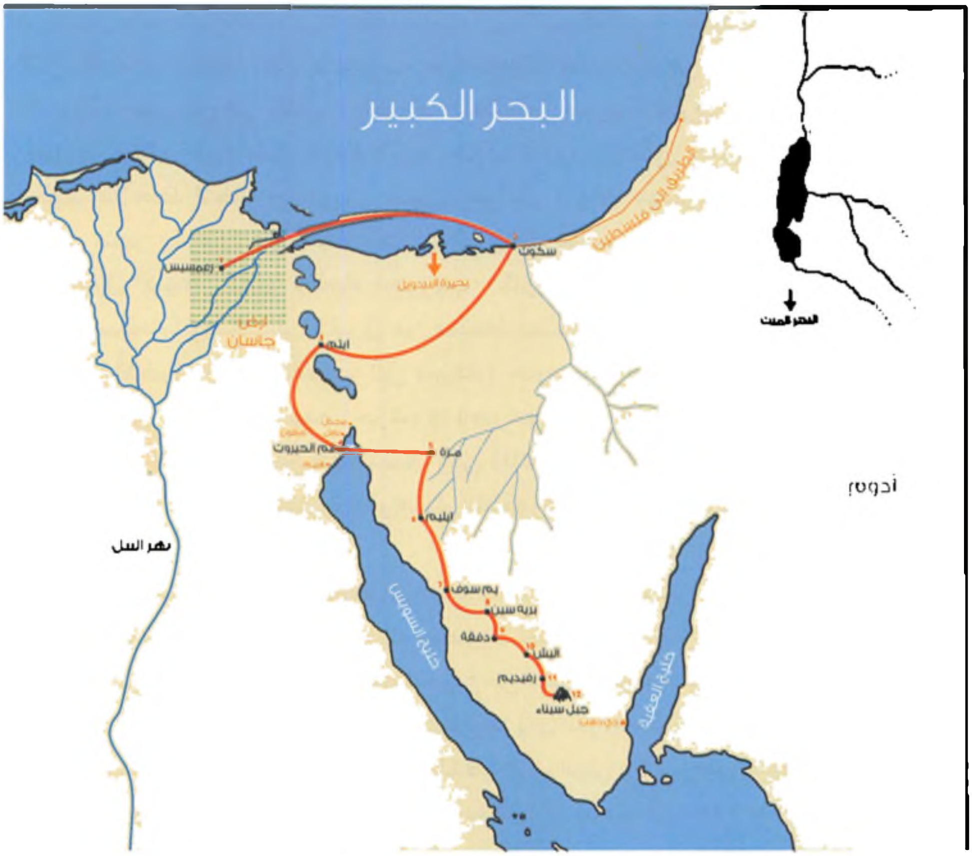
الرأي الثاني، قَطَعَ ابناء اسرائيل البحر في الشمال عندما عبروا الجزء اليابس الضيق والذي يعرف بالبحر السربوني (بحيرة البردويل) من هناك توجهوا جنوب شرقي جبل هليل (جبل سيناء) ومن هناك نزلوا إلى ايلات.

الرأي الثالث: جبل حوريب هو جبل سيناء ليس في جنوب سيناء (جبل موسى) كما وانه ليس في شماله (جبل هليل) انه موجود في الجزء الشرقي من خليج ايلات بين جبال هجاعس التابعة لأرض مديان.

وعلى ضوء آراء الباحثين والكتاب التي دوّنها اطلس يديعوت احرنوت على الخارطة بخصوص مكانة جبل سيناء، فان الرأي الأول اقرب الى الصواب مع بعض التحفظات التي اشرنا اليها سابقا والتي سنبينها لاحقا في حينه.

من السهل جدا على الكاتب أن يدحض ما جاء في الكتب السماوية كيفما يشاء، لكن من الصعب إقناع القراء ان يتقبلوا كل ما يأتي به من معلومات كما ورد في كتاب «خفايا التوراة» ص ٢١١ ، وقد سبق لي في كتاب « التوراة جاءت من جزيرة العرب» (ص ٦٩- ٧٠) تعريف «حوريب» التوراتية بأنها اليوم قرية حارب (حرب) أسفل جبل هادي بتهامة سعير. وسوف نلاحظ لاحقا أن موسى صهر رعوئيل (وهو موسى التاريخي الذي هو غير موسى صهر يترون) مر بالفعل هناك في وقت ما من حياته لكن سنلاحظ قبل ذلك أن «جبل الآلهة» الذي باتجاه «حوريب» كان موقعه باليمن، الى الجنوب الغربي من مدينة صنعاء. وهناك الى الشرق من صنعاء، بمنطقة مأرب، قريتان اسم الواحدة منها حارب، والأخرى (وهي الأقرب الى صنعاء) حارب الغراميش. وأضاف وفي الخروج ٢: ٢٢ أن موسى أنجب ولدا اسمه «جرشوم» (جرشم) وما «الغراميش» (غرمش) في «حارب الغراميش» الا استبدال من هذا الاسم. وفي ذلك ما يجعلني أرجح أن «حوريب» التي نحن بصددها هنا، ما هي إلا حارب الغراميش المذكورة، التي تحمل اسم موسى المزعوم».

إن ما جاء ضمن هذا الكتاب بخصوص حوريب وجرشم وموسى المزعوم والغراميش وحارب مبالغ فيه لدرجة أنه من الصعب تقبله وتصوره. لقد كان تسلسل مسيرة شعب بني اسرائيل في شبة جزيرة سيناء واقعيا بالنسبة للخروج من مصر والتوجه الى شبه جزيرة سيناء، والبعد الجغرافي وأسماء الأماكن والمسافة التي قطعوها بين المنزلة والأخرى وكيفية المسيرة، لكن ما دونه الكاتب حول المحلات التي نزل فيها الشعب الإسرائيلي والتي رحل عنها، واختلاف الاسماء، والبعد الجغرافي هو امر غير واقعي، كما أنه تارة ما يبحث في الموقع وتارة أخرى يبحث في الأسماء ومن ثم ينتقل الى صلة القرابة والى ما شاء من تغيير وتبديل في الشخصيات التاريخية، وكان الكتب السماوية المنزلة اداة طيّعة بين يديه يحرك اسماءها ومواقعها كيفما يشاء. ان العديد من الأمكنة التي جاءت في التوراة اليهودية مغايرة عما جاءت فيه التوراة العبرية، فالتوراة العبرية القديمة التي تم تداولها من قبل الشعب الإسرائيلي قراءة وكتابة لأكثر من ١٣٠٠ سنة، قبل أن يقوم الحاخام اليهودي «عزرا هسوفير» اي قبل ٢٢٠٠ سنة تقريبا بتحويل اللغة العبرية القديمة الى اللغة العبرية الأشورية الجديدة (اللغة اليهودية)، حرم على اليهود التكلم والكتابة باللغة العبرية القديمة. لهذا هناك اختلاف كبير بين التوراتين العبرية القديمة «السامرية» وبين التوراة اليهودية، لكن أن يصل الأمر الى حد القول بأن التيه لم يحدث في شبه جزيرة سيناء بل حدث في أراضي الجزيرة العربية واليمن، فهو مبالغ فيه وعارٍ عن الصحة، وبعيد كل البعد عن الحقيقة.



خارطة (١٣): موقع جبل سيناء

الوصايــا العـــشــر

إن الوصايا العشر هي ركن الدين وأساسه في حياة الإنسان الإسرائيلي، حيث انزلها رب العالمين على نبيه الكليم في جبل سيناء منقوشة بإصبع المولى على لوحيْ العهد، وهما ما ميز الشعب الإسرائيلي انذاك عن سائر شعوب العالم، فلوحي الجوهر كانا وسيظلان الوحيدين في العالم الذين خطهما المولى بيديه، واللذين استلمهما الرسول الكريم من مولاه من على جبل سيناء لينقلهما الى شعبه المقدس، من أجل أن يضعهما في تابوت العهد في الهيكل، فظهور المولى على جبل سيناء جعل منه جبلا مقدسا إذ كان كالشعلة الملتهبة بسبب البروق العظيمة، متمايلا من شدة الرعود القوية، متوجا بسحاب كثيف محيط به، كل ذلك من اجل استقبال المولى بجلالته وعظمته، لكن هذا المشهد العظيم ألقى الرعب في قلب الشعب الإسرائيلي الذي كان واقفا أمام هذا الجبل المقدس. لقد أمر المولى ابناء شعبه أن يتقدسوا ويغسلوا ثيابهم قبل يومين من هذا المشهد الفريد من نوعه في تاريخ البشرية ليكونوا مستعدين في اليوم الثالث لاستقبال الجلالة الإلهية حين ينزل على راس هذا الجبل، ولقد حذر الرسول الكريم العبرانيين من اقتحام الجبل لينظروا ويشاهدوا أو حتى يقتربوا منه فيسقط منهم الكثيرون.

وعند ظهور القدرة الإلهية على راس هذا الجبل، تكلم الله وعلى مسامع جميع ابناء الشعب الإسرائيلي وانزل الوصايا العشر على سيدنا موسى قائلاً، «انا الرب إلهك الذي أخرجك من ارض مصر من بيت العبودية، فلا يكن لك آلهة أخرى إمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك اله غيور افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي، وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي، ولا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لان الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً. واحفظ يوم السبت لتقدسه ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك..... أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب الهك........ لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك........ عند دخولك الأردن تقيم هذه الحجارة الذي موصيك بها اليوم في جبل جرزيم.(خر ٢٠: ١-١٨)

إنّ الوصايا التسع الأولى وردت في التوراة العبرية السامرية في ثلاث سور من الشريعة تماما كما وردت في التوراة النسخة اليهودية، إلا أن السورة الرابعة لم تذكرها التوراة اليهودية بتاتا، والتي يوصي الله شعب بني اسرائيل فيها بإقامة المذبح على جبل جرزيم. أن السورة الرابعة في التوراة العبرية السامرية، سفر الخروج، الإصحاح العشرين، وسفر التثنية الإصحاح الخامس، جاء فيها،

«ويكون إذ يدخلك الله إلهك الى الأرض الكنعانيين التي أنت داخل إليها لتمتلكها فتقيم لنفسك حجارة كبيرة تشيدها بالمشيد. وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس. ويكون حين تعبرون الأردن تقيمون هذه الحجارة التي أنا موصيكم بها اليوم في جبل جرزيم. وتبني هناك مذبحا لله إلهك مذبحا من حجارة ، لا ترفع عليها حديدا. من حجارة صحيحة تبني مذبح الله إلهك. وتصعد عليه محرقات لله إلهك. وتذبح ذبائح سلامة وتأكل هناك وتفرح أمام الله إلهك. ذلك الجبل في عبر الأردن. من وراء طريق غروب الشمس في أرض الكنعانيين. الساكن في العربة. مقابل الجلجال بجانب مرج البهاء مقابل شكيم».

لم يكن رب العالمين الذي جعل جلاله فوق السماوات، لينزل على جبل سيناء في الأرض ويظهر امام جميع بني اسرائيل ويسمعوا صوته، إلا ليثبت للملأ ان هذا الشعب ليس كسائر شعوب الأرض، بل هو شعب ملوكي له خاصية الابن البكر، فهو شعب مقدس ومختار، عليه توكله وبه نجاته وفيه معونته.

ولقد جاء في التوراة، «ولكي لا تقذفكم الارض التي أتى بكم إليها رب العالمين، والتي تفيض لبنا وعسلاً، لتسكنوا فيها، عليكم أن تحبوا الرب إلهكم بكل قلوبكم ونفوسكم وقوتكم، وان تحفظا جميع وصاياه فرائضه وأحكامه وتعملوا بها، فإذا حفظتم وعملتم فيكون ذلك حكمتكم وفطنتكم امام أعين الشعوب. الرب إلهك تتقي، إياه تعبد وبه تلتصق وباسمه تحلف صدقاً، لأنه لا يبرئ من يحلف باسم الرب باطلاً. لقد حذر المولى الشعب الاسرائيلي ان كل من يعمل عملاً في يوم السبت (اليوم السابع) يقتل لان الله خلق الدنيا في ستة ايام واستراح في اليوم السابع، ولربما يتساءل البعض هل يتعب الله حتى يستريح؟ في الحقيقة ان الله اذ يقول كن فيكون، لكن الله كوّن الدنيا في ستة أيام واستراح في اليوم السابع ليكون ذلك عبرة للشعوب وليعملوا حسب الوصية، اذ يجب ان يكون هذا اليوم السابع يوما للصلاة والعبادة فقط، ويجب الانقطاع عن العمل مهما كان نوعه، فالسبت هو عطلة من عند رب العالمين لهذا الشعب الامين وهو عهد بين المولى وأبناء شعبه، فيحفظون السبت لأنه مقدس لهم فمن دنسه يُقتل.

إن بر الوالدين من أهم الوصايا التي انزلها المولى على شعب بني اسرائيل وجاء ترتيبها مباشرة بعد الوصايا المختصة بالذات الإلهية، فالدين الإسرائيلي جعلها وصية يجب حفظها والعمل بها، فاحترام الوالدين واجب اجتماعي قبل ان يكون واجباً دينياً، ويجب على كل إنسان أن يحترم اباه وامه كي تطول أيامه ويهنا في حياته، ولقد حذرنا المولى من عقوق الوالدين او التقليل من شانهما، فكل إنسان سبّ اباه او امه يقتل، حيث جاء في الشريعة المقدسة، «ملعون من يستخف بابيه أو امه».

ومن الجدير بالذكر «احترم اباك وامك»، ان كلمة احترم لفظها بالعبرية كلمة «كبد» والتي تعني بالعربية احترم، وجمطرة حروف هذه الكلمة «كبد» = ٢٦، علما بان جمطرة اسم الجلالة «شيما» = ٢٦، وهذا يعني إن احترام الوالدين يرقى الى مرتبة طاعة واحترام المولى.
ولقد حرّم الله عز وجل قتل النفس، فكل من يقتل نفساً عامدا متعمدا يُقتل، لان الدم ينجس الأرض ولا يُكفر عن الدم الذي سُفك عليها إلا بدم سافكه، كما جاء في التوراة، «ولا تنجسوا الأرض التي انتم مقيمون فيها التي أنا ساكن في وسطها؛ إني أنا الرب أسكن في وسط بني اسرائيل».(عد ٣٥، ٣٣)، وما صراخ الجريمة الأولى في التاريخ حين قام قايين على شقيقه هابيل وقتله، إلا ناقوس مازال يدق في عالم الإنسانية جمعاء.

ومن وصايا المولى ايضا تحريم الزنا بتاتا، لأنه ينجس طهارة الذرية وقدسية هذا الشعب، وإذا ما شاعت فاحشة الزنا في هذا الشعب امتلأت الأرض رذيلة، وفي هذه الحالة لا مكان ليسكن رب العالمين في وسط هذا الشعب، وحكم الزاني في الشريعة القتل لانتزاع الشر من وسط هذا الشعب و يُقتل معه الزانية ومولودها.

إن السرقة هي هدر لحقوق الآخرين بصورة غير مشروعة، ويجب تغريم السارق بخمسة إضعاف قيمة مسروقاته، أما إذا حدث اثناء السرقة ضرب وادى مثل هذا الضرب إلى قتل السارق فليس له دم. «إذا وجد رجل قد سرق نفساً من اخوته بني اسرائيل واسترقه وباعه يموت ذلك السارق فتنزع الشر من وسطك» (خر ٢١، ١٦).
إن شهادة الزور هي الشهادة الكاذبة التي يشهد بها الإنسان ضد قريبه او ضد الآخرين من اجل أن يحرّف القضاء ويبعد التهمة عن المتهم الحقيقي، حيث جاء في التوراة، «فشاهد الزور كمن يزرع الشر في وسط اسرائيل» (تثنية ١٩، ١٩)، وعليه يجب مقاضاته كما نوى ان يفعل لأخيه او للآخرين، وفي ذلك القصاص العادل والمناسب.
إن حسد بيت القريب غير مستحب وممنوع، ويشمل هذا الحسد إن يشتهي الإنسان امراة غيره، عبده، ثوره او حماره وكل شيء لقريبه، فلقد حذرنا المولى من خلال وصاياه العشر بعدم شهوة بيت القريب، وباعتبار ان بيت القريب هو بيتك ولا يجوز شهوته، كما جاء في الآية الشرعية.« وأحبب لأخيك كما تحب لنفسك» (لاويين ١٩، ١٨)، فالله يرزق من يشاء ولا اعتراض على ذلك، بل يجب أن يحمد الإنسان الله ويسبح بنعمه وعطائه.
ولقد تحدثت الوصية الأخيرة عن الجبل المقدس جبل جرزيم، الذي حدد لنا المولى موقعه في عبر الأردن، وراء طريق غروب الشمس في ارض الكنعانيين، مقابل الجلجال، بجانب مرج البها، مقابل شكيم (نابلس)، وجاء ايضا في سفر التثنية الإصحاح الحادي عشر الآية ٢٩، وفي التوراة العبرية السامرية واليهودية على حد سواء، « وإذا جاء بك الله إلهك الى الأرض التي أنت داخل

إليها لتمتلكها، فاجعل البركة على جبل جرزيم واللعنة على جبل عيبال. أما هما في عبر الأردن، وراء طريق غروب الشمس في ارض الكنعانيين الساكنين في العربة مقابل الجلجال، بجانب بلوط مورة». وليس هذا فقط بل حدد لنا موقع شكيم (نابلس) بين جبلين جبل البركة «جرزيم» الجبل الجنوبي لمدينة شكيم (نابلس) وجبل اللعنة عيبال الجبل الشمالي لمدينة شكيم ، وهناك تعريف لهذا المكان المقدس، فحين احتاز إبراهيم عليه السلام الأرض ووصل الى شكيم حيث كان الكنعانيون يقيمون هناك، بنى للرب مذبحاً هناك. كل هذا التوضيح للمكان من اجل قدسية هذا المكان، لذا امر المولى بإقامة الحجارة الكبيرة وتشييدها بالشيد، وليكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس، و ليُبنى هناك مذبحاً من الحجارة للرب. حيث ورد في الشريعة المقدسة، «حين تعبرون الأردن تقيمون هذه الحجارة التي انا أوصيكم بها اليوم في جبل جرزيم»، اما في التوراة النسخة اليهودية تم ذكر جبل عيبال بدلا من جبل جرزيم، كما في الآية التالية: «حين تعبرون الأردن تقيمون هذه الحجارة التي انا أوصيكم بها اليوم في جبل عيبال».(تثنية ٢٧، ٤) والذي يدعو الى التساؤل هنا، كيف يختار المولى جبل عيبال لبناء مذبحه عليه وهو جبل اللعنة تاركا جبل البركة جرزيم ؟ ولماذا اوصى الرب موسى قائلا، «هؤلاء يقفون على جبل جرزيم لكي يباركوا الشعب.... وحتى قوله ...... وهؤلاء يقفون على جبل عيبال اللعنة »(تث ١١، ٢٩-٣٠).

لقد ترددت عبارة «في المكان الذي اختاره الله» عدة مرات في التوراة العبرية السامرية، وذلك خلافا لما ورد في التوراة اليهودية التي ذكرت عبارة « في المكان الذي يختاره الرب» اي بإضافة حرف الياء، وكان المولى لم يختر هذا المكان بعد، ومن الجدير بالذكر ان الآية « المكان الذي اختاره الله» قد وردت اربعة وعشرين مرة في سفر التثنية في الشريعة المقدسة بعد ان بارك المولى جبل جرزيم حيث جاء في التوراة فاجعل البركة على جبل جرزيم (تث١١، ٢٩)

لكن ثمة فرق كبير بين المعنيين، ففي الآية «المكان الذي اختاره الله» المقصود هنا جبل جرزيم جبل البركة، الجبل الذي التجأ اليه يعقوب في حادثة دينا مع ابن ملك شكيم، الجبل الذي بنى عليه ابراهيم مذبحا عندما وصل الى الأراضي الكنعانية، الجبل الذي أراد ابراهيم ان يقرب ولده إسحاق عليه، انه الجبل الذي اقام عليه يوشع بن نون الهيكل عند قدومه الى الأراضي المقدسة، وهو الذي حلم يعقوب عليه بانه رأى سلما ما بين الأرض والسماء والملائكة تسبح عليه صعودا ونزولا، انه الجبل الذي ذكرته الشريعة ثلاث عشرة مرة، وفي كل مرة كان يعرف باسم جديد، للمكان الذي سمي بشكيم، لأنه يقع على كتف هذا الجبل المقدس «جبل جرزيم» الذي يوحي اسمه بمكان القرابين ، المكان الذي تمنى الرسول موسى أن يقف عليه حيث جاء في التوراة، «اسمح لي أن اعبر الأردن لكي ارى الأرض الجيدة وهذا الجبل الجيد الشابه لأرض

لبنان» (عد ٢٠، ١٥)، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ؟ إذا لم يختر للولى للكان المقدس، متى سيتم اختياره؟ ومع ذلك أليس هو المكان الوحيد من بين الأراضي المقدسة والعالم اجمع الذي حدده وجعل عليه البركة؟ الم يات في الشريعة «المكان الذي أعددته».(خر٢٣، ٢٠)، فإذا كان الله قد أعده فلماذا لم يختاره بعد؟

ان الوصايا العشرة التي أوصى بها رب العالمين واسمعها في آذان بني اسرائيل، ليعلموا ويؤمنوا بقدرة وعظمة ووحدانية رب العالمين، هي وصايا ليست بالصعبة أو العسيرة، وليست بعيدة في السماء أو في الأرض، بل هي قريبة بين أيدي الناس ويجب أن يحفظوها ويعملوا بها، فكلمات العهد هذه التي نطق المولى بها أمام شعب بني اسرائيل في برية سيناء تحمل في طياتها الكثير من معاني الحياة وحكمها، وفيها الكثير من الحكم الاجتماعية والفلسفية والروحانية، فهي صالحة لكل زمان ومكان وعلى أساسها يمكن بناء مجتمع سليم خالٍ من الشوائب قائم على الإرشادات الصائبة والتوجيهات الحكيمة، فالشريعة التوراتية المقدسة جاءت كدستور ليس لهداية الأمة الإسرائيلية فحسب بل لهداية العالم اجمع.

حادثة العجل

ومن بين الإحداث الهامة جدا والتي حدثت اثناء مسيرة الشعب العبراني في شبه جزيرة سيناء، والتي اثرت سلبيا على مصير شعب بني اسرائيل عبر تاريخه العريق حادثة العجل الذهبي، إذ كانت علامة وصمة عار على جبين هذا الشعب.

عندما يغيب الراعي عن رعيته تعم الفوضى والارتباك، وتصبح تصرفات الرعية لا تنم عن حكمة او تعقل، وهذا ما حدث اثناء صعود موسى بن عمران الى جبل سيناء بناء على طلب من مولاه لاستلام الواح الجوهر المكتوب عليهم العشرة وصايا، وكان ينتظره أسفل الجبل يشوع بن نون القائد والذي خلف الرسول بعد وفاته، حيث غاب عنهم الرسول في جبل سيناء مدة أربعين يوماً قضاها على الجبل من اجل استلام لوحي الجوهر، مصلياً مسبحاً خاشعاً لله، صائماً عن الأكل والشرب اثناء كل هذه المدة، منتظراً استلام لوحي الجوهر المكتوبين بيد الذات الإلهية وبأحرف من نار، اللوحان من صنع الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين، كما جاء في الشريعة، «**ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة: لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله**». (خر٣١، ١٨)، ولما راى الشعب الإسرائيلي ان موسى تباطا في النزول من الجبل وطالت غيبته، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: « **قم اصنع لنا آلهة تسير إمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه**». (خر ٣٢، ١)، دون أن يعلموا ما السبب الداعي لهذا التاخير، او لربما شيء ما اصابه، حينئذ طلبوا من هارون شقيق الرسول ان يصنع لهم آلهة تسير إمامهم، معتقدين ان مثل هذه الآلهة ستخلصهم من هذه الصحراء القاحلة ومن الإقامة فيها، وبما ان شغلهم الشاغل كان مشاهدة الرسول بينهم، يطمئنهم ويبعث الروح من جديد في ارواحهم ونفوسهم، فانّ مثل هذا الغياب لم يعتادوا عليه من قبل مما افقدهم الأمل في عودته، ودفعهم الى هذا الطلب.

كان لا بد لهارون من ان يتصرف بسرعة وقبل فوات الأوان، لأن الغضب والشر بان على محياهم، ولمع بريق الغضب في اعينهم، الذي ابتدا بقتلهم حور مرافقه الذي كان مفوضا من قبل موسى بتدبير امور الشعب اثناء غيابه، إذ شعر هارون بأنها ما هي الا لحظات حتى يصبح مصيره كمصير حور، ولا يستطيع السيطرة على زمام الأمور، فطلب منهم ان يجمعوا ذهب نسائهم ورجالهم وابنائهم ظنا منه ان مثل هذا الطلب سياخذ منهم وقتاً كبيراً وكافياً لرجوع الرسول واخذ زمام الأمور على عاتقه لمعالجة الموقف، لعله يستطيع ان يهدئ من روع الغضب الثائر الجارف الذي سيطر على هذا الشعب، فقال لهم هارون، «**انزعوا أقراط الذهب التي في اذان نسائكم وبنيكم وبناتكم واتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في أذانهم واتوا بها إلى هارون. واخذ ذلك من أيديهم وصورة بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً** (خر ٣٢، ٣-٤). وبسرعة مذهلة جمع الشعب الذهب، على عكس ما اعتقده هارون، إذ حرص الشعب

الإسرائيلي على جمع الذهب كل الحرص متمسكا به دون ان يفرط به بسهولة، فسرعان ما خاب ظن هارون حين راى ان الذهب قد تم جمعه بسرعة فائقة، حيث وُضع أمامه ليصبح امام الامر الواقع.

إنّ العصبية التي غرق فيها هذا الشعب اصبحت لا تطاق، حيث وصل تفكيرهم حد تنصيب الهة عليهم ومهما كلفهم الأمر ومهما كان نوع هذه الآلهة، لأنهم اعتقدوا ان مثل هذه الآلهة قد تنقذهم من الصحراء، بعد ان نفذ صبرهم لغياب الرسول عنهم، إذ اخذ الأمر يصعب عليهم شيئنا فشينا ويتخذ طابعاً ميؤوسا منه، كل ذلك بسبب تاثير تلك السنين التي قضوها تحت عبودية الفراعنة المصريين والذين كانوا يعبدون الآلهة الحجرية، والشمس والقمر، وبعض أنواع الحيوانات.

«ان انشقاق البحر من اجل عبور الشعب الاسرائيلي ونصب المياه فيه كند، وهدايتهم بالسحاب نهارا والليل كله بنور نار، وانشقاق صخور البرية من اجل اخراج مجاري المياه من الصخور واخرى مياه كالأنهار» هذا ما جاء في الكتاب المقدس (المزمار ٧٨، ١٣- ١٦)، ومع ذلك يتمرد على الرب لأتفه الأسباب ويريد ان يبدله بآلهة أخرى لا نفع فيها ولا شفع، لذا وصف المولى هذا الشعب بالشعب المتمرد **«غليظ الرقبة»**.

ولقد كتب قاموس الكتاب المقدس عن العجل قائلا: **«بسبب نفعه وقيمته عَبَدَته شعوب كثيرة من عبدة الأوثان وكان أبيس من آلهة مصر المقدسة يتخذ صورة ثور صغير، وتنحت تماثيله من الذهب الخالص. ولذلك كان هارون متأثراً بعبادته فصنع تمثالاً لعجل من ذهب ليعبده بنو اسرائيل بعد خروجهم من مصر»**، وفي الحقيقة إنّ هارون لم يصنع العجل الذهبي لتاثره بعبادة «ابيس» الالهة المصرية المقدسة وليتخذ صورة النور عند المصريين، كما ورد على لسان قاموس الكتاب المقدس بل كان قائدا حكيما للشعب الإسرائيلي، طليق اللسان واسع الاضطلاع ، ولقد كان زعيما للعبرانيين في مصر قبل رجوع موسى إليها، ولو كان على إيمانه اي غبار لما فضّله رب العالمين لاصطحاب شقيقه موسى لتحرير شعب بني اسرائيل من أيدي فراعنة مصر وشعبها ولما غفر له رب العالمين فعلته هذه. لقد تولّى هارون منصب قيادة الشعب العبراني قبل الرسول طيلة فترة غيابه، وهو الذي حاز على لقب النبوة من قبل رب العالمين، وكان الساعد الأيمن لشقيقه الرسول، كما ان الرّب في كثير من الحالات كان يوجه كلامه الى الشقيقين معاً، وما تنصيبه ككاهن اعظم لشعب بني اسرائيل لتنتقل سلالة اللاويين الى من بعده، إلّا دلالة على استحالة تأثّره بعبادة العجل. ان الطلب الذي قدمه هارون الى الشعب بجمع الذهب من بيوتهم ونسائهم كان من اجل كسب الوقت أولا، وكذلك الحفاظ على وحدة الشعب حتى يستلم نبي الله زمام الأمور عند عودته من غيبته مع الذات الالهية ثانيا.

لقد وصف الشعب الإسرائيلي العجل الذي تم صنعه من قبل هارون بإلهة اسرائيل، حيث جاء في التوراة: **«هذه الهتك يا اسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر»**(خر٣٢ :٤)، حيث قاموا

بتقديم الذبائح والمحرقات لها وسط هرج ومرج وتناول للمشروبات، متجاهلين كل ما صنعه المولى لهم لأجل تحريرهم من ارض العبودية. فامر الرب موسى بالنزول من الجبل مسرعا، قائلاً له، «اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من ارض مصر زاغوا سريعاً عن الطريق التي أوصيتهم به، صنعوا لهم عجلا مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له. وقالوا له هذه الهتك يا اسرائيل التي أصعدتك من ارض مصر». (خر ٣٢، ٧-٨)

ادرك موسى الرسول فداحة الكارثة التي صنعها هذا الشعب، وان فناء هذا الشعب من قبل المولى اصبح قاب قوسين او ادنى، خاصة بعد تحذير المولى له، «اتركني ليحمي غضبي عليهم وافنيهم فأصيرك شعباً عظيماً بدل هذا الشعب الغليظ الرقبة». (خر ٣٢، ١٠) وكلمة اتركني هنا بمعنى دعني لتخذ قراراً فردياً بفناء الشعب الإسرائيلي، لان المولى يعتبر أن العهد القائم الذي قطعه مع اباء واجداد هذا الشعب ما هو إلا تواصل مع موسى الرسول، لذلك طلب منه ان يتركه يتخذ قرارا فرديا لإفناء الشعب الإسرائيلي لمعاصيه، عارضاً عليه بان يجعله رسولاً لشعب اكبر واعظم منه، وكان المولى يقول له لو لم تكن من طينة هذا الشعب ووسيطه وأمين بيتي لما اعلمتك بما انا صانع بهم.

لقد عبر النبي موسى عليه السلام عما يجيش ويجول بخاطره ، وكأنه يخاطب رب العالمين قائلا، أليس هناك عهد يا مولاي بينك وبين اباء واجداد هذا الشعب، صحيح ان شعبك قد نقض العهد المرة تلو الأخرى وصحيح ان ذنبه هذا أعظم من ان يغتفر، ولك الحق في أن تصنع به ما شئت وما تراه مناسبا حتى وان ادى ذلك الى فناء هذا الشعب لأنه ارتكب معصية كبرى رغم ما صنعته له من ايات ومعاجيز وعجائب في مصر من اجل تحريره، إلا انك كنت قائد مسيرتهم، ومع ذلك ها هم يخذلوك ويقابلون الاحسان بإساءة، متوجين افعالهم الشنيعة هذه وآثامهم الكبيرة تلك بعمل عجل ذهبي مسبوك ليعبدوه، لكن هذا الشعب يبقى الشعب الذي اتخذته الابن البكر، انه شعبك المفضل والمختار وليس هناك شعوبا افضل منه، حتى وان كان الشعب الذي ستصيرني عليه رسولاً شعبا ملائكياً فإني ارفضه ولا ارضاه وما زلت راغب في شعبي هذا مهما كانت مساوئه، لأنه لابد في نهاية الأمر ان يصفح الأب عن اخطاء ابنائه، حتى وان كان هذا الشعب قد اخطا خطا كبيرا وفاحشا لكنني امل ان يكون خطاه هذا نقطة التحول ما بين تاثير العبودية الذي واكبته على مر قرنين من الزمان وبين عبادة رب العالمين الخالصة والمجردة، ولتبقى مصاحبتهم لله الههم والى الأبد يسبحون بحمده وإحسانه عليهم وليذكروا دائماً وأبدا فضل الله عليهم بان أخرجهم وحررهم بالمعجزات التي صنعها خالقهم من اجل تحريرهم من العبودية الفرعونية المصرية. ان الشعب الإسرائيلي يجب ان يبقى ويعيش ليسبّح ويمجد ربه الواحد الأحد من خلال صلواته وتوسلاته، لان الأرض لا يجوز أن تخلوا من مؤمنين موحدين يذكرون العالم اجمع أن هناك آلهة تسكن في السماء هي آلهة اسرائيل القادرة على كل شيء وليس هناك آلهة أخرى سواها.

لقد ملأ الخجل وتأنيب الضمير قلب كليم الله إلا أنّ ذلك لم يثنه عن اللجوء الى رب العالمين مستغيثا عبر صلواته التي رفعها إلى العلي القدير شفة بشفة متوسلا ومتشفعا لولاه بسبب ما ارتكبه أبناء شعبه من معاصٍ قائلا، «لماذا يا رب العالمين يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من ارض مصر بقوة عظيمة، ويد شديدة، لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض... ارفع عن حمو غضبك واندم على الشر (خر ٣٢، ١١-١٢)»، كان موسى الرسول يذكر الله دائما بالعهد الذي قطعه مع آباء هذا الشعب ابراهيم واسحق ويعقوب وكذلك مع شعب إسرائيل لقد حلفت لهم بنفسك وقلت لهم، «أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد.(خر ٣٢، ١٣) ، وكان الرسول يسأل مولاه، هل تذهب كل التجارب التي ابصرها هذا الشعب وكل تلك الآيات والعجائب التي شاهدوها واجتمعت كلها من اجل تحرير شعب اسرائيل سدىً ؟ وهل ستجعل للمصريين يقولون اخرجهم كي يقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض؟ إنك عادل يا صاحب الجلالة والعظمة، فلا اصدق انك قد تترك للمصريين الذين اهانوا وأذلوا أبناء الشعب الإسرائيلي وجعلوهم عبيداً عشرات السنين يهنئون وينعمون بما آل إليه مصير الشعب الإسرائيلي، فارفع يا رب غضبك عن هذا الشعب، اصفح عنه لأنه ما زال متأثر بالعبودية وسلبياتها، فمنذ نشأته وترعرعه الى خروجه من البلاد المصرية وحتى شهور عديدة مضت كان يرزخ تحت وطأة السلاسل الحديدية وفي غياهب السجون. إن العبودية ما زالت تؤثر في كل حركة من حركاته، اتريدهم أن يتحرروا بهذه السرعة؟ امنحهم فرصة اخرى ايها الرحمن الرحيم وسيكونوا مثالا للإخلاص والولاء والوفاء لسدتك الرفيعة، أشفق على هذا الشعب واجعله يتعظ من عِبَر الماضي حتى يكون قدوة للشعوب الأخرى في المستقبل، وإذا لم تكتفِ بكل هذا فهناك ما يخفف وطأة غضبك لتصفح عنه، انه العهد الذي قطعتَه لآبائهم وأجدادهم، وعدتَهم أن تُكثرَ نسلهم كنجوم السماء ويرث ابناءهم الأرض التي تفيض لبنا وعسلاً فيملكون الأرض المقدسة الى الأبد. وامام كل هذا الرجاء من قبل الرسول الكليم موسى، عليه السلام كان لذلك بالغ الأثر عند رب العالمين، حيث جاء في التوراة، « وندم الرب على الشر الذي قال انه يفعله بشعبه» (خر٣٢، ١٤)

نزل الرسول من عند رب العالمين عائداً إلى شعبه وما أن اقترب من المحلة التي ينزلون فيها (برية سيناء)، حتى ابصر العجل الذهبي وما يدور حوله من رقص وهرج ومرج فثار غضب الرسول الكليم عليهم، وكان يحمل بيديه لوحي الجوهر (لوحي الشهادة) الذين استلمهما من رب العالمين فطرحهما أرضا فكُسرا. وما كان منه إلا ان اخذ العجل الذي صنعوه، واحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً ونثره على وجه الماء وسقى بني اسرائيل. فخاطب الرسول الكريم شقيقه هارون أمام كل الشعب معاتبا إياه، ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطيئة عظيمة كهذه؟ اراك نادما مثلهم على صعودك انت أيضا من مصر، ما الذي دفعك لتصنع عجلا

ذهبيا كهذا؟ إنني لن اتقبل منك اي تبريرات واسباب ستسوقها لي. فبسبب فعلتك هذه حمل الشعب باكمله إثما عظيما، لقد كان باستطاعتك أن تخرج من هذا المأزق بالحكمة الدينية والحنكة السياسية وطلاقة اللسان وبروية وحسن تدبير، ولما تملكه أيضا من احترام ومودة منذ ان كنت في مصر وحتى وصولك إلى هذه المحلة. أن هذا الخطاب الذي وجهه موسى لأخيه هارون امام الشعب، ما هو إلا بداية لما هو مقدم عليه تجاه شعبه، وخاصة اولئك الذين قادوا هذا التمرد من أجل عمل العجل، حيث وقف موسى في باب المحلة وقال لشعبه، من للرب فإلي، فاجتمع إليه جميع بني لاوي واستل كل واحد سيفه على فخذه، قائلا لهم اقتلوا كل من شارك في صناعة العجل حتى وان كان اخاك او صاحبك او قريبك، فسقط من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاث آلاف رجل.

وفي اليوم التالي فاتح رسول الله شعبه قائلا، انتم اخطأتم خطيئة عظيمة، لعلي أصعد الآن إلى الرب لأكفر عن خطيئتكم هذه. وهنا توجه موسى مخاطبا مولاه وكان خطابه ينم عن حكمة وصيغة كلها دلالة وثقة ان مولاه في نهاية المطاف سيغفر لهم، حيث جاء في التوراة، «والآن أن غفرت خطيتهم وإلا فأمحني من كتابك الذي كتبت»(خر ٣٢، ٣٢)، وكان رب العالمين يقول لموسى لا تستذل أيها الرسول درجتك عندي أو حتى تمتحنها، ولتعلم ان من أخطأ الي امحوه من كتابي، اما الآن اذهب اهد الشعب إلى حيث كلمتك ولا تلتفت او تُعر انتباها إلى ما انا فاعله بهذا الشعب، لأنه شعبي وانا خبير به ولي طرق خاصة للقصاص منه، والآن سآتخذ واحدة منها، حيث جاءت على الفور الضربة بسبب عبادتهم العجل الذهبي الذي صنعه لهم هارون، وليس هذا فقط فيجب ان تعلموا انه في يوم افتقادي افتقد فيهم خطيتهم حتى تبقى خطاياهم هذه التي ارتكبوها عالقة بهم يحملونها إلى يوم الدين. إنّ رب العباد يغفر الذنوب والمعاصي والخطايا لكنه لا يبرّئ ابراء، ويفتقد ذنب الآباء في الأبناء، وفي ابناء الأبناء وفي الجيل الثالث والرابع، ليكونوا عبرة لمن لا يعتبر للأجيال القادمة.

خيمة الاجتماع

في برية سيناء ومن على جبلها المقدس «حوريب» طلب المولى من موسى ان يصنع له هيكلا مقدساً ليسكن في وسط شعب بني اسرائيل، وذلك عن طريق إقامة خيمة ليجتمع رب العالمين فيها بشعبه، « **كلم بني اسرائيل أن يأخذوا لي تقدمة. من كل من يحثه قلبه تأخذون تقدمتي**» (خر ٢٥، ٢)، موضحاً له كيفية إقامة مثل هذا المسكن مع جميع اجزائه وادواته وانيته مثل الذي أراه إياه رب العالمين من على قمة جبل سيناء، لذا سميت بخيمة الاجتماع. وامر الله موسى أن يقيم هذه الخيمة في أسفل هذا الجبل، ليسكن الله فيها بين شعبه، « **فيصنعون لي مقدسا لأسكن في وسطهم. بحسب جميع ما أنا اريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون**» (خر ٢٥، ٨،٩)، ولقد اطلقت الشريعة الموسوية عليها مسكن الشهادة لأنه كان يودع فيها ألواح الناموس والشهادة، فذلك ما هو إلّا إثبات للثقة الكاملة التي منحها رب العالمين لأبناء شعبه العبرانيين، والتي لم يحظّ بها شعب آخر من شعوب الأرض قاطبة.

من الطبيعي أن رب العالمين يعلم أن الشعب الإسرائيلي بدون قيادة في وسطه قد يتصرف دون مسؤولية وحكمة. فعندما حدّث رسول الله شعبه بجميع اقوال الرب واحكامه تقبّل الشعب هذه الإحكام والشرائع بالإيجاب قائلين سمعاً وطاعة. لكن وما أن غابت قيادته الموسوية، بصعوده الى جبل سيناء من اجل استلام لوحي الشهادة والشريعة والوصية من المولى والتي كتبها الله لتعليم هذا الشعب، اجتمع الشعب على هارون وطلبوا منه ان يصنع لهم آلهة تسير إمامهم، وكانت حادثة العجل الذهبي، وانقلب الشعب رأسا على عقب، متجاهلا الإيمان بالله الواحد الأحد، والمعاجيز والأعاجيب التي راوها بام عينه، واعمدة النار والسحاب و الكثير مما صنعه المولى لهم، لذلك قرر المولى إقامة سكن له في وسط هذا الشعب، كما ورد في التوراة، «**فيصنعون لي مقدس لأسكن في وسطهم.**»(خر ٢٥ ، ٨) ليكون هذا السكن لتذكير الشعب الاسرائيلي بان الله تعالى سيحاسبهم على كل خطئ يرتكبونه، والا سيبقى هذا الشعب معرضا للفناء بسبب سلوكه وتصرفاته التي توحي بأنه شعب غليظ الرقبة.

وهنا امر الله موسى أن يجمع من بني اسرائيل التبرعات، كلٌ بما يحثه قلبه، فالإرادة الإلهية امرت بعمل المسكن فكان لابد من ان إقامة مثل هذا المسكن، لكن حادثة العجل الذهبي الذي كانوا يعتقدون انه سيحل محل الالهة الحقيقية لتسير إمامهم والتي طلب الشعب من هارون صناعتها، هي التي اثرت على مجريات الأمور لهذا الشعب وقلبت موازين اطمئنانه وهدوئه وشعوره بالراحة إلى فوضى وانزعاج وقلق بعد الإقدام على فعلتهم هذه، مما اعاق إقامة خيمة الاجتماع هذه.

وعلى اثر حادثة عمل العجل الذهبي، اصبح وجود الخيمة في وسط المحلة خطرا على الشعب، فاخذها موسى ونصبها خارج المحلة بعيدا عنها ودعاها «خيمة الاجتماع»، فكان كل من يطلب الله يخرج الى خيمة الاجتماع خارج المحلة، كما جاء في التوراة، «وكان جميع الشعب إذا خرج موسى الى الخيمة يقومون ويقفون كل واحد في باب خيمته وينظرون وراء موسى حتى يدخل الخيمة. وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة ويتكلم الله مع موسى، ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد في باب خيمته. ويكلم الله موسى وجها لوجه، كما يكلم الرجل صاحبه».(خر ٣٣، ٨-١١)

وما ان هدأت العاصفة التي دارت حول صناعة العجل الذهبي، وصفح المولى عن ابناء هذا الشعب من اجل الرسول الكريم اكراماً لصلواته وتوسلاته الى المولى، طلب هذا النبي من ابناء شعبه ان يجمعوا منهم تقدمة بما تجود به انفسهم من ذهب وفضة ونحاس وشعر معزه وجلود كباش وانسجه حريرية وخشب من السنط وما شابه وجميع المواد التي طلبها الرسول منهم، فمثل هذه المواد الأولية كانت متوفرة لديهم كامنعة، وكذلك لتوفر معظمها في البيئة الصحراوية الذي كانوا يحلون فيها اثناء مسيرتهم.

بعدما تم تجهيز جميع الأدوات اللازمة لإقامة خيمة الاجتماع اختار رسول الله افراداً ملأ الله روحهم بالحكمة والفهم والمعرفة وكلٍ في حرفته وصنعته للعمل في الذهب والفضة ونقش الحجارة والترصيع ونجارة الخشب، حيث جاء في الشريعة المقدسة: «ودعا بصلئيل بن اوري بن حور من سبط يهوذا، واهولياب بن اخيساماك من سبط دان والذي ملأهما رب العالمين حكمة في قلوبهم ليصنعا كل عمل النقاش والحائك الحاذق والطراز صانعي كل صنعة» (خر ٣٦، ٢)، كما اشترك ايضا في العمل كل انسان حكيم القلب جعل فيه المولى قدرة للمساهمة في عمل المسكن من ابناء هذا الشعب.

فشارك كل حكيم قلبٍ في صنع المسكن، حيث صُنِعَ المسكن من شقق من أبوص مبروم واسمانجوني وارجوان وقرمز صنعها حائك حاذق، وصُنِعَت خيمة فوق المسكن من شقق من شعر معزه، اما الواح المسكن فقد عملوها من خشب السنط أما الحجاب فقد تم صنعه من اسمانجوني وارجوان وقرمز وبوص مبروم صنعه حائك حاذق صنعه بكروبيم وله اربعة اعمدة من سنط وغشّاها بالذهب، ثم عمل أسجفا لمدخل الخيمة على شاكلة انواع الحجاب لكن بأيدي طرازين، وهنا جاء دور بصلئيل، الذي ملأه الله حكمه وبراعة حيث صنع التابوت من خشب السنط ويبلغ طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف، وارتفاعه ذراع ونصف وغشّاه بذهبٍ نقي من الداخل والخارج، وصنع له إكليلا من الذهب حواليه وشبك له اربع حلقات من الذهب على قوائمه الأربع، وصنع عصوين من خشب السنط وغشّاهما بالذهب وادخل العصوين في الحلقات على جانبي التابوت لحمله. ثم عمل له غطاء من الذهب، ووضع على الغطاء كروبين من الذهب

صنعه خرّاطة، ووضعهما على طرفي الغطاء متقابلين واجنحتهما إلى فوق مظللين الغطاء، وصنع المائدة من خشب السنط، وأما الأواني على المائدة صحافها وصحونها وجاماتها وكاساتها التي يسكب بها فصنعهما من ذهب نقي، وقام بعمل المنارة من ذهب نقي صنعها الخراطة مشعبة بسبعة شعب لوزية بعجرتها وزهرها، كما صنع مذبح البخور من خشب السنط، وصنع دهن المسحة مقدساً والبخور العطر النقي صنعه عطار، اما صنع مذبح المحرقة فكان من خشب السنط وغشّاه بالنحاس، وجميع آنية المذبح والقدور والرفوش والمراكن والمناشل والمجامر عملها من نحاس وصنع المرحضة من نحاس.

ومن الاسمانجوني والقرمز صنعوا ثياباً منسوجة للخدمة في المقدس، وصنعوا ثيابا مقدسة لهارون كما أمر الرب، واما الحجاب الرصعة التي كانت على رداء سيدنا هارون والتي تعرف «أوريم وتميم» اي الأنوار المضيئة، والذي يشبه عمل الكمبيوتر اليوم ان لم اقل احدث منه. انظر بحثنا بهذا الشان (جريدة أ. ب. العدد ٨٣٢/٨٣٠ تاريخ ٢٠٠٣/٣/١٦) الأنوار المضيئة هذه كانت على أسماء أسباط بني اسرائيل الاثني عشر، وهي كنقش الخاتم، كل واحد على اسم السبط، ويقال انه اذا ما حدث اي بهتان في لمعان احدها فذلك يعني ان امرا غير مناسب قد حدث في هذا السبط او أحد افراده، وعليه فان على صاحب الكهنوت الأعظم، ان يتخذ المبادرة راسا في التحقيق الفوري مع افراد ذلك السبط، واكتشاف مرتكب الخطا او الفاحشة سواء اكان فرداً أو مجموعة، وعليه اتخاذ الإجراءات ضد مرتكبي الجرائم وللعاصي وتقديمهم للمحاكمة لينالوا عقابهم الذي يستحقونه، حتى يبقى الشعب الإسرائيلي خاليا من الذنوب والمعاصي.

وعند الانتهاء من عمل المسكن والذي صنعه ابناء شعب بني اسرائيل بحسب ما أمر الرب موسى، بدا هذا الرسول بإقامة المسكن، كما ورد في التوراة: «**وفي الأول من الشهر الأول من السنة الثانية لخروج بني اسرائيل من مصر**(خر ٤٠، ١٧)، أي بعد مرور ما يقارب السنة على خروجهم من ارض مصر، حيث اقام موسى المسكن وبسط الخيمة فوق المسكن ثم وضع غطاء الخيمة عليها من اعلى. وبعد أن وضع حجاب السجف وستر تابوت الشهادة وجعل المائدة في خيمة الاجتماع في جانب المسكن نحو الشمال خارج الحجاب رتب عليها الخبز ثم وضع المنارة في خيمة الاجتماع مقابل المائدة في جانب المسكن نحو الجنوب، واصعد السرج امام الرب، ووضع مذبح الذهب في خيمة الاجتماع أمام الحجاب، وبخّر عليه بخور عطر، ثم وضع سجف الباب للمسكن. واخذ مذبح المحرقة ووضعه عند باب المسكن خيمة الاجتماع واصعد عليه المحرقة والتقدمة، وقام بوضع المرحضة بين خيمة الاجتماع والمذبح، وجعل فيها ماء للاغتسال عند دخولهم الى خيمة الاجتماع.

وبعد ذلك دهن المسحة، ومسح المسكن وكل آنيته ومذبح المحرقة وكل آنيتها حتى يكون للمذبح قدس الأقداس. وتقدّم هارون وبنيه الى باب خيمة الاجتماع وغسلهم بماء بعد ان مسح للمرحضة

وقاعدتها وقام بتقديسها. ثم البَسَ هارون اللباس للقدس، ومسحه وقدّسه ليكون كاهنا اعظما أمام الرب، ثم تقدّم بنوه والبسهم القمصة ومسحهم كما مسح اباهم ليتكهنوا للرب كهنوتا ابديا في احيالهم.

وجعل الرسول ساحة حول المسكن والمذبح، ووضع سجفا، ودشنت الخيمة بعد الانتهاء منها بشعائر دينية، عندئذ غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن، ولم يستطع إنسان دخول المسكن وجلال الرب يملأ ارجاءه حتى وان كان الرسول بنفسه، فطالما هذه السحابة تملأ المسكن يبقى المسكن في مكانه ولا يستطيع أبناء هذا الشعب الرحيل الى أن ترتفع السحابة عن خيمة الاجتماع، وكانت سحابة الرب على المسكن نهاراً، وفي الليل تمتلئ هذه السحابة نارا امام اعين كل بيت من بيوت اسرائيل وفي جميع رحلاتهم. وكانت الخيمة تُنصَب طيلة السفر في البرية في وسط المحلة، وكانت تحيط بها خيام الكهنة اللاويين، ومن حولهم خيام بقية الأسباط في اربعة اقسام، «**ينزل بنو اسرائيل كل عند رايته بأعلام لبيوت آبائهم. خيمة الاجتماع حولها ينزلون**». (عد ٢، ٢)، وكان صنع الخيمة يتم بطريقة تسمح بحلِّها وحملها ونصبها في كل مكان يشاؤون وبموجب أوامر الله، لأن ترتيب الارتحال كان منظم من عند الله.
كتب فريد عصره العلامة المارقة الذي عاش في القرن الرابع للميلاد ضمن كتابة « سفينة مارقة» عن واجبات هارون عليه السلام العشرة داخل الهيكل قائلاً، « **الحوض الذي يغتسل منه قبل التقدم لتأدية الأقداس، ومذبح الصعيدة، والمنضدة، والمنارة، ومذبح الذهب، والبخور في موعديه صباحا ومساءاً، والنار على المذبح توقد فيه لا تخبو، ونضح الدم والبخور داخل المذبح ، والدم على الغطاء**

ومن مميزات اقامة هيكل موسى عليه السلام انه تمّ بتبرع وتقدمة من أبناء شعب بني اسرائيل، وبمحض إرادتهم وبسماحة قلوبهم ومن الموجود لديهم من ذهب وفضة وحرير، وبعض المواد الأولية التي كانت تحت تصرفهم في الصحراء كخشب السنط وجلود الكباش وشعر المعز. في **الحقيقة ان الله لم يفرض على الشعب تبرعهم وتقدمتهم في اقامة هيكله بين شعب بني اسرائيل هذا فرضا بل قاموا بذلك بمحض ارادتهم، والسبب ان الهيكل بني من أجل الذات الالهية لتسكن فيه، أي انه شيء خاص لله، انه درس عظيم من قبل المولى لشعوب العالم اجمع ان الخاصية تتطلب لياقة واسلوب وبطيب خاطر وليس فرضا وقانونا، لذا جاء كلام الرب الى موسى «كلم بني اسرائيل ان يأخذوا لي تقدمة. من كل من يحثه قلبه تأخذون تقدمتي»**. ومن مميزات إقامته ايضا انه تمّ بيد صنّاع حكماء ملأ الرب قلوبهم بالحكمة والفهم والمعرفة وكل واحد في مجال عمله، إذ لكل اختراعٍ مخترعاً، سواء اكان في الأعمال النسيجية او النقش او النجارة والترصيع وما شابه، حيث اخذ هؤلاء الصانعين من أمام موسى كل التقدمة التي جاء بها بنو اسرائيل وصنعوا بها مسكن خيمة الاجتماع و ألواحها وعوارضها وأعمدتها وقواعدها وغطاؤها من جلود الكباش المحمرة والغطاء من جلود التخس

وحجاب السجف وتابوت الشهادة ومنبح الذهب ومذبح النحاس، وجميع أواني خدمة المسكن لخيمة الاجتماع والثياب المنسوجة للخدمة في القدس، والثياب المقدسة لهارون وبنية، كما ورد في التوراة "وبحسب كل ما أمر الرب موسى هكذا صنع بنو اسرائيل كل العمل". (خر ٤٢،٣٩)

سُميَت خيمة الاجتماع بالمسكن لان الرب امر موسى بإقامة خيمة الاجتماع (المسكن) في برية سيناء ليسكن في وسط بني اسرائيل. وأُطلِقَ عليها اسم (خيمة الاجتماع) لاجتماع موسى بأبناء شعبه بني اسرائيل.

عندما شاهد موسى الصورة التي اراها الله له لهذا المسكن وجميع اجزائه من على جبل سيناء، رسخت هذه الصورة في ذهنه ونقلها بحذافيرها إلى أولئك العاملين الحرفيين الذين ملأَ رب العالمين روحهم بالحكمة والفطنة. انّ خشب السنط قد تم إحضار الكثير منه عند خروج بني اسرائيل من مصر الذي كان متوفرا فيها، حيث كانوا يحضرونه من لبنان عن طريق البحر الى مصر من اجل بناء الأهرامات. اما جلود الحيوانات فقد كانوا يملكونها لأنهم كانوا اصحاب قطعان مواش كثيرة جدا، وكذلك الذهب والنحاس والفضة والمنسوجات الحريرية وما أكثرها لديهم! لأنهم أخذوها من المصريين عند خروجهم من هناك كتعويض عما لاقاه هذا الشعب من قبلهم العذاب والهوان والقسوة، اما العطور والبخور فكانوا يصنعونها من نباتات الصحراء. اي ان المولى لا يكاف إنسانا بعمل شيء إلا بعد ان يهيئ له الله جميع ما يتطلبه ذلك العمل، وهكذا كان بالنسبة لصناعة الهيكل في جبل سيناء.

ورغم ان صناعة المسكن وادواته كانت بمواد أولية ومما تناولته ايديهم، إلا انه من الروعة بمكان، فالألوان الزاهية الذهبية منها والنحاسية وأحجار الزمرد وما شابه والتي اضفى النقش الفني عليه روعة وبهاء، فتنظيم اقسامه واوانيه المزركشة وقدسيتها اعطته إجلالا وإكبارا، فرائحة العطور والبخور التي ملأت إرجاءه، والأضواء الخافتة التي تشع من منارته سبكت المسكن بخيوط مشعة براقة، كل هذا اجلالا وإكبارا للمكان الذي سيكون مسكنا للذات الإلهية.
وما أن انتهى تيه الأربعين سنة ودخل الإسرائيليون الأراضي المقدسة، استقرت الخيمة على قمة جبل جرزيم المقدس، ونُصبت هناك مدة ٢٦٠ سنة حيث عرفت بسنوات الرضوان، الى ان قام الكاهن الأعظم للشعب الاسرائيلي "عزي بن بقي" بإخفائها في مغارة من على قمة هذا الجبل، وفي اليوم التالي اختفت اثارها منذ ذلك الحين وحتى الآن.

لقد كانت خيمة الاجتماع مركز القيادة الدينية والروحية والاجتماعية لشعب بني اسرائيل، فمن خلال حلول الرب في المسكن الذي اعد لسكن الذات الالهية ووجود سكنه في وسطهم، مما جعل هذا الشعب مقبلا على تعلم العبادة، النظام، القانون، التشريع، الذبائح، الكفارة، وتقديم البخور.

قرابين الهيكل

القرابين هي صلة الوصل بين رب العالمين وعباده الصالحين، هذه القرابين وبأنواعها المختلفة، من محرقات، ذبائح والعشور، رفائع الأيدي، نذور والنوافل، ابكار البقر والغنم، لم يكن رب العالمين ليامر بتقديمها هكذا دون أن يكون لها الفائدة المرجوة للإنسان الإسرائيلي، فسر هذه التقدم مع سكائبهن في علو رائحتها السرورية الى رب العالمين.

كان من أهداف اقامة خيمة الاجتماع هو تقديم القرابين فيها لله رب العالمين، فتقديم القرابين في الشريعة المقدسة احتل الجزء الاكبر من سفر اللاويين، وشغل ايضاً جزءاً من سفر العدد، حيث شرحها لنا المولى بإسهاب لأهميتها وحيويتها للإنسان الاسرائيلي كي يتقرب من الله ويغفر له ذنوبه ويحفظه من كل ضيق، ويلبي آماله وامانيه. ولما فرغ موسى الرسول من اقامة للسكن ومسحه وقدسه مع جميع أمتعته والمذبح وجميع امتعته ايضاً، قرّب رؤساء اسباط اسرائيل والذين وقفوا على المعدودين قرابينهم ذبيحة سلامة وذبيحة خطيئة، اتوا بقرابينهم امام الرب.

الله خالق الكون وباعثه ليس بحاجة إلى الانسان حتى يطلب منه تقديم القرابين على اختلاف انواعها، لكن الهدف منها كان خلق صلة بينه وبين هذا الشعب، فهي جزء من حياة الانسان الاسرائيلي. فكلما فكر هذا الانسان بان يقدم على شيء غير مستحب عند المولى سواء عن قصد او غيره، أدرك أن الذنب حجمه بقدر حجم الخطأ الذي ارتكبه. لهذا فالتقدمة تذكرة على ان هناك رب يحاسب هذا الانسان وهو بحاجة ماسة اليه، فهو خالقه ومحييه ومعيله وشافيه ورازقه، ولكي يسهل المولى على الانسان التقرب منه ليسمع نداء استغاثته ورغباته وتمنياته وليلبي حاجاته ويغفر عن ذنوبه ويصفح عن اخطائه، طلب منه تعالى أن يقدم له القرابين حتى تصعد رائحتهم السرورية اليه في السماء، وبتقدمات كهذه امام رب العباد يرضى عنهم ويغفر لهم.

لهذا عندما أُمر الرسول بإقامة مسكن خيمة الاجتماع، جعل فيه مذبحاً لإيقاد البخور اذ جعله مقابل الحجاب الذي امام تابوت الشهادة، ليوقد عليه هارون بخوراً عطراً كل صباح ومساء، فهو بخور دائم امام الرب في اجيال بني اسرائيل، وجاء تحذير رب العالمين من ان لا يصعدوا عليه بخوراً غريبًا ولا محرقة أو تقدمة.

وصنع ايضاً مذبحا لتقديم القرابين عليه، حيث يذبح فيه خروفان حوليان كل يوم دائماً، واحد في الصباح والآخر في المساء من قبل شعب بني اسرائيل حتى تكون رائحة سرور على الدوام للرضا عنهم امام الرب. ويُذكر انه بعد اختفاء هيكل سيدنا موسى عليه السلام قبل ٢٣٨٥

سنة، قام علماء السامريين بالاستعاضة عن مثل هذه التقدمة، فالصعيدة السائية مقامها صلاة المساء، والصعيدة الصباحية مقامها صلاة الصباح، تعتمد صلوات السامريين على طهارة الجسم والتفكير وكذلك على الوضوء والركوع والسجود. وقد قام علماء السامريين بترتيب صلواتهم منذ عشرات قرون خلت، وهي عبارة عن مقتطفات من الشريعة خمسة أسفار موسى وكذلك من تاليف علماء السامريين من تاملات وتشفعات وابتهالات وتضرعات لله الواحد الأحد.

يصف مؤلف كتاب «دراسة في معتقدات وتقاليد السامريين» الدكتور عدنان عباش استاذ التاريخ بجامعة القدس المفتوحة، واجبات المذبح من قبل الكاهن قائلا، «ان انشاء علاقات مع الله يقتضي تقديم الذبائح وإقامة نظام للكهنة فضلا عن المحافظة على الطهارة شكليا وادبيا وخوفا من الاخلال بأمر من هذه الأمور وضعت بحسب أمر لله ...... وأضاف ان سفر اللاويين دليل للكهنة يرشدهم في ممارسة الطقوس المفروضة بينما سفر التثنية خطاب موجه الى الشعب يرشدهم في اتمام واجباتهم المتعلقة بهم ويحثهم على الأمانة (ص ٥٢،٥٣)

الشريعة الإلهية المتمثلة بناموس موسى بن عمران التي انزلها رب العالمين في جبل سيناء صنفت الذبائح إلى سبعة وهي، قرابين ذبيحة المحرقة، ذبيحة التقدمة، ذبيحة الخطيئة، ذبيحة السلامة، ذبيحة الشكر، ذبيحة الإثم واخيرا قربان ذبيحة الملء.

إذا قدم الإسرائيلي قربانا للرب، فيجب ان يكون من البقر والغنم، ذكرا صحيحاً يقربه إلى باب خيمة الاجتماع للرضا عنه امام الرب، ويصعده على راس المحرقة للتكفير عنه، كما ذكرت التوراة، « تقربه إلى باب خيمة الاجتماع، يقدمه للرضا عنه أمام الرب ، ويضع يده على رأس المحرقة فيرضى التكفير عنه» (لا ١، ٣-٤). وبعد أن يتم الذبح امام الرب يقرب الكهنة من بني هارون الدم ويرشونه مستديراً على المذبح الذي لدى باب خيمة الاجتماع، من اجل قبوله من قبل المولى للتكفير عن مقدّم الأضحية.

أن الشريعة الدينية السماوية التي كتبها رب العالمين في توراته، وضحت القرابين كل حسب نوعية القربان المراد تقدمته ما عدا اذا كان قربانه من البقر أو من الغنم سواء اكان ضان أم من المعز، أو كان قربانه للرب من الطير اليمام او من فراخ الحمام، من حيث موضع كل واحد من هؤلاء بالنسبة للمذبح وكيفية ذبحة وحرقه ورش دمائه وتقطيعه لأنه محرقة وقود رائحة سرور للرب.

وهناك قرابين تقدم للإلهة عدا القرابين التي سبق ذكرها كتقدمة الدقيق على اختلاف انواعه او فريكا او اي من باكورات محاصيلهم، وكل التقدمات التي تقرب للآلهة لا تصنع من الخمير لأن كل خمير وكل عسل لا يوقد منهما وقود للرب، وكل قربان من التقدمات يملح

بالملح، وكما جاء في محكم شريعته. « كل قربان من تقادمك بالملح تملحه، ولا تخل تقدم من ملح عهد إلهك على جميع قرابينك تقرب ملح »(لا ٢-١٣).

التقدمة التي تقرب عن خطيئة نفس حيث قام فاعلها بعملها سهوا، رغم انها من مناهي الرب التي لا ينبغي عملهاتختلف عن التقدمة اذا سها كل جماعة اسرائيل وهنا يكون السهو جماعياً. في الحالة الأولى يجب ان يضع صاحب التقدمة يده على راس الثور ويذبحه الكاهن الممسوح لكن في الحالة الثانية يجب على شيوخ الجماعة ان يضعوا ايديهم على راس الثور امام الرب ويُذبح الثور امام الرب، فياخذ الكاهن الممسوح من دم الثور الى خيمة الاجتماع ويغمس الكاهن إصبعه في الدم وينضح سبع مرات أمام الرب لدى الحجاب ويجعل من الدم على قرون المذبح الذي امام الرب في خيمة الاجتماع، وبقية الدم يصبه إلى أسفل مذبح المحرقة الذي لدى باب خيمة الاجتماع، وجميع شحمه ينزعه عنه ويوقده على المذبح، ويكفر عنهم الكاهن فيصفح عنهم وتدعى ذبيحة خطيئة المجمع.

وإذا كان تقديم القربان وفاء لنذر لتقدمة ذبيحة سلامة، فيجب أن يكون ذكرا صحيحا من البقر او الغنم او المعز، ولا يجوز ان يكون اعمى، مكسور، مجروح، مبتور او اجرب، فيجب ان لا يقرب الى الرب إذا كان فيه احد هذه العيوب او كلها، ولا يُجعل منها وقودا على المذبح للرب، وكذلك الثور والشاة الزوائدي ومرضوض الخصية ومسحوقها ومنزوعها ومقطوعها لا يقرب للرب، ومتى ولد لبقر او غنم او معزه يكون سبعة ايام تحت امه ثم من اليوم الثامن فصاعدا يُرضى به قربانا وقودا للرب، واما البقرة والشاة فلا يجوز ذبحها وابنها في يوم واحد، وهذا يعني ان تكون حبلى فلا يجوز ذبحها.

ولكل نوع من ذبائح التقدمة شريعته الخاصة، وتختلف كل تقدمه عن الأخرى من حيث الشروط اللازم إتباعها في تصنيف الذبيحة وكيفية التقدمة والهدف الذي من اجله قدمت. أما شريعة ذبيحة السلامة التي تقرب، هي لحم ذبيحة شكر لسلامته ويُؤكل يوم قربانه ولا يبقى منه شيء للصباح، وان كانت ذبيحة قربانه نذرا أو نافلة ففي يوم تقريب ذبيحته تؤكل وما بقي منه في الغد يؤكل، واما الباقي في اليوم الثالث من لحم الذبيحة فيحرق بالنار.

وإذا اخطأ احد وارتكب واحدة من مناهي الرب التي لا ينبغي عملها، ولم يعلم انه كان مذنبا وحمل ذنبه، فياتي بكبش صحيح من الغنم بتقويمك « ذبيحة إثم» الى الكاهن فيكفر الكاهن عنه لسهوه الذي لا يعلم به فيصفح عنه، اما شريعة ذبيحة الإثم فهي قدس أقداس. « في المكان الذي يذبحون فيه ذبيحة المحرقة يذبحون ذبيحة الإثم (لا ٧، ٢). لربما يتساءل البعض لماذا اختار رب العالمين في شريعته القدسية هنا بان تقدم ذبيحة الاثم في المكان الذي يذبحون فيه ذبيحة المحرقة ؟ والجواب هنا من اجل التستر على مقدم تقدمة الاثم لارتكابه خطئه هنا. ثم ياخذ الكاهن الخاروف الواحد ويقربه ذبيحة إثم مع لج الزيت، يرددهما ترديداً إلى الرب ويذبح

الخروف في الوضع الذي فيه يذبح ذبيحة الخطيئة والمحرقة في المكان المقدس، لأن ذبيحة الإثم كذبيحة الخطيئة للكاهن.

وذبيحة الملء هي قربان ملء لرائحة السرور والتي هي وقود للرب وشريعته، فلا يخرجوا سبعة ايام من عند خيمة الاجتماع إلى يوم كمال يوم ملئكم لأنه سبع ايام يملأ ايديكم، كما امر الرب في هذا اليوم أن يفعل للتكفير عنكم.

اما خدمات هارون عليه السلام بخصوص العشرة قرابين في الهيكل، وكما ذكرها العلامة مارقه في كتابه «سفينة مارقه» وكل قربان يقدم في موعده بعظمة قائلا، **أوائل الشهور، والنذور، والتبرع، والصعيدة الدائمة، وقربان الفسح، وقربان البوادر والشهر السابع، ويوم الغفران، وعيد المظلة واليوم الثامن.**

اختار المولى مكاناً خاصاً لتقديم قرابين أبناء شعب بني اسرائيل، عدا قرابين هيكل سيدنا موسى (خيمة الاجتماع) حيث جعله في مكان بأحد اسباط سيدنا يعقوب، الا وهو جبل جرزيم، يُوضع به اسمه وسكناه حيث يأتون ويقدمون هناك محرقاتهم وذبائحهم وعشورهم ورفائع ايديهم ونذورهم وابكار بقرهم وابكار غنمهم، ويأكلون هناك امام الرب إلههم ويفرحون بكل ما تمتد إليه ايديهم هم وبيوتهم، كما باركهم الرب إلههم. ولقد حذر الله الإسرائيليين من تصعيد محرقاتهم في كل مكان يراه حيث جاء في الشريعة المقدسة؛ « **احترز من أن تصعد محرقاتك في كل مكان تراه. بل في المكان الذي اختاره الله في احد أسباطك. هناك تصعد محرقاتك، وهناك تعمل كل ما أنا أوصيك به**». (تث ١٢، ١٣- ١٤)، لأنه العليم البصير في بواطن الأمور كان يعلم أن أيام الرضا لهذا الشعب سوف لا تبقى إلى الأبد، وان المسكن سيختفي يوما ما وكل ذلك بسبب تصرفات هذا الشعب في المستقبل والتي لا تنم عن حكمة وتعقل.

لقد جاء هذا التحذير من قبل الله لأنه كان يعلم ان هناك قسما من الشعب الإسرائيلي سيخالفون هذه الفريضة وسيعملون على استبدال المكان الذي اختاره الرب «**جبل جرزيم**» بمكان آخر، مثل شيلو التي تبعد خمسة عشر كيلو مترا الى الجنوب الشرقي من نابلس، ومن ثم القدس، والسؤال الذي يطرح نفسه، هل ذكرتهما الشريعة المقدسة « خمسة أسفار موسى» من قريب او بعيد؟ ان جبل جرزيم المبارك هو الوحيد الذي ذكرته التوراة وخصته بثلاث عشر اسما مميزا، لقد جاء في التوراة اليهودية عن المسكن (سيختاره) ولكن إلى متى؟ وإذا اقيم هيكل سليمان في القدس بعد دخول بني اسرائيل الى الأراضي المقدسة ب - ٤٥٥ سنة، إذا اين تم إقامة التقدمات كل هذه السنوات؟ ولماذا انتقل من شيلو الى القدس؟ وقبل ان يصل الى شيلو اين كان وموجوداً ؟ ولماذا كان يتوجه ملوك يهودا الى شكيم من اجل أن يباركهم الكاهن الأعظم؟ أليس وجود

الكاهن الأعظم منوط في المكان الموجود فيه الهيكل؟ الم يأتِ في الشريعة المقدسة قول الرب انه اعدّ هذا المكان، فإذا كان رب العالمين قد هيئه وحضّره فكيف يأتي ذكر المسكن في اية اخرى بانه سيختاره؟

أن الرابط الأساسي الذي يربط الوجود الإلهي صاحب العهد والقدسية بهذا الشعب يتمثل بالمكان المقدس «**جبل جرزيم**» (جبل البركة) الذي لا يفارقه وجود بهاء الرب فيه، وعليه تقدم الذبائح والندور والعشور وما شابه، كما امر المولى، « **بل المكان الذي اختاره الرب الهكم من جميع اسباطكم يوضع اسمه فيه سكناه والى هناك تأتون وتقدمون إلى هناك محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ووقائع ايديكم ونذوركم ونوافلكم وابكار بقركم وابكار غنمكم وتأكلون هناك امام الرب إلهكم (تث ١٢، ٥-٧).**

ومن الاعياد التي تقدم فيها القرابين والذبائح عيد الفسح وهو يصادف في الرابع عشر من الشهر الأول العبري من كل عام، حيث يحتفل السامريون بعيد الفسح وليس الفصح، كما هو معروف لدى العامة والخاصة، الفسح بالسين لأن الله فسح عن ابكار العيرانيين عند خروجهم من مصر وتحررهم من عبودية فرعونها حيث تم وضع دم هذه القرابين على القائمتين والعتبة العليا في البيوت التي يأكلون فيها، «**ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي انتم فيها، فأرى الدم واعبر عنكم، فلا يكون عليكم ضربة الهلاك حين أضرب أرض مصر** (خر ١٢، ١٣)، اذ يحتفل السامريون به سنويا كما أمر الله ابناء شعبه قائلا، «**في اجيالكم تعيدونه فريضة ابدية**».

ومن الجدير بالذكر ان قربان الفسح هذا لا يقوم اليهود بعمله لعدم وجود الهيكل المقدس، متجاهلين ما ذكرته الشريعة بأن يكون فريضة ابدية سواء أكان الهيكل موجوداً ام لا، هناك يوجد هيكلا ام لا، وكذلك فان اول قربان تم عمله عند الخروج من مصر دون ان يكون الهيكل موجوداً، حيث قال الله لموسى في برية سيناء في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر في الشهر الأول، « **وليعمل بنو اسرائيل الفسح في وقته. في اليوم الرابع عشر من هذا الشهر بين العشاءين** (عد ٩، ٢)، ولقد جاء هذا الأمر قبل بناء هيكل موسى، اذا فلماذا الربط بين عمل قربان الفسح ووجود الهيكل؟ جاء في الشريعة المقدسة، «**ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويا بالنار مع فطير. على اعشاب مرة يأكلونه**»(خر ١٢، ٨) فاليهود يقومون بعمل فريضتين منه مثل اكل الفطير والأعشاب المرة، فلماذا يتم ترك الفريضة الثالثة الا وهي عمل قربان الفسح؟

ان قربان الفسح يشترك بعمله جميع ابناء الشعب الاسرائيلي، حيث يذبحونه في العشية، ولا علاقة لعمله بوجود الهيكل ام عدمه، لكن قرابين الهيكل عملها منوط بالهيكل، وكذلك بالكهنة من أبناء اللاويين خدمة الهيكل فقط.

تعداد بني إسرائيل

اعطت الشريعة اهمية قصوى لتعداد شعب بني إسرائيل، وعالجتها بالحقائق والأرقام، منذ ان نزل سيدنا يعقوب عليه السلام وافراد عائلته إلى مصر، وكان تعدادهم ٧٠ نفراً، بالإضافة الى زوجاتهم وخدمهم من الساميين، اي انهم نزلوا بعدد ما يقارب ١٢٠ نفسا، قادمين من الأراضي الكنعانية. وجرى احصائهم لأول مرة بعد خروجهم من مصر بسنة واحدة ووصولهم الى المحطة الثانية عشرة محطة جبل سيناء والمعروف بجبل موسى في شبه جزيرة سيناء، وكان تعدادهم حينئذ ٦٠٣٥٥٠ نسمة من الرجال من سن عشرين سنة وما فوق ما عدا النساء والأطفال، وكان هذا التكاثر خلال اقامتهم في مصر مدة ٢١٥ سنة.

واستمرت مسيرتهم في شبه جزيرة سيناء اربعين سنة تائهين في براري هذه الصحراء القاحلة، وعندما وصلوا الى طرف الأراضي الكنعانية عند عربات مؤاب في أردن اريحا، طالب المولى من الرسول الكريم ان يجري إحصاء ثانياً لهذا الشعب قبل دخولهم إلى الأراضي المقدسة من اجل تقسيم الأرض على اسباط اسرائيل وذلك على عدد اسمائهم، ولم يشمل هذا التعداد ابناء اللاويين في كلا الاحصاءين، اي ان تعدادهم كان قبل دخولهم إلى الأراضي المقدسة ما يقارب ٦٠١٧٣٠ نسمة، اي بفارق ١٨٢٠ نسمة ما بين التعداد الاول الذي حصل في السنة الثانية للخروج اثناء اقامتهم في جبل سيناء (حوريب)، وبين التعداد الثاني الذي تم في السنة الأربعين لاتيه الاسرائيلي اي عند وصولهم الى عربات مؤاب التي تقع شمالي اريحا.

بناء على هذين الإحصائيين، نجد ان ابناء الشعب الاسرائيلي لم يزد عددهم ولم ينقص تقريبا خلال سنوات التيه الأربعين، رغم ان المولى حكم عليهم بموت جميع جيل العبودية، حيث اتسمت حياتهم بالراحة وتوفر إمكانيات الحياة ومتطلباتها مما حافظ على ثبات عددهم طوال هذه الفترة بالرغم مما اصابهم من الاضطرابات والمشاكل بسبب تمردهم وعصيانهم المتكرر. ان عدم زيادة تعداد الشعب الإسرائيلي خلال مدة مسيرته في شبه جزيرة سيناء لها مبرراتها ودوافعها عند خالق هذا الكون، ولا بد من تناولها بالبحث، خاصة تلك الأحداث التي واكبت هذه المسيرة كي نتوصل إلى النتائج المرجوة، ونقف عند الحقائق الكاملة، لنتعظ منها ولتكون عبرة للاجيال القادمة في المستقبل.

في السنة الثانية لخروج العبرانيين من مصر وفي بداية الشهر الثاني وقبل رحيلهم من برية سيناء كلّم الرب موسى من داخل خيمة الاجتماع قائلاً «احصوا كل جماعة بني اسرائيل بعشائرهم وبيوت ابائهم بعدد الاسماء كل ذكر برأسه من ابن عشرين سنة فصاعداً ،

كل خارج للحرب في اسرائيل. (عد ١:٣)، فاختار الرسول أسماء الذين سيحصون ابناء الشعب الاسرائيلي بناء على توجيهات رب العالمين، فاخذ رجلا من كل سبط للقيام بهذا الاحصاء حيث اخذ هؤلاء الشاهير من الجماعة رؤساء الوف اسرائيل، وفي أول الشهر من السنة الثانية لخروج هذا الشعب من مصر، جمع موسى كل شعب اسرائيل، وجرى احصاؤهم وكان تعدادهم حسب الجدول التالي وكما جاء في الشريعة المقدسة .

سبط	رؤبين	القائد	اليصور بن شاديور	٤٦ ٥٠٠
-	شمعون	-	شامئيل بن صوريشدي	٥٩ ٣٠٠
-	يهودا	-	نحشون بن عميناداب	٧٤ ٦٠٠
-	يسشاكر	-	نثنئيل بن صوغر	٥٤ ٤٠٠
-	زبولون	-	الياب بند حولين	٥٧ ٤٠٠
-	يوسف (افرايم)	-	اليشمع بن عميهود	٤٠ ٥٠٠
-	يوسف (منشي)	-	جمليئل بن فدحصور	٣٢ ٢٠٠
-	بنياميم	-	ابيدن بن جدعوني	٣٥ ٤٠٠
-	دان	-	احيعزر بن عميشداي	٦٢ ٧٠٠
-	اشر	-	فجعيئل بن عكرن	٤١ ٥٠٠
-	جاد	-	الياساف بن دعوئيل	٤٥ ٦٥٠
-	نفتالي	-	احيريم بن عينين	٥٣ ٤٠٠

وكان تعدادهم من ابن عشرين سنة وصاعداً ٦٠٣٥٥٠ رجلاً (ما عدا النساء والأطفال) وباستثناء ابناء اللاويين الذي لم يشملهم هذا التعداد بين اسباط اسرائيل .

ولقد جاء هذا الاحصاء بعد ٣٨٠ يوماً من خروجهم من مصر، حيث كان عددهم ما يقارب ٦٠٠ الف نسمه، كما جاء في التوراة، « فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ستة ماية ألف ماش ما عدا الاولاد.(خر ١٢، ٣٧) .

ووصل شعب بني اسرائيل الى طرف الأراضي المقدسة في عربات مؤاب في الاردن اريحا. وهنا جاء الأمر الإلهي الى موسى لإجراء احصاء لأبناء شعب إسرائيل قبل دخولهم الأراضي المقدسة، وكان ذلك في نهاية مسيرتهم التي دامت اربعين سنة منذ أن خرجوا من عبودية المصريين، وكان تعدادهم من سن العشرين فصاعداً حسب بيوت آبائهم كالتالي:

بنو	رؤبين	٤٣٧٣٠	بنو شمعون	٢٢٢٠٠
-	جاد	٤٠٥٠٠	بنو يهوذا	٧٦٥٠٠
-	يشساكر	٦٤٣٠٠	بنو زبولون	٦٠٥٠٠
-	يوسف (منسي)	٥٢٧٠٠	بنو يوسف و (افريم)	٣٢٥٠٠
-	بنيامين	٤٥٦٠٠	بنو دان	٦٤٤٠٠
-	اشر	٥٣٤٠٠	بنو نفتالي	٤٥٤٠٠

وكان عددهم الإجمالي ٦٠١٧٣٠ نسمة ، وخلال الأربعين سنة اثناء مسيرتهم التيهية هذه ، لم يزدد عددهم، بل على العكس من ذلك لقد نقص ١٨٢٠ نسمة تقريباً.

ومن الاسباب التي حالت دون هذه الزيادة ما يلي، عندما نزلوا في فم الحيروت على ذراع البحر الأحمر الغربي وارتعدوا وخافوا من ملاحقة المصريين لهم، حيث قالوا للرسول الكريم، اليس هذا الكلام الذي كلمناك به في مصر؟ كف عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا ان نخدم للمصريين من ان نموت في البرية، وكذلك تذمرهم اثناء وجودهم في مرّة بسبب مرارة الماء، وعندما جاءوا إلى برية سين في الخامس عشر من الشهر الثاني للسنة الثانية لخروجهم من مصر، ثار كل جماعة بني اسرائيل على موسى وهارون حانقين متذمرين قائلين« ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع، فإنكما اخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع. ولم يكتفوا عند هذا الحد فجاءت مخاصمتهم لموسى لماذا اصعدتنا من مصر، لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش» (١٦، ٣)

فكل هذا التذمر والغضب والمخاصمة قد اثار غضب المولى عليهم، إلى أن جاءت حادثة العجل في برية سيناء، والتي كانت قبل إحصاء تعداد هذا الشعب، وذلك عندما كان رسول الله موجوداً في حضرة رب العالمين، حيث قال له الرب :«اذهب أنزل لأنه قد فسد شعبك صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه الهتك يا إسرائيل التي اصعدتك من مصر»(٣٢، ٧)

وعلى اثر هذه الحادثة المفجعة كان لا بد من عقاب رادع من قبل المولى لهذا الشعب بسبب فعلته الشنيعة هذه، حيث استل ابناء لاوي كل واحد سيفه حسب اوامر موسى ليقتل كل من شارك او ساهم في هذا الانقلاب، سواء اخاه او صاحبه او قريبه، وسقط من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل، ولم يقتصر انتقام المولى عند هذا الحد، بل ضرب المولى الشعب، لانهم صنعوا العجل، حيث ذهب ضحية عمل العجل ما يقارب العشرين الف نسمة من ابناء شعب إسرائيل، وهؤلاء القتلى هم نسبة الزيادة خلال السنة والنيف.

اما حال اللاويين لم يختلف عن بقية الأسباط الأخرى من العبرانيين، إذ كان تعدادهم من عمر الشهر وفما فوق من الرجال على نحو التالي:

عشائر الجرشونيين	الياف بن الايل	٧٥٠٠
عشائر القحاتيين	اليصافان بن عزئيل	٨٦٠٠
عشائر المراريين	صوريئيل بن ابيمايل	٦٢٠٠

وكان جميع المعدودين من اللاويين والذين عدّهم الشقيقان موسى وهارون من ابن سنة فصاعداً ٢٢٠٠٠ الف نسمة .

كما قام الرسول بتعداد جميع ابناء الذكور من ابكار شعب بني إسرائيل دون اللاويين، من ابن شهر فصاعداً فكان عددهم ٢٢٢٧٣ نسمة، اي بزيادة أبكار الاسرائيليين عن رجال اللاويين من سن شهر فصاعدا ٢٧٣ وخاطب الله موسى بأن يأخذ اللاويين بدل كل بكر من بني اسرائيل فيكون اللاويين كفداء، اما العدد المتبقي من ابكار بني اسرائيل فتُؤخذ خمس شواقل فضة لكل راس.

من مقارنتنا للإحصائيتين السابقتين والتي دونتهما الشريعة المقدسة، فلم يكن هناك زيادة او نقصان يذكران، وإذا ما تسلسلنا مع الحوادث التي مرت على هذا الشعب اثناء مسيرته التيهية والتي تعد اطول مسيرة جماعية عرفها التاريخ والتي استمرت اربعين سنة لشعب كان تعداده يزيد على المليوني نفس، وفي ظروف معيشية صحراوية صعبة، فإننا سنتوصل الى صورة واضحة المعالم لأسباب انعدام مثل هذا التكاثر كما يلي :

أولاً: ان جميع جيل العبودية من سن عشرين عاماً وما فوق وحتى الرسول موسى وشقيقه صاحب الكهنوت الأعظم أماتهم الله، ما عدا يوشع بن نون وكلب بن يفني وما دون سن العشرين ممن خرجوا من مصر، أي ان ٣٠ ٪ ممن لم يتجاوزوا سن السبعين عاماً توفوا في الوقت الذي كان معدل اعمار ابناء الشعب الاسرائيلي في مصر يتراوح ما بين ٩٠-١١٠ سنة.

ثانياً: في محطة (قبروت هتاوه) اشتكى كل الشعب من شر في أذني الرب، فثار غضب الرب واشتعلت فيهم ناراً واحرقت طرف المحلة، وذاك اللفيف الذي كان في وسطهم حيث اشتهى شهوة وتذمروا وتمردوا، فزاد ايضاً غضب الرب على الشعب وضربهم بضربة عظيمة جداً حيث اودت هاتين الحادثتين بحياة الآف من ابناء هذا الشعب، ولكثرة الأموات سمي المكان (قبروت هتاوه) لأنهم دفنوا القوم الذي اشتهى.

ثالثاً: الحرب التي خاضها العبرانيون بعد عملية التجسس، عندما صعدوا الى راس الجبل دون ان يصعد معهم الرسول ولا تابوت العهد، فنزل عليهم العمالقة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم في المعركة وتقهقروا الى خرمة، اذ ان هذه الحرب أودت بحياة الذين اشاعوا المذمة بين الشعب.

رابعا: حادثة قورح بن يصهار بن قهات بن لاوي وداثان وابيرام ابنا الياف بن فالت من سبط رؤبين ومعهم ٢٥٠ من رؤساء الجماعة فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا: كفاكما، كل الجماعة باسرها مقدسة وفي وسطها الرب، فما بالكما تترفعان على جماعة الرب ولما خالف داثان وابيرام اوامر الرسول قالوا له : قليل أنك اصعدتنا من الأرض تفيض لبنا وعسلاً لتميتنا في البرية حتى تتراس علينا، وانشقت الأرض التي تحتهم وفتحت الأرض فاها، وابتلعتهم وبيوتهم وكل ما كان لقورح مع كل الأموال فنزلوا هم وكل ما كان لهم احياء إلى الهاوية، وانطبقت الأرض عليهم فماتوا من بين الجماعة. اما المائتين والخمسين رجلاً .. وخرجت نار من عند الرب وأكلت المائتين والخمسين رجلاً الذين قربوا البخور.(عد ١-٢٥)، فتذمر كل جماعة بني اسرائيل في اليوم التالي متهمين موسى وهارون في قتل شعب الرب ، فغضب الله عليهم وانتشر الوباء فيهم، وكان عدد الذين ماتوا بسبب قورح ١٤٧٠٠ نسمة.

خامسا: عندما ارتحل بنو اسرائيل من جبل هور في طريق بحر سوف ليدوروا بأرض ادوم ضاقت نفس الشعب في هذه الطريق، فارسل الرب على الشعب الافاعي الحارقة فلدغت الشعب فمات عدد كبير من قوم بني اسرائيل ،فذهب الشعب إلى موسى وقالوا له أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك ، فصلي إلى الرب ليرفع عنا الحيات.

سادسا: الحروب التي خاضها الشعب الاسرائيلي مع ملك سيحون، ملك الاموريين في برية ياهص، ومع ملك باشان، حيث انتصروا على هذين الشعبين.

سابعا: معصية الشعب الاسرائيلي عندما اقاموا في شطيم، حيث زنوا مع بنات مؤاب وعندما ذُبح لآلهتهن اكل الشعب من هذه الذبائح وسجدوا لآلهتهن، فغضب الرب على اسرائيل، فطلب موسى من قضاة اسرائيل بأن يقتلوا كل واحد من قومه المتعلقين ببعل فعور، فإذا برجل من بني اسرائيل واسمه (فينحاس) يقوم من وسط الجماعة وياخذ رمحاً بيده ويطعن رجلا اسرائيليا وامرأة مديانية في بطنها، فحُجب الوباء عن بني اسرائيل، بعد أن اودى بحياة اربعة وعشرين الفا من بني اسرائيل .

بالمقارنة ما بين التعداديْن، والذي جرى أحدهما في برية سيناء في مستهل الشهر الثاني من السنة الثانية لخروج بني اسرائيل من مصر، وبين الاحصاء الذي تم في عربات مؤاب في السنة الاربعين لتحررهم من عبودية الفراعنة المصريين اي قبل ٣٦٥٠ سنة ميلادية (عبرية)، فإننا سنجد تفاوتا ملحوظا بين التعدادين، إذا ما أُخِذ كل سبط على حده، وذلك على النحو التالي:

أولاً: الاسباط الذين لم يحدث في تعدادهم أي تغيير يذكر وتراوحت الزيادة او النقصان ما بين ٢-٣ الاف فقط هم اسباط رؤبين، يهودا، زبولون، دان، جاد .

ثانياً، الأسباط الذين طرأ على تعدادهم زيادة ملموسة وتراوحت ما بين ١٠-٢٠ الف نسمة ، هم اسباط، يششاكر يوسف (منشي) اشر.

ثالثاً، الاسباط الذين طرا على تعدادهم نقصان ملموس وكان ما بين ٣٧-٨ الف نسمة هم أسباط، شمعون، يوسف (افرايم)، بنيايم، نفتالي.

ومما يلفت الانتباه في هذه المقارنة هو النقصان الكبير الذي حصل في سبط شمعون الذي كان تعداده في الاحصاء الأول ٥٩٣٠٠ نسمة وعندما جرى الاحصاء الثاني بعد ٣٩ سنة من الاحصاء الأول كان تعداد هذا السبط ٢٢٢٠٠ نسمة أي بنقصان ٣٧١٠٠ نسمة ، هذه الارقام تاثرت بحادثة الرجل الاسرائيلي الذي جاء وقدم إلى اخوته المراة المديانية التي كانت «كذبة بنت صور» ابنة رئيس قبائل بيت أب في مديان، هذا الرجل هو زمري بن سالو رئيس بيت أب الشمعونيين، وحادثة الزنى مع المديانية والتي جرت أمام عيني موسى الرسول وأعين جماعة بني اسرائيل وهم يذرفون الدمع عند باب خيمة الاجتماع، والتي كان لها أبلغ الاثر لهذا السبط عند رب العالمين، وكانت سببا في الانخفاض الكبير في تعداده، فكانت عبرة زمنية لهذا السبط بالذات ولبقية الاسباط الأخرى.

اثناء فترة مسيرة شعب بني اسرائيل في شبه جزيرة سيناء وخلال الأربعين عاماً لم يزند تعدادهم بسبب حنينهم إلى بيت العبودية ، ومما يدل على ذلك تكرار تذمر هذا الشعب وخصامه لرسول الله موسى عشرات المرات، مثال ذلك قولهم، **كف عنا فنخدم المصريين، خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية** وتذمر اخرين حين قالوا، **أخرجتمونا إلى هذا القفر لتميتا كل هذا الجمهور وبالجوع وكذلك، ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم ناكل خبزاً للشبع**. وقولهم ايضا، «**اصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش**» ، ولم يكتفوا بمثل هذا التذمر والخاصمة انما صنعوا عجلاً مسبوكا وسجدوا وذبحوا له وقالوا هذه الهتك يا اسرائيل التي اصعدتك من مصر، اضافة الى تعلقهم بالهة الشعوب الاخرى او ما شابه ناسين أو متناسين أن الله اله غيور، يفتقد ذنوب الاباء في الابناء، فكل ذلك كان سببا في غضب الله عليهم، حيث جاء في محكم شريعته المقدسة.

« **لأني أنا الرب الهك اله غيور ، افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي**» (خر ٢٠، ٥)

ان عدم الزيادة في تعداد الشعب الاسرائيلي يعود إلى الأسباب التي ذكرناها ، حيث أمات الرب جيل العبودية بالأوبئة التي اجتاحت معسكرهم بين الحين والأخر، والثعابين اللادغة، والنار التي أكلت اطراف معسكرهم، وزيادة نسب العقم وبسبب الحروب التي خاضوها، تدني متوسط الاعمار لديهم أثناء المسيرة وغيرها من الاسباب التي يصعب حصرها، حيث كانت جميعها عاملا أساسيا في عدم زيادة تعدادهم خلال فترة مسيرة التيه، وبهذا جعلتنا التوراة المقدسة نستخلص العبر والحقائق بأنفسنا ومن ثنايا احكامها وشرائعها .

تحركات بني اسرائيل في سيناء

كان تحرك شعب بني اسرائيل في صحراء سيناء بعد خروجهم من مصر وتحررهم من بيت العبودية، اي منذ خروجهم من رعمسيس في مصر وحتى وصولهم الى جبل سيناء، حسب قول الرب على يد موسى الرسول، لكن الأمر اختلف بعد بناء المسكن (خيمة الاجتماع) وتغطيته بالسحابة، فمتى ارتفعت هذه السحابة عن الخيمة كان على بني اسرائيل ان يرتحلوا حتى تحل السحابة في موقع آخر حيث كان على بني اسرائيل النزول فيه، ففي جميع ايام حلول السحابة على المسكن كانوا ينزلون. وأصبح العبرانيون ينتقلون في هذه البرية بواسطة اوامر مباشرة من عند رب العالمين والمتمثلة بظهور مجد الرب من خلال السحابة التي كانت تحل وترتفع عن هذا المسكن، فمتى ارتفعت السحابة عن الخيمة كان بنو اسرائيل بعد ذلك يرتحلون.

وكل الوقت الذي تحلّ السحابة فيه كان بنو اسرائيل ينزلون ولا يرتحلون حتى لو بقيت يوما او يومين أو شهرا او حتى سنة، وشوهدت هذه السحابة لأول مرة في يوم اقامة المسكن، حيث غطت السحابة خيمة الشهادة وكانت تُشاهَد عند المساء كشعلة نار حتى الصباح. كما جاء في الشريعة المقدسة، «حسب قول الرب كان بنو اسرائيل يرتحلون، وحسب قول الرب كانوا ينزلون» (عد ٩: ١٨).

في العشرين من الشهر الثاني للسنة الثانية لخروج شعب بني اسرائيل من مصر تحركت هذه السحابة لأول مرة حيث ارتفعت عن مسكن الشهادة، فارتحل بنو اسرائيل في رحلاتهم من برية سيناء وحلت السحابة في برية فاران. ولا بد من الاشارة هنا الى ان التحرك الاسرائيلي في شبه جزيرة سيناء كان بطيئاً بصورة عامة اذ كان من بينهم الاطفال والنساء والعجز اضافة الى مواشيهم العديدة والأحمال الثقيلة.

امر المولى موسى الرسول أن يصنع له بوقين من الفضة لمناداة جماعة بني اسرائيل عند الارتحال من المحلات وذلك ومن اجل سرعة الحركة والاستعداد والنظام في المعسكر الاسرائيلي، وكذلك ليكون لهم تذكارا أمام الههم، وكان بنو هارون الكهنة فقط هم الذين يضربون بالأبواق حيث كانت لهم فريضة أبدية في اجيالهم، فإذا ما ضربوا بهما يجتمع الى الرسول كل جماعة بني اسرائيل عند باب خيمة الاجتماع، وإذا ضربوا بواحد يجتمع اليه رؤساء الوف اسرائيل فقط، وإذا ضربوا هتافا ترتحل المحلات النازلة الى الشرق، وإذا ضربوا هتافا ثانية ترتحل المحلات النازلة الى الجنوب، أما اذا حدثت حرب في أرض اسرائيل تهتف الابواق من اجل ان يتذكر الرب ابناء هذا الشعب ويخلصهم من اعدائهم. كما ان الأبواق تضرب في الافراح والأعياد ورؤوس الاشهر، وايضا على محرقاتهم وذبائحهم وسلامتهم من اجل ان تكون تذكاراً للرب الههم لكي تحفظهم وتنجحهم في كل ما تقدم يدهم على عمله.

كان نزول الشعب الاسرائيلي في المحلات بشكل هندسي، اذ كان كل ثلاثة اسباط ينزلون في كل محلة بشكل متناسق بجهة خاصة، في القدمة واليمنة واليسرة ومن جهة الغرب. ويكون تحركهم حسب نظام معين تحت لواء راية واحدة، يتوسط نزول رايات الاسباط هذه مسكن خيمة الاجتماع، يحيط به سبط لاوي من جميع الجهات والمتفرغين لخدمته.

فكان نزولهم وتحركهم على هذا النمط مثل قلب الانسان الذي يحفظه قفصه الصدري في الداخل وجسم الانسان من الخارج، وهكذا كان شعب بني اسرائيل يحافظ على مسكن الرب الذي يحيط به سبط لاوي كقفص صدري، والأسباط الاثني عشر تحافظ عليه من الخارج. انها صورة حية متكاملة لنظر هؤلاء الاسباط يحيطون بمسكن خيمة الاجتماع.
وكان نزول وارتحال الاسباط الاثني عشر في المحلة منظما في اربعة اقسام، وكل قسم كان يضم تحت لواء رايته ثلاث اسباط على النحو التالي:

الراية الاولى: كانت محلة يهودا في القدمة أي من ناحية الشرق، بقيادة نحشون بن عميناداب وعن يمينه كان سبط بني يسساكر بقيادة نتنائيل بن صوغر. وعن يساره كان سبط بني زبولون بقيادة الياب بن حيلين. وكان يضم تحت لواء هذه الراية ١٨٦٤٠٠ الف من سن العشرين فصاعداً. فترتحل راية محلة بني يهودا اولا حسب اجنادهم، ويسير من خلفهم ابناء جرشون وبنو مرارى من سبط ليبي حاملين المسكن وعددهم ١٣٧٠٠ من ابن شهر فصاعداً.

الراية الثانية: محلة راوبن بقيادة اليصور بن شديور، عن يمينه سبط شمعون بقيادة شلوميئيل بن صور شداي، وعن يساره سبط بنو جاد بقيادة ايلي سافان بن رعوئيل. وكان موقع هذه الراية إلى جهة الجنوب من المسكن، ويضم تحت لوائه ١٥١٤٥٠ رجلاً من سن عشرين وصاعداً، وكانت ترتحل حسب اجنادهم بعد راية يهودا، ثم يرتحل القهاتيون من سبط لاوي حاملين القدس.

الراية الثالثة: محلة بني افرايم بقيادة اليشمع بن عميهود، وعن يمينه سبط منسي بقيادة جمليئيل بن فاد هصور. وعن يساره سبط بنياميم بقيادة ابيدن بن جدعوني وموقعها من المسكن الى الغرب ويضم تحت لواء هذه الراية ١٠٨١٠٠ رجلاً من سن عشرين وصاعدا. وترتحل حسب اجنادهم بعد راية راوبين.

الراية الرابعة: واخيراً ترتحل راية محلة بني دان بقيادة اخيعزر بن عميشداى. عن يمينه سبط بني اشر بقيادة فجعئيل بن عكبور، وعن يساره سبط بني نفتالي بقيادة اخيرع بن عينن وكان موقع هذه المحلة الى الشمال من المسكن وتضم تحت لوائها ١٥٧٦٠٠ من سن عشرين وصاعداً.

هكذا كانت رحلات بني اسرائيل باجنادهم حين يرتحلون، والذين بلغ عددهم المليوني نسمة تقريبا، حيث جاء في الشريعة المقدسة « فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس الى سكوت، نحو ست مئة الف ماش من الرجال عدا الأولاد. وصعد معهم لفيف كثير ايضا مع غنم وبقر مواش وافرة جدا» (خر ١٢، ٣٧-٣٨)

قبروت هتأوه

المحطة الثالثة عشرة

في العشرين من الشهر الثاني للسنة الثانية من خروج بني اسرائيل من مصر، ارتفعت السحابة عن مسكن الشهادة وارتحل العبرانيون في مسيرتهم من برية سيناء، بعد أن دام مكوثهم فيها سنة تقريباً حيث شهدت احداثا هامة بتاريخ شعب بني اسرائيل، اذ اتجهوا بمسيرتهم الى الشرق ووصلوا الى ذراع خليج العقبة، بالقرب من «دي الذهب» حتى وصلوا موقع **قبروت هتأوه** حيث ساروا مسافة ثلاثة أيام ، كما جاء في التوراة، **«ثم ارتحلوا من برية سيناء ونزلوا في قبروت هتأوة»**.(عد ٣٣، ١٦).

قبروت هتأوه هي المحطة الثالثة عشرة من سلسلة محطات التيه الاسرائيلي في صحراء سيناء التي نزلوا بها منذ خروجهم من مصر، وهي واقعة ضمن حدود برية فاران والتي حلت السحابة عليها منذ ان ارتفعت عن برية سيناء، وقد وصف موسى برية فاران في التوراة قائلا، **«ثم ارتحلنا من حوريب، وسلكنا كل ذلك القفر العظيم المخوف الذي رأيتم في جبل الاموريين كما أمرنا الرب الهنا وجئنا إلى قادش برنع»** (تث ١، ١٩)، فهي برية مترامية الأطراف، صحراء قاحلة مخيفة جداً لكبر مساحتها وصعوبة التوغل فيها والتي تمتد إلى قلب شبة جزيرة سيناء، وتقع على اطراف حدودها الشرقية كل من المحطات التالية، قبروت هتأوه، حصيروت، رتمة، وتنحصر هذه البرية «برية فاران» بين برية سيناء في الجنوب وحتى منزلة قادش برنع في الشمال، وهذه المحطات تقع على طريق الاموريين.

اثناء مسيرة الشعب الاسرائيلي من جبل حوريب وحتى وصولهم محطة قبروت هتأوه، كان تابوت العهد يسير امامهم في المسيرة حتى يلتمس لهم منزلة، اذ كان نزولهم ورحيلهم مقيد بالسحابة التي تسير فوق تابوت العهد، فكان موسى يقول في دعائه عند كل ارتحال، **« قم يا الله فلتبدد اعداؤك ويهرب مبغضوك من امامك»**. وعند كل نزول كان يقول، **«ارجع يا الله الى ربوات الوف اسرائيل»**(عد ٣٥،١٠)، ففي ذلك درس للإسرائيليين، بأن الله لا يسمع من الانسان الساكت، فلقد خلق الله الانسان ليسبحه ويعظمه ويطلب منه الفرج والأمن والسلام، بقلب مفتوح وبصدر رحب وضمير حي.

ومن الجدير بالذكر ان رحلات بني اسرائيل في صحراء سيناء قبل قيام السكن (خيمة الاجتماع) كانت بتوجيه من رسول الله وبأمر من مولاه، لكن الأمر وبعد قيام السكن اختلف، فالارتحال والنزول أصبح بيد المولى مباشرة، ففي يوم اقامة السكن كانت السحابة تغطي خيمة الشهادة، وفي المساء كان على المسكن شعلة نار الى الصباح، وهكذا كان دائما حيث جاء في التوراة، «متى

ارتفعت السحابة عن الخيمة كان بعد ذلك بنو اسرائيل يرتحلون. وفي المكان حيث حلت السحابة هناك كان بنو اسرائيل ينزلون. حسب قول الله كان بنو اسرائيل يرتحلون. وحسب قول الله كانوا ينزلون»(عد ٩، ١٧-١٨)، فهذه السحابة كانت تحدد المكان والزمان والوقت وكذلك الاتجاه، فاذا حلّت السحابة يوما وليلةً او حتى يومين او شهر او سنةً حلّوا، واذا ارتفعت السحابة ارتحلوا.

لقد وصل شعب بني اسرائيل إلى قبروت هتاوه، وهذا الاسم يعني بالعبرية « قبور الشهوة» فعند وصولهم الى هذه المحلة سمع الرّب تذمرهم وشكواهم، لكن هذا التذمر والشكوى ليست كسابقاتها لوجود المحفل المقدس (الهيكل) يسير معهم في حلهم وترحالهم، ومع كل هذا، ولابسط الاسباب كان الشعب الاسرائيلي يتذمر وكان ما تراه عيناه خيال واوهام، والحقيقة ان الأمر اختلف كلياً بعد اقامة الهيكل، وذلك للازمة وجود مسكن الشهادة في وسطهم ليسير امامهم، حيث اصبحت تصرفاتهم محسوبة عليهم من قبل الله مما يوجب الرد السريع والفوري على الأخطاء التي يرتكبونها.

واثناء مكوثهم في هذه المنزلة، استاء الشعب الاسرائيلي من سوء التغذية تذمر واشتكى قائلا، «قد يبست انفسنا وزهقنا أكل المن»، وكانوا يجهشون بالبكاء وكلُ قابع عند باب خيمته، فتوجه الرسول بندائه إلى ربه، من ابن لي باللحم حتى اعطي جميع هذا الشعب، وليس باستطاعتي انا وحدي ان احمل جميع همومه لأنها ثقيلة علي، فامر المولى على إثر سماع نداء الرسول بان يجمع له سبعين رجلاً من شيوخ اسرائيل من اصحاب الحكمة والمعرفة، واستجاب الرسول لنداء ربه فاتى بهؤلاء الشيوخ الى خيمة الاجتماع، ولما وقفوا هناك نزل الرب في سحابة وتكلم مع موسى واخذ من الروح التي عليه وجعل منها على السبعين شيخا، فلما حلت عليهم الروح تنبؤا، وبعدها خرجت ريح من قبل الرب وساقت السلوى من البحر والقت بها نحو مسيرة يوم، وغطت المحلة وبارتفاع ذراعين فوق وجه الأرض. ان هذه الريح التي اتى بها الرب لتحمل السلوى جاءت من الناحية الشرقية اي من البحر الاحمر والمعروفة بمنطقة خليج العقبة باتجاه الغرب حتى امتلأت المنطقة بالسلوى .

وما ان استطعموا لحم السلوى الذي أرسله رب العالمين حتى ثار غضب الرب على هذا الشعب وضربه ضربة كبيرة جداً لتذمرهم وشكواهم، ودفن القوم الذين ماتوا من جراء شهوتهم هذه، ومن اجل هذا سمي المكان قبروت هتاوه. « وفي تبعيرة ومسّة وقبروت هتأوة أسخطتم الرب».(تث ٩ ، ٢٢)
ان تذمر الشعب في هذه المنزلة (قبروت هتاوة) كان في موضع معين من المحلة وليس في

جميعها، اذ اشتعلت فيهم نار الرب واحرقت طرف المحلة، اذ كان الاحتجاج والتذمر والشكوى من قبل قسم من الشعب فقط، ولما صلى موسى الرسول من اجل هذا الشعب وشفع له عند الله خمدت النار، لذلك أُطلِقَ اسم (تبعيرة) على هذا الموضع، والذي يعني بالعربية اشتعالاً، لكن اللفيف الذي صعد معهم من مصر اشتهى شهوة السمك والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم، وفي هذا الموقع بالذات خرجت الريح التي ساقت السلوى من البحر والقتها على المحلة، فقام الشعب وجمع السلوى وقبل ان ينقطع اللحم بين اسنانهم ثار غضب الله عليهم وضربهم ضربة عظيمة جداً، فدعي اسم الموضع قبروت هتاوة».

في الواقع ان الشكوى التي صدرت من ابناء الشعب الاسرائيلي في بادئ الأمر كانت محدودة، وانطلقت من طرف المحلة أما التذمر والشكوى من سوء التغذية شمل كل افراد الجماعة لكرههم المن، فارسل لهم المولى السلوى وما أن استطعموها واكلوا حتى دبّ فيهم الوباء فمات عدد كبير منهم وهذا ما يثبت ان اسم **قبروت هتأوه وتبعيرة** هما لنفس المكان.



خارطة (١٤): موقع محلة قبروت هتاوه

حصيروت

المحطة الرابعة عشرة

انطلق الشعب الاسرائيلي من محطة قبروت هتاوه حتى وصل الى المحطة الرابعة عشرة «حصيروت» والتي تقع ما بين محلة قبروت هتاوه وبين منزلة رتمة، حيث توجد هذه المحطات الثلاث على حدود برية فاران الشرقية، وقد وصف موسى الرسول برية فاران بالصحراء الكبيرة الرعبة والمترامية الاطراف، فاثناء مسيرتهم من قبروت هتأوة وقبل ان ينزلوا في منزلة حصيروت قابل موسى صهره حوباب بن رعوئيل المدياني، ورحب به قرب مضارب عشيرتهم، حيث عرض عليه الرسول القدوم معه إلى الأراضي المقدسة، لأن الله يعامل الاسرائيليين بالإحسان، كما جاء في التوراة، « **اننا راحلون الى المكان الذي قال الله اعطيكم اياه. اذهب معنا فنحسن اليك، لأن الله قد تكلم عن اسرائيل بالاحسان**». (عد ١٠، ٢٩)

ولما رفض حوباب ابن كاهن مديان رعوئيل القدوم مع موسى، تركه وواصل دربه إلى أن قدم إلى هذه المنزلة «حصيروت» وهذا يعني أن مضارب للديانيين تقع على الساحل الشمالي لذراع خليج العقبة الغربي، وليس على ساحل خليج العقبة الشرقي، كما يفيد بعض الكتاب والباحثين ان الهدف من التطرق لمواقع المحطات وما يحدث من مناسبات ومقابلات ومضايقات واضطرابات فيها هو تحديد الطرق التي سلكها هذا الشعب والمنازل التي حط فيها ورحل عنها وحتى لا يبق لاولئك الذين يشككون في مسيرة التيه وخاصة في الطريق الرئيسية أي غبار على أن هذه المسيرة وقعت احداثها في شبه جزيرة سيناء، وليس في مكان آخر في العالم وها هي الأحداث تثبت ذلك.

ان استغلال كل من هارون ومريم اشقاء موسى نزول الشعب الاسرائيلي في هذه المحطة القريبة من مضارب المديانيين حيث يقيم انسباء موسى عليه السلام، حيث استغابوا شقيقهم موسى الرسول بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها زوجة له وتركها على اثر نبوته، والمقصود بالمرأة الكوشية التي ذكرتها التوراة هنا زوجته صبورة وليس زوجة اخرى كما يعتقد اليهود، حيث جاء في الشريعة المقدسة، « **وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية ، فقالا، هل كلم الرب موسى وحده الم يكلمنا نحن ايضاً**». (عد ١٢، ١-٢)

ولقد أطلق عليها للرأة الكوشية بسبب كونها مديانية من سكان الصحراء، وطبيعة هؤلاء الفتيات الصحراويات بدويات سمراوات البشرة، وهي شقيقة يترو ابنة رعوئيل المدياني، ومضارب هذه القبيلة كانت الصحراء على طريق الأمورين، وكانت حدود مضاربهم، من ميناء العقبة شمالا

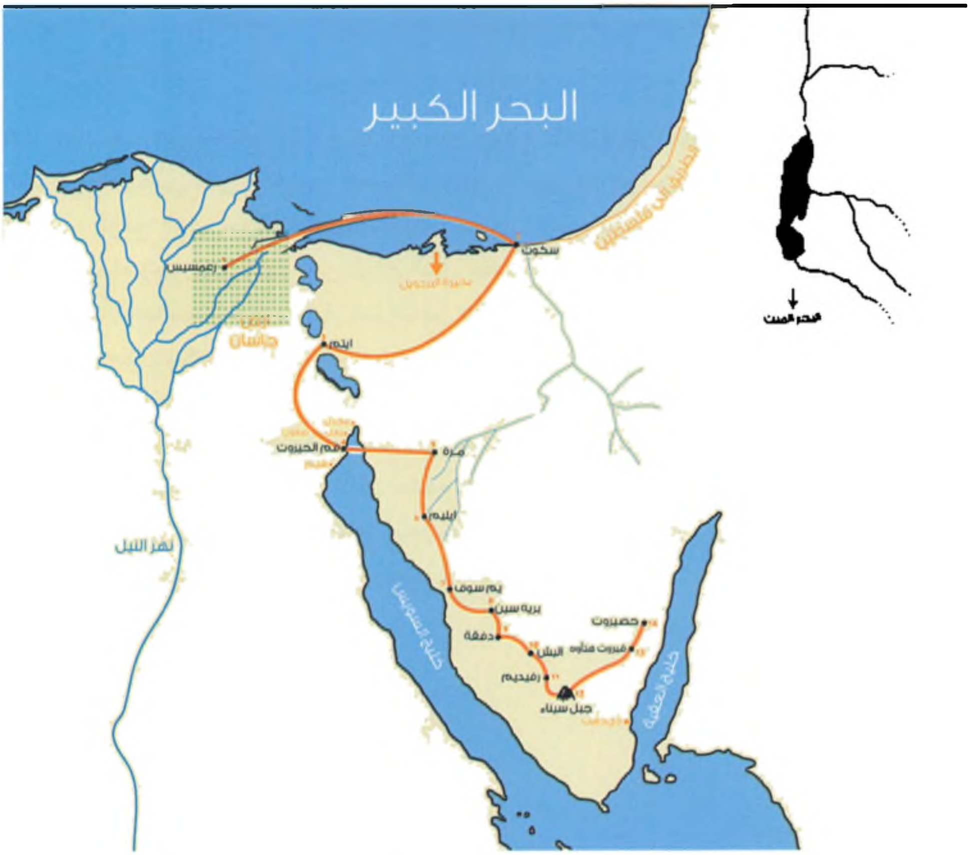
وحتى منزلة **حصيروت** جنوبا، والتي تقع كما أشرنا على ساحل الذراع الغربي من خليج العقبة، ومن الغرب يحدها برية فاران.
وعلى إثر استغابة مريم وهارون لموسى ثار غضب الله، فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة وإذا مريم برصاء كالثلج، فصرخ موسى إلى الرب قائلاً :« **اللهم اشفها**»(عد ١٢، ١٣)، فحُجزت مريم خارج المحلة سبعة أيام، ولم يرتحل الشعب من **حصيروت** حتى شفيت مريم، ورجعت إلى المعسكر.

واصل الاسرائيليون دربهم حتى وصلوا الى **حصيروت** قادمين من قبروت هتاوه، وذلك بسبب اعتدال درجة الحرارة، ونسيم البحر الذي يلطف السير بمحاذاة شاطئ البحر الأحمر الغربي «ذراع العقبة» حيث جاء في الشريعة المقدسة، «**ومن قبروت هتأوة ارتحل الشعب الى حصيروت، فكانوا في حصيروت**».(عد ١١، ٣٥).
وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس توضيحا لموقع حصيروت :«**تقع إلى الشمال من هذه المحطة عين خضرة، والتي تبعد عنها ٢٠ ميلاً تقريباً، الواقعة على مسافة ٣٦ ميلاً إلى الشمال الشرقي من جبل سيناء**».
و **حصيروت** اسم عبري معناه بالعبرية الحظائر، وهو ما ذكره الشارح مرجان الأسعد، في كتابه شرح الرابع، وقد ذكرت التوراة اسم هذا الموقع اكثر من مرة، «**فارتحل بنو اسرائيل في رحلاتهم من برية سيناء فحلت السحابة في برية فاران**» (عد ١٠، ١٢)، ولقد وضحنا ان **قبروت هتأوة**، حصيرت ورتمة جميعها تقع على خط مستقيم تقريباً وعند طريق جبل الأموري، وان مسيرتهم من برية سيناء إلى الشمال الشرقي توازي ذراع البحر الأحمر الشرقي (خليج العقبة)، ولتاتي الأية الشرعية، «**وبعد ذلك ارتحل الشعب من حصيروت ونزلوا في برية فاران**». (عد ١٢، ١٦)، وهذا يؤكد ما أشرنا اليه سابقا بان هناك محطات تقع في برية فاران ذكرتها التوراة بصورة عابرة، كما جاء في الآية الاولى، «**ارتحل الشعب من حصيروت ونزلوا في برية فاران**»، ثم جاء التوضيح في الآية التالية، « **ثم ارتحلوا من قبروت هتأوة ونزلوا في حصيروت**» (عد ٣٣، ١٧)، بناء على ما ذكرناه اعلاه واستشهادا بالمواقع والاحداث فان ذلك يعطينا صورة واضحة المعالم، على أن محطة حصيروت تقع في برية فاران ومحصورة بين محطة قبروت هتاوة وبين محطة رتمة، «**ثم ارتحلوا من حصيروت ونزلوا في رتمة**». (عد ٣٣، ١٨).

ان خط سير بني اسرائيل والبعد الجغرافي وكذلك سواحل البحر الأحمر، بالإضافة الى انحصار جبل سيناء بين هذه الأذرع السويس والعقبة يجعل المنازل التي نزلوا فيها ورحلوا عنها واضحة للعالم من حيث المكان والزمان والبعد الجغرافي وكذلك الأحداث التي جرت فيها، بالإضافة الى ما تم تناقله عن طريق الرواة والروية، وعن طريق الآثار والمعالم، وكذلك الكتب مقدسة،

وبشهادة الملايين من الأنفس، والتاريخ شاهد على ذلك، لذلك ليس هناك شك في صحة قصة مسيرة التيه هذه.

هذا وقد جاء في كتاب عولام هتناخ، «ان **موقع الديانيين كان موجودا على الساحل الشرقي الجنوبي لذراع خليج العقبة،(موقع جمهورية اليمن)**» وباعتقادي ان هناك شك في هذا الموقع الذي حدده الكتاب، فعندما كان موسى يرعى غنم يترو حميه وصل الى **جبل سيناء** (حوريب) قادما من الموقع الذي كنا قد حددناه اعلاه بين **قبروت هتاوه** وبين حصيروت، لأنها تبعد بعض الكيلو مترات من هذا الموقع، لكن ان يتوجه موسى ليرعى غنم يترو بعيدا عن مكان سكناه بمئات الكيلومترات، خلال صحراء قاحلة، فهو لا يستطيع ذلك، وكذلك الغنم تعجز ايضا عن خوض غمار ظمأ العطش والحرارة المرتفعة جدا، اذ يصعب على الانسان والغنم الالتفاف حول خليج العقبة ليصل الى موقع جبل سيناء، فكيف يكون هذا اذا سلمنا بالأمر على ان سكن الديانيين في المكان الذي حدده **عولام هتناخ** وكذلك اطلس **يديعوت احرنوت** وغيرهم الكثير، او انه كان يخترق البحر الأحمر مع الماشية «غنم يترو» عبر السفن من اجل رعيتهم، فهذا ايضا أمر غير ممكن ومستحيل في ذلك الوقت .



خارطة (١٥): موقع محلة حصيروت

رتمه

المحطة الخامسة عشر

ان الوجهة غير المعلومة للشعب الاسرائيلي اثناء مسيرته التيهية اصبحت وكأنّها بلا امل، بالإضافة الى ما واكبها من تهيُّج للمشاعر الدينية واضطرابات اجتماعية وسياسية، ادى كل ذلك الى تفعيل التمرد والعصيان والتذمر في كل محطة ينزلون فيها تقريبا ومن هذه المحطات كانت محطة رتمة، المحطة الخامسة عشر، حيث ذكرت التوراة، «ثم ارتحلوا من حصيروت ونزلوا في رتمة»،(عد ٣٣، ١٨).

وقد جاء في موضع اخر من التوراة وبالتحديد في سفر العدد قوله، «ارتحل الشعب من حصيروت ونزلوا في برية فاران» (عد ١٢، ١٦) فما الداعي لهذا التنويع في الأماكنة او التغيير في الاسماء؟ في الحقيقة أن الشريعة ولكي تتلافى الالتباس في تحديد المواقع، ذكرت في المرة الأولى انهم رحلوا من حصيروت ونزلوا في رتمة، لكن في الآية الأخرى رحلوا من حصيروت ونزلوا في فاران، وهذا يعني ان منزلة رتمة تقع من ضمن برية فاران الشاسعة الواسعة والمترامية الاطراف، وسبق أن اشرنا الى العديد من المواقع التي تقع ضمن حدود هذه البرية.

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس، «رتمة اسم عبري أطلقه العبرانيون على هذا الموقع عندما نزلوا فيه توا، وهو من كلمة (رتم) وهو نوع من النبات ينمو في البرية وفي هذا الموقع بالذات.

ان معظم محطات التيه الاسرائيلي في شبه جزيرة سيناء ان لم تكن جميعها قد اطلق العبرانيون عليها اسماءً ومن هذه المواقع رتمة، حيث جاء اسم رتمه، من تساؤل العبرانيون اثناء مسيرتهم حول جبل ميراثهم الذي وعدهم به كل من رب العالمين ونبيه موسى، لكون جبلهم المقدس (جبل ميراثهم) اي جبل جرزيم بعيدا عن هذا الموقع، فكلمة رتمه مركبة من مقطعين رت – مه ، (رت) وتعني بالعبرية الميراث، و(ما) وتعني بالعبرية التساؤل واداة استفهام، اذ تساءلوا أين هو جبل ميراثنا الذي وعدنا الرب به؟ فمن هنا جاءت التسمية «رتمه».

ان مسيرة الشعب الاسرائيلي لم تترك اثراً ذا شأن في العديد من المحطات التي نزلوا فيها ورحلوا عنها، خاصة من النواحي الأثرية والعمرانية لأنها برارٍ صحراوية قاحلة، وكذلك كانت اقامتهم مؤقتة فيها، ومع ذلك فالإسرائيليون هم الذين اطلقوا أسماء عبرية عليها، حيث سميت نسبة للأحداث التي جرت فيها، بعد نزول الاسرائيليين فيها او رحيلهم عنها، مثال ذلك، رفيديم، اليش، قبروت هتأوه وخرمة وما شابه، والسبب في ذلك أن هذا الشعب كان يقيم في خيم أو بيوت شعر متنقلة، كحياة البداوة ولمدد محدودة ومعدودة لا تتجاوز عدد اصابع اليد، لأن هدفهم كان الوصول الى الأراضي الكنعانية .

انّ من الصعب تحديد العديد من الأماكن او المحطات التي نزل فيها الشعب الاسرائيلي من حيث اسمائها ومواقعها من قبل علماء الأثار والباحثين والكتاب، لكنهم يستطيعون ان يحددوها على وجه التقريب، لطبيعة الحياة الصحراوية التي تتغير بفعل عوامل البيئة الصحراوية بين الفينة والأخرى، لكن اذا ما امعنا النظر في الآيات التوراتية، ومن خلال الاسهاب في الشرح عن المنازل والمحطات التي نزلوا فيها ورحلوا عنها، وكذلك مساحة المكان الذي نزلوا فيه وطبيعة جغرافيته، وبعد النظر في الآفاق، والابتكار في الواقع للملموس، والامعان في ترابط المواقع المحصورة في نطاق شبه جزيرة صحراوية، نجد انفسنا بعيدين كل البعد عن التفكير في ان التيه قد حصل خارج نطاق شبه جزيرة سيناء، مثل السعودية او في ليبيا أو في أثيوبيا حتى ولو للحظة واحدة.

ان المسيرة التي نتابع مواقعها منزلة بعد اخرى، وذلك منذ خروج شعب بني اسرائيل من مصر وحتى وصلوا الى سكوت، ورجوعهم ثانية الى مصر لان المولى لم يهدهم الى الطريق المؤدية إلى فلسطين، ومن ثم عبورهم البحر الأحمر عند البحيرات المرة، وسيرهم بمحاذاة الشاطئ الواقع على ساحل الذراع الغربي للبحر الاحمر في شبه جزيرة سيناء ومن ثم التوجه إلى جبل سيناء (جبل حوريب) الذي يتوسط شبه الجزيرة الجنوبي، وانتقالهم في مسيرتهم الى شاطئ الذراع الشرقي للبحر الأحمر(ذراع العقبة)، المحصور ما بين شبه جزيرة سيناء وذراع البحر الأحمر فرع العقبة، ومتابعة مسيرتهم قرب شاطئ ذراع العقبة للبحر الأحمر، ووصولهم الى طريق الأموري، حتى قادش برنع، فكل ذلك يجعلنا مؤمنين باننا في المسار الصحيح لهذه المسيرة، ومثل هذا المسار لا تشوبه شائبة وان كان هناك بعض التفاوت في بضع الكيلومترات ما بين موقع واخر وليس في كل المواقع طبعاً. لأن الأماكن ذات المساحة الواسعة والتي تزخر بالماء والاشجار لا بد ان بني اسرائيل قد حلوا بها ورحلوا عنها، خاصة تلك المواقع التي طالت اقامتهم فيها، لأن الله كان يتلمس لهم الأمكنة التي سينزلون فيها عن طريق ملائكته، حيث الأرض المناسبة لهم والماء والكلأ.



خارطة (١٦) : موقع محلة رتمه

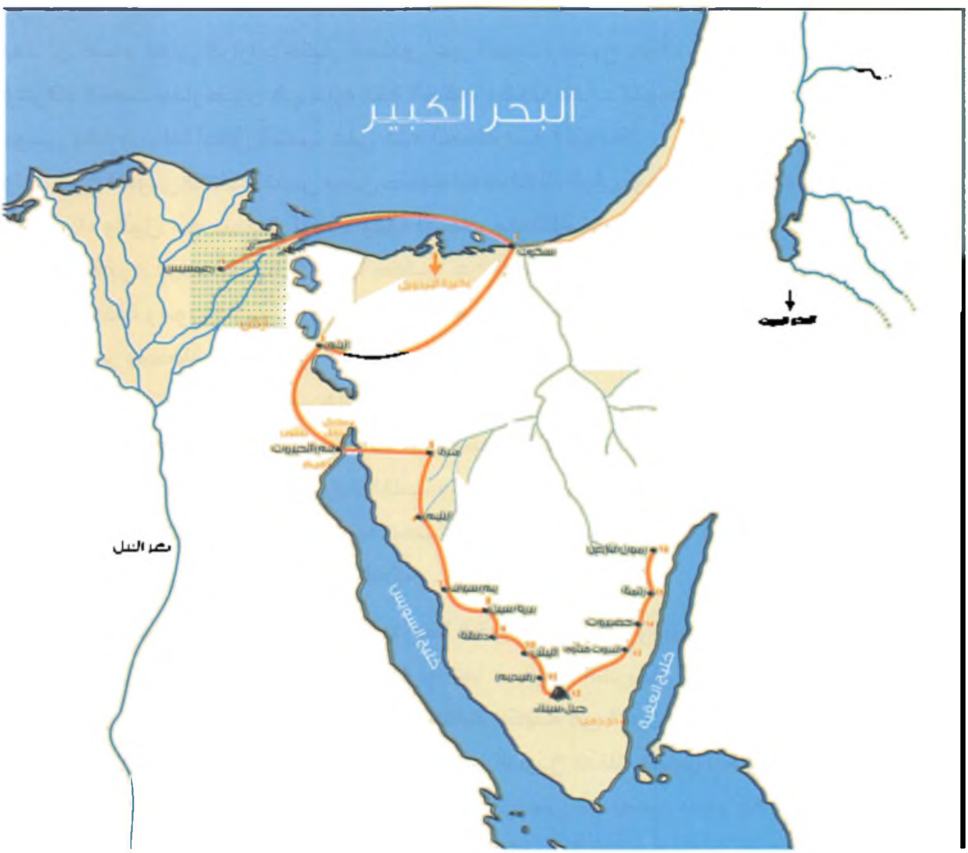
رمون فـارص

المحطة السادسة عشر

«رمون فارص» هي المحطة السادسة عشر التي حل فيها الشعب الاسرائيلي اثناء تنقلاته في شبه جزيرة سيناء، حيث ذكرتها التوراة «**ثم ارتحلوا من رتمة ونزلوا في رمون فارص**» (عد ٣٣، ١٩)، وتقع هذه المحطة في منتصف للسافة ما بين موقعان مشهوران هما **جبل سيناء وقادش برنع**، اذ لا غبار على مكانتهما التاريخية والدينية والعمرانية والأثرية، فاذا ما سرنا بخط مستقيم ما بين هذين الموقعين، سنجد ان محطة رمون فارص موجودة في منتصف هذه المسافة تقريبا، والى الشرق منها وعلى بعد ٣٠ ميلا يقع خليج العقبة.
يوحي لنا الاسم العبري «**رمون فارص**» الى قنبلة متفجرة، حيث يرمز اسم رمون في اللغة العبرية الى القنبلة، وكلمة فارص تعني بالعبرية متفجر، وكان هذه المحلة توحي بما حدث أو سيحدث مستقبلا، لأن ترسيم حدود مسيرة التيه مقرر من قبل للولى، حيث تضمنت تغييرا في اتجاهها عندما وصل الشعب الاسرائيلي الى محلة سكوت التي تقع على الساحل الجنوبي للبحر الابيض للتوسط عند ملتقى بحيرة البردويل، ومن هناك لم يهدهم الله الى طريق فلسطين المؤدية الى الأراضي الكنعانية، حيث ادارهم في برية آتم، ليرجعوا الى مصر ثانية كما أشرنا سابقا. والمقصود برمون فارص (القنبلة المتفجرة) اي ان الشعب الاسرائيلي بعد أيام معدودة سيحل عليه قرار للولى في الحكم بالتيه الأربعين سنة، وذلك لمخالفة هذا الشعب أوامر المولى وعصيان تعاليمه وتبديل الهته، حيث انقلب راسا على عقب ضد قادة مسيرته موسى وهارون، بعد أن فقد الأمل في الوصول الى الأراضي الكنعانية، لذا اطلق الشعب على هذا الموقع **رمون فارص**.
وتلافيا لما هو متوقع وتجنبا لاحتمال ثورة هذا الشعب ضد قائدي مسيرته ليكون مصيرهما مثل حور الذي كان مرافقا لهارون، حيث قُتِل اثناء الفوضى التي عمت في غياب موسى، أمر الله موسى ان يجمع سبعين شيخا من الشعب ليساعدوه في حمل عبء المسؤولية، حيث قال تعالى، «**اجمع الي سبعين رجلا من شيوخ اسرائيل الذين تعلم انهم شيوخ الشعب وعرفاؤه. واقبل بهم الى خيمة الاجتماع، فيقفوا هناك معك، فانزل انا وأتكلم معك هناك، وآخذ من الروح الذي عليك واضع عليهم، فيحملون معك ثقل الشعب، فلا تحمل انت وحدك**». (عد ١١، ١٦-١٧)، فالمتتبع لمسيرة بني اسرائيل منذ الخروج وحتى الوصول الى الاراضي الكنعانية ومن خلال الشريعة التوراتية، يجد انه امام نظام دستوري لحياة عصرية. اذ طلب المولى من موسى ان يختار له حكماء وعرفاء من الشعب ليشاركوه في حمل المسؤولية وخوفا من المستقبل

وتحسبا لمشاكله، لكي تكون الحياة تعاونية ودفة الحكم مشتركة، وحتى لا يكون هناك مجال للتذمر والتمرد والانقلابات مثلما حدث ومحتمل ان يحدث في المستقبل ضد رائدي المسيرة.

وهكذا نجد ان الشعب الإسرائيلي كان يطالب على الدوام بمعرفة مصيره المستقبلي مبكرا، ويريد أن يسير في خطى ثابتة وملموسة. لقد خلق الله الانسان كي يتامل في الأفق وفي صلاة الخالق بالمخلوق، إنّ مثل هذه الرؤى كانت بمتناول ايديهم وليست بعيدة عنهم، انها تعيش بين ظهرانيهم الا وهي «مسكن الرب» المتنقل معهم ليلتمس لهم كل ما هو لصلحتهم، ومع ذلك تجدهم يكفرون ويجحدون رغم ما لديهم وما يملكونه بايديهم.



خارطة (١٧)، موقع محلة رمون فارص

لبــــونة

المحطة السابعة عشر

ترك الشعب الاسرائيلي محلة رمون فارص، واستمروا في مسيرة التيه حتى وصلوا محلة لبونة، المحطة السابعة عشرة، حيث جاء في الشريعة المقدسة ، «ثم ارتحلوا من رمون فارص ونزلوا في لبونة». (عد ٣٣: ٢٠)

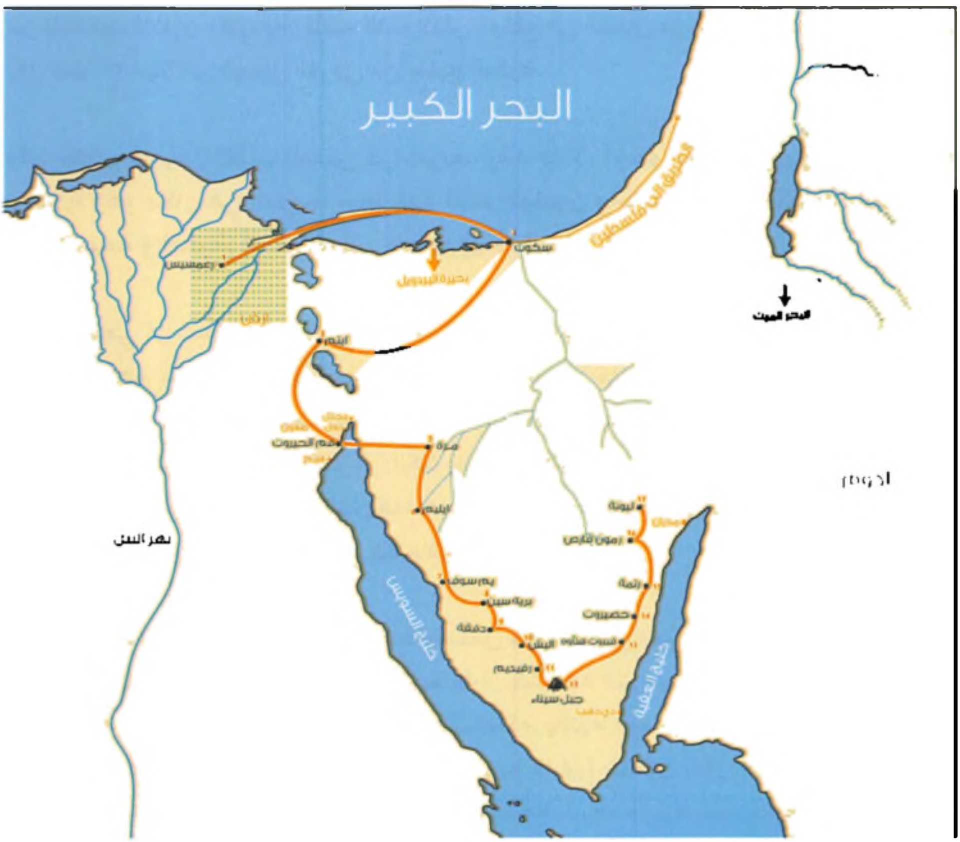
بعد أن أصدر المولى قرارا باختيار ممثلين عن الشعب، اصبح هؤلاء الممثلين من شيوخ وحكماء وعرفاء الشعب يشاركون في ادارة دفة الحكم، وهكذا هدأت الثورة نوعا ما تجاه قائديْ الشعب موسى وهارون، لذا أطلق الشعب على هذه المحطة اسم «لبونة».

ولقد شرح قاموس الكتاب المقدس معنى كلمة لبونه قائلا: «لبان، وهي بالعبرية « لبونة: ومعناها «ابيض»، وقيل انه سميت لبونة بهذا الاسم، منطقة حجر ابيض، تقع شمالي سيناء في جوف القفر»، فهذه المحطة لا تبعد كثيرا عن المحطة التي ارتحلوا منها لأنه يوجد جدول ماء ما بين محطة رمون فارص وبين محطة رسة، وهذا الجدول يجري من وادي فاران الواقع جنوب النقب ويمر بمحطة رسة وياتي الى رمون فارص حيث يتفرع هناك ويُدْعى هذا الوادي بالوادي الغربي، اي انها تقع في منتصف هاتين المحطتين اي الى الشمال من محطة رمون فارص.

لبونة سميت بهذا الاسم قبل ما ينوف على ستة وثلاثين قرنا من الزمان، فالاسم هنا يتركب من لب – ن- ه ، لب تعني بالعبرية القلب، وحرف النون بالعبرية يعني نسمة الحياة، أما حرف الهاء يدل على الشعب، وهذا يعني أنّ الشعب الاسرائيلي تنفس الصعداء بعد ان اختير له ممثلين من اسباطه الاثني عشر لإدارة دفة الحكم.

لقد تناولت التوراة ومن خلال الأسفار الأربعة الخروج واللاويين والعدد والتثنية قصة التيه هذه، ومهما كان التبحّر فيها فانّه قليل مقارنة بما ذكرته الشريعة، لكن أن يستنتج البعض من علماء الأثار بأن التوراة الحالية ما هي الا كتابة كهنة في القرن السابع قبل الميلاد دون الأخذ بعين الاعتبار انها مصدر المعرفة في العالم عبر التاريخ فذلك تجاوز للحد، ولقد اثبتت التوراة منذ أن ظهرت في طور سيناء وحتى يومنا هذا، اي على الرغم من مرور ٣٦٨٨ سنة أنّ العالم لم يتوصل لإثبات اي خطأ فيها، وانا اقصد هنا التوراة العبرية القديمة الموجودة عند السامريين التي لا يعرفها ولم يطلع عليها الا القليل القليل من العلماء والباحثين والمفكرين وعلماء الأثار الذين اعتمدوا في ابحاثهم ودراساتهم فقط على التوراة اليهودية، هذا ومن الجدير بالذكر انه يوجد ما يقارب السبع الاف خلاف ما بين التوراتين العبرية القديمة التي لدى السامريين وبين التوراة اليهودية ما بين حرف وكلمة واية وسورة.

لقد اسنا عبر التاريخ ان كل باحث آثار يبرز له مكتشف جديد، حتى ياتي عالم آثار آخر وينفي ما جاء في تقرير عالم الآثار الذي سبقه. بحجة ان الآت حديثة استعملت في التدقيق عن عمر المكتشف. لكن هل يغير ذلك ما جاء في التوراة ومفهومها؟ كيف يبغي مثل هؤلاء الكتاب والباحثين الاعتماد في كتاباتهم على راي علماء الأثار متجاهلين الكتب السماوية وما جاءت به؟ إنّ التيه الاسرائيلي حقيقة واقعة سردته التوراة بحذافيره من حيث المواقع والاحداث والبعد الجغرافي وكذلك مواقع رئيسية فيه لم تتغير بفعل طبيعته الصحراوية، وايضا تناولته الكتب السماوية الأخرى. اما الذين ينكرون وجود التيه بحد ذاته، او يغيرون معالم مسيرته، او يتصورون ان التيه حدث في اماكن بعيدة كل البعد عن المكان الحقيقي للتيه الاسرائيلي الا وهو شبه جزيرة سيناء ويدَّعونَ حدوثه في اقطار أخرى بعيدة كل البعد عن مكانه الحقيقي فهذا ليس واقعيا ولا يمت للحقيقة بصلة.



خارطة (١٨): موقع محلة ليونه

رَسَّــه

المحطة الثامنة عشر

موكب السيرة التيهية كان يتحرك على نغمات الأبواق من قبل الكهنة وبرعاية موسى الكليم وبركته على الأرض، وكذلك بالرعاية الربانية تحفظه من العلا، هكذا كانت تنقلات ابناء شعب بني اسرائيل، ففي وسطهم مسكن الرب المتمثل في خيمة الاجتماع، تجلله السحابة السماوية، وتلتمس لهم المحلة المناسبة للنزول، حيث ارتحلوا من لبونه الى رسَّه، كما ذكرت التوراة، « ثم ارتحلوا من لبونة ونزلوا في رسة» (عد ٣٣، ٢١)، رسه هي المحطة الثامنة عشر من المحطات الاثنين والاربعين للتيه الاسرائيلي ، وتقع الى الشمال من لبونة عند راس القاع على بعد نحو ٣٠ ميلاً الى الشمال الغربي من خليج العقبة.

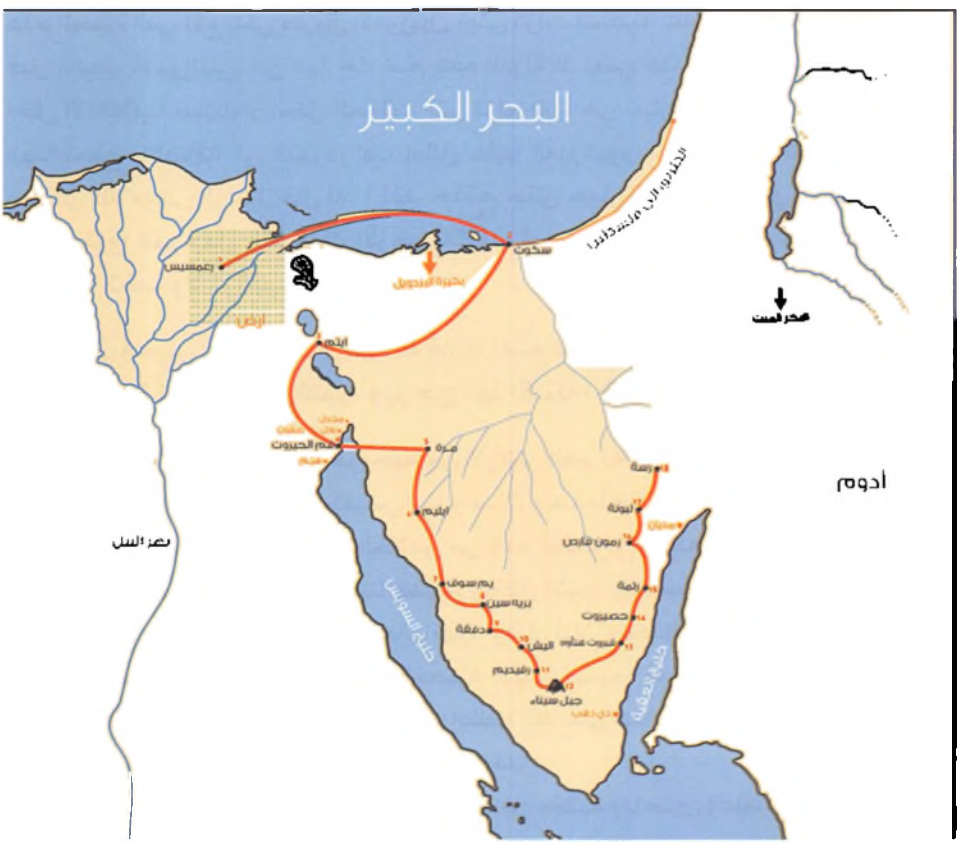
وقد كتب قاموس الكتاب المقدس في تعريف رسّه قائلا، «رسه اسم عبري ربما كان معناه « ندي» وهو مكان في البرية، حط فيه الاسرائيليون رحالهم (ولعله «كنتلة» الجغرافي، بين قسيمة والعقبة، شمال غربي جبل رويسة النجين).

من الطبيعي ان اسماء المحطات التي نزل فيها العبرانيين لم يكن لها وجود قبل التيه، لأن العبرانيين هم من اطلقوا عليها اسماءها وذلك بحسب الأحداث التي جرت فيها وهكذا دونتها التوراة، وبما ان عدد هذا الشعب تجاوز المليونين من الأنفس فقد كان من الصعب عليه ان يتأقلم ضمن الجو الصحراوي الذي يفتقر الى الكلأ والماء، والحقيقة أنّه لولا الرعاية الربانية، التي قامت بدعم للسيرة ورعايتها، والوعد الذي قطعه مع آبائهم، وحكمة النبي موسى لما وصلت الى هدفها المنشود الا وهو الوصول الى الأراضي الكنعانية.

كان الشعب الاسرائيلي اثناء مسيرته هذه ينتقل من برية الى اخرى في صحراء سيناء، فعندما تركوا برية سيناء حلّت السحابة في برية فاران الشاسعة المترامية الاطراف، وكلتاهما تقعان ضمن شبه جزيرة سيناء، وسنرى بعد نزول الحكم بالتيه اربعين سنة انّ شعب بني اسرائيل قضى كل وقته في هذه البرية الصحراوية (برية فاران) يلتفون حول انفسهم لسبعا وثلاثين سنة، فهذه البرية تحتل القسم الاكبر من مساحة شبه جزيرة سيناء الصحراوية، واذا ما تجاهلنا السنتين منذ ان نزل الحكم بالتيه عليهم في قادش برنع، بالإضافة الى السنة منذ ان توفت مريم في بداية السنة الأربعين للتيه في قادش وحتى وفاة الرسول الكريم في نهاية

هذه السنة عند وصولهم الى اردن اريحا (ياردن ياريو)، فيبقى من سنوات التيه الاربعين سبعة وثلاثين سنة قضوها في غياهب صحراء هذه البرية «برية فاران» منذ خروجهم من مصر وحتى وصولهم الأراضي الكنعانية.

مسيرة شعب بني اسرائيل التي دوّنها السفر الرابع (العدد) بجميع اسمائها دون زيادة او نقصان، ضمن الاصحاح ٣٣، تحت عنوان « **هذه رحلات بني اسرائيل الذين خرجوا من ارض مصر بجنودهم عن يد موسى وهارون، وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب**». (عد ٣٣، ١-٢)، فبناء على ما جاء في الآيتين اعلاه، نجد ان رب العالمين هو من امر بتدوين مراحل هذه المسيرة، لأهميتها التاريخية والدينية والاجتماعية والسياسية، والعبر التي سيستفيد منها الشعب الاسرائيلي والشعوب الأخرى مستقبلا، ليعلم العالم باسره ان كل شيء في هذا الوجود له ثمن، وان المعجزات والآيات والاعاجيب جاءت الواحدة تلو الأخرى لتظهر لنا أن الله خالق الوجود وكل شيء فيه هو تحت سيطرته، ولا الهة غيره في الكون وهو القادر على كل شيء.



خارطة ١٩: موقع محلة رسّه

قهلاته

المحطة التاسعة عشر

قهلاته هي للنزلة التاسعة عشر في سلسلة المحطات الاثنتين والأربعين للتيه، وهي تقع عند حدود الاراضي الكنعانية شمالي غرب برية فاران، على طريق جبل الأموريين، حيث جاء في التوراة، **«ثم ارتحلوا من رسّة ونزلوا في قهلاته** (عد ٣٣، ٢٢).

جميع شعوب الدول التي كانت تقع ضمن الاطار الذي عُرف في القرن العشرين بالهلال الخصيب، كانت تخشى الأموريين لسطوتهم وشدتهم وباسهم في الحروب، وما أن وصل هذا الشعب الى هذه المحطة التي تقع على طريق الأموريين حتى نزلت السكينة عليهم، لذا بدأ التمرد هنا من قبل الشعب الاسرائيلي، من هنا جاء اسم هذه المنزلة اذ يعني هذا الاسم بالعبرية **«تجمع من اجل الانقلاب»** بسبب ان كل المحطات التي نزلوا فيها هي عبارة عن تجمعات، وهذه المحطة ايضا تجمع بالإضافة الى التمرد، لهذا اطلق عليها العبرانيون اسم «تجمع اضطرابي» ، ولكي يطمئنَ الله موسى الرسول قال له، **« لقد جئتم حتى جبل الاموري والذي اعطاه الله الهنا لنا، أنظروا قد جعل الله الهك الأرض أمامك، أصعد الى تلك الارض، كما وعد الله اله ابائك، لا تخف ولا ترتعب».** (تث ١، ٢٠-٢١).

وقد وصف قاموس الكتاب المقدس قهلاته قائلا، «اسم عبري معناه «مجمع» وهي محلة لبني اسرائيل مدة تيهانهم في القفر. ويرجح انها «كنتلة» قرية بالقرب من بئر ماين».

كان الاسرائيليون يعتقدون أن خروجهم من الاراضي المصرية ما هو الا نزهة قصيرة، وما هي الا ايام حتى يصلوا الى الأرض التي تفيض لبنا وعسلا، وعندما طالت المدة في الوصول الى الاراضي المقدسة تبدد هذا الاعتقاد، وكانّ الخلاص من هذه الصحراء لن يتم الا بزوالهم وعائلاتهم عن الوجود، لهذا اخذ التمرد يتبلور شيئا فشيئا، وكانّ الآيات والمعاجيز التي حصلت في مصر ما هي الا احلام يقظة رغم عموديْ السحاب نهارا والنار ليلا، وكذلك نزول المن والسلوى، وتفجُر الماء من الصخور، بالإضافة الى وجود الحضرة الالهية بينهم، ومع ذلك كان الخوف ينتابهم والمصير المجهول يرعبهم، لتبقى الصفة التي اطلقها الله على هذا الشعب، **«شعب غليظ الرقبة»** لصيقة به، ولا يستطيع التنصل منها الى ابد الابدين .

ان الاستشهاد بالمصادر التي تركها لنا من سبقونا من كتبة وباحثين وعلماء الآثار، لمعرفة مواقع المحطات التي نزل فيها بنو اسرائيل هي من القلة بمكان، لكن مع تطور العلم والتكنولوجيا، وسهولة

المواصلات والاتصالات، بالإضافة الى الايمان الذي بعثه الله بنفس الانسان لتنمو الروحانية في نفسه وتساعده في حل الغاز عديدة منها كشف الكثير الكثير عن اسرار هذا التيه، الذي مضت قرون عديدة دون التوصل الى حقيقته الكاملة.



خارطة (٢٠)، موقع محلة قهلاته

جبـل اشـفر

المحطة العشرين

إن اسم هذا الموقع «جبل أشفر» يعني ان الاسرائيليين خرجوا من المنطقة الصحراوية القاحلة ووصلوا الى مناطق جبلية، اي ان هناك امل بالخروج من الجو الصحراوي الرملي الى مناطق جبلية جديدة تدب فيها الحياة، لذلك جاء اسم هذا المكان «جبل أشفر» وتعني كلمة اشفر بالعبرية هُتاف، حيث ذكرت التوراة «ثم ارتحلوا من قهلاته ونزلوا في جبل أشفر» (عد ٣٣، ٢٣)، فمنذ خروج بني اسرائيل من جبل «سيناء» المكان الذي نزلت فيه الوصايا العشر على موسى لم تذكر الشريعة ولا محطة اخرى جبلية سوى «جبل أشفر»، لذا اطلق عليه هذا الاسم والذي يعني بالعبرية «جبل الهتاف» والذي بدء الأمل في نفوس هذا الشعب، فتسمية هذا الموقع جاءت لأنه يطل على اودية مائية واراضٍ خضراء تقع الى الشمال الغربي منه، بالوقت الذي يشرف من جهته الشرقية الجنوبية على صحراء قاحلة.

لقد ارتحل بنو اسرائيل من **قهلاته** ونزلوا في محطة جبل اشفر، ولقد اشار الكاتب اسعد منصور في كتابه جغرافية الكتاب بخصوص هذه المنزلة ص ٢٨٥ ، «**قيل هو جبل العريض على الشاطئ الغربي من خليج إيله (العقبة) وقيل جبل الشريف على نحو ٣٠ ميلا الى الجنوب الغربي من قادش برنع و ٧٥ ميلا الى الشمال الغربي من خليج آيله. اما موقعها الحقيقي فهو القول الثاني لأنها تقع في جوف برية فاران وليست على شاطئ الغربي من خليج آيلة وكما هي موضحة على الخريطة.**

عندما يطالع انسان هذا العصر الكتب التي تقع بين يديه، وخاصة كتب الربع الأخير من القرن الماضي وبداية القرن الواحد والعشرين بخصوص المكتشفات الأثرية، عندها يستطيع ان يحكم على ماهية هذه الكتب، فالإنسان الذي اصبح بمتناول يديه التلفاز والانترنت والفيس بوك يشاهد ويطالع كل شيء في عالمنا هذا حينئذ يستطيع أن يحكم على مادة هذه الكتب، ففي الماضي نجد المادة العلمية والثقافية فيها الكثير من الواقعية والعمق، اما الان نجد مادة الكتب وهمية سطحية وخرافية بدون أهداف تُذكر سوى الكسب المادي او الشهرة، فالكتب التي تعتمد على المكتشفات الأثرية والتنقيبات التي يجريها علماء الآثار ليحددوا مجريات التاريخ بأنفسهم، ضاربين بالمعتقدات الدينية عرض الحائط والتي منها جاءت المعرفة، وتاثيرها في المعلومات التي استقوها هم، ليؤمنوا بما يلهمهم وحيهم الوهمي، وكانهم يشاهدون من خلال خيالاتهم هذه

الحقيقة، اما ان يقدموا الدليل القاطع على صحة مكتشفاتهم فهذا بعيد كل البعد عن الواقع، فهذه المكتشفات صرعة انية الى ان ياتي عالم اخر يفند تلك المكتشفات باستحداثات جديدة سرعان ما تلفت الانظار ومن ثم تغيب كسابقاتها وهكذا، لهذا اصبح التاريخ تحت رحمة مثل هؤلاء العلماء والمكتشفين.

علق كتاب «التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها»- ص ١٤٢، بقوله: «**اعتقد العديد من العلماء بانهم تعرفوا على نمط مألوف في هذه الحالة الآثارية، يعني الحركة الجماهيرية لسكان الصحراء الرحل الذين يغزون الأرض المستقرة، ثم يبدؤون بالاستقرار ويتبنون تدريجيا طريقة حياة الاقامة الدائمة**».

في الحقيقة ان العلماء لا يستطيعون ان يجزموا بآرائهم حول النمط المعيشي في الصحراء والذي يتغير ليس بين فترة واخرى بل بين لحظة واخرى، فكيف يتم الحكم على نمط واسلوب حياة شعب تعداده يفوق المليوني نسمه وعاش مدة اربعين سنة في جو صحراوي رغم التقلبات الجوية والعواصف الرملية ومرور الاف السنين على حادثة التيه؟ اما ان يُقال ان المستوى الحضاري الذي أتى منه الاسرائيليون أدنى بكثير من مستوى السكان الذين كانوا من قبلهم في الاراضي الكنعانية فذلك ادّعاءً مخالف للواقع، اذ لا شك أن الشعب الذي لم يستغن عنه المصريون وخاطروا بمستقبل امبراطوريتهم وضحوا بالغالي والنفيس حتى يبقي هذا الشعب في ديارهم، بعد أن شيد لهم الاهرامات وفتح لهم القنوات المائية وانعش امبراطوريتهم العسكرية، وساهم في تحسين اقتصاديات بلادهم، من غير المعقول ان يكون مستواه الحضاري ادنى من مستوى السكان الذين سكنوا من قبلهم في الأراضي الكنعانية.



خريطة (٢١)، موقع جبل اشفر

الفصل الرابع

خـــــردة

(قادش برنع)

الفصل الرابع

خـــــردة

(قادش برنع)

المحطة الواحدة والعشرين

في الشهر الثالث من السنة الثانية لخروجهم من مصر، وصل شعب بني اسرائيل الى **خردة (قادش برنع)** قادمين من محلة **جبل أشفر**، حيث ورد في الشريعة المقدسة، «**ثم ارتحلوا من جبل أشفر ونزلوا في خردة**» (عد ٣٣، ٢٤). اما تحديد الشهر الثالث لوصولهم الى موقع خردة والتي تعرف بـ «**قادش برنع**» حيث كان خروجهم من موقع **جبل سيناء** وكما ورد في الشريعة المقدسة في العشرين من الشهر الثاني للسنة الثانية (عد ١٠، ١١)، ثم جاءت الآية التي تُفيد بان للمسافة ما بين **جبل حوريب** (جبل سيناء) وبين **قادش برنع** على طريق جبل سعير مسيرة أحد عشر يوما (تث ١، ٢)، مما يجعل اعتقادنا أن وصولهم نحو هذا الوقت هو صحيح. اما الطريق من **قادش برنع** وحتى وصولهم الى **نحال زارد** امتدت ثمانية وثلاثين سنة، فاسم «**خردة**» معناه باللغة العبرية «**خوف ورعب**»، وكما اوضحنا سابقا فانّ اسماء محطات التيه الاثنتين والاربعين التي ذكرتها الشريعة المقدسة، لكل منها ميزته الخاصة والتي تعبر عن الحدث الذي جرى في هذه المحطة او كما جاء في كتاب **عولام هتناخ** صفحة ٨٦ ، «**ان معظم أسماء المحطات اطلقت حسب طبيعة الموقع للمنطقة**».

بعد أن عاد الجواسيس الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا في الأراضي الكنعانية أشاعوا فتنة بين ابناء الشعب الاسرائيلي قائلين، «**الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل سكانها. وجميع الشعب الذي رأينا فيها اناس طوال القامة. وقد رأينا هناك الجبابرة(بني عناق من الجبابرة) فكانوا في أعيننا كالجراد، وهكذا كنا في اعينهم**». (عد ١٣، ٣٢-٣٣)، لقد تاثر الشعب جميعه بهذا الكلام، وصرخوا وبكوا وتذمروا على موسى وهارون قائلين لهم، « **ليتنا متنا في أرض مصر، أو ليتنا متنا في هذا القفر**» (عد ١٤، ٢)، فبعد الذي شاهده هذا الشعب بأم عينيه من ايات ومعاجيز وبراهين وأعمدة نار وسحاب تسير امامهم، ومع ذلك اخذوا يتمنون الموت في مصر او في الصحراء على أن يواصلوا دربهم الى الأراضي الكنعانية، فلم يستطع كل من موسى وهارون تحمل هذا التذمر حيث سقطا على وجهيهما أمام كل معشر بني اسرائيل، فقد كان ذلك بمثابة ضربة صاعقة بالنسبة لهم، وكان كلّ ما مرّ به العبرانيون في مصر وخلال مسيرتهم لم يكن كافيا ليتمسكوا بإيمانهم بنبي الله موسى وما جاء به. ومن هنا اطلق الاسرائيليون على هذه المحطة اسم « خردة» والتي تعني بالعبرية الخوف والهلع، فما أصابهم من خوف وهلع قد افقدهم ثقتهم بالله وبقيادتهم وحتى انفسهم، وذلك على اثر رجوع ممثلي الأسباط الاثني عشر الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا في أرض الكنعانيين.

بعد رجوع رواد الجواسيس الذين أرسلهم موسى كي يتجسسوا في الأراضي الكنعانية، اذابوا قلوب الشعب الاسرائيلي خوفا ورعبا، فحكم الله عليهم بالتيه أربعين سنة، فالأمل الذي راودهم في المحطة السابقة (جبل أشفر) بالوصول الى الاراضي المقدسة قد تبدد، اذ وجدوا انفسهم راجعين قهقرى الى الصحراء ومشاكلها، لهذا دبّ فيهم الذعر والقلق ومن هنا نبع هذا الاسم «خردة».

بعد أن وضع الشعب الاسرائيلي كل آماله وامانيه بالوصول الى أرض الميعاد (الاراضي الكنعانية) باقرب فرصة ممكنة نزل الأمر الإلهي بالتيه اربعين سنة، اذ رجعوا ثانية الى القفر الموحش، حيث شحّ الماء وقلة الغذاء والمناخ الصحراوي الجاف، فكل شيء اصبح بالنسبة لهم مجهول المصير. انّ الفرق ما بين مسيرة الشعب الاسرائيلي منذ خروجهم من مصر من رعمسيس وحتى وصولهم الى قادش برنع (خردة)، وبين المسيرة التي ابتدات من هذه المنزلة وحتى وصولهم حدود الاراضي المقدسة، خاصة بعد أن علموا انهم سيموتون في هذا القفر هو فرق شاسع، لكنّ المولى أراد ان يدفع هذا الشعب ثمن تصرفاته غير المسؤولة وغير المعقولة تجاه رب العالمين الذي حذرهم المرة تلو الأخرى من تصرفاتهم غير المحتملة.

لقد شجع موسى الشعب الاسرائيلي على الصعود الى الأراضي المقدسة عندما كانوا في محطة خردة موجها ومطمئننا وناصحا إياهم بان لا يرهبوا ولا يخافوا ولا يترددوا لأن الرب الههم السائر امامهم يحارب عنهم كما فعل معهم في مصر، بذراع ممدودة من آيات وأحكام ومعاجيز امام اعينهم، وفي البرية ايضاً حيث راى هذا الشعب كيف حملهم الله كما يحمل النسر فراخه طول الطريق التي سلكها الى ان جاء الى هذا الموقع «قادش برنع» ، لكنهم في هذا القفر ليسوا واثقين بالرب الههم السائر امامهم ليلتمس لهم مكانا لنزولهم، في عمود نار ليلا ليهديهم الطريق التي يسيرون فيها، وفي عمود سحاب نهاراً، كي يحميهم من حر شمس الصحراء الساطعة. وبعد أن سمع الله صوت تذمرهم وتمردهم، كان جزاء هذا الشعب بان اقسم الله وكما ورد في الشريعة المقدسة، **لن يرى إنسان من هؤلاء الناس من هذا الجيل الشرير الأرض الخيرة التي اقسمت أن أعطيها لإبائكم، ما عدا كالب بن يفنه، وله اعطي الأرض التي وطئها، ولبنيه، لأنه قد اتبع الرب تماما. وعلي أيضا غضب الرب بسببكم قائلا: وانت ايضا لا تدخل الى هناك. يشوع بن نون الواقف أمامك هو يدخل الى هناك. شدده لأنه هو يقسمها لإسرائيل. وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة، وبنوكم الذين لم يعرفوا اليوم الخير والشر فهم يدخلون هناك، ولهم أعطيها وهم يملكونها. وأما انتم فتحولوا وارتحلوا الى البرية على طريق بحر سوف.** (تث ١: ٣٥ - ٤٠)

ففي هذا الموقع بالذات انزل الله حكمه على هذا الشعب لأنهم راوا مجد الله واياته التي عملها لهم في مصر وفي البرية، لكنهم تمردوا على الله مرات عديدة ولم يستمعوا لقوله، فكان حكم للولى بان يبقى ابناء هذا الشعب رعاة في القفر اربعين سنة يحملون فجور ابائهم التي ستفنى جثثهم في القفر، وهذه السنوات الأربعين كعدد الأيام التي تجسسوا فيها في الأراضي الكنعانية، إذ يحملون ذنوبهم اربعين سنة ليعرفوا معنى غضب الرب .

وهنا أيقنوا ان مخالفة أوامر للولى شيء مستحيل، وبداوا بمراجعة انفسهم ومحاسبتها، ووقفوا على حقيقة اعمالهم وافعالهم العسيرة الغير متزنة والغير سارة والتي اغضبت للولى، مما جعلهم يعرفون سبب للصير الذي آلـــوا إليه، عندها بطل عجبهم وقبلوا بالأمر الواقع مرغمين، لقاء ما فعلوه وما اقترفت ايديهم تجاه الرب معبدوهم.

اما اسم قادش برنع فقد اطلقه العبرانيون على هذه المحلة، وذلك بعد ان ارسل الرسول الجواسيس ليتجسسوا في الأراضي الكنعانية، وعندما رجعوا وأشاعوا الفزع والائمة بين ابناء الشعب الإسرائيلي، رفض هذا الشعب الصعود إلى الأراضي المقدسة ونزل حكم للولى في هذا الشعب بان يتشرد في ربوع هذه الصحراء مدة أربعين عاماً، حتى يفنى جيل العبودية، هذا الجيل الذي تاصّل فيه الخنوع والذل والهوان، فكلمة قادش تعني بالعبرية القدس، وهي وصف لهذا الشعب المقدس، بـــر وتعني بالعبرية الولد، ونـــع التي تعني بالعبرية تائهاً اي ان (ابن القدس تائها) ويعني بذلك سنوات التيه التي حكم بها رب العالمين على الشعب الإسرائيلي. « فيأتي الاسم مرادفا للاسم «خردة» حيث الخوف والفزع، لهذا فالاسمين مترادفين لمكان واحد. وكذلك هناك معنى آخر، فكلمة بر بالعربية تعني برية أو صحراء، لذا فالاسم يعني بالمجمل ان هذا «الشعب المقدس يكون تائها في الصحراء»، لـــذا فموقع قادش برنع اتخذ اسمه هذا بعد ان حكم الله على هذا الشعب بالتيه اربعين سنة.

وما ان تم إقامة مسكن الشهادة على يد موسى الرسول في محطة برية سيناء عند جبل حوريب، حتى اختلف الأمر عما كان عليه سابقا حيث أصبح نزول ورحيل ابناء هذا الشعب بقيادة للولى بواسطة السحابة التي كانت تغطي المسكن وتدلّهم على اماكن النزول ومتى يكون الرحيل. إنّ السافة التي قطعها العبرانيون في مسيرتهم منذ خروجهم من برية سيناء وحتى وصولهم الى برية فاران كانت ثلاثة شهور، إذ رحلوا من جبل سيناء بتاريخ العشرين من الشهر الثاني للسنة الثانية لخروجهم من مصر، وعند وصولهم الى قادش برنع ارسل موسى روادا مثّلوا جميع الأسباط الاثني عشر ليتجسسوا في الأراضي الكنعانية، وبعد غياب دام اربعين يوماً، رجعوا ومعهم باكورات من ثمر الأرض، ثمر العنب من وادي اشكول الواقع على شاطئ البحر الأبيض للتوسط الجنوبي الى الشمال من مدينة غزة، وجابوا معهم ايضاً من ثمر التين والرمان، مما يعني

انّهم رجعوا في الشهر السادس (يونيو) او في نهاية هذا الشهر، وإذا طرحنا المدة التي مكثها هؤلاء الجواسيس في الأراضي الكنعانية لحين قطعهم عنقود العنب الضخم الذي جلبوه معهم، والتي تقارب الأربعين يوما، لأصبحت المدة المتبقية حوالي الثلاث شهور، وهي مدة مناسبة للانتقال في تسعة منازل «محطات» التيه.

ولقد جاء توضيح آخر على مكان وقوع هذه المحطة «خردة»، والتي كانت بمثابة حدود الأراضي الكنعانية، وذلك حين ارسلهم الرب من قادش برنع قائلاً، « أصعدوا وامتلكوا الأرض التي أعطيتكم، عصيتم قول الرب إلهكم ولم تصدقوه ولم تسمعوا لقوله. قد كنتم تعصون الله منذ يوم عرفتكم». (تث ٩، ٢٣-٢٤) أي انهم من هنا، من قادش برنع، يستطيعون الصعود وامتلاك الأرض التي وهبها الرب لهم.

الفتنة والخوف اللذان اشاعهما المتجسسون لم تكن في محلها وكان مبالغا فيها، اذ ان رب العالمين كان قائد مسيرتهم في السماء وموسى الكليم كان قائدهم على الأرض، فبالرغم من وجود الجبابرة وطوال القامة في الأماكن التي تجسسوا فيها، إلّا أنّ هناك ما يدحض المذمّة التي اثارها المتجسسون، الا انهم استطاعوا أن يخيفوا الشعب الاسرائيلي بحجة أن الأماكن التي تجسسوا فيها كان فيها أناسٌ جبابرة طوال القامة، لكننا سبق ورأينا كيف استطاع العبرانيون الانتصار على العمالقة حين هاجموهم في محطة رفيديم بعد ان خرج الشعب الاسرائيلي من مصر، حيث انتصروا عليهم انتصارا ساحقا، ولم يمضِ على هذه الحادثة السنتين فقط، حتى تجاهلوا هذا الانتصار. وفي الحقيقة ان العبودية قد زرعت فيهم روح الخضوع والخنوع والاستعباد فكان لا بد من سنوات التيه الأربعين حتى يتحرروا من هذه الآفة التي التصقت بهم، والتي جعلت رب العالمين يصف هذا الشعب بالتمرد والعصيان أي «شعب غليظ الرقبة».
لقد ذكرت الشريعة المقدسة ان الشعب الاسرائيلي قد مكث في موقع خرده (قادش برنع) أياما عديدة، وهنا يعني انّ الاسرائيليين على اثر ارسال الجواسيس الى الاراضي الكنعانية ورجوعهم من التجسس في ارض كنعان، وعلى الرغم مما حملوه من أثمار الارض وجاءوا بها اذ قالوا ان الأرض التي اعطاهم الرب هي ارض جيدة، وبالرغم من ذلك لم يشاؤوا ان يصعدوا اليها مما اغضب المولى منهم، وما واكب ذلك من تمرمر في الخيام وانتشار النميمة بين الشعب، ولم ينته الامر عند ذلك بل قالوا ان الرب أخرجهم من ارض مصر ليدفعهم الى ايدي الأموريين كي يهلكهم، وقالوا أن الشعب المقيم في الأراضي الكنعانية شعب اعظم منهم، ذو أجسام ضخمة ومدن عظيمة محصنة الى السماء، ومع انّ نبي الله موسى بن عمران قد طمانهم بأن لا يرهبوا ولا يخافوا منهم لأن الرب الههم سائر امامهم، يحارب عنهم كما فعل معهم في مصر امام اعينهم، وكما فعل معهم في البرية حيث حملهم الرب الههم كما يحمل الانسان ابنه، لأجل كل هذا

مكثوا في خرده (قادش برنع) اياما كثيرة. وباعتقادنا ان مثل هذه الايام تقدر ب ١٩ سنة وهي جمطرة احرف «خرده» بدون اسفار ٨+٢٠٠+٤+٥=١٩ من اجل هذا جاء في الشريعة المقدسة «ومكثتم في قادش اياما كثيره كالأيام التي مكثتم فيها» (تث٤٦،١).

هدد المولى بأن يفني الشعب الاسرائيلي من موقع قادش برنع (خردة) بقوله الى موسى الرسول، « وحتى متى يهينني هذا الشعب؟ وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم؟ اني اضربهم بالوبأ وأبيدهم، واصيرك شعبا أكبر واعظم منهم» (عد ١٤، ١١-١٢). فاجابه الرسول قائلا، الرب طويل الروح كثير الاحسان، يغفر الذنب والسيئة، لكنه لا يبرئ. بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء الى الجيل الثالث والرابع. اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك، وكما غفرت لهذا الشعب من مصر الى ههنا»(عد ١٤، ١٨-١٩). لقد تأثر المولى من كلام نبيه وكليمه وامين بيته الا انه اعلم موسى بأن جميع الرجال الذي رأوا مجده وآياته التي عملها في مصر وفي البرية وجربوه عشرة مرات ولم يسمعوا لقوله، لن يدخلوا الأرض التي حلف لآبائهم، وكذلك لن يراها جميع الذين اهانوه.

لقد قصد المولى بالمرات العشر التي ذكرها سبحانه وتعالى في الآية، « ان جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر وفي البرية، وجربوني عشر مرات، ولم يسمعوا لقولي». (عد ١٤، ٢٢)، المقصود هنا، مرتين في بحر سوف، حيث تذمر بنو اسرائيل بقولهم، «كف عنا فنخدم المصريين، لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية»، فكانت هذه التجربة الاولى، اما الثانية كانت بقول الشعب، «هل لأنه ليس قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية». وواحدة في مرّة حيث تذمر الشعب على موسى قائلا،« ماذا نشرب؟». وواحدة في رفيديم، «لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا واولادنا ومواشينا بالعطش». ومرتين في برية سين حيث كانت الاولى حينما تذمر كل جماعة بني اسرائيل على موسى وهارون قائلين، «ليتنا متنا بيد الرب في ارض مصر، اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع. فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع». واما الثانية عندما خرج الشعب ليلتقط المَنّ فلم يجده بسبب حرمة السبت، وقال الله الى موسى، «الى متى تأبون أن تحفظوا وصاياي وشرائعي؟ » وواحدة عند، صنع العجل في جبل سيناء، وواحدة في قبروت هتاوه عند استياء الشعب من سوء التغذية اذ تذمر واشتكى قائلا، «قد يبست انفسنا وزهقنا أكل المن». ومرتين في برية فاران، المرة الاولى حين ارسل موسى روادا للتجسس حيث تمردوا عليه على اثر رجوع الجواسيس وما وصفوا به الارض المقدسة، «تأكل سكانها، حيث كنا في أعيننا كالجراد وهكذا كنا في اعينهم» والمرة الثانية كانت بقولهم، «لماذا أتى بنا الله الى هذه الأرض لنسقط بالسيف؟ تصير نساؤنا واطفالنا غنيمة؟ اليس خيرا لنا أن نرجع الى مصر؟»

على إثر مخالفات الشعب الاسرائيلي العشرة هذه والتي اغضبت المولى منهم ، حكم عليهم بالتيه أربعين سنة كعدد الايام التي تجسسوا فيها في الارض اربعين يوما، لكل يوم سنة، وذلك حتى يفنى جيل العبودية ، كما جاء في الشريعة المقدسة: «انا الرب تكلمت .لأفعلنّ هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة علي. في هذا القفر يفنون، وفيه يموتون» (عدد١٤: ٣٥).



خارطة (٢٢): موقع محلة خردة

الجواسيس

عندما نزل شعب بني إسرائيل في موقع خردة (قادش برنع) ارسل موسى رجالاً ليتجسسوا في ارض كنعان، قائلا لهم، « اصعدوا من هنا «قادش برنع» إلى الجنوب واطلعوا إلى الجبل وانظروا الأرض، ما هي ؟ والشعب الساكن فيها، أقوي هو ام ضعيف ؟ قليل أم كثير ؟ وكيف هي الأرض التي هو ساكن فيها، أجيدة أم رديئة ؟ وما هي المدن التي ساكن فيها، امخيمات أم حصون ؟ وكيف هي الأرض أسمينة ام هزيلة ؟ أفيها شجر أم لا ؟ وتشددوا فخذوا من ثمر الأرض». (عد ١٣، ١٧- ٢٠) ، وكذلك جاء في التوراة، «ارسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل، رجلاً واحداً لكل سبط» (عد ١٣، ٢).

ولقد اختار موسى هؤلاء الرواد من الأسباط الاثني عشر،

من سبط رؤبين	شموع بن زكور	من سبط شمعون	شافط بن حوري
من سبط يهوذا	كالب بن يفنة	من سبط يشاككر	يجال بن يوسف
من سبط افرايم	يوشع بن نون	من سبط بنيامين	فلطي بن رافو
من سبط زبولون	جديئيل بن سودي	من سبط دان	عمئيل بن جملي
من سبط اشر	ستور بن ميخائيل	من سبط منشي	جدي بن سوسي
من سبط نفتالي	ناحي بن وفسي	من سبط جاد	جاديل بن ميكي

لذا أرسلهم رسول الله في مهمتهم، بعد أن أوكل قيادتهم إلى يوشع بن نون من سبط افرايم، حيث قام موسى بتوجيههم الى الأماكن التي يجب أن يتجسسوا فيها.

خرج الروّاد من برية فاران في منتصف فصل الصيف من السنة الثانية للخروج، وجاءوا إلى برية سين الواقعة على طرف الأراضي الكنعانية- شبه جزيرة سيناء، ووصلوا الى مدخل حماة في سوريا، حيث ابتدؤوا بالنقب وأتوا إلى حبرون (الخليل)، وهي المدينة التي قالت عنها التوراة انها بنيت قبل مدينة صان الحجر الواقعة في اراضي جاسان بسبع سنين، ثم جاءوا إلى شكيم (نابلس) عن طريق القدس، واجتازوا الأراضي اللبنانية، بالقرب من بحيرة طبريا، وواصلوا إلى الشمال حتى وصلوا مدخل حماة، ثم رجعوا من تجسسهم بعد أن اتخذوا لهم مسلكاً آخر اختلف عن مسلك ذهابهم، بعد أن استمرت هذه الرحلة الاستكشافية التجسسية مدة اربعين يوماً .

وعند رجوع هؤلاء الرجال، « فساروا حتى أتوا إلى موسى وهارون وكل جماعة بني إسرائيل إلى برية فاران إلى قادش، وردوا إليهما خبرا وإلى كل الجماعة وأروهم ثمر الأرض»، (عد ١٣، ٢٦)، قائلين:« أن الأرض التي أعطانا إياها الرب إلهنا، أنها فعلاً تفيض لبناً وعسلاً، وها أنتم تشاهدون ثمرها أمامكم، غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز بنفسه، والمدن حصينة وعظيمة جداً، وهناك العمالقة الساكنون في أرض الجنوب من هذه البلاد، والحيثيون واليبوسيين والأموريين الساكنون في الجبل، والكنعانيون الساكنون عند البحر وعلى جانب نهر الأردن» (عد ١٣، ٢٧-٢٩)، وإن من الخطر على الشعب الإسرائيلي الصعود إلى هناك فذلك يعني الموت، لأن شعب تلك الأرض أشد منا بأساً وأصلب منا عوداً ، «هذه الأرض تأكل سكانها، وهناك الجبابرة بني عناق طوال القامة وقد كنا في أعينهم كالجراد». (عد ١٣، ٣٣)

وما أن سمع الشعب الإسرائيلي كلام الجواسيس، حتى ذابت قلوبهم وضعفت نفوسهم، وبدأوا يصرخون ويندبون حظهم، وتمردوا على الرب قائد مسيرتهم قائلين لن نصعد إلى هناك، لأن الله قد أخرجنا من مصر ليدفعنا إلى هذه الشعوب ليهلكونا، ليتنا متنا في أرض مصر، ليتنا متنا في هذا القفر، هل أتى بنا هنا لنسقط بالسيف، حتى أن بعضهم طلب أن يقيموا عليهم رئيساً للرجوع إلى مصر.

غير أن رباطة جاش قائد هذه المسيرة «يوشع بن نون» من سبط افرايم، وكالب بن يفني من سبط يهودا، وتحمسهم للصعود جعلهم يقولون، «الأرض التي مررنا فيها لنتحسسها جيدة جداً، أنها أرضاً تفيض لبنا وعسلاً ، لا تتمردوا على الرب ولا تخافوا من شعب الأرض لأنهم خبزنا. قد زال عنهم ظِلهم، والرب معنا لا تخافوهم».(عد ١٤، ٧-٩).

وكانت هذه الرحلة التجسسية في الأراضي الكنعانية هي نقطة التحول في مسيرة العبرانيين في شبه جزيرة سيناء، لأنها القشة التي قصمت ظهر البعير، بعد أن تمرد هذا الشعب وتذمر للمرة العاشرة، إذ لم يكتفوا بوجود الذات الإلهية بينهم وقيادة الرسول موسى عليه السلام والعطاء الذي منحهم إياه الله بدون حدود، إذ بدأ الشعب الإسرائيلي بالصراخ والبكاء بعد أن ملأ رواد الاستكشاف قلوبهم خوفا ورعبا، قائلين، « ليتنا متنا في أرض مصر، أو ليتنا متنا في هذا القفر! ولماذا أتى بنا الله إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف ؟ تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة. أليس خير لنا أن نرجع إلى مصر ؟»(عد ١٤، ٢-٣)

ورغم محاولة موسى أن يعظ أبناء شعبه حتى يرجعوا عما هم فيه من تذمر وتمرد قائلا لهم، لا ترهبوا ولا تخافوا الرب إلهكم أعظم من كل الآلهة، هو السائر أمامكم هو يحارب عنكم ويكسر أعداءكم، إلّا أنهم لم يثقوا بكلام موسى عليه السلام ولا بكلام رؤساء أسباط افرايم ويهودا، ولم يتعظوا من أقوالهم.

وعلى اثر ذلك، انزل الله حكمه على هذا الشعب بان يغير اتجاه مسيرته، وبدل أن يواصلوا مسيرتهم نحو الأراضي الكنعانية، وجههم الله وجهةً اخرى ليعودوا الى غياهب براري شبه جزيرة سيناء، وهذا ما جعل لعملية التجسس سلبيات كبرى.
لقد سمع هذا الشعب من موسى الرسول بالأمس القريب كلاماً موجهاً إليهم، «**لقد جئتم حتى جبل الأموري، والذي أعطاه الله إلهنا لنا، أصعد تملك كما كلمك الله إله إبائك، لا تخف ولا ترتعب، وطلبوا منه أن يرسل أمامهم رسلاً ليتجسسوا الأرض ويفحصوها حتى يرجعوا بالإخبار الصحيحة اليقين عن طبيعة البلاد القادمين إليها، ونوعية سكانها ، وكيفية سلوك الطريق إليها**». لكن الموقف الان انقلب راسا على عقب، حيث أنزل الله رب العالمين امره وحكمه الإلهي بالتيه اربعين سنة.

انّ الشعب الإسرائيلي ينكر ذاته ويتنكر لفضل مولاه، اذ ضرب عرض الحائط كل هذه الاعمال المجيدة العظيمة والآيات والمعاجيز والاحكام ، وكان لابد من ان تاتي ساعة الصفر، ساعة الحساب، ليظهر مجد الرب في خيمة الاجتماع لكل بني إسرائيل وليخاطب الرب موسى، «**حتى متى يهينني هذا الشعب، وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم أني أخرجهم بالوباء وأبيدهم وأصيرك شعبا اكبر وأعظم منهم**».(عد ١٤، ١١-١٢)
وهنا شعر النبي بمدى خطورة كلام رب العالمين ونتائجه، وما قد يحدث لشعبه، وأدرك ان الخطر الذي يحدق به أصبح قاب قوسين او ادنى، وما أن انتهى الرب من كلامه مع الرسول حتى اجابه نبيه الكليم بحكمة وروية وعطف، بتعبير ملؤه الشفقة والرافة، وخاطبه وهو موقنٌ أن رب العالمين مهما اشتد غضبه فلا بد من ان يصفح عن من اتخذه بمثابة ابنه البكر مهما بلغ حجم الجرم الذي اقترفه هذا الشعب تجاه خالقه، فخاطبه نبي الله قائلاً، « **ليسمع المصريون الذي أصعدت بقوتك هذا الشعب من وسطهم وليقولون سكان الأرض الذين سمعوا انك يا رب في وسط هذا الشعب، الذين أنت يا رب قد أظهرت لهم عيناً لعين وسحابك واقعة عليهم وانت سائر امامهم بعمود سحاب وبعمود نار ليلاً فإن قتلت هذا الشعب كرجل واحد ليتكلم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين، لأن الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التي حلف لهم، قتلهم في القفر**».(عد ١٤، ١٣-١٦)

لقد جاءت توسلات النبي الكريم عبر صلواته الى الله مؤثرة ومعبرة ومن صميم قلبه، إذ افصح عما يجيش في صدره وخلجات نفسه إلى رب العالمين، فإذا لم يستجب المولى لمثل هذا الدعاء الصادر من قبل موسى الرسول فلمن يستجيب الخالق في هذا العالم؟ إذ جاء في التوراة، « **فالآن لتعظم قدرة سيدي كما تكلمت قائلاً ، الرب طويل الروح كثير الإحساس يغفر الذنب والسيئة لكن لا يبرئ بل يجعل ذنب الإباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع أصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك. وكما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى ههنا**» (عد ١٤، ١٨-

١٩)، في الحقيقة يجب أن يكون مثل هذا الدعاء والتوسل عبرة للأجيال على مر الزمن في طلب المغفرة والرحمة من رب العالمين على الذنوب التي يقترفها الإنسان سواء أكانت بقصد أو بدون قصد. لقد استجاب المولى لصلاة وتوسلات نبيه ورسوله وامين بيته موسى بن عمران، وعدل عن إبادة هذا الشعب بقوله، «**قد صفحت حسب قولك، ولكن حي أنا فتملأ كل الأرض من مجد الرب أن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر وفي البرية وجربوني ألان عشر مرات ولم يسمعوا لقولي لن يروا الأرض التي حلفت لإبائهم وجميع الذين اهانوني لا يرونها**» (عدد١٤، ١٩)

ولقد جاء القسم الإلهي بأن لن يرى إنسان من هذا الجيل الشرير الأرض الجيدة التي وعد الله بإعطائها لآبائهم، فعاتب النبي شعبه في سفر العدد الإصحاح ١٤ الآية ٢١ قائلا، «**وعلي ايضاً غضب الرب بسببكم قائلاً وانني أيضاً لا تدخل إلى هناك، يشوع بن نون الواقف إمامك هو يدخل إلى هناك وهو يقسمها لأسباط إسرائيل**».

قرار رب العالمين بعدم دخول جيل العبودية إلى الأراضي المقدسة كان لمن يبلغون العشرين سنة وصاعداً، وحسب التعداد الذي حصل في برية سيناء على يد سيدنا موسى وشقيقه هارون، فلقد استثنى رب العالمين اثنين فقط هما كالب بني يفني من سبط يهودا، ويوشع بن نون من سبط افرايم، حيث وعدهما الرب بإدخالهما إلى الأرض، امّا بقية المعدودين فيسقطون في القفر، وابنائهم سيكونون طيلة هذه الفترة رعاة في القفر مدة أربعين سنة حتى يحملوا فجور ابائهم التي ستفنى جثثهم في القفر، فكانت سنين التيه هذه كعدد الأيام التي مكثها التجسون الذين ارسلهم الرسول لجسّ واستكشاف الأرض الكنعانية وسكانها.

اما مصير أولئك الرجال الذين ذهبوا في مهمتهم للتجسس و نشروا برجوعهم التذمر والتحريض والتعصب في كل جماعة بني إسرائيل، فكان جزاؤهم الموت لأنهم اشاعوا المذمة الرديئة على الأرض، إذ أماتهم المولى بالوباء، امّا رواد سبط افرايم وسبط يهودا لم يصبهم اذىً كما وعدهم الرب، ولقد وصف الله هذا الشعب بالجماعة الشريرة المتذمرة عليه، وانه سيفعل بهم كما تكلموا في اذنه، حتى تسقط جثثهم في القفر، ووعدهم بالّا يدخلوا الارض المقدسة، إذ جاء في التوراة، «**فجثثكم انتم تسقط في هذا القفر، وبنوكم يكونون رعاة في القفر اربعين سنة، ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في الصحراء. كعدد أيام التي تجسستم فيها الارض اربعين يوما، للسنة يوم تحملون ذنوبكم اربعين سنة فتعرفون ابتعادي**». (عد ١٤، ٣٢-٣٤)، فلقد أنذر الله وحذّر الشعب الاسرائيلي وفعل بهم كما وعد، وهكذا حدث حيث أتاهم في الصحراء السينائية، وأفناهم بالموت، ولم يبقَ منهم سوى يوشع بن نون وكالب بن يفنة.

لقد أراد الشعب الاسرائيلي أن يصلح الأمر وان يصحح الخطأ الذي صدر عنه، فبعد ان اعترفوا بخطئهم تجاه المولى لكن بطريقة أخرىوتشجعوا في اليوم التالي. حيث استعدوا وصعدوا إلى الجبل رغم تحذيرهم من قبل الرسول بأنّ ندمهم وبكائهم هذا ليس فيه فائدة، فصعودهم فيه

تجاوز لكلام الرب، لأنه لن يكون في وسطهم هذه المرة، وسوف ينهزموا امام اعدائهم ويسقطوا بالسيف ويتقهقرون، لكنهم لم يستجيبوا لنداء الرسول وتوسلاته اليهم، اما تابوت العهد وموسى فلم يبرحا من وسط محلة «قادش برنع» وذلك حسب اوامر الله، وهكذا نزل العمالقة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم في «خرمه»، فلقد اثبت الشعب الاسرائيلي بفعلته هذه انه شعب لا يبالي بما يرى، او يتعظ مما يسمع، انه شعب يفعل ما يجول بخاطره، رغم انه يرى الحقائق الدامغة أمام ناظريه، وعلى مسمع اذنيه، ويتصرف معتمدا على اهوائه. إنه بالفعل شعب غليظ الرقبة، كما جاء على لسان المولى في وصفه لشعب بني اسرائيل.

فبعد انهزامهم وانكسارهم في خرمة رجعوا وبكوا أمام الله، فلم يسمع الرب صوتهم، ولم يصغِ لكلامهم، واستمر بقاؤهم في قادش برنع (خردة) اياماً كثيرة تساوي بمجموعها الايام التي قضوها منذ ان جاءوا إلى هذا المكان وحتى تقهقرهم أمام اعدائهم .

ان العملية الاستكشافية التي قام بها الرواد الاثني عشر لأسباط شعب بني اسرائيل في الأراضي الكنعانية، كانت حيوية بالنسبة لهذا الشعب رغم سلبياتها، اذ اعاقت دخول هذا الشعب إلى الأراضي المقدسة مدة ثمانية وثلاثون سنة، لكن هذه السنين كانت حافزاً لتحررهم من العبودية التي علقت بهم على مدار اكثر من قرنين من الزمان، حيث غمستهم في حياة التبعية والمأمورية دون ان يأخذوا زمام امورهم بأيديهم حتى في ابسط الامور، ولو لم تكن هذه العملية والحكم الذي نزل بأعقابها من قبل المولى، لدخل العبرانيون الأراضي المقدسة خلال أسابيع معدودة لا تتجاوز شهرا واحدا فقط و لأصبحت النتيجة ليست كما يتوقعها هذا الشعب حتى ولو كان انتصارهم هنا وهناك محققا، الا انهم سيظلون متأثرين بالعبودية وسلبياتها، ولما استطاعوا ان يوحدوا صفوفهم من اجل اقامة دولة موحدة في هذه الأراضي المقدسة.

انّ الذين يستنكرون اطلاق تسمية التيه على هذه المسيرة ويفضلون مسمى «الوعيد» فهم مخطئون باعتقادهم هذا، فبعد أن كاد شعب بني اسرائيل ان يصل خلال اسابيع لا يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة عندما وصلوا الى موقع سكوت، اذ أدار الرب وجهتهم الى الغرب حيث عادوا الى مصر ثانية، وبعد ان وصلوا الى قادش برنع وعلى اثر تمرد الشعب الاسرائيلي بسبب عملية التجسس حكم الرب على الاسرائيليين بالتيه أربعين سنة، فكيف نطلق كلمة وعيد رغم ارتكابهم خلال مدة السنتين عشرة مخالفات كانت جميعها من قبل الشعب وليست على يد افراد هنا وهناك، مما جعل المولى يصف هذا الشعب بالجماعة الشريرة والمتذمرة عليه، وفي قفر سيناء ستسقط جثثهم، حيث جاء في الشريعة المقدسة «فجثثكم انتم تسقط في هذا القفر، وبنوكم يكونون رعاة في القفر اربعين سنة، ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في الصحراء» (عد ١٤، ٣٢-٣٣).

لقد ابدع رب العالمين في خَلْقِ الكون وبَعَثَه باجمل صورة، ثم خلق الانسان كاملاً ذو عقلية نيرة، وخلق له حواسه الخمسة الضرورية جدا لمواصلة دربه في الحياة، وبذلك استطاع الانسان الاعتماد على نفسه في جميع الأمور، ومكنّه من التمييز بعقله بين الخير والشر حتى يختار حياته التي يرتئيها لنفسه، في الحقيقة ان العالم قد خلق على اسس وقواعد محكمة التركيب والتنسيق، ولهذا لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فهو يساعد اولئك الذين يبغون مساعدة انفسهم، ويساعد الشعوب التي تسعى الى الخير، فالإنسان مُخيّر وليس مُسيّر، ولله الحساب والعقاب. اما ان يصر هذا الشعب على التذمر والتمرد والعصيان، رغم وجود المولى في وسطهم، وقائداً لمسيرتهم، يخاطبهم كما يخاطب الأب ولده، ويحميهم كما يحمي النسر عشه، فكان لا بد من غضبه تعالى وعقابه، حتى يقاضي رب العالمين الشعب العبراني ويدينه، فيواصل مسيرته في الصحراء القاحلة تائهاً متشرداً لأربعين عاما، فربُ العالمين رحيمٌ كثير الاحسان، يغفر الذنوب والسيئات، لكنه لا يبرئ احدا بل يجعل ذنب الاباء في الابناء إلى الجيل الثالث والرابع، وهذا ما حدث لأبناء شعب اسرائيل بعد ان تذمروا وخالفوا أوامر ربهم وتمردوا في خيامهم، وادّعوا أن بغض الله لهم اخرجهم من ارض مصر ليدفعهم الى ايدي الأموريين من اجل هلاكهم، حينئذ انزل الله عقابه عليهم بان اماتَ جيل العبودية منهم.

إن لكل عمل في هذا الوجود نتيجة، سواء اكانت سلبية ام ايجابية، فهذه هي سنة الحياة، حتى يتفرغ الانسان لعبادة الله خالقه، فلقد بعث الله سيدنا آدم عليه السلام ووضعه في جنان النعيم، وهكذا ابتغى ان تسلك ذريته من بعده، لكن بعد مخالفة ادم لتعاليم المولى اختلف الامر، اذ طرده المولى من الجنة الى الأرض حيث العمل والجهد ليحصل على قوته وكذلك حكم الموت، وجاءت حادثة قتل قابين لشقيقه هابيل التي كانت لها نتائجها السلبية بالنسبة له وللعالم أجمع من بعده، فالإنسان يفكر بالسوء تجاه اخيه الانسان منذ حداثة سنه.

إن حادثة الطوفان قضت على البشرية جمعاء بعد أن امتلأت الارض ظلماً وفساداً، لكن نوحاً الذي وجد نعمة بعين الرب قد انقذه المولى، وما الكفر والزندقة الذين انتشرا في سدوم وعمورة الواقعتين في دائرة البحر الميت ورد فعل المولى حيث اباده‍م عن بكرة ابيهم، الا عبرة ما زالت ظاهرة للعيان حتى الان لكل شعوب الارض.

كذلك فان تفاني واخلاص ابراهيم عليه السلام لمولاه جعله صاحب عهد له ولذريته من بعده، وقدسية شعب بني اسرائيل ومكانة موسى الامين عند رب العالمين، هي التي أخرجت هذا الشعب من ظلم عبودية فرعون مصر واتباعه محررين. لكن الله سيحاسب بني اسرائيل رغم القدسية والشعب الخاص وابنه البكر، فالتمرد والتذمر والعصيان من قبل شعب العبرانيين لا بد وان يكون له نتائجه الوخيمة.

ان عملية التجسس التي انطلقت من محلة «قادش برنع» إلى الاراضي الكنعانية وما جاءت به من نتائج، جعلت هذا الشعب يدفع ثمناً باهظا. ورغم أن المولى حملهم ورعاهم وانقذهم المرة تلو الاخرى، الا انهم قابلوا كل هذا بالتمرد في منزلة مرّة، وحادثة العجل الذهبي في برية سيناء، والشهوة في قبروت هتاوة وغيرها الكثير، فالإنسان اذا استغل المحبة والعطف الزائد، وحصل على كل شيء دون عناء او تعب، يكون من الصعب عليه الاحتفاظ به، ويصبح متمرداً في تصرفاته، شاذا في اطباعه، متذمراً في حركاته وافعاله، وهذا ما حصل لشعب بني اسرائيل حيث نال كل ما يتمناه من قبل مولاه، فتذمر وتمرد وعصى. وكان لابد من دفع الثمن، وعند محطة خردة (قادش برنع)، وهي المحطة الواحدة والعشرين في سلسلة محطاتهم الأثنين والاربعين، في طريقهم للأراضي المقدسة كانت نقطة التحوُّل السلبية في مسيرتهم التيهية هذه، وبدل ان يواصلوا طريقهم إلى الشرق، الى الاراضي الكنعانية، تحولوا إلى جهة القفر في طريق بحر سوف، وهنا حدث التقهقر في المسيرة، « **فانصرفوا غدا وارتحلوا إلى القفر في طريق بحر سوف**». **(عد ١٤، ٢٥)**

هذا التغيير في مجرى مسيرة التيه، كان هدفه جعل بني اسرائيل يدفعون ثمن اخطائهم، اذ راى ذلك الجيل من بني اسرائيل مجد الله واياته التي ايدهم بها في كثير من الأحيان، ومع ذلك تمردوا عشرات المرات في البرية. لقد كان هذا الجيل جيلا عاصيا متمردا، لهذا انزل الله حكمه عليهم ولم يروا الأرض الموعودة، وسيدفع كل واحد منهم حياته ثمناً لمثل هذا التمرد وذاك العصيان وتلك الانقلابات التي كانت موجهة ضد المولى قائد حملة مسيرة بني اسرائيل في صحراء سيناء، وضد الرسولين موسى وهارون ايضا.

لقد غفر المولى لهم في العديد من المرات، لكن يوم الحساب اتى ولا بد من استحقاقه وسيكون في الحال، لكنه سيشملهم جميعا هذه المرّة، اذ حكم عليهم المولى بان تسقط جثثهم في هذا القفر، كما جاء في الشريعة المقدسة، «**وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة فاني سأدخلهم، فيعرفون الارض التي احتقرتموها. فجثثكم انتم تسقط في هذا القفر، وبنوكم يكونون رعاة في القفر اربعين سنة، ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر. كعدد الأيام التي تجسستم فيها الأرض اربعين يوما، للسنة يوما، تحملون ذنوبكم اربعين سنة فتعرفون ابتعادي. أنا الله قد تكلمت لأفعلنّ هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة علي. في هذا القفر يفنون وفيه يموتون**».(عد١٤، ٣١-٣٥)، إن سنوات التيه الاربعين هي بعدد الايام التي تجسس فيها رؤساء الاسباط الاثني عشر في أرض كنعان، ودام هذا التجسس اربعين يوماً، فقد حكم الله عليهم بالتيه سنة لكل يوم تجسسوا فيه. فعندما يحملون ذنوبهم اربعين سنة عندها يعرفون معنى ابتعادهم عن الله، ولهذا السبب قال المولى «**عندها تعرفون ابتعادي**» .لم تذكر التوراة الكثير عن مسيرة ابناء شعب اسرائيل التي استمرت ٣٨ سنة تقريباً سوى انهم

نزلوا وارتحلوا، ومن الجدير بالذكر ان هذه السنوات كانت قاسية وصعبة على العبرانيين لابتعاد المولى عنهم، وهي التي أثرت أيضا في عدم زيادة عدد الشعب الاسرائيلي خلال مسيرتهم هذه، فالمقصود بالقفر الذي سيموتون فيه عندما هددهم المولى بالموت لعصيانهم برية فاران الشاسعة الواسعة والمترامية الاطراف، التي تحتل مساحة كبيرة في شبة الجزيرة طولا وعرضا، وايضاً يمتد قسماً منها في النقب.

ان عودة العبرانيين الى مصر بعد تحررهم من العبودية كان مفيدا وايجابيا لشعب بني اسرائيل، حيث نصرهم رب العالمين بمعجزة انشقاق البحر الاحمر، فهو امر خارق للطبيعة قد أجراه المولى من اجل شعبه المختار ليمر موكبهم بسلام، واثناء مرور فرعون وجيشه مستغلين انشقاق البحر من اجل اللحاق بشعب بني اسرائيل والظفر بهم لقتلهم، أطبق عليهم المولى البحر وماتوا غرقا.

ان رجوع شعب بني اسرائيل ثانية الى قلب الصحراء السينائية ، بالإضافة الى الحكم الذي نزل عليهم من قبل الله بالتيه اربعين سنة من اجل فناء وموت الجماعة الشريرة المتذمرة كما وصفها المولى في شريعته المقدسة، «وفي هذا القفر لتسقط جثثهم»، كان درسا قاسيا لهم، لكن الوعد الذي قطعه المولى مع آبائهم واجدادهم نقله إلى ابنائهم، إذ وعدهم بان تكون الأرض الكنعانية ميراثا لهم ولأبنائهم.

مقهلاته

المحطة الثانية والعشرين

خصص رب العالمين جزء كبيرا من اسفار التوراة الخمس لسرد قصة التيه الاسرائيلي والاحداث التي جرت أثناء هذه المسيرة، حيث ذكر الاثنتين وأربعين منزلة باسمائها الواحدة تلو الاخرى ارتحالا ونزولا. ان اهتمام المولى بقصة التيه في الشريعة المقدسة كان لامرة ما حتى يستخلصها الانسان الاسرائيلي بصفة خاصة، والشعوب الأخرى بصفة عامة. واذا ما استثنينا السفر الأول من التوراة الذي يقصّ علينا قصة الخليقة والأباء الثلاث ابراهيم واسحاق ويعقوب لوجدنا ان بقية الاسفار تروي لنا قصة الأربعين سنة، وهي سنوات التيه واحداثه، «**هذه رحلات بني اسرائيل الذين خرجوا من أرض مصر بجنودهم عن يد موسى وهارون. وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الله**». (عد ٣٣، ١-٢).

عندما نزل الأمر الالهي في محطة خرده (**قادش برنع**)، بان ابناء اسرائيل من سن عشرين وصاعدا سيسقطون في هذه الصحراء، وابنائهم سيكونون رعاة في القفر اربعين سنة، ليحملوا فجور ابائهم حتى تفنى جثثهم، كما حدد المولى هذه السنوات باربعين سنة كعدد الأيام التي تجسسوا فيها في الأراضي الكنعانية، طلب الشعب المغفرة كثيرا واعترف باخطائه وبكى كثيرا جدا، وبعد طول اقامة في منزلة خرده (**قادش برنع**)، امرهم المولى بالارتحال الى **مقهلاته**.

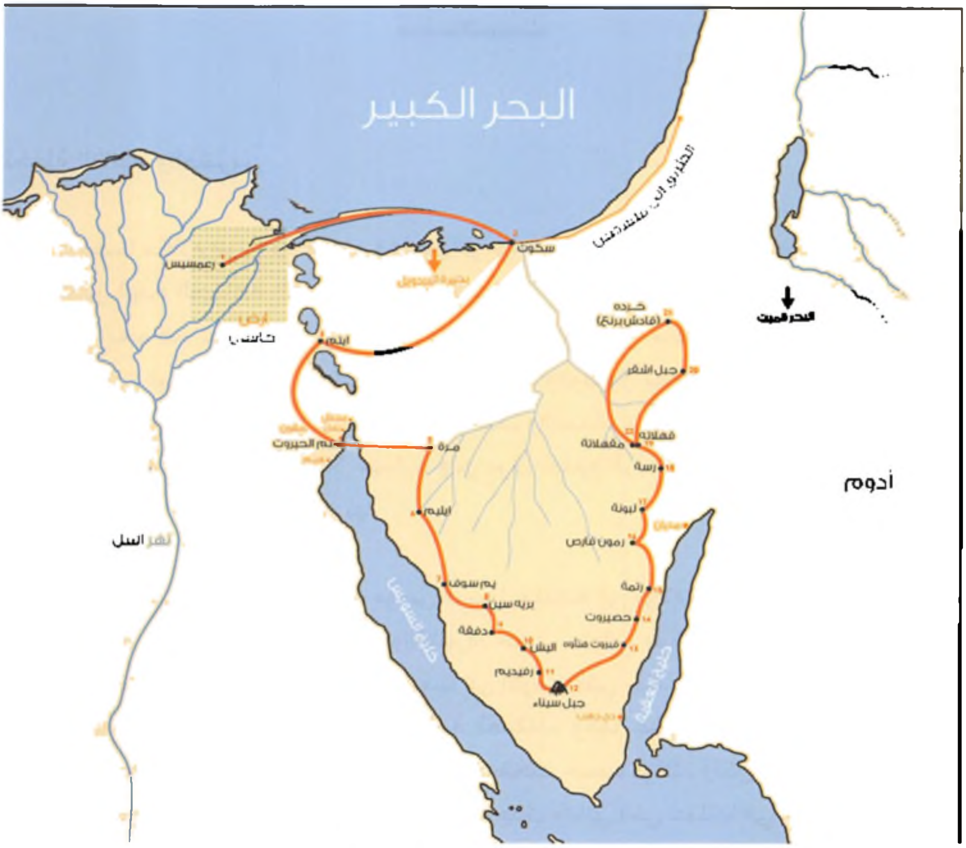
وبعد نزول الامر الالهي بالرحيل انتقل بنو اسرائيل من محطة قادش برنع وجاءوا الى محطة مقهلاته، كما ورد في التوراة، «**ثم ارتحلوا من المنزلة خردة ونزلوا في محلة مقهلاته**» (عد٣٣، ٢٥)، ذكرت الشريعة المقدسة المحطة التاسعة عشر باسم **قهلاته**، اما المحطة الثانية والعشرين فقد ذكرتها باسم «**مقهلاته**»، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل رجع الشعب ثانية الى محطة **قهلاته**؟ ولماذا اطلقت الشريعة اسم قهلاته على المحطة التاسعة عشر، واسم **مقهلاته** على المحطة الثانية والعشرين؟ ان الاجابة على هذه الأسئلة يحل معضلة كبيرة حيّرت الكتاب والباحثين وعلماء الآثار الذين مازالوا يحاولون الكشف عن العديد من المواقع التيهية، ورسم خط بياني حقيقي لهذه المسيرة .

في الواقع، إنّ خط مسيرة التيه من المنزلة الثالثة عشرة «قبروت هتاوه»، وحتى المنزلة السادسة عشرة «**رمون فارص**»، كان بمحاذاة البحر الأحمر (بحر سوف) «ذراع العقبة» الغربي، ومن محلة رمون فارص وحتى قهلاته وهي المنزلة التاسعة عشر للمسيرة ثم واصلوا مسيرتهم الى محطة جبل اشفر ثم محلة قادش برنع (خردة)، حيث ساروا في خط شبه مستقيم، وعندما نزل الأمر الرباني في قادش برنع كما جاء في التوراة، **وبنوكم يكونون رعاة في القفر**

اربعين سنة». (عد ١٤، ٣٣)، هنا طلب المولى من الشعب الإسرائيلي: «فانصرفوا غدا وارتحلوا الى القفر في طريق بحر سوف».(عد ١٤، ٢٥) ، وهنا يعني العودة ثانية الى برية فاران التي تمثل الجزء الأكبر من شبه جزيرة سيناء، والعودة هنا الى القفر في طريق بحر سوف تعني التحول ١٨٠ درجة، لأن قهلاتة وقادش برنع تقعان على خط مستقيم، مما يعني الدوران من حيث اتوا، وبما انهم جاءوا من قهلاته، اذا فالرجوع وارد اليها ثانية، حتى تبدأ المسيرة التيهية لاستكمال الأربعين سنة التي حكم الله بها على هذا الشعب.

محطة قهلاته تعني كما شرحنا سابقا «التجمع»، وبما انهم رجعوا اليها ثانية بعد نزول الأمر الإلهي بالحكم على الشعب الاسرائيلي أربعين سنة، اذا هذا الاسم يعني م – قهلاته. وحرف (م) جمطرته ٤٠٠، فالمعنى القائم انه ستستمر مسيرة الشعب الاسرائيلي اربعين سنة حتى وصولهم الى الأراضي الكنعانية، وهناك تفسير اخر ان حرف (م) هو اختصار لكلمة (من) بمعنى انهم سينتقلون من هذا الوقع (قهلاته) ثانية لاستكمال مسيرة التيه .

واثناء مكوثهم في محطة « مقهلاته» القريبة من الناحية الغربية لبرية فاران، خرج احد ابناء اسرائيل يدعى صلفاد بن حافر بن جلعاد بن ماكر من سبط مناشي ليحتطب حطبا يوم السبت من الوادي، فوجده البعض من الاسرائيليين وقدّموه الى موسى وهارون وكل الجماعة، حيث نزل الحكم الالهي برجمه لمخالفته حرمة يوم السبت، كما ورد التوراة « قتلا يقتل الرجل. يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة». (عد ١٥، ٣٥)، فحكم الموت هنا جاء بعد نزول التوراة في جبل سيناء، لأن الشريعة انزلها الله على موسى من اجل العمل بوصاياها، والحرص على تعاليمها، وكل مخالف يعاقب، من اجل ذلك وجدنا ان الحكم بالموت صدر ليكون عبرة للشعب الاسرائيلي، حتى يلتزم بتعاليم التوراة ويعمل بوصاياها.



خارطة (٢٣): موقع محلة مقهلاته

تــحــت

المحطة الثالثة والعشرين

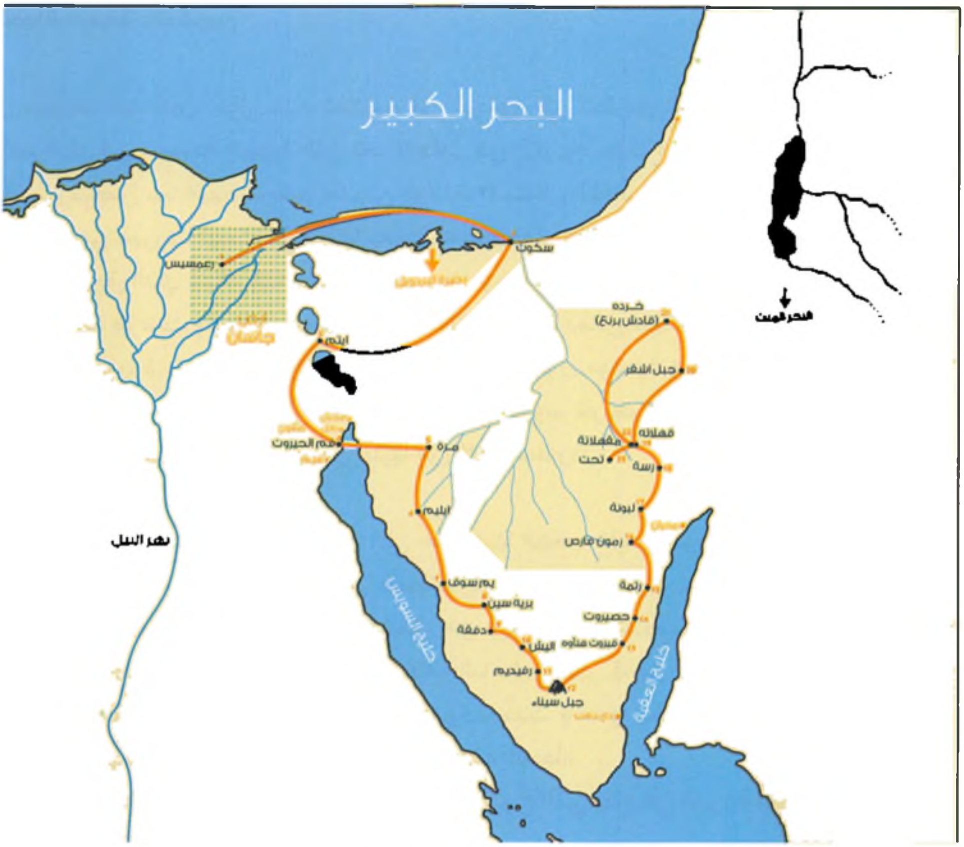
اذا ما تفحصنا كلام المولى مع موسى وهارون للوجه الى شعب بني اسرائيل، حيث قال، « حتى متى اغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علي ؟ (عد ١٤، ٢٦) حيث وصف الرب الشعب الاسرائيلي بجماعة شريرة ومتذمرة على رب العباد، حيث راوا مجده واياته التي صنعها لهم في مصر وفي البرية من اجل تخليصهم من العبودية والوصول بهم الى الأرض الموعودة «ارض الكنعانيين» ومع انّ الله كثير الاحسان يغفر الذنب والسيئة، إلا انّ عملا كهذا من قبل شعبه الذي اتخذه ابنه البكر لن يمر بلا حساب، ولن يرى جميع الرجال الذين شاهدوا هذه الآيات والمعجزات الأرض التي وعد اباءهم بها.

وفي خطوة لم يسبق لها مثيل توجه موسى الرسول بندائه الى مولاه، بعد ان كاد المولى يمحق الشعب بكامله بسبب اخطائه الكبيرة والكثيرة، حيث خاطب مولاه قائلا، ماذا اقول لشعوب الأرض، لأن الله لم يقدر ان يدخل هذا الشعب الى الأرض التي حلف لهم قتلهم بالقفر وانهاهم؟ قائلا، «اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك، وكما غفرت لهذا الشعب من مصر الى ههنا» (عد ١٤، ١٩)، فاجابه الرب قائلا، قد صفحت حسب قولك، ولكن حي انا فتملأ كل الأرض من مجد الله، ان جميع الرجال الذين رأوا مجدي واياتي التي عملتها في مصر وفي البرية وجربوني عشر مرات ولم يسمعوا لقولي، لن يروا الأرض التي حلفت لآبائهم. وجميع الذين اهانوني لا يرونها. وجاء الأمر، «ثم ارتحلوا من مقهلاته ونزلوا تاحت» (عد ٣٣، ٢٦)، لذلك جاء اسم هذه المحطة من النزول الى «تحت» اي الى الأسفل، لأن التوجه الى الأراضي المقدسة معناه الصعود، وهنا الابتعاد عن الأراضي المقدسة يعني النزول لهذا جاء اسم هذه النزلة «تحت».

لقد ذكر قاموس الكتاب المقدس شارحا اسم «تحت» بقوله، «اسم عبري معناه ما هو تحت احد محطات بني اسرائيل في البرية، ويظن انها عند جبل التيه بين عرب التياهة.

الشريعة التوراتية منزلّة من قبل الله على رسوله لنا فهي مقدسة، وكل حرف من احرفها الاثنين والعشرين مقدس، ويرمز كل حرف من حروفها الى احد اعضاء جسم الانسان، او الى الأشياء الضرورية في هذه الحياة له. وبحسب حروف هذه النزلة « تحت» هناك تفسير اخر لمعنى هذه المحلة نلخصه كالتالي، حرف التاء يرمز الى الموت، وحرف الحاء الى الحياة، وبما انّ اسماء

مواقع التيه كانت حسب طبيعة الموقع الجغرافي، او الحدث الذي كان يجري فيها، والأحداث السلبية لهذه المسيرة كانت كثيرة، فمن هنا نبع اسم للموقع فمصير من يرتكب مثل هذه الأخطاء مع مولاه الموت، او «من يغضب الله ينزل الى أسفل».



خارطة (٢٤)، موقع محلة تحت

تــرح

المحطة الرابعة والعشرين

انّ مبررات الباحثين حول عدم تمكنهم من الوصول الى الطريق الصحيح الذي سلكه الشعب الاسرائيلي في مسيرته التيهية التي تعد الأطول في التاريخ، حيث استمرت أربعين عاما وضمت مليوني شخص بما فيهم الرضع حديثي الولادة، الأطفال، الشباب، الشيوخ، النساء، بالإضافة الى المرضى، هي مبررات ليست في محلها بحجة عدم وجود حقائق ووثائق ومكتشفات تساعد على ايجاد الطريق الذي سلكه هذا الشعب، فحتى وان وجد الباحث التاريخي والديني نفسه امام امور غير واقعية فرضت وتفرض نفسها عليه، فهناك ثوابت لا يمكن التنكر لها كحقيقة واقعة التيه في شبه جزيرة سيناء، وبعض المنازل التي لا جدال حول موقعها، وكذلك فترة مكوثهم في معظم المواقع، اضافة الى بعض الاحداث الهامة من حروب تاريخية ومعجزات دينية لازال العالم يتحدث عنها حتى الان برغم ما مر عليها من الاف السنين .

إن تسلسل المحطات الاثنين والأربعين التي حطّ فيها الشعب الاسرائيلي والتي ذكرتها الشريعة الموسوية، منذ ان خرج من رعمسيس محطته الاولى وحتى وصوله الى محطته الأخيرة «يردن ياريو» التي تقع على نهر الاردن الى الشمال من اريحا، يُمكّن المتعمق في دراسة التوراة برويّة وصبر ان يجد حلا للغز استعصى على الاف الباحثين عبر قرون عديدة، ممن تناولوا التيه الاسرائيلي بالبحث والتمحيص لكن دون جدوى، حيث وضعوا تخمينات عديدة ومع ذلك لم يستطيعوا الوصول الى الطريق الصحيح حتى هذه اللحظة.
هنا وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس، «محطة تــرخ التي تقع في البرية بين تحت ومتقة، وربما كان موقعها بين عرب الطورة».

لقد جاء في التوراة:« ثم ارتحلوا من تحت ونزلوا في تـرح». (عد ٣٣ ، ٢٧)، فاذا كانت المحلة السابقة تحت تعني النزول بدل الصعود، فان تفسير محطة ترح جاء استكمالا لمعنى محلة تحت، فكلمة «ترح» مركبة من مقطعين تر- ح ، (تر) اختصار لكلمة يتورو ومعناها بالعبرية تجسس، (ح) حرف يدل على الحياة، وكانّ الشريعة تبغي أن توضح ان تجسسكم هو سبب توهانكم في هذه البقعة الصحراوية (برية فاران).
وهناك تفسير اخر، ففي هذه المحطة حيث تمرد اللاوي قورح بن قهات ، وداثان وابيرام ابنا الياب واون بن فالت بنو رابين، واخرون من بني اسرائيل، حيث بلغ عددهم مئتين وخمسين

من رؤساء الجماعة، ضد موسى بن عمران وشقيقه هارون، قائلين، «كفاكما ! ان كل الجماعة **باسرها مقدسة وفي وسطها الله. فما بالكما ترتفعان على جماعة الله»(عد١٦: ٣)**
لذلك جاء اسمها هنا تـرح، وهي عبارة عن حرف « ت » الذي يعني الفناء او الموت و « رح» التي تعني سهولة، اي ان موت قورح وجماعته من المتمردين على الله وعلى رسوله كان من السهولة بمكان، حيث أسهبت الشريعة في شرح حادثة تمردهم، لكي تكون عبرة للشعب الاسرائيلي باسره، ليس في الماضي فقط بل للأجيال القادمة ايضا .
ان حادثة قورح التي حصلت في محطة ترح جلبت غضب المولى على أولئك المتمردين، اذ انشقت الأرض على إثرها تحت بني اسرائيل وفتحت فاهها وكل ما كان حيا سقط في الهاوية ثم اطبقت الأرض عليهم، وذلك بعد أن هرب الشعب من هذا المشهد المخيف، «**كل اسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم**» (عد ١٦: ٣٤).
ان طبيعة الإنسان هي الطمع بما لا يملك، ومحاولة الوصول إلى القمة على الدوام خاصة ممن يملكون الأموال، وهذه القاعدة تنطبق على انسان الماضي والحاضر على السواء، اذ يعتقدون أن كل شيء بمتناول ايديهم وباستطاعتهم الحصول عليه متى شاءوا ومتى أرادوا، وهذا ما انطبق على موقف قورح بن يصهار بن قات بن لاوي، اذ كان على صلة قرابة مع موسى بن عمران، فهم أولاد عمومية لأن عمرم ويصهار أشقاء، وهم اولاد قات، حيث استغل قورح حسبه ونسبه بين جماعته وكثرة ماله الذي ضُرب به المثل «**مال قارون**»، بالإضافة الى اعتماده ايضاً على رجاله ومسانديه من الانقلابيين، حيث عقدت هذه الجماعة الانقلابية اجتماعا، وخرجوا ينشرون الذعر والفوضى بين صفوف اسباط بني اسرائيل، مخاطبين موسى وهارون، قائلين لهم، «كفاكما ان كل الجماعة باسرها مقدسة، وفي وسطهما الرب، فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب».
وما أن سمع رسول الله موسى كلام هذا الانسان المتمرد وجماعته، حتى سقط مغشيا عليه، اذ جاء التذمر في هذه المرة من قبل اقرب الناس اليه، وهنا صارح موسى قورح وجماعته قائلا لهم، اسمعوا يا بني لاوي، الم تكتفوا بان الله افرزكم من جماعة اسرائيل ليقربكم اليه، كي تعملوا بخدمة مسكن الرب، وتقفوا أمام الجماعة لخدمتها، والان تتمردوا وتتذمروا مطالبين ايضاً كهنوتنا، ألا تغالون بكرهكم لي ولشقيقي، إنما انتم منفقون على الرب، لاننا اصحاب مهمة قدسية اوكلنا بها رب العالمين، وما شانكم بنا حتى تحرضوا الشعب ضدنا.
لقد اعتقد هذا الانسان انّه يستطيع بثرائه أن يحوّل مجرى التاريخ، ويُعارض ما كتبه الرب في شريعته المقدسة وما قاله عن رسوله الكليم، اذ ورد في التوراة، «**أمين كل بيته، فما الى فم، وعياناً يتكلم معه، لا بالغاز**»، اي ان مثل هذه الدرجة التي بلغها هذا الرسول عند رب العالمين لم ولن يحصل عليها إنسان في التاريخ.
ان ما انتاب موسى هذه المرة من غيظ وقهر لم يكن كسائر المرات التي انقلب فيها الشعب الاسرائيلي ضده وضد أخيه هارون، اذ كان في كل مرة يطلب الشفاعة من رب العالمين، لكنّه

في هذه المرة سيتخذ قراره مباشرة، فظلم ذوي القربى اشدُ مضاضة، حيث وقف ضده وجمهور الشعب عليه وعلى اخيه، على الرغم من علمه بالدرجة العظيمة التي وصل اليها موسى عند رب العالمين، لهذا اتخذ موسى قراره بالنسبة الى قورح ومن معه، قائلا، « أقليل عليكم أن اله اسرائيل أفرزكم من جماعة اسرائيل ليقربكم اليه لكي تعملوا خدمة مسكن الله، وتقفوا قدام الجماعة لخدمتها ؟ فقربك وجميع اخوتك بني لاوي معك، وتطلبون ايضا كهنوتا ! اذن انت وكل جماعتك متفقون على الله. واما هارون فما هو حتى تتذمروا عليه». (عد ١٦، ٩-١١)، وهنا اراد موسى ان يتحمل المسؤولية على عاتقه بدلا من ان يلقي بها على غيره بصفته قائدهم، اما ان يُشركوا اخاه هارون في الجرم ويتمردوا ويتذمروا ضده، فهو امر مرفوض بتاتا.

عندما ارسل موسى في طلب داثان وابيرام ابني الياب من اجل الحضور اليه اجابوه قائلين: لا نصعد ! أقليل انك اصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا لتميتنا في البرية حتى تترأس علينا ترؤسا؟ وكذلك لم تات بنا الى ارض تفيض لبنا وعسلا، ولا اعطيتنا نصيب حقول وكروم. هل تقلع اعين هؤلاء القوم، لا نصعد» (عد ١٦، ١٣-١٤) ، فهذا الكلام للوجه الى موسى، من قبل قورح بن يصهار اللاوي وداثان وابيرام ورؤساء القوم، كان حادا كالسكين عليه، فاغتاظ موسى جدا وقال لله، « لا تلتفت الى تقدمتهما. حمارا واحدا لم آخذ منهم ولا أسأت الى احد منهم». (عد ١٦، ١٥).

ومن الجدير بالذكر انّ التوراة اليهودية، جاء فيها حمارا وليس حمدا، فبالنسبة لموقع الكلمة في الآية فانّ كلمة حمدا لها معنى هنا، لكن اي معنى لكلمة حمارا في هذه الآية؟ ان هذا يدل على أن الاعتماد على الشريعة المقدسة القديمة والموجودة لدى السامريين، والتي تم الاعتماد عليها في هذا الكتاب هو السبيل الوحيد للوصول الى حقيقة التيه ومنازله، مما ساعد في حل الغاز عديدة عجز الكثير من الباحثين والمتبحرين والمستكشفين عن حلّها.

وحتى تظهر الحقيقة امام الملأ ويختار الله الأقرب اليه ويحاسب المتمردين والمشاغبين، طلب موسى من قورح قائلا، « كن انت وكل جماعتك امام الله، انت وهم وهارون غدا وخذوا كل واحد مجمرته واجعلوا فيها بخورا، وقدموا أمام الله كل واحد مجمرته، مئتين وخمسين مجمرة، وانت وهارون كل واحد مجمرته». (عد ١٦، ١٥-١٧)، فاستجابوا الى كلام الرسول، واخذ كل واحد مجمرته، وجعلوا فيها نارا ووضعوا عليها بخورا، وذلك لدى باب خيمة الاجتماع مع موسى وهارون، فاجتمع كل الجماعة الى باب خيمة الاجتماع، وجاء في الشريعة، «فتراءى مجد الله لكل الجماعة. وهنا طلب موسى بناء على اوامر الله، « اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة، ولا تمسوا شيئا مما لهم لئلا تهلكوا بجميع خطاياهم» ومن أجل موسى موقفه قال للشعب يجب ان تعلموا، ان الله ارسلني لأعمل كل هذه الاعمال وانه ليست من

نفسي. ...... لكن ان ابتدع الله بدعة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل ما لهم، فهبطوا احياء الى الهاوية، تعلمون ان هؤلاء القوم قد ازدروا بالله. وكان كلامه هذا بشهادة شيوخ اسرائيل الذين كانوا مرافقين له في هذه المهمة. وما ان انتهى من كلامه هذا الى الشعب حتى « انشقت الأرض التي تحتهم وفتحت الارض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال، فنزلوا هم وكل ما كان لهم احياء الى الهاوية. وانطبقت عليهم الأرض. فبادوا من بين الجماعة»(عد ١٦، ٣١- ٣٣)، فخرجت نار من عند الله واكلت المئتين والخمسين رجلا الذين قربوا البخور» وما ان شاهد اسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم، لأنهم قالوا : « لعل الأرض تبتلعنا» وكاد المولى ان يفني هذه الجماعة في لحظة، حينئذ توسل موسى الى ربه قائلا: « اللهم اله ارواح البشر، هل يخطيء رجل واحد فتسخط على كل الجماعة». (عد ١٦، ٢٢)، وهنا استجاب الله لنداء نبيه قائلا، كلّم الجماعة ان يبتعدوا عن قورح وداثان وابيرام حتى لا يصيبهم العقاب .

إن هذه القصة لهي عبرة دينية لكل من تخول له نفسه التمرد على رب العالمين ويتحدى في تصرفاته الذات الالهية، فنهايته ستكون مثل هؤلاء القوم من بني اسرائيل، اذ فناهم الله بلمح البصر، حيث جاء في التوراة، «فأخذ هارون مجمرته ووضع البخور واسرع الى وسط الجماعة كما امره موسى، واذا الوبأ قد ابتدأ في الشعب، واخذ يكفر عن الشعب، ووقف بين الموتى والاحياء فامتنع الوبأ فكان الذين ماتوا بهذا الوباء أربعة عشر الفا وسبع مائة، عدا الذين ماتوا بسبب حادثة قورح».

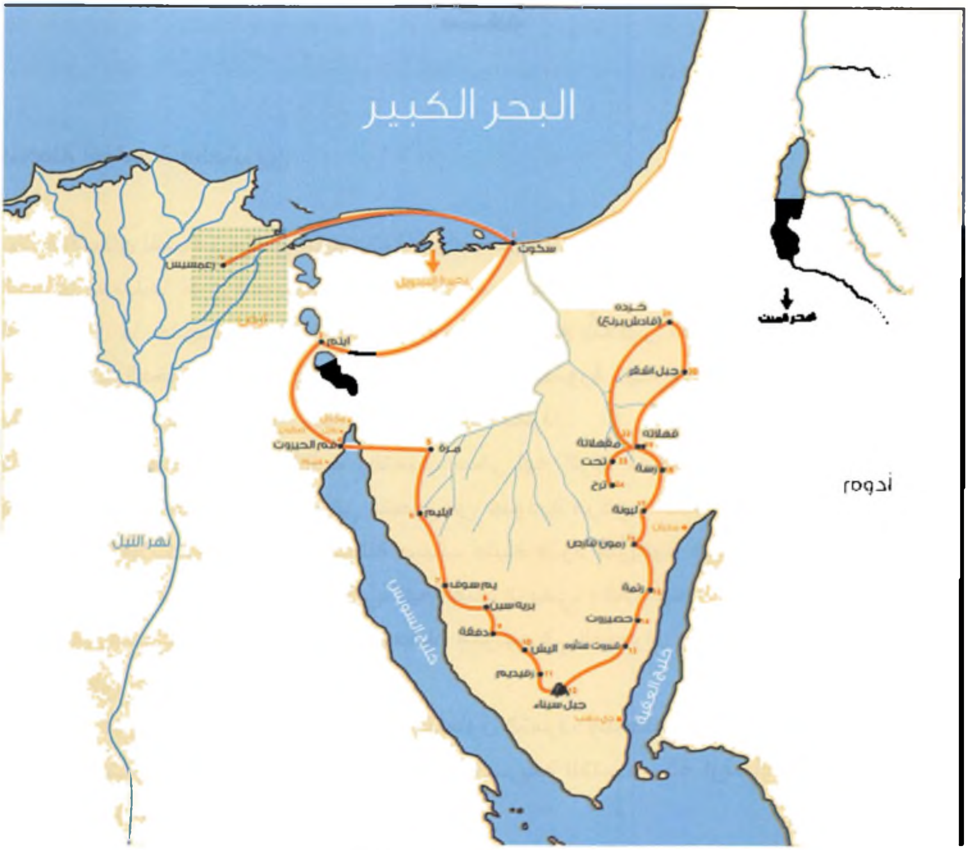
في كتابه شرح سفر العدد، لمؤلفه الشارح مرجان الاسعد سراوي، يتساءل ،« لماذا الشارع أتبع فصل الجواسيس لفصل واقعة الست مريم، ثم بعد ذلك أتبع فصل واقعة قورح، وانه بحسب الوقائع كان يمكن أولا ورود واقعة قورح كونها هي كانت السابقة للواقعين لأنّها حدثت في حصيروت. ثم واقعة الست مريم، وبعد ذلك واقعة الجواسيس بسبب وقوعها في فاران..... ومع انه استطرد في فصل آخر ضمن شرح عن مواقع المحطات التي نزلوا فيها حيث جاء. وكلمة حصيروت عبرانية ومعناها الحظيرة وهناك حدثت واقعة الست مريم عليها السلام». في الحقيقة، انّ تسلسل احداث التيه في التوراة، كان منتظماً حسب الأحداث التي وقعت في أزمنة مختلفة الا فيما ندر، لتاكيد حادثة ما او لأهميتها، لذلك فإنّ ما جاء عن تلك الاحداث الثلاث وتسلسلهم الزمني، ليس في محله من قبل الشارح وذلك للأسباب التالية،

أولا، حادثة السيدة مريم، كانت الأولى من بين هذه الاحداث الثلاث، لأنها وقعت في محطة حصيروت في القسم الجنوبي من برية فاران، عندما اقترب شعب بني اسرائيل من مضارب المديانيين والموجودة إلى الشمال من حصيروت، ولما مرّوا من حدودهم في هذا المكان تكلمت مريم وهارون على شقيقهم موسى بخصوص المراة الكوشية، والمقصود هنا

زوجته صبورة بنت روعيل المدياني، وقد كانت مضارب المديانيين تقع على ساحل البحر الأحمر الغربي، من خليج العقبة وحتى شمال حصيروت.

ثانيا: حادثة ارسال الجواسيس من قبل الرسول حصلت في محطة خردة (قادش برنع) التي تقع في برية فاران على حدود جبل الادوميين في القسم الشمالي من هذه البرية المترامية الاطراف، ومن هذا المكان حكم المولى على الاسرائيليين بالتيه اربعين سنة، وانتقلوا من هذه المحطة الى داخل الصحراء، الى الجهة الجنوبية الغربية نحو طريق يم سوف.

ثالثا: واقعة قورح حدثت في محطة ترح، بعد نزوحهم من محطة قادش برنع، اذ تقع ترح في برية فاران لكنها ليست في شمالها او جنوبها انما تقع الى الغرب من قادش برنع. وهناك فترة زمنية لا بأس بها ما بين الحادثتين، حادثة مريم وحادثة الجواسيس من جهة وحادثة قورح من جهة اخرى، لأن الأخيرة حصلت بعد نزول الامر الرباني بالتيه حتى يفنى جيل العبودية، بالوقت الذي جاءت فيه هاتين الحادثتين الأولى والثانية قبل الأمر بالتيه. وبهذا يكون ترتيب هذه الاحداث كما جاءت في التوراة المقدسة صحيح، وليس فيه أيّ شك بتاتا.



خارطة (٢٥): موقع محلة ترح

متـقه

المحطة الخامسة والعشرين

نظرة الإنسان للحياة تنعكس عليه دائما، سواء كان ذلك على المستوى الشخصي أم على مستوى الجماعة، فعندما خرج شعب بني اسرائيل من مصر كان متأثرا بحياة الذل والعبودية ونتيجة لهذا، كان ما جابهته مشكلة ما يثور ويتجهم، ومن ثم ينعكس ذلك على الآخرين تباعا، انه مجتمع ذات العجول يريد ان يحصل على كل شيء بصورة سهلة ومريحة، دون عناء او تعب أو بذل اي مجهود يذكر، لذلك كان شعبا اتكاليا متمردا.

تأكيدا على مثل هذه الاتكالية والتمرد، سخّر لهم الرب سبحانه وتعالى الآيات والمعجزات والأعاجيب من اجل مساعدتهم في التحرر من عبودية فرعون مصر، وواكبهم في مسيرتهم عن طريق ملائكته بعمود نار ومظلة ضباب طيلة فترة طريقهم في الصحراء، ليلتمسوا لهم النزول في المحلة والرحيل عنها، وهيّءَ لهم الغذاء الرباني، وفجّر لهم المياه من الصخور، بنى لهم مسكنا في وسطهم، ولم ينقصهم شيء طيلة مكوثهم في الصحراء، ومع ذلك عَصَوا كلام الرب، وتمردوا في خيامهم، وجحدوا وزاغوا.

اذ كانوا في كل محطة ينزلون فيها يفتعلون التمرد، والمحطة المقبلة التي نزلوا فيها حدث فيها ايضا تمرد وهي محطة متقه، اذ جاء في الشريعة المقدسة ، **ثم ارتحلوا من تارخ ونزلوا في متقه. (عد ٣٣ ، ٢٨)**،

انتقل الشعب الاسرائيلي الى محطته التالية الا وهي «**متقة**» المركبة من (مت) والتي تعني بالعبرية الموت، حرف (ق) هو اختصار لكلمة «**قطورت**» بالعبرية اي «بخور»، (ه) للتأنيث التي تعني الشعب الاسرائيلي، اي ان عملية التبخير التي قام بها هارون، وضعت حدا لوباء الموت الذي خرج من قبل الله.

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس، تعريف هذه المحطة بقوله،« **متقة معناه «حلوة» هي محلة لبني اسرائيل في القفر**».

على اثر موت قورح وجماعته تذمر بنو اسرائيل في اليوم التالي متهمين موسى وهارون بأنّهما قتلا شعبهما قائلين، « **انتما قد قتلتما شعب الله**»(عد ١٦، ٤١) فاجتمعت الجماعة على موسى وهارون «متمردةً، وتوجه كل منها الى خيمة الاجتماع واذا بسحابة قد غطتها وتراءى مجد الله، فقال الله لموسى « **اطلعا من وسط هذه الجماعة فاني افنيهم بلحظة**» (عد ١٦، ٤٥)، فخرّ موسى وهارون على وجهيهما، بعد ان سمعا قول الرب بإفناء شعبهما الاسرائيلي، فطلب موسى من هارون ، «**خذ المجمرة واجعل فيها نارا من على المذبح، وضع بخورا، واذهب مسرعا**

الى الجماعة وكفر عنهم، لأن السخط قد خرج من قبل الله. قد ابتدأ الوباء». (عد ١٦، ٤٦)، فوضع هارون البخور واخذ يكفّر عن ذنوب الشعب، اذ جعل البخور يخترق جموع الناس، ثم وقف بين الموتى والأحياء فامتنع الوباء، فكان عدد الذين ماتوا اربعة عشر الفا وسبع مائة من الأنفس.

إنَ هذا الناموس الذي جمع بين اياته مثل هذه القصص والحكايات والوصايا والتعاليم الدينية، جمعها لتكون عبرة للناس في الدنيا ودروسا لهم في المستقبل، ولتكون دستور ونظام حياة لهم، وعلى البشر التقيد بما أنزل الله من تعاليم ووصايا وإلا اصبحت حياتهم حياة تحكمها شريعة الغاب.



خارطة (٢٦): موقع محلة متقه

حشمونه

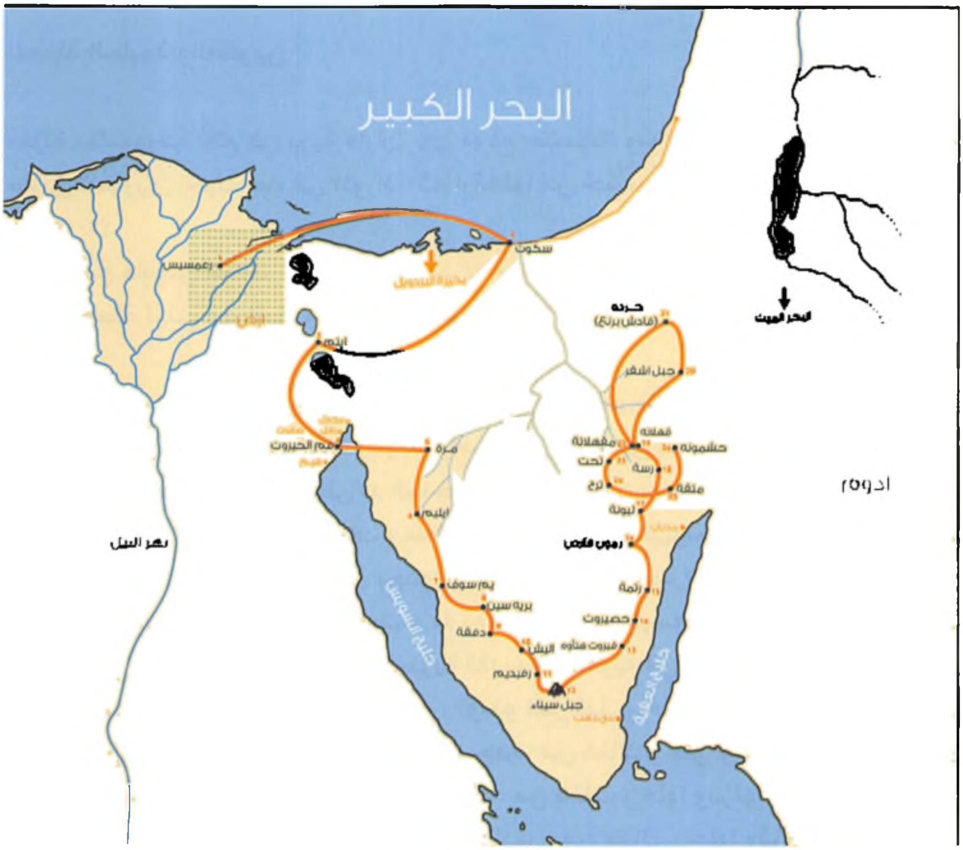
المحطة السادسة والعشرين

في الوقت الذي كان الله فيه غاضبا من اعمال هذا الشعب، وكاد ان يهلكهم من أجل افعالهم وما اقترفته أيديهم، تدخل نبيه ورسوله موسى بن عمران في اللحظة الناسبة مما حال دون ذلك، اذ كان يدافع عنهم، ويصلي لأجلهم، ويتشفع لهم حتى يغفر الله ذنوبهم، فخاطب الرب قائلا، «يا سيد الرب، لا تهلك شعبك، وميراثك الذي فديته بعظمتك، الذي اخرجته من مصر بيد شديدة. اذكر عبيدك ابراهيم واسحاق ويعقوب. لا تلتفت الى غلاظة هذا الشعب واثمه وخطيته، لئلا تقول الأرض التي اخرجتنا منها؛ لأجل ان الرب لم يقدر ان يدخلهم الأرض التي كلمهم عنها، ولأجل أنه ابغضهم، اخرجهم ليميتهم في البرية. وهم شعبك وميراثك الذي اخرجته بقوتك العظيمة وبذراعك الرفيعة». (تث ٩، ٢٦-٢٩)

انّ اسلوب الاستغاثة والصلاة والدعاء الذي دوّنه الكتاب المقدس عبر كلماته وآياته وسوره لسيد المرسلين موسى، يعطينا درسا في التوجه الى الله وكيفية مناجاته في كل صغيرة وكبيرة، لنصلي ونتوسل ونطلب من الذات الالهية كي تكفّرَ عن ذنوبنا وتلبّي طلباتنا، لأن الله متى تدعوه وتذكره يستجب لك ويباركك، وما انْ يدرك الانسان ان الصلاة والدعاء والاستغفار لرب العالمين مجديان فسوف يُستجاب له، ومن هنا اخذ الشعب الاسرائيلي في كل مرة يطلب من الرسول أن يتوجه الى الله ليغفر ذنوبه، لذلك كانت وظيفة إمام الصلاة ان يطلب من المولى ان يغفر ذنوب مصليه وللمجتمع والشعب ويردد الناس من ورائه آمين.

وما ان انتقل هذا الشعب من المحطة السابقة «متقة» وجاء الى منزلة حشمونة المحطة السادسة والعشرين، كما جاء في التوراة، «ثم ارتحلوا من متقة ونزلوا في خشمونه» (عد ٣٣، ٢٩)، حتى فُوجئ بخصوبة ارضها، بعد ان كانوا يتنقلون طول الوقت في برارٍ صحراوية قاحلة، ليبقى الأمل موجودا ولا ينقطع ابدا طالما هناك بارقة امل للحياة، من لدن ارادتهم الحكيمة، ومن بعض المواقع الخصبة، التي يحلون فيها، وكذلك من الصفة التي يملكوها.
ولا بد من ان يكون لهذا الموقع تفسيره ايضا، طالما ان الشريعة اعطت لكل موقع ميزته الاسمية حسب الحدث الذي كان يجري فيه، ومن توقعاتنا حسب الأحرف التي يتالف منها هذا الاسم، خش- مونه، «خش» وتعني الشعور بالعبرية، و«مونه» تعني الشكر لرب العالمين، وقد جاء هذا الاسم لوصف طبيعة هذا المكان الخصيب، والذي بدت فيهم الأمل للوصول الى الأرضي الكنعانية.

وقد جاء في تفسير قاموس الكتاب المقدس لكلمة «خشمونة»: اسم عبري معناه «خصبة» محط للعبرانيين في ترحالهم في البرية.



خارطة (٢٧): موقع محلة حشمونه

ماسيروت

المحطة السابعة والعشرين

منزلة «ماسيورت» تقع في برية فاران، بين موقع حشمونة وموقع بني يعقان، الى الشرق من طريق الأموريين، حيث جاء في التوراة «ثم ارتحلوا من حشمونة ونزلوا في مسيروت»، (عد ٣٣، ٣١-٣٠).

وقد وضّحَ قاموس الكتاب المقدس معنى منزلة ماسيروت قائلاً، «اسم عبري معناه «رباط»، وهي محطة لبني اسرائيل بالقرب من جبل هور» .

انّ الاختلاف ما بين التوراة العبرية القديمة «السامرية» والتوراة النسخة اليهودية يقارب السبع آلاف خلاف ما بين حرف وكلمة وسورة، وقد حصل ذلك على إثر ترجمة التوراة اليهودية الى اللغة الاشورية قبل ٢٣٠٠ سنة على يد الحاخام اليهودي عزرا هـ«وفير في عهد الحاكم اليهودي زوربابل. انّ اعتماد الباحثين والكتاب وعلماء الأثار على التوراة اليهودية كان سببا في وقوعهم في متاهات التيه الاسرائيلي دون ان يجدوا لها مخرجا، وذلك يعود الى الخلافات العديدة ما بين التوراتين، بالإضافة الى عدم مراجعتهم ما دونته الشريعة للوسوية السامرية القديمة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، جاء في التوراة العبرية القديمة السامرية في سورة « وبنو اسرائيل رحلوا» في سفر التثنية الاصحاح العاشر الآية ٦-٨ ، «وبنو اسرائيل رحلوا من ماسيروت ونزلوا في بني يعقان. من هناك رحلوا ونزلوا في جدجده. من هناك رحلوا ونزلوا في يطبته أرض ذات انهار. من هناك رحلوا ونزلوا في عبرنه. من هناك رحلوا ونزلوا الى عصيون جبر. من هناك رحلوا ونزلوا في برية صين هي قادش. من هناك رحلوا ونزلوا في جبل هور ومات هارون الامام ودفن هناك. وام العازار ابنه عوضا عنه». لكن في التوراة النسخة اليهودية جاءت هذه الآية كالتالي، «وبنو اسرائيل ارتحلوا من آبار بني يعقان الى موسير، هناك مات هارون وهناك دفن فكهن العازار ابنه عوضا عنه. من هناك ارتحلوا الى الجد جاد ومن الجد جاد الى يطبات، أرض انهار ماء».(تث ١٠، ٦-٧).

لكن بنفس التوراتين، النسخة العبرية القديمة السامرية والنسخة اليهودية، في سفر العدد الاصحاح ٣٣ في الآيات ٣٠-٣٣ لم يكن هناك تباين، حيث جاء قوله،

«ثم ارتحلوا من خشمونة ونزلوا في ماسيروت. ثم ارتحلوا من ماسيروت ونزلوا في بني يعقان. ثم ارتحلوا من بني يعقان ونزلوا في حور الجدجاد. ثم ارتحلوا من حور الجدجاد ونزلوا في يطبات. ثم ارتحلو من يطبات ونزلوا في عبرونة. ثم ارتحلوا من عبرونة

ونزلوا في عصيون جابر. ثم ارتحلوا من عصيون جابر ونزلوا في برية صين (وهي قادش). ثم ارتحلوا من قادش ونزلوا في جبل هور في طرف ارض أدوم. فصعد هارون الكاهن الى جبل هور حسب قول الله ومات هناك في السنة الاربعين لخروج بني اسرائيل من أرض مصر، في الشهر الخامس في الأول من الشهر».

ان الخلاف ما بين التوراة النسخة السامرية واليهودية، هو الذي جعل الوصول الى حقيقة التيه من الصعوبة بمكان للباحثين والمفكرين ممن تناولوا قصة التيه بالبحث، وذلك كما يلي:

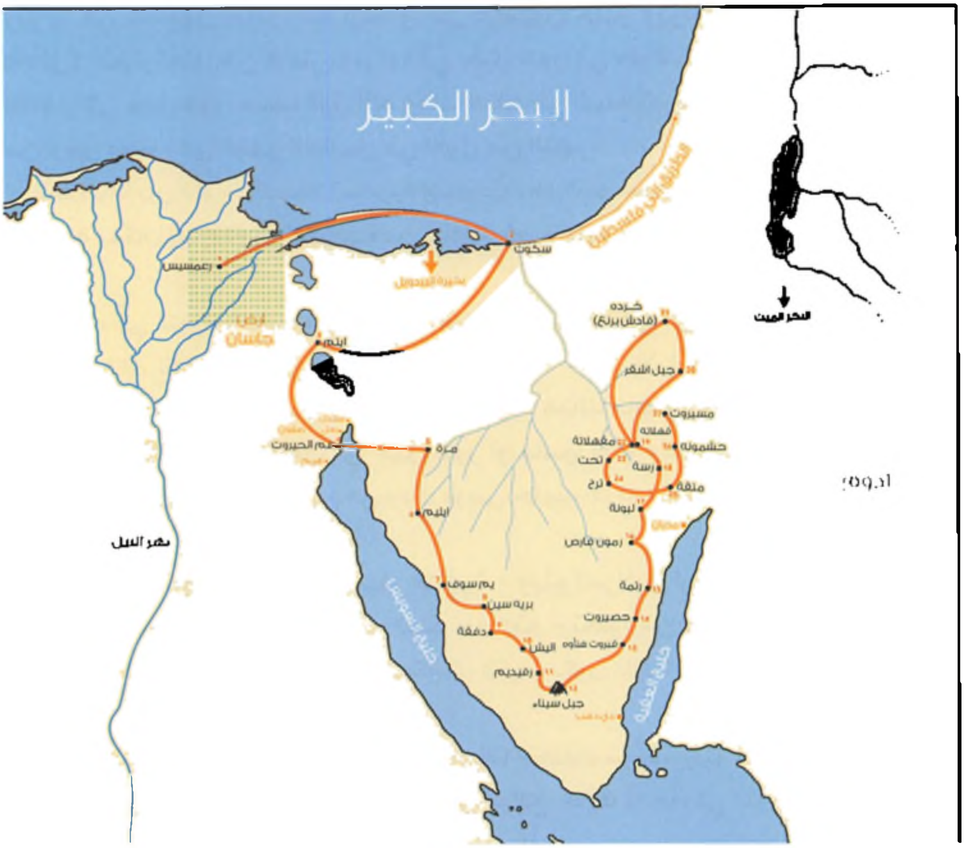
أولا: جاء في التوراة السامرية واليهودية «صعد هارون الكاهن الى جبل هور ومات هناك» (عد ٣٣، ٣٨)، لكن في سفر التثنية التوراة اليهودية جاءت الآية مخالفة لهذا القول: «وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبار بني يعقان الى موسير. هناك مات هارون وهناك دفن». فكيف نفسر هذا؟ أكان موت هارون في جبل هور أو ماسيروت؟ ولكن في الواقع، ان قبر هارون جاثم على جبل هور حتى اليوم في وادي موسى جنوب الأردن، قرب مدينة البتراء.

ثانيا: جاء في التوراة اليهودية في سفر التثنية: « وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبار بني يعقان الى موسير» (تث ١٠، ٦) ، وفي سفر العدد جاء «ثم ارتحلوا من ماسيروت ونزلوا في بني يعقان». (عد ٣٣، ٣١)، اي ان الآية هنا انعكست، فكيف يكون ذلك ؟

ثالثا: في التوراة اليهودية السفر الخامس (التثنية) اكتفت سورة« وبنو اسرائيل رحلوا» بذكر الموقع الأول والأخير فقط، مع تغيير وبلبلة في المواقع، خلافا لما جاء في التوراة العبرية القديمة السامرية التي ذكرت ذلك بوضوح. أليس هذا ما سبّبَ ويسبب ارتباكا وحيرة للباحثين والمفكرين ودارسي قصة التيه الإسرائيلي ؟

رابعا: من المعلوم ان جبل هور هو بحد ذاته جبل هارون، ويقع في وادي موسى جنوب الأردن، قرب مدينة البتراء. اما ماسيروت تقع في منتصف خط مستقيم ما بين خليج العقبة على البحر الأحمر وبين رفح على البحر الأبيض المتوسط، فالبعد ما بين الموقعين يبلغ عشرات الكيلومترات.

خامسا: اذا سلّمنا بالأمر وانّ موت هارون حدث في ماسيروت فهذا يعني ان هارون توفي قبل مريم أخت موسى، والتي توفيت في قادش (برية صين) ودفنت هناك، وذلك في الشهر الأول للسنة الأربعين، لكن هارون توفي في الشهر الخامس في السنة الأربعين .



خارطة (٣٨)، موقع محلة ماسيروت

بني يعقــان

المحطة الثامنة والعشرين

نزل الحكم على شعب بني اسرائيل بالتيه اربعين سنة في محطة قادش برنع (خردة)، وبعد انتقالهم منها وخلال سبع محطات بعد ذلك وصلوا الى محطة « بني يعقان»، وهي المحطة الثامنة والعشرين في سلسلة محطات التيه.

جاء في سفر الرابع (العدد) الاصحاح ٣٣ الآية ٣١ تقول، «ثم ارتحلوا من مسيروت ونزلوا في بني يعقان»، لكن في مكان آخر في التوراة، جاء نفس المعنى لكن بتغيير بسيط في اللفظ،» وبنو اسرائيل رحلوا من مسيروت ونزلوا في بني يعقان» (تث ١٠: ٦)

هذه المنزلة توحي لنا من صياغة اسمها، انها كانت مسكونة من قبل قبائل رُحّل باسم بني يعقان، وقد وصف الكاتب اسعد منصور في كتابه «جغرافية الكتاب» ص ٢٨٦ موقعها قائلا، «تقع على بعد نحو ٦٠ ميلا غربي جبل هور وبنو يعقان قبيلة من سلالة عيسو» .

بني يعقان هو اسم عبري معناه ابناء يعقان وهو اسم قبيلة يُرجّح انها من نسل سعير الحوري، وقد أُطلِقَ هذا الاسم على الآبار التي خربها بنو اسرائيل، وكانت تسمى ايضا بئروت وقيل أنها البئرين الحاليين الموجودين على بعد ٦ اميال الى الجهة الجنوبية من العوجا .



خارطة (٢٩): موقع محلة بني يعقان

جبل جدجاده

المحطة التاسعة والعشرين

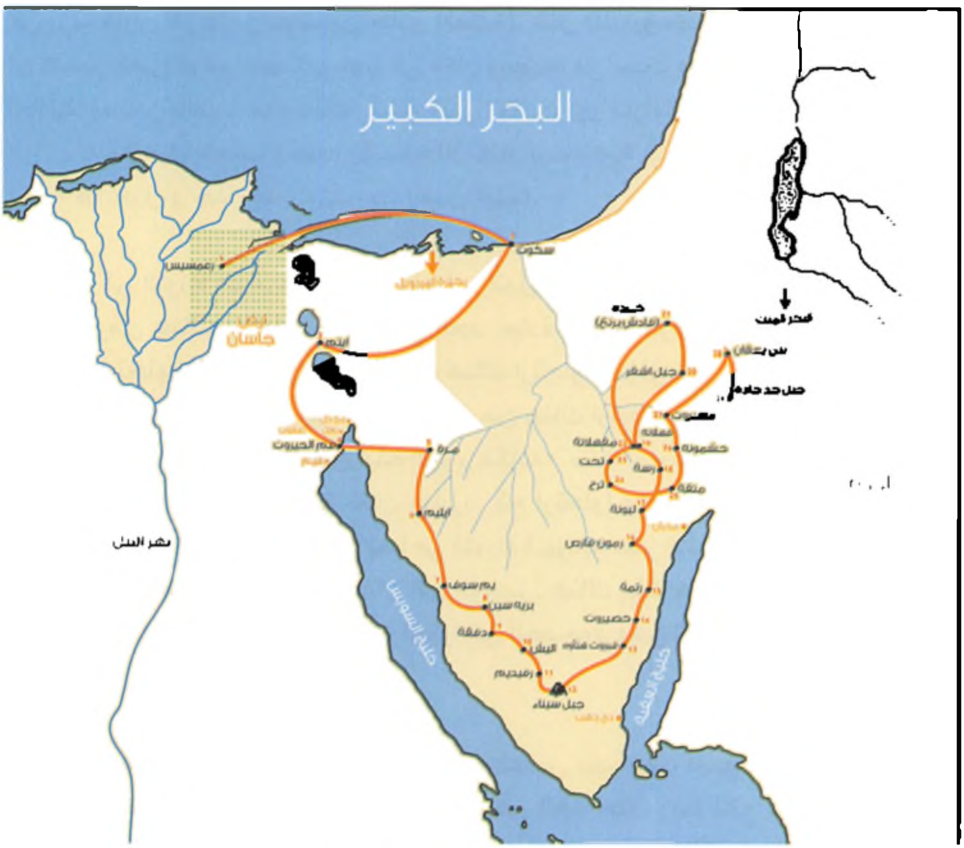
جاء في الشريعة الموسوية السامرية، ثم ارتحلوا من منزلة بني يعقان ونزلوا في جبل الجد جاد». (عد ٣٣، ٣٢)، ان منزلة «جبل جدجاده» وصفتها الشريعة بجبل يقع بين بني يعقان والذي يعرفونه بانه ابار ماء وبين منزلة يطابطا حيث وصفت هذا الموقع بارض انهار ماء كما ورد في سفر التثنية، وبذلك اصبح هذا المكان معروف للموقع، بالإضافة لكونه جبل، والجبال قليلة في برية فاران لقربها من عصيون جابر (العقبة)، فكل ذلك يؤكد موقعها بشكل اكيد.
ان تفسير معنى موقع كهذا يوجهنا الى مكان وجوده، من حيث كونه جبلاً يقع على طرف البادية، وتسكن بالقرب منه سلالة عيسو (بني يعقان) بين آبار ماء وانهار ماء، فكل ذلك يقودنا الى ان هذا الجبل خصب وجيد، بالنسبة للأمكنة الصحراوية التي نزلوا فيها، فتفسير كلمة «هار» هو جبل و جد جد ، جيد جدا (جبل جيد).

لقد ورد في التوراة السامرية ، «وأما بنو إسرائيل ارتحلوا من ماسيروت ونزلوا في بني يعقان، ومن هناك ارتحلوا ونزلوا في الجد جادة، ومنها نزلوا الى يطبات، أرض أنهار ماء، ثم ارتحلوا ونزلوا في عبرنة، ومن هناك ارتحلوا ونزلوا في عصيون جابر، وبعدها ارتحلوا، ونزلوا في برية صين وهي قادش، من هناك ارتحلوا ونزلوا في جبل هار، ومات هناك هارون، ودفن فيه، وتكهن ابنه العازر مكانه» كما جاء في سفر التثنية (تث١٠، ٦-٧)، لكن في التوراة النسخة اليهودية كان مغايراً، ثم ارتحلوا من بني يعقان ونزلوا في حور الجد جاد (عد٣٣ ، ٣٢)، كما جاء ايضا في التوراة اليهودية سفر التثنية (١٠، ٦-٧) قولها، «وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبار بني يعقان الى موسير. هناك مات هارون. وهناك دفن. فكهن العازار ابنه عوضا عنه، من هناك ارتحلوا الى الجدجود ومن الجدجود الى يطبات، أرض انهار ماء».

وقد جاء وصف هذه المحطة في قاموس الكتاب المقدس كما يلي، «اسم عبري معناه « كهف جدجاد» محطة لبني إسرائيل في البرية وهي الجد جاد، ربما تقع على وادي غدعور او غداغد، التابع لوادي جيرا في شمال كونتيلة الجيرا الى الشمال الغربي من خليج العقبة».

لكن في سفر العدد (٣٣: ٣٦-٣٨) جاء في التوراتين نفس النص في قوله: «ثم ارتحلوا من عصيون جابر ونزلوا في برية صين وهي قادش. ثم ارتحلوا من قادش ونزلوا في جبل هار في طرف ارض أدوم. فصعد هارون الكاهن الى جبل هار حسب قول الرب، ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر، في الشهر الخامس في الأول من الشهر».

لقد وضعنا امام الباحث والمفكر النصوص اعلاه، وذلك من اجل الكشف عن التباين ما بين التوراة اليهودية والتوراة العبرية القديمة(السامرية)، الأمر الذي أدى الى إخفاق الباحثين والمفكرين ممن تناولوا بالبحث قصة التيه في الوصول الى المسيرة الحقيقية، والسبب في اخفاقهم هذا اسباب كثيرة كالمثال الذي ورد اعلاه.



خارطة (٣٠): موقع جبل جدجاده

يطبطا

المحطة الثلاثون

وصفت الشريعة هذه المنزلة بانها ارض انهار ماء، وهي المحلة الثلاثون من سلسلة المحلات الاثنين والأربعين، لكن الاسم «يطبطا» له مغزى ايجابي، حيث يدل على الجود والانفراج، الجود من طبيعة اسم المكان والذي يرمز الى طوب والتي تعني بالعبرية جيد، والانفراج لان الأمر الإلهي كان قد نزل على هارون فيها، «انت وبنوك وبيت أبيك معك، تحملون ذنب المقدس. وانت وبنوك تحملون ذنب كهنوتكم. وايضا إخوتك سبط لاوي، سبط أبيك، قربهم معك فيقتربوا بك ويوازروك، .... هوذا قد أعطيتك حراسة رفائعي. مع جميع أقداس بني اسرائيل لك أعطيتها، حق المسحة ولبنيك فريضة دهرية. هذا يكون لك من قدس الأقداس من النار، كل قرابينهم مع كل تقدماتهم وكل ذبائح خطاياهم وكل ذبائح آثامهم التي يردونها لي. قدس اقداس هي لك ولبنيك». (عد ١٨، ١-٩)

الأمر الإلهي الذي خاطب به رب العالمين هارون مباشرة، كان لمصلحة الشعب الإسرائيلي، من حيث حمل ذنب الهيكل المقدس وذنب الكهنوت الذين بدورهم يحملون ذنب الشعب، وما تقديم الذبائح والقرابين والتقدمات إلا ليردوا فيها ذنوبهم، ويتعظوا من أفعالهم الغير سليمة، فهذه القرابين هي وسيلة للتقرب الى الله يقدمها الشعب عن طريق الكهنة من سلالة هارون وبنيه، منحها الرب اليهم كفريضة دهرية، « لكي لا يكون ايضا سخط على بني اسرائيل» (عد ١٨، ٥)

للتتبع لأحداث الشريعة المقدسة وحينما كان رب العالمين يغضب على شعبه، وتدخل موسى الكليم برجائه وتوسلاته وصلواته واستغاثاته ليصفح عن شعبه الإسرائيلي، وتكرار مثل هذه المشاهد المرة تلو الأخرى، لأدرك ان الله أراد ان يرسي قواعد نظام دستوري يحمله هارون، الكاهن الأعظم لشعب بني اسرائيل وأبنائه من الكهنوت من بعده، لحمل ذنب هذا الشعب كفريضة دهرية عبر اجيالهم، حتى لا يصيبهم سخط الله حيث قال الله لهارون، « لا تنال نصيبا في ارضهم، ولا يكون لك قسم في وسطهم. انا قسمك ونصيبك في وسط بني اسرائيل» (عد ١٨، ٢٠)، وجاء ايضا ، «من هناك ارتحلوا الى الجدجاد من الجدجاد الى يطبات، ارض انهار ماء، وليقفوا امام الله ليخدموه ويباركوا باسمه الى هذا اليوم. لأجل ذلك لم يكن للاوي قسم ولا نصيب مع اخوته. الرب هو نصيبه كما كلمه الله الهك» (تث ١٠، ٧-٩).

واخيرا وليس آخرا، فقد تنفس الشعب الاسرائيلي الصعداء لأول مرة في هذه المحلة بعد ان سمع

كلام الله مع هارون، فكل قرابينهم مع تقدماتهم و ذبائح خطاياهم وآثامهم التي يقدمونها لله ستكون فرجا عليهم لتخفيف آثامهم وخطاياهم، فمن بعد الشدة يأتي الفرج. وهكذا، وبعد المحطات التي سبقت هذه المنزلة والتي كانت قاسية على شعب بني اسرائيل وبعد أعماله وآثامه وخطاياه وكذلك تمرده وعبثه مع رب العالمين ونبيه موسى الكليم و هارون ايضا جاءت هذه المحطة، لذلك اطلق عليها الشعب اسم يطبطا، حيث جاء في التوراة: **«ثم ارتحلوا من حور الجدجاد ونزلوا في يطبطا»**. (عد ٣٣: ٣٣)، وهي تقع على بعد ستة اميال الى الجنوب الغربي من راس خليج العقبة.

ولقد ورد في قاموس الكتاب المقدس: **«اسم عبري معناه «طيبة» هو محلة من محلات بني اسرائيل في البرية، غربي العربة وكانت ارض انهار ماء، ويظن انها الطابة على بعد ٢٢ ميلاً شمالي العقبة»**.



خارطة (٣١): موقع محلة يطبطا

عبـرنـة

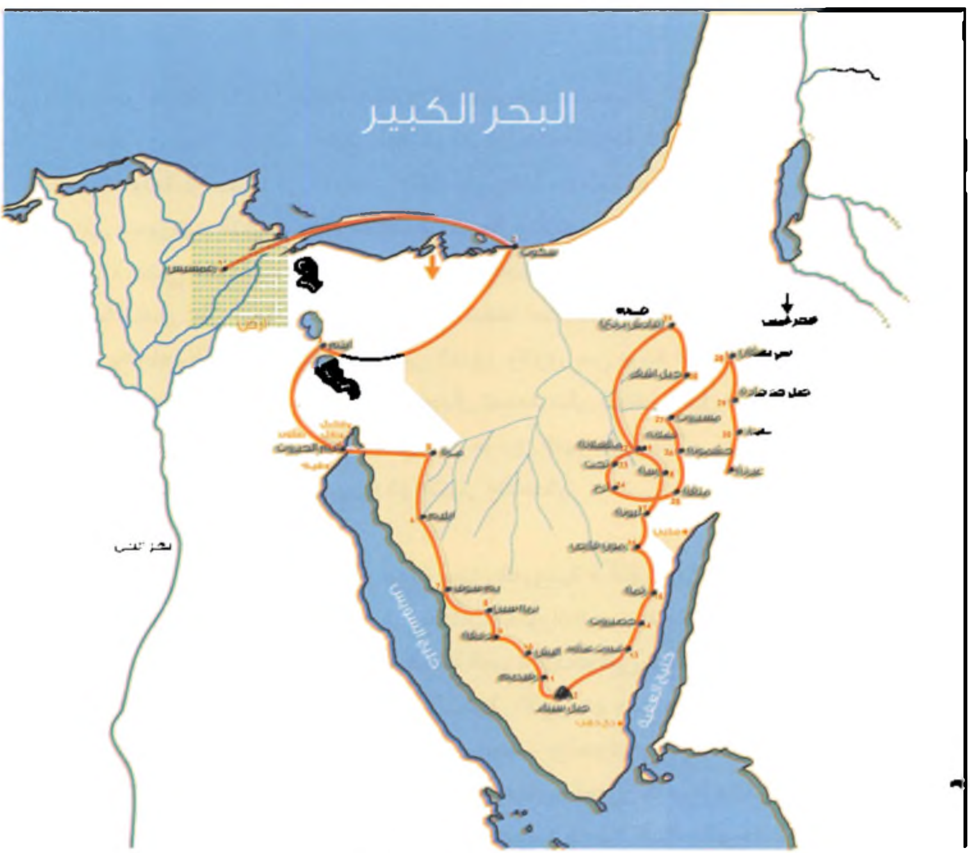
المحطة الحادية والثلاثون

جاء في الشريعة المقدسة، « ثم ارتحلوا من يطبطا ونزلوا في عبرنة» (عد ٣٣: ٣٤)، ان منزلة يطبطا هي تلة تقع على رأس خليج العقبة، وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس في تفسير اسم هذه المنزلة، «اسم عبري معناه « ممر او مقابل أو عبر » محلة للعبرانيين في تيههم (عد ٣٣ ، ٣٤، ٣٥) وهي واحة، واسمها الحالي عين دفية، على بعد سبعة اميال ونصف شمال عصيون جابر».

انّ محلة عبرنه تقع ما بين طابة وخليج العقبة، حيث تبعد الى الشمال من طابة ستة أميال، واثنان وعشرون ميلا جنوب خليج العقبة، اي ان هذه المنزلة تقع على ساحل البحر الأحمر ذراع العقبة، وتعتبر معبراً الى الأراضي المقدسة. وهنا حدث تحول في نفسية العبرانيين الذين مضى على مسيرتهم التيهية هذه ما يقارب تسعة وثلاثون عاما، وتبقى لهم سنة واحدة حتى يصلوا الى الأراضي الكنعانية التي وُعدوا بها. لهذا نجد ان هناك تغيير في الأسماء بعد ان كانت هذه الأسماء تدل على الأمل المفقود والضائع، بينما أصبحت الأسماء هنا فيها أمل وعطاء، فيها الطمأنينة والحلم، فاسم عبرنة يدل على العبور والمرور من برية قاحلة الى اراضٍ تفيض لبناً وعسلاً، اراض كلها خيرات، فيها سهول وجبال تعتمد على امطار فصل الشتاء، وهي بلاد تشكل القسم النهائي من القوس الذي يتشكل من بلاد ما بين النهرين وشمالي سوريا ولبنان، وفلسطين، انه القوس الخصيب (الهلال الخصيب) ذو الانهار والامطار.

لقد كان الهدف من مسيرة التيه هو موت جيل العبودية وخلق جيل جديد متحرر في افكاره وعطاياه، في ايمانه ودنياه. ولقد جاء في كتاب «التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها» تحت عنوان « بنو اسرائيل في مصر، » تصف قصة الخروج تحولين عظيمين ذوي ارتباط حاسم بالفصول اللاحقة للتاريخ الاسرائيلي، التحول الأول هو نمو وتكاثر ابناء يعقوب الاثنى عشر- الذين كانوا يعيشون حياة النفي في مصر- وتحولهم لأمة عظيمة، هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى، مرور تلك الأمة بتجربة عملية تحرر كبيرة والتزام بشريعة الهية، كان من المستحيل حدوثها قبل ذلك. وكانت القوة الكامنة لأمة متوحدة ومتدينة برزت عندما بدأت تطالب بحريتها حتى من أعظم مملكة على الأرض آنذاك».

في كثير من الأحيان تفرض الحقيقة نفسها على انسان هذا العصر وهو لا يشعر، اذ يحاول ان يصرح عن شيء في نفسه لكن وخلال سياق حديثه او كتاباته يجد نفسه امام امر واقع الا وهو الحقيقة بحد ذاتها، واذا ما اراد ان يتجاهلها تفرض نفسها عليه فرضا. لهذا أرى ان العديد من الكتاب والباحثين ممن يبغون تسلّق سلم الشهرة بسرعة يحاولون عبثا التشكيك بكلام التوراة المقدسة «خمسة اسفار موسى» مستندين على علماء الآثار تارة وعلى ما كتبه الغير تارة اخرى، لكنهم فجاة يجدون انفسهم ومن خلال معالجة ما جاء في التوراة امام الحقيقة، ففي كتاب «التوراة اليهودية مكشوفه على حقيقتها» الذي سبق واشرنا اليه فاننا نلحظ صيغة اسم الكتاب السلبية، لكن من سياق ما استشهدنا به نجده يتكلم عن الحقيقة، والسؤال هنا كيف لنا ان نجمع بين هذه الصيغة السلبية وبين ما طرحه الكتاب من حقيقة ؟



خارطة (٣٢)، موقع محلة عبرنه

عصيون جبر

المحطة الثانية والثلاثين

عصيون جابر هذا الموقع الذي يعرف الآن بـ«ايلات» وتعني بالعربية «العصيان الكبير» وكان الشريعة المقدسة تعلمنا ان الكثير من التمرد والعصيان كان يحدث بين الفينة و الأخرى اثناء مسيرة التيه هذه، إلا انّ الشريعة المقدسة لم تذكر العديد منها بسبب كون التيه هو جزء من التوراة سردته من اجل ان يكون عبرة للأجيال القادمة للشعب الاسرائيلي على مر الزمان .

انّ اهمية موقع عصيون جبر بدأت ايام الملك سليمان الذي اراد استغلال موقعها الاستراتيجي، فبنى فيها اسطولا في البحر الاحمر، وتمكن من السيطرة على التجارة في شبه الجزيرة العربية، وذلك عن طريق البحر الاحمر بواسطة هذا الموقع الهام جدا والذي يعرف بميناء ايلات. إلا انّ هذه السيطرة ضعفت بعد وفاة الملك سليمان. ويذكر كتاب العهد القديم (مل ٢٢ ، ٤٨)، ان عبّارة بحرية قد تكسرت هناك في عصيون جبر في عهد ملك يهودا اليهو شافاط وكان ذلك لصالح أدوم التي اغتنمت الفرصة واستولت على المنطقة وخلفت يهودا في السياسة والتجارة هناك، الى ان ارتقى امصيا العرش فحارب الاوروبيين واحتل المنطقة وبنى مرفأ ايلات ، (٢مل ١٤ ، ٢٢ و ٢ أخبار٢٦، ١-٢) .

وقد جاء في الشريعة المقدسة في سفر العدد(٣٣، ٣٥-٣٦)، ثم ارتحلوا من عبرنة ونزلوا في عصيون جابر. ثم ارتحلوا من عصيون جابر ونزلوا في برية صين وهي قادش». وجاء في سفر التثنية الاصحاح الثاني الآية ٧، «الله بارك الشعب الاسرائيلي في كل أعماله وكان معه، كان عارفا بمسيرته في القفر العظيم هذه، والتي مضى عليها اربعون سنة، لم ينقصه شيئا، ومر هذا الشعب عن اخوانهم أبناء عيسو، الساكنين في سعير(الخليل) عن طريق العربة، على آيلة، وعلى عصيون جبر، ثم تحولنا ومررنا في طريق برية موآب». إنّ الشهرة التي حصلت عليها عصيون جبر أيام الملك سليمان كموقع استراتيجي، وفي عهد امصيا الذي ارتقى العرش حتى حارب الزوزيين واحتلّ المنطقة وبنى مرفأ ايلات، إضافة الى كونها نقطة الفصل بين برية فاران سيناء وبرية صين، فكل هذه التفاصيل وغيرها الكثير مكّنت من تحديد مكان هذه المنزلة واقعا وحقيقة.

ولقد وصف قاموس الكتاب المقدس عصيون جبر بأنّها مدينة تقع على البحر الاحمر على الطرف الشمالي من خليج العقبة، بالقرب من مرفأ ايلات والى الغرب. (تث ٢ : ٨) أمل ٩ ، ٢٦ و١٠ ٢٢ ٤٨ أخبار ٢ ٨ ، ١٧) وقد كانت آخر محطات بني اسرائيل في رحلاتهم في البرية. وقبل وصولهم برية صين (عد ٣٣ ، تث، ٢ ٨) ويعتقد أن ذلك المكان هو تل الخليفة على بعد ٥٠٠ قدم من ساحل البحر، على منتصف الطريق بين العقبة ومرشدات على الطريق الغربي. وهو في اسفل منحنى محمي بالجانب الشرقي من تلال أدوم وقد وجدت اعمال التنقيب بها آثارا تدل على الازدهار التجاري الكبير الذي كان حاصلا فيها. مما يدل على انها كانت مركز تجارة الحديد والنحاس (تث ٨ ، ٩).

ومما يؤكد ان موقع عصيون جابر هو ايلات كونها ميناءً هاما في الماضي كما جاء في سفر للوك الإصحاح ٩ الآية ٢٦، «وعمل الملك سليمان في عصيون جابر التي بجانب أيلة على شاطئ بحر سوف في ارض ادوم».

وقد ذكرت ايلة مع عصيون جبر في اخبار الأيام الثاني الاصحاح ٨ الآية ١٧، « حينئذ ذهب سليمان الى عصيون جابر، والى ايلة على شاطئ البحر في ارض ادوم. وقد استعاد الاوروبيون المدينة ملكا، اخذها منهم عزيا ملك يهودا ثانية وأعاد بناءها. وكانت المدينة النبطية التي بنيت على هذا الموقع تدعى ايلا. (سميت العقبة بآيلة على اسم بنت مديان.)

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس حول ذلك ، «ايلات او آيلة اسم عبري معناها شجرة البلوط وقد ورد اسم بلدة في طرف الشمالي من خليج العقبة بالقرب من عصيون جبر (تث ٢ : ٨ - مل ٩ : ٢٦)، كانت ميناء بحريا مهما كما كانت مركز للقوافل ذات اهمية. وقد عبر اسرائيل بآيلة في طريق مرورهم في ادوم (تث ٢ ٨) ويرجح أن داود الملك اخذ هذه البلدة من الادوميين».



خارطة (٣٣)، موقع محلة عصيون جابر

الفصل الخامس

بـــريـــة صيـــن

(قادش)

الفصل الخامس

بـــريـــة صـــيــن
«قادش»

المحطة الثالثة والثلاثين

قَدِمَ بنو إسرائيل الى برية صين «قادش» في الشهر الأول من السنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من مصر، وتقع هذه البرية الى الجنوب من بئر السبع، ويحدّها من الشرق وادي عربة، ومن الغرب منطقة قادش برنع، ومن الشمال البحر الميت ووادي بئر السبع وعراد، ومن الجنوب وادي فاران، اي ان هذه البرية تقع الى الشرق من شبه جزيرة سيناء.

ان برية صين «قادش» تختلف عن قادش برنع التي جاء ذكرها في موقع برية فاران، حيث أرسل موسى رواد التجسس من هذه المنزلة (قادش برنع) من اجل فحص الأراضي الكنعانية القادمين اليها، وجاء في الشريعة المقدسة الإصحاح العدد (٢٠:١)، «وأتى بنو اسرائيل، الجماعة كلها، الى برية صين في الشهر الأول وأقام الشعب في قادش. وماتت هناك مريم ودفنت هناك».

المتتبع لمسيرة التيه الاسرائيلي كما روتها الشريعة المقدسة (النسخة السامرية) ومن خلال دراسة جغرافية الكتاب المقدس، لن يجد صعوبة في تحديد الأماكن التي نزل فيها ورحل عنها الشعب الإسرائيلي اثناء مسيرته التيهية التي شملت اثنتين وأربعين محلة، مثال ذلك محطة قادش، التي روت التوراة المقدسة في سفر التكوين الاصحاح الرابع عشر قصة الحرب الضروس التي حدثت ايام ملوك المشرق الأربعة وهم: «امرافل ملك شنعار»، و «اريابوك ملك الاسار»، و «كدر لعومر ملك عيلام»، و «تدعال ملك جويم»، الذين اجتمعوا كلهم في عمق السديم التي تقع عند البحر الميت، اذ جاءوا من الشرق لمهاجمة ملوك الأراضي الكنعانية الخمسة وهم: ملك سدوم، وملك عمورة، وملك ادمة وملك صبويم، وملك بالع في منطقة الأغوار، اذ ضربوا الرفائيين في عشتار وقرنايم، والزوزيين في هام، والايميين في شوى قرياتم والحوريين في جبل سعير الى بطمة فاران عند البرية، ثم رجعوا وجاءوا الى عين مشفاط (قادش)، ثم ضربوا كل بلاد العمالقة، وايضا الأموريين الساكنين في حصون تامار.

من خلال اسماء الأماكن والشعوب والمحطات التي دارت فيها هذه الحرب، يستطيع الباحث تحديد العديد من مواقع المنازل التي حط فيها ابناء شعب اسرائيل أثناء تيههم، لكن السؤال هنا، كيف تغاضى الكتّاب والباحثون وعلماء الآثار ولم يستشهدوا بهذه المؤشرات والمعطيات الدينية والتاريخية؟ وعلاوة على ذلك مازال العديد منهم يعتقدون ان التيه الإسرائيلي وقع خارج شبه جزيرة سيناء، لذا إمّا ان يعترف هؤلاء بواقعية التوراة ككتاب منزل، أو ينكرونه من الأساس، وإما أن يكذبوا كل ما جاء فيها او ان يعترفوا بواقعيتها.

إنّ قادش التي تقع في برية صين هي ليست قادش برنع، وما يدل على ذلك، انه عند وصول شعب بني اسرائيل الى قادش برنع، ارسل موسى رواداً للتجسس في ارض كنعان، وبعد خروجهم من قادش برنع (خردة) التي تقع في برية فاران نقطة انطلاقهم للتجسس جاءوا الى قادش في برية صين، لذلك فإن قادش برنع تقع على حدود شبه جزيرة سيناء والحدود الكنعانية، لكن قادش تقع داخل الحدود الكنعانية.

ومما يؤكد على ذلك، انه عندما هربت هاجر المصرية زوجة ابراهيم من عند سيدتها سارة جاءت الى عين الماء في البرية التي تقع على طريق شور، كما جاء في التوراة، «دعت هاجر اسم المكان بئر «لحي رائي» لأنها قالت رأيت بعد رؤية ها هي قادش وبارد» (تك ١٦، ١٤)، وفي هذه المحلة «قادش» دُفنت مريم شقيقة موسى وهارون ابناء عمران عليه السلام، بعد ان عاشت مئة وست وعشرون سنة.

انّ برية صين هي امتداد لشبه جزيرة سيناء، وهي اراضٍ صحراوية قاحلة، وظروف الحياة فيها صعبة للغاية، اذ نادراً ما تسقط فيها الأمطار، لذلك عندما نزل الشعب الاسرائيلي في قادش، لم يكن فيها ماء للشرب كما لا يوجد فيها غذاء او اشجار او اية مزروعات تذكر، لكونها منطقة صحراوية.

لقد كانت مشكلة صعبة بالنسبة لهم، لكنّ المولى الذي زودهم بالمن والسلوى اربعين سنة، فجّر لهم من الصخر ماءً، ومع ذلك كان بنو اسرائيل يتمردون على الأنبياء موسى وهارون حالما يشُح الماء ولو لبعض حين، اذ قالوا متذمرين، «ليتنا فنينا فناء أخوتنا أمام الرب، لماذا اتيتما بجماعة الرب الى هذه البرية لكي نموت فيها نحن ومواشينا؟ ولماذا أصعدتمونا من مصر لتأتيا بنا الى هذا المكان الرديء ليس هو مكان زرع وتين وكرم ورمان ولا فيه ماء للشرب»(عدد ٢٠، ٣).

لقد اتهم الشعب الإسرائيلي كل من موسى وهارون بانهما السبب في صعودهم من مصر ووجودهم في هذه البرية، ليقاسوا الظروف المعيشية الصعبة وقلة الماء وشحّ العطاء البيئي فيها ايضاً، بخلاف الأراضي المصرية التي نعموا فيها واستمتعوا.

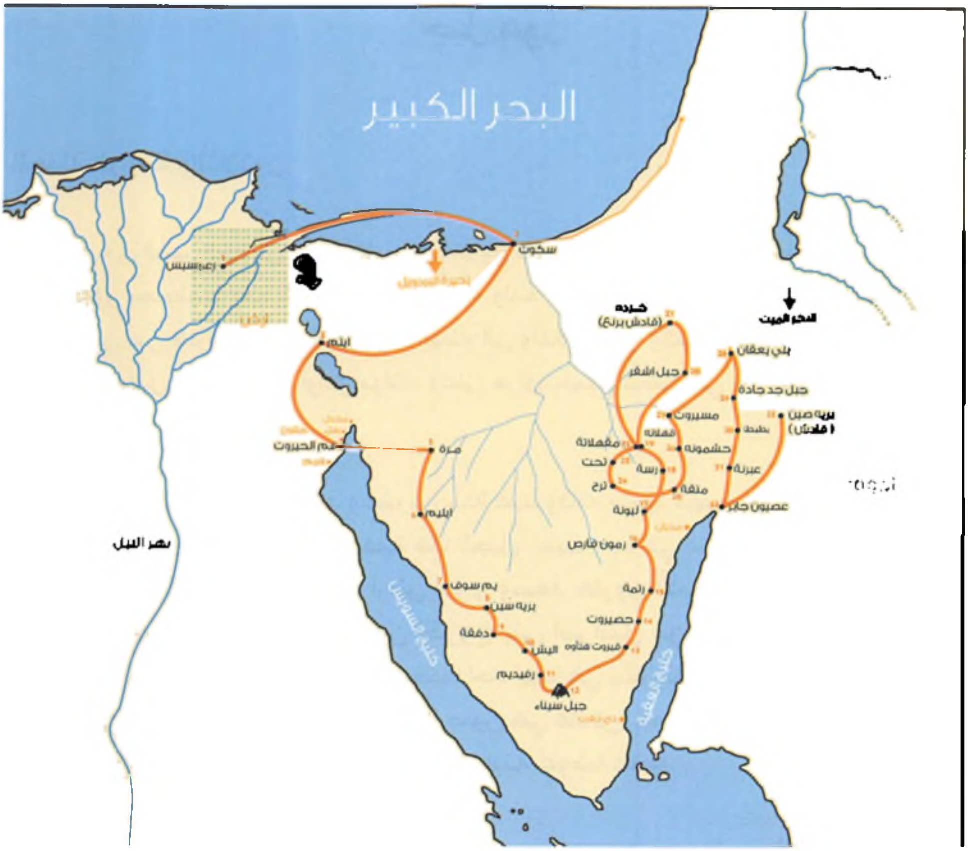
انّ الشعب الاسرائيلي تهجم مراراً على رائدي المسيرة، متجاهلين ان هذه المحطات عبارة عن نقاط عبور لتحريرهم من العبودية التي انغمست في عروقهم، ومتناسين هدفهم المنشود الا وهو الوصول الى الأراضي الكنعانية المقدسة، التي تفيض لبناً وعسلاً، وتحظى بهواء عليل، ونسيم طيب، وسهول خضراء، وجبال شماء، ووديان خصبة.

وعلى اثر هذا التذمر تحول السيدان الأعظمان موسى وهارون من امام هذه الجماعة المتمردة وجاءوا الى باب خيمة الاجتماع، وخرّوا ساجدين على الأرض فتراءى لهم مجد الرب وأمرَ موسى ان ياخذ عصاه وان يصطحب اخاه هارون وجماعة إسرائيل وان يكلم الصخرة امام اعينهم من اجل أن تتفجر المياه من جوفها ليروي أبناء شعب إسرائيل عطشهم وليسقوا ماشيتهم، ففعل موسى كما امره الله، لكن بدلاً من أن يكلم الصخرة قام بضربها بعصاه مرتين، فخرجت منها المياه بغزارة، ولكن فعلة موسى هذه ساءت امام الله لأنه خالف اوامره، فبدل ان يخاطب الصخرة ضربها بعصاه، فعاتبه المولى قائلا، «من اجل انكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني أمام أعين بني اسرائيل لذلك لا تدخلا هذه الجماعة الى الارض التي أعطيتهم إياها» (عدد ٢٠، ١٢) .

لقد اطلقت الشريعة اسم «ماء المخاصمة» على الماء الذي تفجر من الصخرة في هذا الموقع (قادش)، حيث خاصم بنو اسرائيل رب العالمين فبطش بهم.

كان قائد المسيرة موسى بن عمران يدافع عن شعب بني إسرائيل في كل مرة يتمرد فيها على الرب في جميع مراحل مسيرة التيه، ولكن على اثر مخالفته اوامر الرب، شعر الرسول ان خطاه كبير وانه سيدفع الثمن غالياً، ومن أجل ذلك حرم الله موسى وهارون من الدخول الى الأراضي المقدسة قائلا، «وانت أيضا لا تدخل الى هناك» ،(تثنية ١، ٣٧) .

بعد ان حرم الله موسى الرسول من الدخول الى الأراضي المقدسة، الحّ موسى على مولاه لإيصاله اليها مع شعبه، لينعم بمناظرها الخلّابة وعظمة قدسيتها، وتوسل الى ربه المرة تلو الاخرى قائلا « إنّك رب السموات والأرض ليس هناك من يستطيع عمل كأعمالك وجبروتك، دعني اعبر وارى الارض الجيدة الا في عبر الاردن هذا الجبل الجيد ولبنان» (تث، ٣، ٢٣)، إلا انّ كل توسلاته باءت بالفشل، فالأمر الالهي صدر ولا رجعة فيه، فامر المولى موسى ان لا يعود ويكلمه بهذا الأمر، لكن إكراما لنبوته ودرجته عند رب العالمين، قال له، اصعد الى القمة وارفع عينيك في جميع الجهات شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً وانظر بعينيك، لكنك لن تعبر الأردن. وعليك ان تشجع خليفتك في استلام القيادة من بعدك، يوشع بن نون الذي سيعبر بهذا الشعب الى الأراضي المقدسة، وهو الذي يقسم هذه الأراضي على الأسباط الاثني عشر، إنها الأراضي التي تنظرها الآن.



خارطة (٢٤): موقع برية صين(قادش)

جبل هور

المحطة الرابعة والثلاثون

في الأول من الشهر الخامس للسنة الأربعين لخروج شعب بني إسرائيل من مصر، صعد موسى الى جبل هور مصطحباً معه شقيقه هارون ومعه ولده العازر، وعند وصولهم الى قمة هذا الجبل نزع موسى عن هارون ثوبه الكهنوتي، وألبسه الى ولده العازار، وانضم هارون الى قومه إذ دُفن على قمة جبل هور حسب اوامر مولاه، وعلى مرأى جميع شعب بني اسرائيل الذي بكاه مدة ثلاثين يوما.

وكان هارون قد بلغ مائة وثلاث وعشرين سنة عند وفاته وتعود شهرة هذا المكان وقدسيته الى وجود قبر هارون بن عمران على قمة هذا الجبل. حيث جاء في التوراة «**ارتحلوا من قادش ونزلوا في جبل هور، في طرف أرض أدوم، وصعد هارون الأمام الى جبل هور عن امر الله، ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني اسرائيل من مصر في الشهر الخامس، في الأول من الشهر**» (عد ٣٣، ٣٧-٣٨). كما جاء ايضا في سفر التثنية الإصحاح العاشر الآية ٦ قولها، «**من هناك رحلوا ونزلوا في برية صين هي قادش. ثم رحلوا ونزلوا في جبل هور ومات هارون الإمام ودفن هناك. وأمّ العازار ابنه عوضا عنه**».

ويقع جبل هور في الوادي المعروف بوادي موسى، والذي يحدّه من الغرب العربة، ومن الشرق جبال الشراه، ومن الشمال مدينة الشوبك، ومن الجنوب خليج العقبة، ويُعرف هذا المكان اليوم بالبتراء المشهورة بلونها الوردي والمنحوتة بالصخر، إضافة الى مناظرها الجميلة الخلابة.

عندما ارتحل الشعب الإسرائيلي من قادش (برية صين)، توجه الى الجنوب الشرقي حتى وصل الى جبل هور واثناء مسيرته هذه والتي تسمى طريق الاتاريم، سمع ملك عراد الكنعاني الساكن في الجنوب (النقب) أن الاسرائيليين يمرون في هذه الطريق فسَبَى منهم سبياً.

ويقول بعض الباحثين ان هذه الطريق تصل ما بين قادش برنع وعراد، وهذا ما لا نعتقده لأنها موجودة بين عراد وجبل هور الذي يقع في وادي موسى بالأردن، وتُعتبر هذه الحرب أول حادثة يدفع فيها الشعب الإسرائيلي ثمناً لتمرده وتذمره ضد مولاه، حتى أنّ موسى الرسول دفع ثمناً باهظاً بمنعه دخول الأراضي المقدسة عندما خالف أوامر مولاه في برية صين اذ ضرب الصخرة بدلاً من ان يكلمها.

استذل ملك عراد الكنعاني حزن شعب بني اسرائيل ثلاثين يوماً على وفاة هارون واستعد لمحاربتهم، حيث لم يكن مهيناً لمثل هذه الحرب، للظرف الذي كان الشعب يمر به إثر وفاة هارون زعيمهم الروحي وقائدهم الديني شقيق رسول الله موسى عليه السلام، حيث ساعده بالخلاص من العبودية. ونذر اسرائيل نذرا للرب : «اذا دفع الله هذا القوم الى يديه يحرم مدنه. ولما سمع الرب لقول اسرائيل، بدأ بدفع الكنعانيين فحرموهم ومدنهم فدعي اسم المكان حرمة». (عد ٢١، ١-٢)

لقد أصبح الاعتقاد السائد لدى الشعب الإسرائيلي ان الأمور قد اختلفت عما كانت عليه في الماضي، وأصبح المولى يقبل طلباتهم، ويسمع لهم فيما اذا توجهوا اليه لإغاثتهم، خاصة اذا تقدموا بقرابينهم نذرا لطلباتهم هذه.

وهذا ما حدث بعد معركة اسرائيل وملك عراد الكنعاني، اذ نذروا نذراً للرب فسمع المولى لهم واستجاب لقربانهم هذا، حيث دفع الرب بالكنعانيين فهُزموا .

هذا وفسر قاموس الكتاب المقدس كلمة هور قائلا : «اسم سامي معناه «جبل» وهو جبل عند حدود بلاد أدوم، الله اتى العبرانيون من قادش (عد ٢٠ : ٢٢ ٢٣ ٣٧)، وعليه مات هارون (عد ٢٠، ٢٤ ٢٩ – ٣٣، ٣٨ ٣٩ وتث ٣٢ : ٥٠) وتقول ان هارون مات هناك. وجبل هارون يقع على منتصف الطريق من خليج العقبة وبين الطريق الجنوبي من البحر الميت. وهو صخر رملي على ارتفاع حوالي ٥٠٠٠ قدم. والبتراء قريبة منه الى الغرب. وفوق الجبل يقال انه قبر هارون. وقد بني عليه مسجد اسلامي».

ولقد تطرق الكاتب أسعد منصور بكتابه «جغرافية الكتاب» صفحة ٢٨٧، تحت عنوان «جبل هور» حيث كتب يقول:« هنا مات هارون ومسح مكانه اليعازر بابنه، ذكرت في سفر التثنية، موسير بعد ابار بني يعقان، وقيل هناك مات هارون وهناك دفن » فتكون موسير اما نفس هور أو بالقرب منه بينه وبين آبار بني يعقان. ويستطرد قائلا: «اغلب الظن ان جبل هور هو المعروف اليوم بجبل مديرة، الى الشمال الشرقي من قادش بخمس عشر ميلا، وهو على الطريق من قادش ومؤاب. ويُعزز هذا الاعتقاد ان الجبل المذكور قد تيَسر عليه موت هارون امام اعين كل الجماعة كما ورد في الآية (عد : ٢٠ ٢٩)، بينما ذلك غير ميسور في جبل هارون العالي جدا».

وجاء في الشريعة المقدسة، في سفر التثنية اصحاح ٢ الآية ٨-٩ قولها، «فعبرنا عن اخوتنا بني عيسو الساكنين في سعير عن طريق العربة، على آيله وعلى عصيون جبر، ثم تحولنا

ومررنا في طريق برية مؤاب، فقال لي الرب: لا تعاد مؤاب ولا تثر عليهم حربا، لأني لا اعطيك من ارضهم ميراثا". إنّ جبل هارون الذي تكلم عنه قاموس الكتاب المقدس، وكذلك الكاتب أسعد منصور الذي اعتمد في كتاباته على التوراة النسخة اليهودية والتي تختلف عما جاء في الشريعة الموسوية السامرية، يقع في وسط ادوم بينما جبل هور كان على حدودها، واذا كانت مملكة ادوم يومها تسيطر على كل تلك المنطقة وتصل الى خليج العقبة فهذا يعني ان العبرانيين ما كانوا ليعبروا المنطقة لان ذلك محرجّ لهم، كما ورد في الآية (تث ٢ : ٨).

وبعد وصول بني اسرائيل إلى موقع جبل هور الذي يقع في وادي موسى في البتراء، توفي سيدنا هارون عليه السلام ودفن على راس هذا الجبل وبعد ثلاثين يوماً وهي مدة حزنهم عليه واصلوا مسيرتهم الى محلة صلمونة.



خارطة (٣٥)، موقع جبل هور

رسالة عبد اللطيف سليم السامري التي نشرت بجريدة معرفة السامريين الشهرية والتي نشرت في العدد الثالث بتاريخ ١٥/ ٥/ ١٩٧٦ وكانت بعنوان :

رحلة الأجداد على طريق الأراضي المقدسة

بتاريخ ١٩٧٦/١/٢٣ الذي صادف يوم الجمعة قرأت بجريدة اخبار السامريين مقالاً للأخ حسني واصف الكاهن بعنوان «التيه الإسرائيلي في شبه جزيرة سيناء» عدت بذاكرتي للوراء القريب اي في سنة ١٣٨٠ هجرية الموافق ١٩٦١/٥/٢٢ اذ ارتحلنا نحن الكاهن تقي توفيق، والكاهن سلوم عمران، والكاهن عبد المعين صدقة والكاهن عطاالله ابراهيم، والسادة فياض لطفي فياض السامري ويعقوب مرجان السامري وكاتب هذه السطور عبد اللطيف سليم السامري، لنمشي على الطرق التي سارت عليها جحافل بني اسرائيل من ميناء العقبة- معان- وادي موسى الى قبر الكاهن الأكبر هارون عليه السلام.

ففي يوم الأثنين الموافق ١٩٦١/٥/٢٢ شددنا الرحال نحن المذكورين اعلاه للرحلة المباركة من مدينة نابلس المحروسة في سيارة ذات سبع مقاعد وتوجهنا لمدينة عمان لنبدأ رحلتنا بمظاهر الوداع من قبل كافة أفراد الطائفة في نابلس، ومررنا من وادي الأردن ومدينة اريحا، وطريق وادي السير، فوصلنا إلى العاصمة الأردنية عمان حوالي الساعة السادسة مساء.

وواصلنا المسيرة حتى مدينة معان، فوصلناها بيمن الله تعالى حوالي الساعة ١١ مساء، قطعنا بذلك حوالي ٢٨٠ كيلو متراً، ونزلنا ضيوفاً عند قائد مدينة معان العقيد خير الله جراح الشركسي، المقدام والمضياف حقاً، حيث قدم لنا واجب الضيافة خير قيام، واعد لنا المأكل والمشرب، وعمم بدوره على جميع المخافر التي سنمر بها بضرورة المحافظة على حرية تجوالنا، وأمننا وتسهيل مهمتنا، كما وانه اعد لنا فندقاً مريحاً لمنامنا وهو الفندق الوحيد على ما يبدو في محطة سكة حديد معان.

وفي صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٩٦١/٥/٢٣ عدنا لبيت مضيفنا حيث قدم لنا الإفطار وزودنا بآلة تصوير ويسّر لنا سيارة أقلتنا لوادي موسى الذي يبعد ٥٦ كيلو متر عن المكان.
وفي هذه الطريق مررنا على طول الطرق التي سلكها شعب بني اسرائيل بقيادة النبي الأعظم سيدنا موسى عليه السلام، وفي حوالي الساعة السابعة والنصف صباحا، وصلنا للعين التي جاء ذكرها بالتوراة المقدسة عندما شح الماء على الشعب، طلب النبي الأعظم من الحق سبحانه ان

يشفق على عبيده، عندها طلب منه عز شانه ان يضرب الصخرة الصماء، فكان أن تفجر منها ينبوع ماء عذب وغزير بقدرته.
ومن هذه العين ومائها العذب ارتوينا، وبعدها واصلنا السير حتى مخفر وادي موسى، فوجدنا الرسالة الهادفة قد وصلت من مضيفنا المذكور لقائد المخفر الذي بدوره أمنّ لنا المكان المناسب للاستراحة، وكذلك سهّل لنا الطريق للوصول لمقام هارون عليه السلام باستئجار سبع رؤوس خيل أصيلة مع الحراس للحفاظ علينا.
بدأنا الطريق الطويل، وبدأت الرحلة من المخفر مخترقة السيق « البتراء» التي اقام بها الأنباط مملكتهم في غابر السنين، وإنها لمناظر خلابة بصخورها وأوديتها وجبالها الزاهية.

وبعد أن امتعنا عيوننا في كل من القصر العدني – الى المدرج، التي استغرقت حوالي ثلاث ساعات ونصف الساعة على صهوة الخيول، وصلنا حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر للباحة التي يطل عليها قبر النبي هارون، عندها ارتحلنا وطهرنا أنفسنا فيها من ماء البئر الموجود هناك، وتسلقنا بعدها على الأقدام والأيدي. وبشق الأنفس وصلنا أعلى الربوة التي اقام عليها الملك قلاوون عام ٦٨٠ للهجرة، بناء ضخما ٩×٦ تقريباً، وبعد الاستئذان دخلنا الأبواب التي فتحها لنا الحارس والقيم على المقام وهو مصري الجنسية، ساجدين متبركين من هيبة المقام، ونزلنا للغار بقيادة الكاهن تقي توفيق، وقدمنا الفرائض الدينية، وقمنا بالدعاء للعلي القدير بان يحفظنا بعودتنا.

وبعد ان تناولنا وجبة الغداء في رحاب النبي هارون عليه السلام، عدنا بنفس الطريق لمدينة وادي موسى، ومنها واصلنا السفر بواسطة السيارة لمدينة العقبة التي قضينا فيها ليلة واحدة.
كانت ليلة خلابة لأن المناظر في هذا البحر جميلة جداً، ولا يبعد عنك ميناء ايلات أكثر من اربعة كيلومترات، وسلك شوكيا برا وهو المطار للمدينة. وفي ليلة الخميس الموافق ١٩٦١/٥/٢٥ شددنا الرحيل بطريق العودة للبلد المحبوب نابلس، التي وصلناها في حوالي الساعة الخامسة والنصف صباحاً، وحمدنا الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا بهذه الرحلة الممتعة الشيقة التي لم يسلكها حسب اعتقادنا سوى أجدادنا بقيادة سيد المرسلين موسى الكليم.

صلمونه

المحطة الخامسة والثلاثين

انّ تفسير معنى كلمة صلمونه هو «الظل» لأن الشعب الإسرائيلي الذي يحمل كل مقومات القدسية، والبكورة، وعظمة القيادة والسكون، كان رب العالمين يتنقل معه مثلما يحمل النسر فراخه، ومع ذلك كان يتمرد ويغالي في ذنوبه وسيئاته، لذا أطلقت الشريعة على هذا الموقع اسم «الظل»، وكأنّها تريد ان تخبرنا «قد زال ظلهم عنهم»، حيث جاء في التوراة: «ثم ارتحلوا من جبل هور ونزلوا في صلمونه» (عد ٣٣، ٤١).

ارتحل بنو اسرائيل من موقع صلمونه ليدوروا بارض أدوم، بعد أن منعهم ملك ادوم من الدخول من اراضيه أو حتى للمرور منها، مستخدماً قوة السلاح في صدّهم، وعندها تحول الشعب الإسرائيلي في مسيرته عنه لينزل في «فينن».

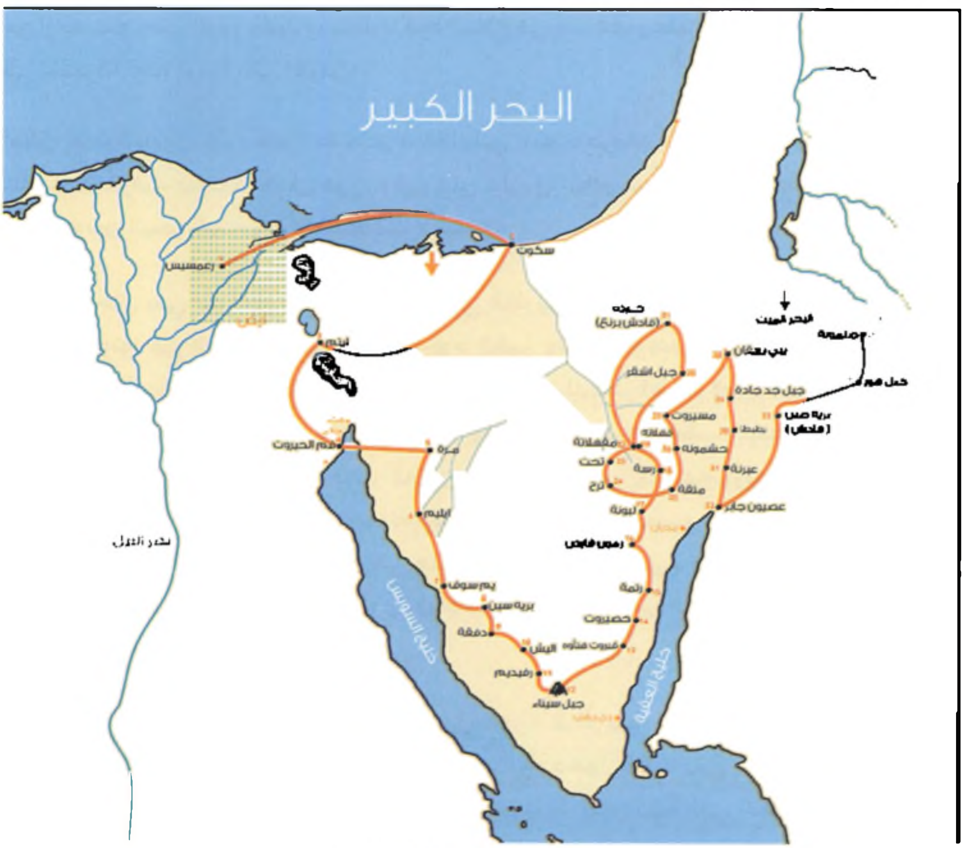
أطلق الإسرائيليون على مدن ملك عراد الكنعاني اسم «حرمة» لأنه منع وحرّم هذه المنطقة عليهم اذ عُرفت بحادثة جبل هور، وهي على طريق «بحر سوف» حيث تصل ما بين خليج العقبة وبين البحر الميت، وهي امتداد لشرم الشيخ.

واثناء ترحال بني إسرائيل ضاقت نفوسهم في الطريق، فاستغابوا الله ورسوله لصعودهم من مصر ليموتوا في البرية، مدّعين عدم وجود الخبز والماء، اذ وصفوا طعامهم الذي يتناولونه بالسخيف، فارسل الله على الشعب الحيات المحرقة التي لدغت الشعب فمات منهم قوم كثير، فتوجه الشعب بندائه الى موسى كي يشفع لهم أمام الله ليرفع غضبه عنهم، طالبين المغفرة والصفح عنهم، فتوسل موسى لرب العالمين بصلواته ليغفر ذنوبهم، ويصفح عن سيئاتهم وخطاياهم، فاستجاب المولى لطلب رسوله وامين بيته وأمره بأن يصنع حية محرقة ويضعها على الراية، فكل من لُدِغ من الشعب ينظر الى هذه الحيّة النحاسية يحيى، وسرعان ما نفذ موسى هذا الأمر، وصنع الحية النحاسية وعلّقها على الراية، وكل من لُدِغَ من الشعب الاسرائيلي من الحيات ثم نظر الى الحية النحاسية كان يشفى.

انّ منزلة «صلمونة» تقع الى الشمال من «جبل هور»، اذ لم يبقَ للوصول الى الأراضي الكنعانية على طريق اريحا إلا بعض الوقت، وما رفض ملك ادوم دخول شعب بني إسرائيل من أراضيه إلا كي تطول الأيام عليهم وتكتمل الصورة وهي انقضاء الأربعين سنة التي حكم المولى بها عليهم.

هذا وقد ذكر قاموس الكتاب المقدس صلمونه قائلا، «اسم عبري معناه «مظلم او ذو ظل» محلة لبني اسرائيل في البرية، ولعلها شرقي جبل هارون، عند بئر مذكور، تقع في وادي العمران على بعد ٦ اميال شرقي خليج العقبة.»

عندما حدد قاموس الكتاب المقدس موقع صلمونه على بعد ستة اميال شرقي خليج العقبة، واضاف لعلها شرقي جبل هارون، كان قد استشهد بالتوراة اليهودية على ان موقع هور هو جبل دفن فيه هارون، وحدد هذا الموقع شرقي قادش، وبذلك نجد ان المواقع الأخرى هي ايضاً ليست في اماكنها الصحيحة، والسبب في هذا الالتباس يعود الى الاستشهاد بالكتاب المقدس النسخة اليهودية، وتجاهُل ما جاء في التوراة السامرية، إلا أنّ التوراة السامرية حددتها الواحدة تلو الأخرى، متنقلة من منزلة الى أخرى بصورة واضحة المعالم، والأبعاد، والأماكن، وحتى الزمان، لذا فموقع صلمونة يقع الى الشمال من جبل هور (جبل موسى) الذي دُفن فيه هارون عليه السلام كما هو موضح في الخريطة أدناه.



خارطة (٣٦)، موقع محلة صلمونه

فينن

المحطة السادسة والثلاثين

جاء في التوراة، «ثم ارتحلوا من صلمونة ونزلوا في فينن» (عدد ٣٣، ٤٢)، اذ تقع محطة فينن ما بين بلدة الشوبك وبلدة الطفيلة في الأردن وتُعرف بوادي الفنّان.

انّ كلمة فنّان هي تحريف عربي لكلمة فينن العبرية، وتقع الى الغرب من جبال سعير المعروفة باسمها العربي جبال الشراه، ومن الغرب يحدها وادي عربة.

لم يمكث العبرانيون في هذا الموقع طويلا لأنه لم يكن هناك احداث تذكر، ولما كان من المعلوم أن أيام التيه الاسرائيلي قد قاربت على الانتهاء وعليهم الوصول بأقرب وقت ممكن وخلال الأشهر المتبقية للموعد الذي حدده المولى وهو أربعين عاما، شعروا بضرورة تجاوز خلافاتهم، والتحضير والاستعداد إلى المراحل القادمة، والتهيؤ للخطر المحدق وما سيصادفهم من حروب ومعارك قادمة ابتداءً من هذه المحطة، وحتى وصولهم الى الأراضي الكنعانية.

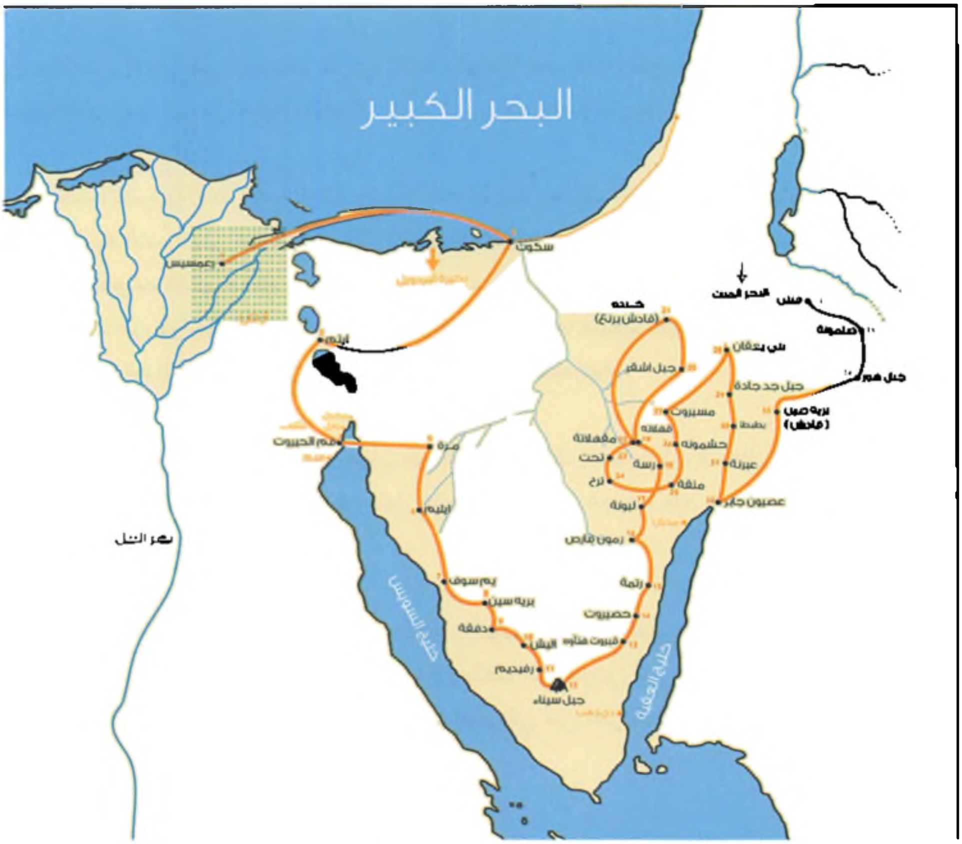
فعندما خرجوا من صلمونة متوجهين الى فينن تحولت المسيرة الى الشمال الغربي على شريط سلسلة «جبال سعير» بسبب وعورتها، وتجنب خوض معارك هم في غناً عنها مع شعوب المنطقة.

افاد قاموس الكتاب المقدس حول فينن قائلا: «فونون، محلة لبني اسرائيل في البرية حين وصولهم الى مؤاب (عدد ٣٣ : ٤٢، ٤٣) ويعتقد أنها فينن الى الجانب الشرقي من العربة نحو عشرة أميال ونصف الميل الى الجانب الشرقي من خربة نحاس وهي منطقة اشتهرت بمعدني النحاس والحديد».

وجاء في سفر التكوين الاصحاح ٣٦ الأية ٤٠-٤٣، «وهذه أسماء أمراء عيسو حسب قبائلهم وأماكنهم بأسمائهم :أمير تمناع، وامير علوه، وامير يتيت، وامير اهوليبامة، وامير ايلة، وامير فينون... هؤلاء أمراء ادوم حسب مساكنهم في أرض ملكهم». اذ لربما نسبت هذه المحلة الى احد امراء ادوم «فنيون» التي اشتُهرت بمناجم النحاس حيث كان المصريون يرسلون أسراهم للعمل هناك.

إنّ كلمة فينن مركبة من مقطعين هما: في-نن، (في)، وتعني بالعبرية فم، ومن المعلوم ان طبيعة المكان هي وادي، اذ يشبه تجويف الفم، و(نن) تعني الشعب، لذلك أُطلق على موقع فينن الآن اسم وادي فنّان بالعربية، ولربما هذا الاسم هو تحريف زمني من اسم الموقع التوراتي فينن.

لقد اصبح تحرك الاسرائيليين في الفترة الأخيرة مناطاً بالظروف التي تواجههم في هذه المنطقة لوجود العديد من الشعوب فيها، لذا كان عليهم ان يأخذوا في الحسبان عند انتقالهم تجنب إثارة مثل هذه الشعوب والوقوع معها في حروب هم في غنى عنها.



خارطة (٣٧): موقع محلة فينن

ابــوت

المحطة السابعة والثلاثون

لنّ التنقل من موقع الى اخر، ومن منزلة الى اخرى، وهذا التتابع في التنقل يمكّن الباحث من الوقوف على الحقيقة دون التحيّد عنها، لأن اتجاه المسيرة والبعد الجغرافي بين كل موقع واخر، وطبيعة الأماكن، والأسماء الدالة على الأحداث، والشعوب التي مروا فيها وغيرها، كل هذا يقيّد الكاتب والباحث لذا ما وضع نصب عينيه الوصول الى الحقيقة. لكن كل من تناول بالبحث عن التيه الاسرائيلي، كان يقف عند عقبة ما ويحسبها نهاية المطاف عندها تختلط الأمور عليه ويصل الى طريق مسدود.

ان الرجوع بالتاريخ الى الوراء، يمكّن الانسان من التّعلم من اخطائه، اما بقاء العالم حتى الآن حائراً بخصوص حقيقة التيه من حيث المكان والزمان والعصر، فإنّ التاريخ لن يرحم مثل هؤلاء ممن ينكرون هذه المسيرة باعتبارها اكبر واطول مسيرة جماعية عبر التاريخ والتي تخللتها احداث عظيمة وكبيرة، لذلك نجد ان الشريعة حددت الأماكن والمواقع والأزمنة، بيد ان التقصير جاء من قبل الباحث الذي تناول في بحثه مسيرة التيه اكنه لم يفرغ نفسه تماما من اجل الوصول الى الحقيقة.

وقد جاء في الكتاب المقدس، «ثم ارتحلوا من فينن ونزلوا في اوبوت»(عد ٣٣، ٤٣)، انّ هذا الموقع هو بحد ذاته مدينة الطفيلة والمعروفة باللغة العبرية بموقع العرة، وتقع على الطريق الملك الى الشمال من فينن وتبعد عن جنوب البحر الميت ببعض الكيلومترات الى الشرق من هذا الموقع وادي الحسا والمعروف زارد القديم وذلك كما جاء في كتاب اثار الاردن لمؤلفه «لانكسترهادنج» .

وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس عن ابوت قوله، «اسم عبري معناه « قرب الماء» وهو اسم مكان حل فيه بنو اسرائيل. وهو بالقرب من حدود مؤاب الجنوبية الشرقية (عدد ٢١ : ١٠، ١١ - ٣٣ : ٤٣ ،٤٤ ومكانها اليوم عين الويبة».



خارطة (٢٨)، موقع محلة ايوت

عي عباريم

المحطة الثامنة والثلاثون

انّ منزلة «**عي عباريم**» تقع على حدود مؤاب الجنوبية الشرقية، وتعرف بوادي زارد، ويطلق عليها حالياً اسم (المزار) وهي الى الجنوب من مدينة الكرك في الأردن، كما جاء ذكرها في التوراة، «**ثم ارتحلوا من أبوت ونزلوا في عي عباريم في تخم مؤاب**»(عد ٣٣، ٤٤).

وجاء في الشريعة المقدسة، سفر العدد الاصحاح ٢١ الآية١١- ٢٠ ، «**وارتحلوا من اوبوت ونزلوا في عيي عباريم في البرية، التي قبالة مؤاب الى شروق الشمس. من هناك ارتحلوا ونزلوا في وادي زارد. من هناك ارتحلوا ونزلوا في عبر أرنون الذي في البرية، خارجا عن تخم الأموريين. لأن أرنون هو تخم مؤاب، بين مؤاب والأموريين**». **لذلك يقال في كتاب « حروب الرب» واهب في سوفة واودية ارنون ومصب الأودية الذي مال الى مسكن عار، واستند الى تخم مؤاب. ومن هناك الى بئر. وهي البئر حيث قال الرب لموسى اجمع الشعب فأعطيهم ماء. « حينئذ ترنم اسرائيل بهذا النشيد « اصعدي ايتها البئر ! اجيبوا لها. بئر حفرها رؤساء ، حفرها شرفاء الشعب، بصولجان بعصيهم». ومن البرية ال نخليئيل. ومن نخليئل الى باموت، ومن باموت الى الجواء التي في صحراء مؤاب عند راس الفسجة التي تشرف على وجه البرية»**، فاذا تعمقنا بمفهوم هذه الآيات التي ذكرناها اعلاه وبمكان ورودها في الشريعة، والأسباب التي آلت لتدوينها هنا، وما حوته من معلومات مهمة جداً حول تدوين للسيرة وتحديد بعض مواقعها، حيث جاء «**ارتحلوا من ابوت ونزلوا في عيي عباريم في البرية، ومن هناك ارتحلوا ونزلوا في وادي زارد**»، فان هذا يعني ان مكان هذه المحلة موجود في البرية الواقعة قبالة مؤاب نحو شروق الشمس، ففي سورة «مراحل تدوين السيرة» في سفر العدد ٣٣، ذكرت «**ارتحلوا من ابوت ونزلوا في عيي عباريم، ومنها الى ديبون جاد (مادبا)**»، ومن اجل دعم كلام الشريعة وما جاء فيها دوّن كتاب « حروب الرب» ان الله رجل الحرب، وهو الذي كان يدافع عن شعب اسرائيل، حيث جاء كلام الرسول لهم «الله يحارب عنكم وانتم تصمتون». وركزت الشريعة هنا على الأماكن والشعوب والأحداث، والمناسبات السارة، وأسماء المواقع وطبيعة جغرافيتها، ودعمت ذلك بكتاب حروب الرب، وهناك العديد من الآيات والأسفار التي تناولت مثل هذا التفسير وذاك الشرح، لكن لا بد من التمعن والانغماس في الغاز وأسرار مثل هذه المواقع للوصول الى حقيقة الأمر.

انّ المدة التي قضاها شعب بني اسرائيل ما بين نزول الأمر الالهي بالتيه اربعين سنة في محلة قادش برنع، لغاية وصولهم الى هذا الموقع «عي عباريم» هي ثمانية وثلاثون عاماً كما جاء على لسان الشريعة المقدسة . « والأيام التي سرنا فيها من قادش برنع حتى عبرنا وادي زارد كانت ثمانية وثلاثون سنة، حتى فني كل الجيل رجال الحرب من وسط المحلة». (تث ٢، ١٤). وبذلك كان وصول شعب بني اسرائيل الى وادي زارد في الشهر السابع من السنة الأربعين لخروجهم من مصر، وهي منطقة برية صحراوية عند وجهة شروق الشمس.

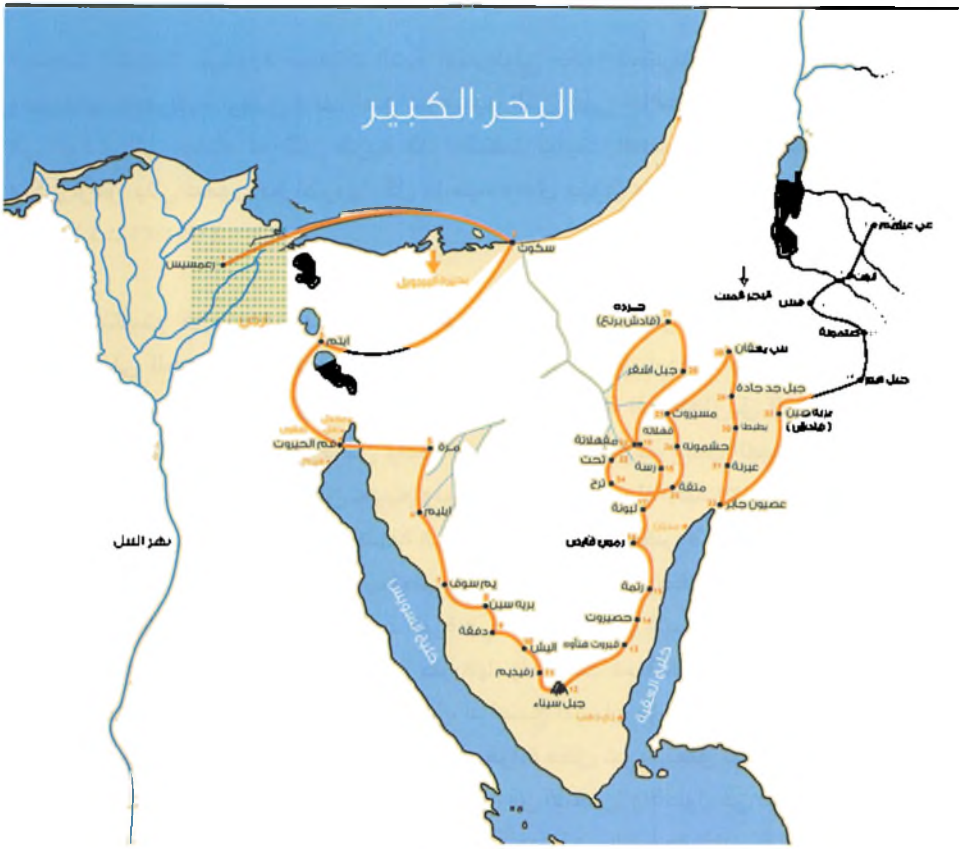
فمنذ ان غادر الشعب الاسرائيلي في مسيرته هذه شبه جزيرة سيناء ودخل الأراضي الكنعانية، حتى اصبحت تحركاته على حدود القبائل والدول التي كانت قائمة آنذاك، كالعمالقة والكنعانيين، والادوميين، والموابيين، والعمونيين، والمديانيين، فمثل هذه القبائل والدول لم تكن معنية بحبل ميراثهم، مع ان دولاً منهم سمحت للإسرائيليين بالمرور من تخومهم، ودول اخرى قامت بمحاربتهم، رغم ان هدفهم لم يكن هذه الدول، حيث كان موسى يعرض عليهم المرور قائلا: «دعني أمر في أرضكم لا نميل الى حقل ولا كرم ولا نشرب ماء بئر، في طريق الملك نمشي حتى نتجاوز تخومك». (عد ٢١، ٢٢)

وجاء على لسان موسى الرسول قوله، «عندما فني جميع رجال الحرب بالموت من وسط الشعب كلمني الرب قائلا: انت اليوم مار في تخم مؤاب بعار، فمتى قربت الى اتجاه بني عمون لا تقاوم ولا تهجم عليهم لأني لا اعطيك من ارض بني عمون ميراثا لاني لبني لوط اعطيتها ميراثا هي ايضا تحسب ارض رفائيين، سكن الرفائيون فيها قبلا العمونيين بدعوتهم زمزميين، شعب كبير وكثير وطويل كالعناقيين ابادهم الرب من قدامهم فطردهم وسكنوا مكانهم. كما فعل لبني عيسو الساكنين في سعير الذي اتلف الحويين من قدامهم فطردهم وسكنوا مكانهم الى هذا اليوم». (تث ص ٥).

وورد في قاموس الكتاب المقدس تفسير اسم هذه المحلة حيث ذكر: «عي عباريم ، اسم مؤابي معناه «خراب عباريم» محلة من محلات بني اسرائيل في طريقهم الى فلسطين عبر البرية على حدود ارض مؤاب الجنوبية (عد ٢١ : ١١ – ٣٣: ٤٤ وهي نفسها عييم عدد (٣٣ : ٤٥) ، عيي عباريم، الى الشرق من نهر الاردن، في جنوب ارض مؤاب .وربما كانت هي محاي الى الشرق من ذات الرأس بسبعة اميال».

وعندما وصل موسى الى هذه المحطة كلمه المولى قائلا: «لا تعاد مؤاب ولا تهجم عليهم لأني لا اعطيك من ارضهم ميراثا لأني لبني لوط اعطيت عار ميراثا». ويذكر ان اولاد لوط «بن عمي» والذي ينتسب اليه العمونيون الذين سكنوا على ساحل البحر الميت الشرقي، ومؤاب

الذي ينتسب اليه المؤابيون الذين سكنوا الى الجنوب من العمونيين لصلة القرابة مع ابراهيم عليه السلام، منحهم الرب هذه الأراضي ميراثاً. لذلك قام بنو اسرائيل بتغيير اتجاههم من امام المؤابيين وتحولوا الى وادي زارد الواقع على حدوده الجنوبية الشرقية، لئلا يعتقد المؤابيون أنّ الاسرائيليين جاءوا ايحتلوا بلادهم او جاءوا ليحاربوهم.



خارطة (٣٩): موقع محلة عي عباريم

ديبون جاد

المحطة التاسعة والثلاثون

أوضحت الشريعة الموسوية محطات التيه الاسرائيلي كما ذكرنا سابقاً من حيث مواقعها وطبيعتها الجغرافية، ومثال ذلك، «**من عروعير التي على حافة وادي أرنون والمدينة التي في الوادي الى جلعاد لم تكن قرية قد امتنعت علينا. الجميع دفعه الله الهنا امامكما، ولكن ارض بني عمون لم نقربها، كل ناحية وادي يبوق ومدن الجبل وكل ما امر الرب الهنا**».(تث ٣٦،٢-٣٧).

وكان لانكستر هاردنج قد ذكر هذه المحطة في كتابه «اثار الأردن» قائلا، «**موقع هذه المحطة على الحدود الشمالية للمؤابيين، وتقع في وادي أرنون، وادي الموجب الحالي، وتعرف الآن بمنطقة ديبان، مقابل عين جدي الواقعة الى الطريق الغربي من البحر الميت، وهذه المنطقة محصورة من وادي الموجب من الجنوب، وادي الهيدان من الشمال**».
وجاء في التوراة، «**ثم ارتحلوا من عييم ونزلوا في ديبون جاد**»(عد ٣٣، ٤٥)، إنّ القراءة لمسيرة التيه من خلال الآيات التوراتية بالإضافة الى مقومات المسيرة والظروف التي واكبتها، والأحداث التي جرت فيها، والمناسبات التي لا يستطيع أي انسان تجاهلها، وكذلك الوصايا والقوانين التي اعتمدتها معظم شعوب العالم واحدثت ثورة في الكون، مكنّت الانسانية من اكتساب تعاليمها وارشاداتها، وتقليد عبادة الوحدانية عن طريقها، واصبحت صلة العابد والمعبود صلة روحانية، بعد أن كان الانسان ما هو إلا حيوان ناطق، اذ أصبح الانسان مؤمناً متعبداً موحداً، يخاف الله، ويضحي لأجله، مما جعل الناس يتهافتون على قراءة كل شيء يتعلق بالمسيرة التيهية الأكبر عدداً في العالم، حيث ضمت ما يزيد عن المليونين من الأنفس، والأطول في العالم حيث استمرت اربعين سنة في شبه جزيرة جرداء قاحلة، وحاز تدوينها في الشريعة المقدسة على معظم الأسفار الخمسة لأهميتها التاريخية والدينية والاجتماعية وحتى السياسية.

امر المولى الشعب الاسرائيلي بالرحيل وعبور وادي أرنون بعد ان دفع اليهم سيحون ملك حشبون الاموري وأرضه، حتى تنشب حرب بينهم ويتملكون الأرض. حيث جاء في التوراة، «**في هذا اليوم أبتدئ اجعل خشيتك وخوفك امام وجوه الشعوب تحت كل السماء. الذين يسمعون خبرك يرتعدون ويجزعون امامك**».(تث ٢، ٢٥).

فاستجاب موسى لأوامر الله وارسل رسلاً الى ملك قديموت والى سيحون ملك حشبون حيث عرض عليهم المرور باراضيهم دون حرب، قائلا، «أمر في أرضك اسلك الطريق الطريق. لا اميل يميناً ولا شمالاً. طعاماً بالفضة تبيعني لآكل، وماء بالفضة تعطيني لأشرب. أمر برجلي فقط. كما فعل بي بنو عيسو الساكنون في سعير والموابيون الساكنون في عار، الى أن أعبر الأردن الى الأرض التي أعطانا الله الهنا».(تث ٢، ٢٧- ٢٩)، إلا انّ سيحون ملك خشبون لم يشأ أن يدعهم يمروا من تخومه بسبب قساوة قلبه وروحه، فدفع المولى بهذا الملك إلى يد اسرائيل لمحاربته، فخرج سيحون هو وجميع قومه للحرب الى ياهص، فضربه المولى وبيته وجميع قومه، وامتلك الاسرائيليون كل مدنه في ذلك الوقت، اذ جاء في التوراة سفر التثنية الاصحاح ٢، «انظر قد ابتدأت ادفع امامك سيحون وارضه، ابتدِئ تملّك حتى تمتلك ارضه».

لقد جاء في التوراة المقدسة، «وارتحلوا من عييم ونزلوا الى ديبون جاد» اي ان رحلتهم هذه بدأت من وادي زارد ونزلوا في عبر ارنون التي تقع في البرية خارج تخوم الأموريين، اي انها تقع على حدود المؤابيين والاموريين، حيث جاء في كتاب حروب الرب « واهب في سوفة واودية في ارنون» الذي مال إلى مسكن عار ... الى تخم مؤاب. وعلى حدود هذا الموقع هناك بئر ماء له ذكرى عميقة في نفوس الاسرائيليين حيث جمع موسى الرسول ابناء شعبه عند هذا البئر من اجل ان يعطيهم الرب ماء منه، وانشد الاسرائيليون نشيداً قالوا فيه ، «اصعدي ايتها البئر أجيبوا لها بئر حفرها رؤساء حفرها شرفاء الشعب بصولجان بعصيهم».

كما جاء في التوراة المقدسة ايضا، «ثم تحولنا وصعدنا في طريق باشان، فخرج عوج ملك باشان، للقائنا هو وجميع قومه في أذرعي، فقال لي الله لا تخف منه، لأني قد دفعته الى يدك وجميع قومه وارضه. فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين، الذي كان ساكناً في حسبون، فدفع الله الهنا الى أيدينا عوج أيضاً ملك باشان وجميع قومه، فضربناه حتى لم يبق له شارد وأخذنا كل مدن ذلك الوقت، لم تكن قرية لم نأخذها منهم. ستون مدينة كل كورة أرجوب مملكة عوج في باشان، كل هذه كانت مدننا محصنة بأسوار شامخة وابوابومزالج، سوى قرى الصحراء الكثيرة جداً. فحرمناها كما فعلنا في سيحون ملك حشبون. وأخذنا من يدي الأموريين الأرض، التي في عبر الاردن، من وادي أرنون الى جبل حرمون. والصيدنيون يدعون حرمون سريون، والاموريون يدعون سير، كل مدن السهل وكل جلعاد وكل ما باشان الى سلخة واذرعي مدينتين مملكة عوج في باشان». (تث ٣، ١-١٠)

ان مسيرة التيه التي تمت احداثها خلال اربعين عاماً، قضى الشعب الاسرائيلي منها تسع وثلاثون عاماً في شبه جزيرة سيناء، اما احداث السنة الأخيرة كانت في جنوب الأراضي الكنعانية وشرقي الأردن.

استطاعت جميع شعوب العالم ان تتعلم الكثير من هذه المسيرة وما واكبها من عظمة الخالق وقدرته، صبر القيادة الحكيمة وعظمتها، صلة الخالق بالقيادة والشعب، نفاذ الصبر وما يترتب عليه من امور، عمليات التجسس وقواعدها الأصولية والمترتب عليها، الاستعداد للحرب وعمليات السلم، الدسائس والمؤامرات التي تُحاك، الاستعانة بالسحر والسحرة، حصار المدن والقرى، الاعتراف والالتزام بالاتفاقات والمواثيق الدولية.

عندما تم تقسيم الأرض على الأسباط الاثني عشر كما ورد في الشريعة، كان لبنو راوبين وبنو جاد مواش كثيرة ووافرة جداً، فلما راوا ارض يعزير وارض جلعاد فاذا بالمكان مكان مواش، فاتى بنو جاد وبنو راوبين، ونصف سبط منسى بن يوسف وكلموا موسى والعازار الكاهن ورؤساء الجماعة قائلين، «الأرض التي ضربها الرب قدام بني اسرائيل هي ارض مواشي، ولعبيدك مواش، ان وجدنا نعمة في عينيك فلتعط هذه الأرض لعبيدك ملكا، ولا تعبرنا الأردن».... واما نحن فنتجرد مسرعين قدام بني اسرائيل حتى نأتي بهم الى مكانهم.. لا نرجع الى بيوتنا حتى يقتسم بنو اسرائيل كل واحد نصيبه»، فاعطى موسى لبني جاد، وبني راوبين، ونصف سبط منسي بن يوسف مملكة سيحون ملك الأموريين ومملكة عوج ملك باشان، اذ اعطاهم الأرض مع مدنها وما حواليها.



خارطة (٤٠): موقع محلة ديبون جاد

علمون دبلاتايم

المحطة الاربعون

وصل شعب بني اسرائيل الى منزلة «علمون دبلاتايم» في الأول من الشهر الحادي عشر من السنة الأربعين للتيه الإسرائيلي، حيث جاء في التوراة، «ثم ارتحلوا من ديبون جاد ونزلوا في علمون دبلاتايم».(عد ٣٣، ٤٦).

تقع محطة علمون دبلاتايم قرب مدينة مادبا جنوب جبل نبا وإلى الجنوب من وادي زرقاء ماعين، إذ يقع البحر لليت إلى الغرب والشمال العلوي من هذا الوادي، والى الشرق الق..طال والخنزة، فبعد ان انتهى الشعب الإسرائيلي من انتصارهم على ملوك الأموريين سيحون وعوج، «كلم موسى بني اسرائيل حسب ما أوصاه الله اليهم. بعد ما ضرب سيحون ملك الأموريين الساكن في حشبون، وعوج ملك باشان الساكن في عشتروت في اذرعي». (تث ١، ٣-٤)

جاء في قاموس الكتاب المقدس في وصف هذه المنزلة،«علمون دبلاتايم محطة من محطات بني اسرائيل من نهر ارنون وجبال عباريم (عدد ٣٣ ، ٤٦) وربما كانت هي نفسها بيت دبلتايم (٤٨ ، ٢٢) ويرجح انها ولبلات الغربية، على بعد ميلين ونصف ميل شمالي شرقي لب».

لقد كان الهدف من تدوين قصة مسيرة شعب بني اسرائيل في شبه جزيرة سيناء بجميع مراحلها هو اثبات ان التيه الاسرائيلي حقيقة ثابتة ودامغة وليست وهمية كما يحلو للبعض القول، وانه حدث فعلاً في شبه جزيرة سيناء، وليس في اثيوبيا كما اشار احد الكتاب اليهود من خلال كتاب له نُشرَت اجزاء منه في صحيفة السامريين أ.ب. النصف شهرية، وليس في السعودية ايضا كما ادّعى اخر.



خارطة (٤١): موقع محلة علمون دبلاتايم

جبال عباريم

المحطة الواحد والاربعين

تقع محطة جبال عباريم شرقي جبل نبو والى الشرق منها تقع حسبان التي تعرف اليوم بوادي الحسا، حيث جاء في الشريعة القدسة ، «وارتحلوا من علمون دبلاتايم ونزلوا في جبال عباريم امام نبو». (عد ٣٣، ٤٧).

وكان قاموس الكتاب المقدس قد فسّر اسم هذه المنزلة بقوله : «ان عباريم هو اسم عبري معناه «ماعبر» وهي سلسلة جبال في الأردن وقد سماها عباريم سكان غرب الاردن لأنها عبر النهر. وقد ذكرها أرميا في تعداد أسماء الجبال في سوريا، « من الشمال الى الجنوب من بعد لبنان وباشان. (ار ٢٢: ٢٠)، العبرانيون أقاموا فيها قبلما عبروا نهر أرنون، (عد ٢١: ١١) ثم منحت لبني رأوبين (عد ٣٢: ٢٠-٣٧)، وعند سلسلة جبال عباريم من وادي قصرين الى الشمال الى وادي الزرقا ماعين ووادي الحسا في الجنوب ولعباريم عدة قمم منها نبو وهوشع وعجلون، ولقد وقف موسى على جبل نبو وشاهد أرض الميعاد (عد ٢٧: ١٢ ، تث ٣٢: ٤٦، ٣٤: ١)».

ان الكثير من الكتاب والباحثين ممن قاموا بدراسة للمجتمعات الصحراوية في البادية، وفي الصحراء، وعلى أطراف الريف وجدوا انّ العديد من الهجرات السامية انطلقت من اماكن كهذه دون تنظيم أو هدف على الرغم من تأثير المناخ، وطرق التجارة، ومصادر المياه، والاضطراب السياسي، والعلاقات الاجتماعية، ومع ذلك تمكنت بعد فترة من هجرتها من إقامة دول ذات كيان منظم، ومن هذه الدول كانت الدولة العبرية التي خرجت من مصر تحت تأثير العبودية والتفكك السبطي والخوف من المصير المجهول الذي ينتظرهم، ولكن ما أن وصلوا الى الأراضي المقدسة حتى أصبح لهم كيان ودولة ذات سيادة ونفوذ كبير في المنطقة.



خارطة (٤٢): موقع جبال عباريم

عربات مؤاب

المحطة الثانية الاربعين

عربات مؤاب هي النزلة الأخيرة التي نزل فيها بنو اسرائيل وهي المحطة الثانية والاربعين في مسيرتهم التيهية قبل دخولهم الى الأراضي الكنعانية، حيث جاء في التوراة، «وارتحل بنو اسرائيل ونزلوا في عربات مؤاب من عبر أردن اريحا». (عد ٢٢، ١).

إنّ محطة عربات مؤاب تقع إلى الجانب الشرقي من نهر الأردن مقابل اريحا، حيث ذكرتها التوراة باسم «شطيم» العربة وهو اسم عبري يعني القفر، وهو اسم للمنحدر الذي يجري فيه نهر الأردن، وورد في التوراة، « نزلوا على الأردن من بيت يشيموت الى آبل شطيم في عربات مؤاب».وجاء اسم هذه المحلة ضمن سورة (هذه مراحل مسيرة شعب اسرائيل)، «ثم ارتحلوا من جبال عباريم ونزلوا في عربات مؤاب على أردن أريحا. » (عد٣٣ ، ٤٨).

عندما رأى ملك مؤاب «بالاق بن صبور» ما فعله الاسرائيليون بالاموريين وغيرهم من الشعوب فزع هو وشعبه المؤابي من الشعب الاسرائيلي، وقال لشيوخ مديان، «الآن يلحس الجمهور كل ما حولنا، كما يلحس الثور خضرة الحقل». (عد ٢٢، ٤)، فمن شدة خوفه على نفسه وشعبه من الخطر القادم إليه من قبل العبرانيين، اراد ان يستعين بكل ما هو ممكن ليؤمن عرشه وشعبه، مما دفعه لإرسال رسل الى «بلعام بن فغور»المدياني، ليدعوه ليلعن شعب اسرائيل لأنه أعظم واقوى منه وذلك حتى يتمكن من كسرهم في الحرب ويطردهم من الأرض.

كان الملك المؤابي يعلم أن «بلعام بن فغور» هو انسان مبارك ومهدي له صلة ربانية، فالذي يباركه مبارك والذي يلعنه ملعون، لذلك ارسل له وفداً من شيوخ مؤاب وشيوخ مديان، حيث اتوا الى بلعام وكلموه برغبة بالاق، فخاطب الله بلعام قائلا، «لا تذهب معهم ولا تلعن الشعب، لأنه مبارك». (عد ٢٢، ١٢)، فرفض الذهاب مع الوفد الذي جاء يصطحبه الى ملك المؤابيين بعد ان سمع تحذير الملاك له، حيث قال لهم، «انطلقوا الى أرضكم لأن الله أبى ان يسمح لي بالذهاب معكم»، فأرسل الملك بالاق بن صبور ثانية في طلب بلعام واستجاب لطلبهم، وخرج لاستقباله الى مدينة مؤاب على حدود ارنون في اقصى الحدود قائلاً، «ها أنذا قد جئت إليك والكلام الذي يضعه المولى في فمي به أتكلم. فانطلق بلعام مع بالاق واتيا الى قرية حصوت. في الصباح اخذ بالاق بلعام واصعده الى مرتفعات بعل فرأى من هناك أقصى الشعب وهيأ له

سبع مذابح، وهيأ له ثورا وكبشا على كل مذبح»، وبعد ان قدم بلعام سبعة كباش وسبعة من الثور على المذبح الذي بناه ليقدم قرابينه عليه، رجع الى بالاق وهو يقف عند محرقته ومعه رؤساء مؤاب وقال له : «من آرام أتى بي بالاق ملك مؤاب من جبال المشرق. تعال العن لي يعقوب، وهلم اشتم اسرائيل. كيف العن من لم يلعنه الله، وكيف اشتم من لم يشتمه الله ؟ اني من رأس الصخور اراه. ومن الآكام أبصره. هوذا يسكن وحده. وبين الشعوب لا يحسب. من أحصى تراب يعقوب وربع اسرائيل بعدد ؟ لتمت نفسي موت الأبرار، ولتكن آخرتي كآخرتهم». (عد ٢٣، ٧-١٠) .

لقد وضع رب العالمين في فم بلعام كلاماً لينطق به حتى لا يلعن بني اسرائيل اذ اخذ بلعام يتساءل ويستغرب هل اشتم اسرائيل؟ وكيف لي ان العن من لم يلعنه الله؟ وكيف اشتم من لم يشتمه الله؟ وتمنى ان تكون اخرته كآخرة الشعب الاسرائيلي.

لقد سبح العديد من الكتاب والباحثين والمفكرين في خيالهم بما يتعلق بالتيه، اذ استرسلوا في المبالغة كما ورد في كتاب خفايا التوراة ص ٢٠٥ حيث قال: «ما يستوجب اي شك بأن موسى الذي أخرج بني اسرائيل من أرض مصر، وتاه بهم في البراري حتى أوصلهم الى مشارف أرض كنعان بجنوب الحجاز، كان في الواقع شخصية تاريخية..... واستطرد قائلاً تختلط شخصية موسى التاريخية بشخصيات أخرى تسمى موسى».

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا؟ على ماذا استند الكاتب بادعائه هذا؟ أهي اسماء شبيهة بالأسماء التي ذكرتها التوراة « خمسة أسفار موسى»؟ هل البعد الجغرافي بين المحطات التي ذكرها المؤلف معقول ومترابط كما جاء في التوراة في شبه جزيرة سيناء؟ أليس هناك تشابه في اسماء الأمكنة وذلك تيمناً بالأسماء التي قرأها الكاتب في التوراة، والتي عاش فيها أجداد الاسرائيليين ليطلقوا عليها نفس الأسماء تيمنا بقدسيتها التوراتية؟ وهل من المعقول انّ التيه الذي حددت الشريعة الموسوية بدايته في الخروج من مصر من محطة رعمسيس بالذات ثم الوصول الى العريش ومن ثم العودة الى مصر لأخذ عظام يوسف ليلحق بهم فرعون مصر وشعبه مخترقين البحر الأحمر ومن ثم المسيرة نحو جبل سيناء «سانت كاترينا» ونزول الأمر الالهي بالتيه في «قادش برنع» التي لا يختلف على موقعها اثنان، ومن ثم عودة بني اسرائيل منها الى قلب شبه جزيرة سيناء ثانية ليدوروا في برية فاران سبعة وثلاثين سنة حول انفسهم ليفنى جيل العبودية، أيُعقل ان هذا التيه بما فيه من دول واحداث وصراعات قد انحصر ضمن بضع من الأمكنة في هذا القطر او ذاك؟

كيف سيحكم التاريخ علينا حين نسمح لأنفسنا بأن يسبح خيالنا كما يحلو له وذلك بافتعال

أمكنة، ومنازل، ومحطات الواحدة تلو الآخر، فشتان ما بين الأسماء التي جاء ذكرها في الكتب السماوية وتلك التي اطلقها الانسان تيمنا بأمر ما، أو لتجديد ذكرى او مصادفة، مع تغيير حرف هنا أو حروف هناك في أسماء العديد من المواقع والبلدان وما شابه، اتخالف تعاليم الشرائع السماوية المنزلة من اجل بلوغ الشهرة؟ فعلى سبيل المثال جاء في التوراة «ثم ارتحلوا من تاحت ونزلوا في تارح»(عد ٣٣، ٢٧)، الم يحدد المولى هنا في شريعته المقدسة ان «تاحت» تقع بين «مقهلاتة» وبين «تارح» وكلاهما تقعان في برية فاران في شبه جزيرة سيناء التي رجع اليها الشعب الاسرائيلي من «قادش برنع» كي يموت جيل العبودية؟ فلماذا نذهب بعيداً ككل البعد في تحريف وابتكار المواقع؟

إن المسيرة التي قطعها الشعب الإسرائيلي منذ خروجه من مصر وتحرره من عبودية فرعون، وحتى وصوله الى منزلة قادش برنع (خردة)، استغرقت عامين كاملين قطع فيها مسافة واحداً وعشرين محطة. لكن مسيرة هذا الشعب منذ نزول الأمر الإلهي بالتيه في قادش برنع وحتى وصوله إلى محطة «عربات مؤاب» استغرقت ثمانية و ثلاثين عاماً ارتحل ونزل خلالها في واحد وعشرين محطة، فما ان وصلوا الى وادي زارد القريب من عربات مؤاب حتى طلب المولى من الشعب الاسرائيلي أن يعبر هذا الواد بقوله، « والأيام التي سرنا فيها من قادش برنع حتى عبرنا وادي زارد كانت ثماني وثلاثين سنة، حتى فني كل الجيل رجال الحرب من وسط المحلة، كما أقسم الله لهم. ويد الله ايضا كانت عليهم لإبادتهم من وسط المحلة حتى فنوا». (تث ٢، ١٤- ١٥)، وهنا امر المولى موسى أن لا يعود ويكلمه بامر السماح له بالدخول الى الأرض المقدسة مطلقاً، وبالمقابل قال له، اصعد الى القمة (......) وارفع عينك في جميع الجهات غرباً، وشمالاً، وجنوباً، وانظر عينيك لكن لا ولن تعبر هذا الاردن. وطلب منه ان يشجع خليفته في استلام القيادة من بعده يوشع بن نون هو الذي يعبر بهذا الشعب الى الأراضي المقدسة، وهو الذي يقسم هذه الأراضي على الأسباط الاثني عشر التي تنتظرها الآن.

إن الصلة ما بين الله ونبيه موسى الكليم كانت كبيرة لدرجة ان موسى كان يخاطب مولاه متى يشاء ومع ذلك كان رب العالمين يستجيب لطلباته، حيث وصّى المولى الشعب قائلا، «أنتم مارون بتخم اخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم فاحترزوا جدا. لا تهجموا عليهم. لأني لا اعطيكم من ارضهم ولا وطأة قدم، لأني قد اعطيت جبل سعير ميراثا. طعاما تشترون منهم بالفضة لتأكلوا، وماء أيضا تبتاعون منهم بالفضة لتشربوا». (تث٢، ٤-٦) ، فارسل موسى رسلاً من قادش الى ملك ادوم من أجل ان يسمح لهم بالمرور باراضيه، شارحاً له كل الظروف التي مروا فيها منذ خروجهم من مصر إلى ان وصلوا الى هنا فاجابه ملك ادوم بالرفض، وخرج له بجيش غفير وبيد شديدة لكن الارادة الالهية حالت دون محاربة الاسرائيليين لأخيهم الساكن في جبل سعير فتحول عنهم.

لقد جاء كلام المولى من هذا الموقع بالذات لأن موسى استطاع من على قمته أن يرى بأم عينيه جميع الأراضي المقدسة، وعليه الآن أن يهيئ خليفته لاستلام زمام القيادة والمسؤولية ليكون اهلا لحمل الرسالة، ولما بات دخول شعب بني اسرائيل إلى الأراضي الكنعانية قريباً، قال المولى لموسى: «كفاكم دوران بهذا الجبل تحولوا شمالا».



خارطة (٤٣): موقع محلة عربات مؤاب

الفصل السادس

تدوين مسيرة التية

الفصل السادس

تدوين مسيرة التيه

خاض الشعب الإسرائيلي تجربة أكبر مسيرة تيهية عرفها التاريخ في الماضي والحاضر على حد سواء في شبه جزيرة سيناء الصحراوية، وذلك منذ خروجه من رعمسيس في مصر وتحرره من العبودية الفرعونية، وحتى وصوله الى الأراضي الكنعانية، وما واكبها من حروب وانقلابات ومخالفات وتنمُّر استمرت اربعين عاماً مرّ خلالها في مراحل عديدة، كتب موسى الرسول مخارجها برحلاتها حسب قول الرب، نوجزها هنا بخمسة مراحل :

المرحلة الأولى : التحرر من العبودية

الحرية هي أمل الشعوب اينما كانوا وحينما وجدوا، فالشعب الاسرائيلي ذاق جميع أنواع العذاب، والذل، والهوان، والاستعباد، والإهانة من قبل الفراعنة المصريين، حيث جعلوا عليهم رؤساء تسخير ليذلُّوهم بأثقالهم ويستعبدوهم بعنف، ومرروا حياتهم بعبودية قاسية وبأعمال في الطين واللبن وبكل عمل في الحقل حتى انهم طلبوا من القابلات حينما يولدن العبرانيات وينظرن على الكراسي، ان كان ذكراً اقتلوه، وان كانت أنثى فتحيى، ولم يكتف فرعون مصر بهذا بل امر جميع شعبه بقتل كل ابن يولد للعبرانيين بطرحه في النهر أما البنات يستحيوها، الى ان سمع رب العالمين صراخهم وقرر إنقاذهم من ايدي المصريين الى الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً الى أرض الكنعانيين .

وبقي الأمر هكذا الى بداية الشهر الأول للسنة العبرية الأولى اي قبل ٣٦٩٠ سنة (١٦٧٨ ق.م) حسب التقويم العبري السامري، حيث أمر المولى كلاً من موسى وهارون بأن يكون هذا الشهر لهم راس الشهور وعليهم ان يامروا جماعة اسرائيل في العاشر من هذا الشهر بان ياخذ كل واحد منهم شاة بحسب بيوت الآباء، أي شاة لكل لبيت، وتحفظ الى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر، وفي ليلة الخامس عشر منه يذبحه كل جمهور جماعة اسرائيل بين الغروبيْن، ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا من البيوت التي يأكلون فيها كذكرى لإنقاذ المولى لأبكار بني اسرائيل، ويأكلون اللحم في تلك الليلة مشوياً بالنار مع فطير على اعشاب مُرّه.

وفي الليلة ذاتها سيضرب الرّب كل بكر في أرض مصر، حينئذ سيصنع أحكاماً بجميع آلهة

المصريين، ويكون الدم لبني اسرائيل علامة على البيوت التي هم فيها فيرى الدم ويعبر عنهم. ويكون لهم هذا اليوم تذكاراً فيعيدونه عيدا للرب في أجيالهم، يعيدونه فريضة ابدية.

ووصف ا. د. حسيب شحادة – جامعة هلسنكي - تحت عنوان « نافذة على السامريين» (حولون ٢٠٠٥)، التجهيزات للفسح السامري قائلا: «لا أجمل وأحلى بالنسبة للسامريين من الأيام التي تسبق عيد الفسح. يبدأ السامري باستعداداته للعيد نفسياً وعاطفياً في مستهل الشهر الحادي عشر من السنة العادية أو في مطلع الشهر الثاني عشر في السنة الكبيسة. في ذلك المساء يتضرّع السامريون بصلواتهم معلنين بداية شهر المعجزات التي ضرب بها الرب فرعون والمصريين حتى أذعنوا لإطلاق سراح بني إسرائيل من بلادهم.

ومنذ أول هذا الشهر وحتى السبت الأخير الواقع قبل الشهر الأول تندرج تلك الضربات الواحدة تلو الأخرى في الصلوات. في يوم السبت الأول ضربة التنين وفي الثاني ضربتا التنين والدم، وهكذا في كل سبت يكررون الضربات السابقة ويضيفون ضربة أخرى حسب الترتيب التالي: التنين، الدم، الضفادع، القمل، الخليط، الوباء، القرح، والبرد. تتخلل تلك الصلوات في أيام السبت وأوائل الأشهر كل الفقرات التي تحكي قصة الانعتاق من العبودية الفرعونية.

لقد تم تحرير الشعب الاسرائيلي على يد رسول الله موسى بن عمران، بعد أن صنع الله لهم الكثير من العجائب والمعجزات والأيات، كل ذلك حتى يخرج هذا الشعب متحرراً في ليلة الخامس عشر غداة عمل الفسح، بعد أن مكثوا في مصر مائتين وخمس عشر سنة، ففي تلك الليلة قدم كل بيت من بيوت الشعب الاسرائيلي ذبيحة الفسح لله، لتصبح فريضة ابدية لشعب بني اسرائيل، واوصى الرب ان تكون هذه الليلة له من دون ايام السنة، اذ يروي فيها الأباء لأولادهم قصة خلاص وتحرير هذا الشعب، وكيف أن الله اخرجه من مصر من بيت العبودية بيد قوية، وعليه ان يحفظ هذه الفريضة في وقتها من سنة الى اخرى، وما زالت السلالة الحقيقية لشعب بني اسرائيل المتمثلة بالسامريين يقومون بإحياء هذه الليلة سنويا في الخامس عشر من الشهر الأول العبري، والتي تصادف دائما في شهر نيسان «شرقي» منذ ٣٦٥٠ سنة وحتى الآن.

في هذه الليلة بالذات خرج الشعب الاسرائيلي من رعمسيس في مصر في اليوم الخامس عشر من الشهر الأول، متوجهاً شرقاً حتى وصل الى سكوت التي تؤدي الى طريق فلسطين، وفي عيد الفسح خرج بنو اسرائيل بيد رفيعة امام اعين جميع المصريين.

المرحلة الثانية: عبور بحر سوف

بعد ان وصل الشعب الاسرائيلي الى المحطة الثانية سكوت (العريش)، وبدلاً من أن يتقدموا الى الأمام في مسيرتهم قاصدين الأراضي الكنعانية، و لئلا يندم الشعب إذا رأى حرباً وعاد إلى مصر، رجعوا من حيث خرجوا حيث أدارهم الله في طريق برية بحر سوف لأن الله لم يهدهم الى طريق الفلسطينيين رغم قربها.

وما ان وصلوا الى موقع فم الحيروت والتي تقع بين مجدل والبحر أمام بعل صفون وتُعرف الآن بخليج السويس، اعتقد المصريون أنّ الاسرائيليين مرتبكون في الأرض المصرية وأنّ القفر قد استغلق عليهم.

كل هذا التفكير والاعتقاد كان من اجل ان يشتد قلب فرعون ليسعى وراءهم، حينئذ يتمجد الرب بفرعون وبجميع جيشه، ويعلم الشعب المصري أنّ الرب في السماء هو رب العالمين ولا أحد سواه.

بالإضافة إلى أنّهم قد نسوا ان يأخذوا عظام يوسف الذي كان قد استحلف ابناء شعب بني اسرائيل أنّ الله سيفتقدهم عندما يخرجون من مصر ويتركون عظامه هناك، وما أن وصل الشعب الاسرائيلي الى العريش تعطل الموكب في المسيرة حيث رجعوا ثانيةً الى مصر، فأخذ موسى عظام يوسف معه. وهذا هو الافتقاد الذي أشار له يوسف عندما استحلف شعبه، لذا أدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف.

اذا تم أخذ نقطة من محطة سكوت (العريش) الى المحطة التي أخذوا منها عظام يوسف بعد رجوعهم ثانية إلى مصر الا وهي محطة رعمسيس، نجد انهما تقعان على خط مستقيم، وهذا ما يوضح كلمة ادارهم الله في طريق برية بحر سوف (البحر الأحمر) بزاوية لا تقل عن ١٨٠ درجة، اي انّهم رجعوا إلى المكان الأول من حيث أتوا، ليأخذوا معهم عظام يوسف. وهذه هي المعضلة التي عجز الكتاب والباحثين عن حلها وذلك من حيث الرجوع الى مصر ثانية، والبعد الجغرافي، والموقع وكذلك الزمان والمكان.

ولاحظنا أنه عند الرجوع ارتحلوا من سكوت ونزلوا في آتم في طرف البرية. وكان الله يضع أمامهم نهاراً عمود سحاب ليهديهم الطريق، وليلاً عمود نار ليضيء لهم السبيل، فلماذا لم تأت مثل هذه الأعمدة مسبقاً؟

لعل الجواب هنا، أنّهم في مسيرتهم من رعمسيس إلى سكوت اختاروا السير مع فرع النيل النيلوزي حتى وصلوا الى ساحل البحر الأبيض المتوسط، ومن هناك ساروا ونزلوا في سكوت (العريش)، فأثناء هذه المسيرة لم يكونوا بحاجة الى اعمدة تقيهم من حر الجو الصحراوي، لأن الجو كان رطباً ومناسباً في الطريق التي سلكوها في المعبر البري ما بين البحر المتوسط وبين بحيرة البردويل.

لكن عند رجوعهم استداروا عن طريق البرية، هنا لنزل الله عليهم هذه الأعمدة حتى لا يتوهوا في برية آتـــم التي تقع على حدود مصر-شبه جزيرة سيناء عند البحيرات المُرّة، ولتقيهم حر شمس الصحراء نهاراً وبرودة وظلمة الصحراء ليلاً. وبذلك اكتملت الصورة التي رسمها رب العالمين لهم بأن أدار هذا الشعب في طريق برية بحر سوف، ولم يهدهم الى طريق الفلسطينيين خوفاً من الرجوع الى مصر.

عندما كلّم الله بني اسرائيل بأن يعودوا وينزلوا أمام فم الحيروت قادمين من آتـــم التي تقع الى الشمال من فم الحيروت (بحيرة التمساح)، التي تقع على البحر الأحمر في الذراع الغربي لخليج السويس، والمسيرة كانت من آتـــم وحتى فم الحيروت على شكل نصف دائرة، وحتى لا يكون هناك التباس في هذا الموقع، فقد حدده الله في الشريعة من خلال خمسة مواقع، بين مجدل والبحر أمام بعل صفون، ينزلون أمام فم الحيروت مقابله تنزلون عند البحر.

الا يكفي هذا التحديد حتى نعرف أين تقع هذه المحطة؟ إنّ موقع مجدل يحمل حتى الآن نفس الاسم لكن بتحريف بسيط. واذا ما تتبعنا المرحلة السابقة أعلاه، يسهل علينا تحديد هذه المواقع، اذ أنها تقع ضمن الحدود المصرية على طرف البحر الحمر عند خليج السويس، فالمسيرة واضحة كل الوضوح من حيث الخروج والعودة مرة ثانية، ومن ثم اعتقاد المصريين بأن الاسرائيليين مرتبكون في الأرض ليأتي عبور البحر (يم سوف).

اذاً لماذا ذهب ويذهب الكتاب والباحثين العرب والمستشرقين وحتى اليهود منهم بعيداً جداً عن هذا المفهوم الواضح والصريح للتيه؟

من الطبيعي ان يعتقد المصريون أنّ بني اسرائيل مرتبكين في الأرض وانغلق عليهم القفر، اذ تغيرت أفكار فرعون الذي سمح لهم بالخروج، ليشعر بالندم على اطلاق الاسرائيليين من خدمتهم، لأنه لا يعلم انّ الله هو من جعل قلبه أكثر قساوة من أجل أن يسعى وراء بني اسرائيل.

وعند وصول بني اسرائيل الى البحر مدّ موسى يده إليه، فارسل الله ريحاً شرقيةً شديدةً طوال الليل فجعل البحر يابسة وانشق الماء، فدخل بنو اسرائيل بسلام في وسط البحر على اليابسة، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم.

وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم فطلب المولى من موسى ان يمدّ يده على البحر ليرجع الماء إلى حاله الدائمة فغرق المصريون. وعلى اثر ذلك تغنى الاسرائيليون فرحاً على ساحل البحر الأحمر الشرقي، بانتصارهم على غرق أعدائهم الفراعنة المصريين في بحر سوف.

وفي هذه المرحلة قطع الاسرائيليون تسعة مواقع جميعها تقع على ساحل البحر الاحمر (خليج السويس الشرقي) هي، آتم- فم الحيروت-مرة- ايليم-بحر سوف-برية سين- دفقه-اليش- رفيديم.

المرحلة الثالثة: محطة جبل سيناء

محطة جبل سيناء جرى فيها اهم الأحداث الدينية في التاريخ الإسرائيلي، ومنها مخاطبة الله لرسوله وجها لوجه، نزول العشرة وصايا، بناء الهيكل، وعمل العجل الذهبي، وقرابين الهيكل. تحرك المسيرة اصبح بيد المولى وتعداد شعب بني اسرائيل. ولقد عُرِفَ هذا الموقع بثلاثة اسماء توراتية هي، جبل سيناء، جبل حوريب، وجبل الله، وكذلك معروف تاريخياً باسم جبل موسى وبموقع سانت كاترينا (الكنيسة المسيحية). ولقد اجمع العديد من الكتاب والباحثين والجغرافيين وحتى علماء الآثار على انّ هذا الجبل يقع في جنوب شبه جزيرة سيناء.

في الشهر الثالث بعد خروج بني اسرائيل من ارض مصر جاء بنو اسرائيل الى «سيناء، ولأول مرة يخاطب الله موسى طالباً منه الصعود الى الجبل، وما ان سمع الشعب الاسرائيلي بذلك من قبل موسى حتى قالوا له : كل ما تكلم به الله نفعل، حيث وقفوا اسفل الجبل، ليروا الرعود والبروق، وصوت البوق، والجبل يشتعل، فارتعبوا لكن موسى طمأنهم بالا يخافوا، فنزل الله على جبل سيناء ودعا موسى الرسول إلى الصعود على راس الجبل، اذ خاطب الله موسى وجها لوجه دون أن يراه لأن الضباب كان يفصل بينهما وكلّمه بالوصايا العشر. فطلب المولى من رسوله ان يأخذ من الشعب تقدمة من كل من يحثه قلبه، ليصنع من هذه التقدمة مقدساً ليسكن الله في وسطهم.

وما ان صعد موسى الى الله من اجل ان يعطيه لوحي الشهادة المكتوبين بيد الله حتى تجمهر الشعب على هارون بعد تباطؤ موسى في النزول اذ طلبوا منه ان يصنع لهم آلهة، فاستجاب لهم هارون وصنع لهم عجلا ذهبياً خوفاً من ان يقتلوه مثلما فعلوا بـ «حور» حيث قتلوه في هذه الواقعة، فامر الله موسى بالنزول إلى شعبه لأنه قد فسد وزاغ سريعاً عن الطريق الذي اوصاهم بها رب العالمين، اذ صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له، حيث غضب الله عليهم غضباً شديداً وكاد ان يمحقهم فلولا تضرع موسى امام الله لأبيدَ هذا الشعب، وعلى اثر هذه الحادثة اخذ موسى الخيمة ونصبها بعيداً خارج المحلة ودعاها «خيمة الاجتماع».

تم إقامة الهيكل في موقع جبل سيناء في الأول من الشهر الأول من السنة الثانية لخروج بني اسرائيل من مصر، وفي العشرين من الشهر الثاني للسنة الثانية للخروج ارتفعت السحابة عن مسكن الشهادة، فارتحل الاسرائيليون في رحلاتهم من برية سيناء، فحلّت السحابة في برية فاران، بعد ان نزلوا في هذه المحلة سنة كاملة، وامرهم المولى بالرحيل من هذا الموقع «محلة جبل سيناء» وجاءهم كلام الله في هذه المنزلة ليتحولوا ويرتحلوا ويدخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة، والجبل، والسهل، والجنوب، وساحل البحر.

اي انّ المتتبع والمتعمق في جغرافية التوراة، لن يستغرب مسيرة هذا الشعب في شبه جزيرة سيناء الصحراوية، وما إقامة المسكن في المحلة وسط هذا الشعب إلا تقديراً لهذا الشعب واحتراما له، لكن ما ان مضت اياماً معدودة على جمعهم للمال من اجل إقامة هذا المسكن، حتى بادروا بصنع العجل الذهبي لاتخاذه آلهة لهم، تقليدا للفراعنة المصريين، وتأثراً بالعبودية التي كانوا تحت نيرها.

وتنقل الشعب الاسرائيلي اثناء هذه المسيرة في تسع محطات تقع جميعها على ساحل البحر الأحمر (خليج العقبة الغربي) والى الشمال منه حتى وصولهم الى قادش برنع والمعروف موقعها جغرافيا، وهذه المحطات هي: برية سيناء- قبروت هتأوة- حصيروت- رتمة- رمون فارص- لبونة- رسة-قهلاتة- جبل اشفر

المرحلة الرابعة : محطة قادش برنع

ان منزلة قادش برنع والمعروف موقعها باسم «خردة» تقع على خط مستقيم بين رفح على ساحل البحر الابيض المتوسط وبين خليج العقبة على البحر الاحمر، فالمسافة من البحر الابيض وحتى قادش برنع تساوي ثلث المسافة مابين رفح وخليج العقبة، اذ ارتحل بنو اسرائيل من حوريب(جبل سيناء) ووصلوا الى قادش برنع بعد ان سلكوا القفر العظيم المخيف والمرعب طريق جبل الأموريين.

وبناء على طلب الشعب في هذه المنزلة ارسل موسى رجالا ليتجسسوا الارض القادمين اليها، ولما رجع هؤلاء بعد غياب دام اربعين يوما، اشاعوا مذمة بين الشعب بقولهم ان هذه الأرض يسكنها شعب عظيم، ابناؤه طوال القامة، عمالقة الاجسام، ومدنهم عظيمة محصنة، وعلى اثر سماع الشعب كلام رواد التجسس خافوا وتمردوا ورفضوا الصعود، وعلى الرغم من طمأنة الله لهم بألا يرتعبوا ولا يخافوا، فانه سائر أمامهم، يحارب عنهم، مثلما فعل في مصر وفي البرية اذ حماهم كما يحمل الانسان ولده في الطريق، كل ذلك وهم ليسوا واثقين بالله، فسخط رب العالمين عليهم واقسم بألّا يدخلوا الأرض الكنعانية (الارض المقدسة)، ولن يدخلها سوى اطفالهم، امّا من تذمر منهم فسوف يموت في الصحراء ولن يرى الارض المقدسة عقابا له. وبعد أن أقام الشعب الاسرائيلي سنوات عديدة في محلة (قادش برنع)، دامت تسعة عشر سنة، تحول هذا الشعب وارتحل الى البرية على طريق بحر سوف.

من هذا الموقع خردة (قادش برنع) نزل حكم للولى بالتيه الاسرائيلي اربعين سنة كعدد الأيام التي تجسس فيها الرجال الذين ارسلهم موسى ليفحصوا الأرض القادمين اليها. فرجعوا قهقرى الى

غياهب الصحراء السينائية الى برية فاران، حتى تسقط جثث جميع المعدودين من ابن عشرين سنة فصاعدا ممن تذمروا على الله. واخذ الشعب يدور تائها في هذه الصحراء، على شكل دائرة قطرها ٣٦٠ درجة حول نفسه، مدة سبعا وثلاثين سنة. حتى وصلوا الى محطة قادش (برية صين)، التي تقع الى الجنوب الشرقي من قادش برنع.

يستطيع الانسان أن يستنتج ان كل شيء في هذا الوجود له ثمن، فعندما اخطا الشعب الاسرائيلي تجاه ربه وخالقه عاقبه المولى وجعله يدفع الثمن بالتيه الأربعين سنة وبفناء كل جيل العبودية في هذه الصحراء. وتنقل الشعب الاسرائيلي اثناء هذه المسيرة في اثني عشر محطة على شكل دائرة تقع جميعها تقريبا في الوسط ما بين البحر الأبيض المتوسط شمالا وبين خليج العقبة جنوبا، هي: خرده- مقهلاتة- تحت- ترح- متقة- حشمونة- مسيروت- بني يعقان- حور الجدجادة- يطبطا- عبرنة- عصيون جابر

المرحلة الخامسة: محطة قادش

إنّ محطة قادش تمثل مرحلة الانفراج والأمل في مسيرة التيه الاسرائيلي، حيث عرفت هذه المحطة باسم برية صين. وصل اليها الشعب الاسرائيلي في الشهر الأول من السنة الأربعين لخروج الاسرائيليين من مصر حيث لم يبقَ على وصولهم الى الأراضي المقدسة سوى سنة واحدة، بعد ان قضوا تسعاً وثلاثين سنة في متاهات صحراء شبه جزيرة سيناء وهم يلتفون حول أنفسهم. ان محطة قادش زرعت فيهم الأمل بتركهم صحراء فاران للخيفة المرعبة والموحشة وبانتقالهم الى هذه المحطة التي كانت بمثابة مفتاحٍ للأراضي الكنعانية.

تقع محطة قادش على اطراف تخوم أدوم حيث طلب الشعب الاسرائيلي من ملكها المرور من تخومه على أن لا يمروا في حقل ولا في كرم ولا يشربوا ماء بئر حتى يتجاوزوا حدوده ومع ذلك رفض دخولهم من خلال اراضيه، فتحول الشعب الاسرائيلي عن هذا الموقع وارتحل الى جبل هور حيث مات هارون على قمة هذا الجبل وانضم الى قومه لأن المولى منعهم من دخول الأرض التي أُعطيت لبني اسرائيل، وكذلك موسى سينضم الى قومه ايضاً ولكن بعد أن ينتقم لبني اسرائيل من المديانيين، حيث مات ودفن عليه السلام في جبل نبو في الأردن.

وضعت هذه المرحلة الخامسة حداً لمعاناة بني اسرائيل وتيههم في الصحراء، وذلك بعد ان شاهدوا ما فعله الرب بام اعينهم في ارض مصر بفرعون وبجميع عبيده وبكل ارضه، من ايات وعجائب عظيمة ابصروها باعينهم، وقلوبهم، وسمعتها اذانهم، فقد سار بهم المولى اربعين سنة في البرية

دون ان تبلى ثيابهم، ولا نعالهم، ولم يشربوا خمرا ولا مسكرا، فكل ذلك من اجل أن يدخلوا في عهد الرب وقسمه الذي قطعه الله معهم، لكي يكون لهم الها ويجعل منهم شعبا له.

لقد تنقل الشعب الاسرائيلي خلال هذه المرحلة من المسيرة في عشرة محطات على شكل متدرج، تبدأ من محطة برية صين (قادش) التي تقع الى الشمال الشرقي من خليج العقبة، وتنتهي عند محطة عربات مؤاب التي تقع على نهر الأردن شمالي اريحا، وهي، قادش- جبل هور- صلمونة- فينن- أبوت- عي عباريم- ديبون جاد- علمون دبلاتايم- جبل عباريم- عربات مؤاب، ويذكر أن مريم بنت عمران شقيقة الرسول الكريم موسى عليه السلام ماتت في هذه المحلة.

المرحل السادسة: عربات مؤاب

عربات مؤاب هي المحطة الثانية والأربعين والأخيرة من محطات التيه الاسرائيلي اذ تقع هذه المحطة على حدود الأردن-اريحا.

ومن هذا الموقع ارتجل موسى خطبته الشهيرة والمعروفة بخطبة الوداع، لأنه كان يعلم ان الشعب الاسرائيلي بعد موته سيفسد و يزوغ عن الطريق الذي اوصاهم الله بأن يسلكوها، وسيصيبهم الشر في آخر الأيام وتغضبه اعمالهم، فنطق موسى بكلمات هذا النشيد على مسامع شعبه قائلا، «انصتي أيتها السماوات فأتكلم، ولتسمع الأرض أقوال فمي، يهطل كالمطر تعليمي، ويقطر كالندى كلامي. كالطل على الكلأ، وكالوابل على العشب» ان باسم الله أنادي، فأعطوا العظمة لربنا القادر الكامل فعله، ان جميع سبله عدل، ولي الأمانة من غير حيف، صادق وعادل هو». فسدوا تجاهه الذين هم عار وليسوا اولاده، جيل أعوج ملتوي. هل تكافئون الله بهذا يا شعباً غبياً غير حكيم؟ اليس هو اباك ومقتنيك، هو الذي عملك وانشأك؟»

وما ان انتهى من هذه الخطابة إلى تمامها، حتى أمره المولى في نفس اليوم بان يصعد إلى جبل العبرانيين جبل نبو (نبح) الذي يقع في ارض مواب قبالة اريحا، وان ينظر إلى ارض كنعان التي سيعطيها لبني اسرائيل.

خلف يشوع بن نون موسى في قيادة الشعب الاسرائيلي لما كانت روحه تمتلأ به من حكمة، اذ وضع موسى يديه عليه فسمع له بنو اسرائيل، وعملوا كما أوصى الله موسى.

وكان موسى قد مات في جبل نبو في ارض مؤاب، بعد أن حرمه الله هو واخيه هارون من دخول الأراضي الكنعانية، لأنهما لم يقدسا الله في وسط بني اسرائيل على اثر كلام الله اليهما بان يكلما الصخرة ليخرج منها الماء، فضربها موسى بعصاه بدل ان يكلمها، وذلك عند ماء المريبة

في قادش(برية صين)، فعاقب المولى اقرب الخلق إليه «موسى بن عمران» الذي منحه المولى صفة رجل الله وامين بيت الله، وخاطبه وجها لوجه، بعدم دخول الأرض المقدسة جزاءً له على غلطته هذه.

لقد اولى المولى عناية فائقة لشعب بني اسرائيل في شبه جزيرة سيناء أثناء مسيرتهم هذه، وذلك لأهميتها الدينية والتاريخية، ومن اجل ان تكون عبرة وموعظة للشعب الاسرائيلي خاصة وايضاً لشعوب العالم اجمع، اذ طلب الله من رسوله موسى بن عمران تدوين هذه المسيرة في الشريعة المقدسة برحلاتها ومخارجها التي بلغ عددها اثنتين واربعين محلة، مع ذكر الأحداث التي واكبتها اثناء ترحالهم وتجوالهم في كل محطة واخرى، وما حوت بين طياتها من ظهور للقدرة الالهية لبني اسرائيل عن قرب، والفداء النبوي الذي حظي بقمة الوفاء والاخلاص، وذاك الشعب الذي نال قدسية لم يحظَ بمثلها سواه من شعوب العالم، وجبل سيناء الذي شهد نزول الشريعة المقدسة من على قمته، وفي السهل المحيط به حيث كان بناء مسكن خيمة الاجتماع ليكون سكناً للحضرة الالهية لصاحبة موكب المسيرة وحفظها، والعطاء الذي امطره المولى من المن والسلوى، والتنظيم في صفوف المسيرة والاستعداد لكل طارئ، اضافة الى الشاهد الحية لانتقام المولى من الملحدين والمشركين والعاصين لأوامره.

هدف التيـــه الاسرائيلي في سيناء
«جبل جرزيم»

بعث الله الأنبياء الى البشرية لحمل رسالته اليهم، وحتى يكونوا صلة الوصل بين الخالق والانسان. فالإنسان بدون عقيدة وايمان، كالشجرة بدون أوراق وثمار.

منذ الأيام الاولى التي خلق الله فيها الانسان على الأرض وحتى يومنا هذا، لم يسمع صوت الله يتكلم من وسط النار كما سمع هذا الشعب، ولم يتخذ الله له شعباً من بين شعوب الأرض سوى هذا الشعب، خصه المولى باول رسالة سماوية، وأنقذه من العبودية بتجارب وآيات وعجائب و معاجيز وبيد شديدة وذراع رفيعة، ومخاوف عظيمة.

كل هذا صنعه الله لأجل هذا الشعب، ليحافظ على العهد الذي قطعه مع آبائهم، واختار نسلهم الشعب الاسرائيلي من بعدهم. اخرجه من مصر بقوته العظيمة وطرد من امامه شعوباً أكبر واعظم منه. كل ذلك فعله المولى حتى يحفظ هذا الشعب فرائضه، ووصاياه، واحكامه وحتى يحبه ويعبده من كل قلبه ومن كل نفسه، يتقيه ويسلك في طرقه، حيث جاء في الشريعة المقدسة:«ان الله هو الاله في السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل. ليس سواه. واحفظ فرائضه ووصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم ليحسن اليك والى أولادك من بعدك، ولتطيل أيامك على الأرض التي الله الهك يعطيك الى الأبد».(تث ٤، ٣٩-٤٠)

كان الهدف من التيه الاسرائيلي الذي استمر أربعين سنة، وكما جاء على لسان الشريعة المقدسة، « في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعدا الذين تذمروا علي. لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها». (عد ١٤، ٢٩-٣٠). هنا جاء كلام المولى لن تدخلوا الأرض، وبما ان لكل شيء محور، ومحور هذه الأراضي المقدسة هو «جبل جرزيم» الذي خصص المولى له الوصية العاشرة، كما جاء في التوراة العبرية القديمة السامرية، «ويكون اذ يدخلك الله الهك الى أرض الكنعانيين التي انت داخل اليها لتمتلكها فتقيم لنفسك حجارة كبيرة تشيدها بالشيد. وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس. ويكون حين تعبرون الأردن تقيمون هذه الحجارة التي أنا موصيكم بها اليوم في جبل جرزيم. وتبني هناك مذبحاً لله الهك مذبحا من حجارة : لا ترفع عليها حديداً. من حجارة صحيحة تبني مذبح الله الهك. وتصعد عليه محرقات

لله الهك. وتذبح ذبائح سلامة وتأكل هناك وتفرح أمام الله الهك. ذلك الجبل في عبر الاردن. من وراء طريق غروب الشمس في أرض الكنعانيين. الساكن في العربة. مقابل الجلجال بجانب مرج البهاء مقابل شكيم». (خر الاصحاح العشرين- وتث الاصحاح الخامس). لكن هذه السور في التوراة النسخة اليهودية غير موجودة اطلاقاً. والسؤال هنا كيف يفسر البعض الآية التي وردت في كلا التوراتين العبرية السامرية، واليهودية الأشورية، «في المكان الذي هيأته» (خر٢٣، ٢٠)؟ اليس المقصود هنا جبل جرزيم؟

١. مكانته الجغرافية

جبل جرزيم هو الجبل الجنوبي لمدينة نابلس «شكيم»، اذ تقع هذه المدينة على كتف هذا الجبل، ومن هنا جاءت تسميتها بشكيم، وتعني بالعبرية كتف. وشكيم تقع بين جبلين، الجبل الجنوبي، جبل جرزيم الذي يرتفع عن سطح البحر ٨٨٥ متر، والجبل الشمالي، جبل عيبال الذي يرتفع عن سطح البحر ٩٤٠ مترا. كما يحمل جبل جرزيم المقدس اسماً آخر، يعرف بجبل الطور، تيمنا بجبل طور سيناء، الذي انزل الله فيه على سيدنا موسى الوصايا العشر، ويقع في منتصف البعد الجغرافي ما بين البحر الأبيض المتوسط غرباً والبحر الميت شرقاً، وايضاً في منتصف المسافة بين حوض دان في الشمال ومدينة بئر السبع في الجنوب، وهو مركز الأراضي المقدسة والى الشرق من هذا الجبل المقدس يقع سهل الون مورا. كما جاء في الشريعة المقدسة عندما قدم سيدنا ابراهيم الى الأراضي الكنعانية من حاران وكان هذا قبل ٤١١٥ سنة، «واجتاز ابرام في الأرض الى مكان شكيم الى بلوطة مورا».(تك ١٢، ٦).

ولكي يتم تحديد مكان هذا الجبل المقدس والجبل المقابل له عيبال، الذين يحتضنا شكيم (نابلس)، جاء في الشريعة المقدسة سبعة شواهد له، «أما هما في عبر الاردن، وراء طريق غروب الشمس، في أرض الكنعانيين الساكنين في العربة، مقابل الجلجال، بجانب بلوطات موره، أمام شكيم». (تث ١١، ٣٠).

٢. مكانته الفلكية

السامريون يملكون حساباً فلكياً يعرف بحساب الحق (خشبان قشطة)، حساب فلكي قمري منقول عن سيدنا آدم وحتى يومنا هذا، عبر تسلسل تاريخي ١٦٢ سلالة.

علماء الفلك السامريين يعلمون ويعرفون أن الحساب الفلكي هذا يجب أن تتخذ قاعدته وانطلاقته من خط عرض «جبل جرزيم»، لأن هذا الجبل يقع في مركز الأرض المقدسة ونواة جنة عدن،

والا لن ينجحوا في ضبط هذا الحساب. وبواسطته يستطيعون ان يتحكموا بروؤس الشهور، الكسوف والخسوف، تحديد الأعياد، وعلم الأبراج الفلكية وغيرها من المعرفة.
والسنة العبرية مكونة من اثنى عشر شهراً قمرياً، وهناك سبع سنوات كبيسة (ثلاثة عشر شهراً)، تقع كل تسعة عشر سنة. والتاريخ السامري بدا منذ دخول شعب بني اسرائيلي إلى الأراضي المقدسة اي قبل ٣٦٥٠ سنة.

٣. مكانته التاريخية

عندما خلق الله سيدنا ادم وكان هذا قبل ٦٤٤٥ عاماً جبله تعالى من تراب هذا الجبل المقدس، ومن هنا جاءت قدسية الانسان. وما ان خالف آدم اوامر مولاه حتى طرده الى المشرق الى بلاد ما بين النهرين. حيث تم هناك التكاثر البشري، وحتى الخامس عشر من الصديقين والاذكياء «فالج»، وفي عهد هذا الصدّيق تم بناء برج بابل، ويعنى هذا الاسم أن الله بلبل السنة البشر، حيث وزع تجمعهم السكاني على الأرض.

سيدنا ابراهيم الذي احتل المرتبة العشرين في سلالة الاذكياء والصديقين وهو اول من وصل إلى الأراضي الكنعانية (الأراضي المقدسة) الى شكيم، وصعد الى جبل جرزيم وبنى اول مذبح عليه بعد ان ارشده المولى الى هذا المكان، «واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم الى بلوطة موره».... ثم نقل من هناك الى الجبل شرقي بيت ايل (جرزيم) .... فبنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب». (تك ١٢، ٦-٩)، وحدث ان امتحن الله ابراهيم قائلا، «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحاق واذهب الى ارض الموريا، واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك» (تك ٢٢، ٢)، فبكر ابراهيم صباحاً وشد على حماره، واخذ اثنين من غلمانه معه، واسحاق ابنه، ملبيا نداء ربه.
وفي اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه وابصر الموضع من بعيد، فلا يمكن أن تكون الموريا في القدس لأنه لا يحتاج السير كل هذه المسافة، اليس هذا الموضع هو جبل جرزيم الذي قدم ابراهيم قرابينه لله الواحد تلو الأخر عليه اثناء وصوله الى شكيم عند قدومه من حاران؟

ولما نزح سيدنا يعقوب تاركاً ابويه هارباً من اخيه عيسو، ومتوجها الى خاله لابان الأرامي، اثناء ترحاله هذا، وبينما هو نائم على جبل جرزيم، رأى في حلمه سلماً قاعدته على الأرض ونهايته في السماء، وهنا قال، « ما أرهب هذا المكان! ما هذا الا بيت الله، وهذا باب السماء !». (تك ٢٨ ، ١٧)

وعندما رجع سيدنا يعقوب من عند خاله لابان وكان يسكن في حاران شمال سوريا، بعد غياب دام ثلاثين سنة قضى منها عشرين سنة عند خاله لابان، وعشر سنوات في مكان قرب نهر الوجب في الأردن، اسماه سكوت. واثناء رجوعه هذا بنى مذبحاً على جبل جرزيم، كما وعد رب العالمين، « فأتى يعقوب الى لوزه، التي في أرض كنعان، « وهي بيت ايل» هو وجميع القوم الذين معه. وبنى هناك مذبحا، ودعا المكان «بيت ايل» لأن هناك ظهر له الملاك حين هرب من وجه أخيه». (تك ٣٥، ٦-٧)

وعندما وصل شعب بني اسرائيل الى شكيم « نابلس» بقيادة يوشع بن نون، صعد هذا القائد الى جبل جرزيم وبنى هيكل سيدنا موسى على قمته.

٤. مكانته الدينية

جبل جرزيم هو الركن الرابع من اركان الدين السامري الخمس، اله واحد- نبوة موسى- الشريعة المقدسة- قدسية جبل جرزيم- واليوم الآخر (يوم الدين)، يردد السامريون اسمه في صلواتهم ايا كانت اوقاتها، وبنغمة موسيقية واحدة، «جبل جرزيم كل أيام حياتنا».

ان اقدس بقعة دينية في العالم لدى السامريين جبل جرزيم، ومعنى جرزيم بالعبرية القديمة جبل الفرائض، اي المكان الذي يجب ان تقدم عليه القرابين والذبائح والمحرقات والعشور الى رب العالمين، والذي اختاره المولى كما جاء في الشريعة، « في المكان الذي اختاره الرب الهكم ليحل اسمه فيه». (تث ١٢، ١١)، عندما كتب موسى التوراة وسلمها للكهنة من بني لاوي حاملي تابوت عهد الله، ولجميع شيوخ اسرائيل امرهم، «في نهاية السبع السنين، في ميعاد سنة الإبراء، في عيد المظال، حينما يجيء جميع اسرائيل ليظهروا أمام الله الهك في المكان الذي اختاره». (تث ٣١، ١٠)، وجاء ايضاً في الشريعة، تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك، المكان الذي صنعته يا الله لسكنك. المقدس الذي هيأته يداك يا الله.(خر ١٥، ١٧)، لكن في توراة اليهود جاء «المكان الذي سيختاره»، اذاً أين هو جبل ميراثه؟ والمكان الذي صنعه؟ والذي هياه ؟ والذي سيجيئ بهم إليه رب العالمين؟

جاء على لسان العلامة وفريد عصره «مارقة» الذي عاصر القرن الرابع الميلاد بشان جبل جرزيم المقدس في كتابه سفينة مارقة قائلاً ، «انكم شعب مقدس لله الهكم، كثيراً من الآباء الذين خرجوا من مصر بخير ماتوا جميعهم في البرية دون أن يروا هذا المكان (جبل جرزيم)، اما انتم قد وصلتم اليه بعظمة».

جبل جرزيم هو المكان الوحيد في العالم الذي جاء في الشريعة قوله تعالى، «فاجعل البركة على جبل جرزيم». (تث ١١، ٢٩)، وذكرته الشريعة القدسة ثلاثة عشر مرة، وكل اسم من هذه الأسماء له ميزته الخاصة وصفته العظيمة :

١. بيت الله : «ما هذا الا بيت الله». (تك٢٨، ١٧)
٢. باب السماء، « هذا باب السماء» (تك ٢٨، ١٧)
٣. بيت ايل، « ودعا اسم المكان بيت ايل» (تك ٢٨، ١٩)
٤. لوزه : « ولكن اسم المدينة كان اولاً لوزة». (تك ٢٨، ١٩)
٥. اخص الجبال : « خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحاق واذهب الى أرض الموريا واصعده هناك محرقة على اخص الجبال الذي اقوله».(تك ٢٢، ٢)
٦. الله ينظر : «فدعى ابراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يرى»، وكلمة يهوه بالعبرية تعني الله. (تك ٢٢، ١٤)
٧. منية الأكام الدهرية، (اشمخ العالم)، « ان منية الآكام الدهرية تكون من ضمن حصة يوسف» (تك ٤٩، ٢٦)،«ومن مفاخر الجبال القديمة ومن نفائس الآكام الدهرية»(تث ٣٣، ١٤).
٨. جبل ميراثك، «تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك».(خر ١٥، ١٧)
٩. «المقدس الذي هيأته يداك يا الله» (خر٢٣، ٢٠)
١٠. بيت يهوه، « أول ابكارك تحضرها الى بيت الله الهك» (خر٢٣، ١٩)
١١. الجبل الجيد، « دعني ادخل وارى الأرض الجيدة التي في عبر الاردن هذا الجبل الجيد ولبنان». (تث ٣، ٢٥)
١٢. جرزيم : فاجعل البركة على جبل جرزيم واللعنة على جبل عيبال. (تث ١١، ٢٩)
١٣. المكان المختار، « المكان الذي اختاره الله الهك ليحل اسمه فيه» (تث ١٢، ٢١) وكذلك الآية، «بل في المكان الذي اختاره الله الهك في أحد أسباطك». (تث ١٢، ١٤).

٥. مكانته الاجتماعية:

منذ اكثر من واحد وثلاثين قرناً من الزمان، والسامريون يقيمون على جبل جرزيم القدس شعائرهم الدينية، بصفته جبل البركة واقدس بقعة دينية بالنسبة لهم، انه المكان الذي اختاره المولى من اجل هذا الهدف، ومحط ايمانهم وماوى افئدتهم، ويتوجهون اليه في صلواتهم، واقفين بين يدي رب العالمين، خاضعين، وخاشعين، وساجدين وراكعين بقلوب طاهرة ونفوس عامرة، يتضرعون إلى المولى ان يؤمن حياتهم ويستجيب اطلباتهم.

يحج السامريون الى قمة هذا الجبل المقدس ثلاث مرات في السنة خلال أعياد الفسح والحصاد والعرش كما فرض المولى عليهم.
ولا يجوز اقامة شعائر عيد الفسح والحج سوى من على قمة هذا الجبل المقدس، حيث جاء في الشريعة المقدسة، « فالمكان الذي اختاره الرب الهكم ليحل اسمه فيه، تحملون اليه كل ما انا اوصيكم به؛ محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع ايديكم وكل خيار نذوركم التي تنذرون للرب». (تث ١٢، ١١).

٦. جبل جرزيم والقدس

عندما يدور الحديث عن جبل جرزيم لا بد من الحديث عن ازليته وقدسيته وبركته وتاريخه. هذا الجبل الذي اختاره المولى لإقامة هيكله على قمته، ولتسكن الفات الالهية بين شعب بني اسرائيل، كما ورد في الشريعة المقدسة على لسان الله مخاطبا موسى بن عمران قائلا: «فيصنعون لي مقدسا لأسكن في وسطهم ».(خر ٢٥، ٨)
القدس لم تذكرها الشريعة لا من قريب ولا من بعيد، كان يسكنها اليبوسيون الى أن فتحها الملك داود بن يسي والد الملك سليمان. وكان ذلك في السنة ٤٥٥ بعد دخول الأراضي المقدسة بقيادة يوشع بن نون، اي قبل ١١٨٣ سنة قبل الميلاد.

وعلى اثر وفاة الملك سليمان وفي عهد ولده رحبعام انقسمت الدولة العبرية الى مملكتين، شمالية اسرائيلية «سامرية»، السلالة الحقيقية لشعب بني اسرائيل، وجنوبية مملكة يهودا المنشقة عن الدين الاصل، وقد منح اليهود المكانة الدينية للقدس. وبعد بناء سليمان هيكله فيها، لم يعترف السامريون بها اطلاقاً، لتصبح المملكتان متنافستين واحيانا متعاديتين، وكان لكل منهما أيام ازدهار وأيام انحطاط، وكان ميزان القوى تارة يميل لمصلحة اسرائيل وتارة الى جانب يهودا، أي أن السبب في انقسام الدولة العبرية هو القدس.

والسؤال الذي يطرح نفسه، منذ دخول شعب بني اسرائيل الأراضي المقدسة وحتى اقامة سليمان هيكله في القدس في السنة ٤٥٥ لدخول هذه الأراضي، اين كان الهيكل موجودا؟ الم يكن على قمة جبل جرزيم؟ ولماذا كان ملوك اسرائيل داود وابنه سليمان وحفيده رحبعام يتوجهون الى الكاهن الأكبر في شكيم من أجل مباركتهم ومبايعتهم؟ حيث ورد في التوراة، «وذهب رحبعام الى شكيم، لأنه جاء الى شكيم كل اسرائيل ليملكوه». (سفر اخبار الايام الثاني ١٠، ١)، اليس مكان وجود الكاهن الأكبر منوط بمكان وجود الهيكل؟

نتـــائج التيـــه الإســرائيلي

١. التحرر من العبودية:

عندما قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، طلب من شعبه ان يحتال على شعب بني اسرائيل، خوفاً من نموهم وتكاثرهم، فاذا ما حدثت حرب انضموا الى أعدائهم وحاربوهم وصعدوا من الأرض المصرية. لهذا طلب هذا الملك من شعبه أن يمرر حياة الاسرائيليين بعبودية قاسية، ويستعبدهم بعنف، وجعل عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم باثقالهم. وما أن صرخ شعب بني إسرائيل الى الله كي ينقذهم من هذا العذاب الذي أصابهم على يد فرعون مصر وعبيده وأبناء شعبه، حتى سمع الله صراخهم واستجاب لطلبهم، وارسل لهم موسى بن عمران نبياً ليحررهم من عبودية فرعون مصر بيد قوية وبذراع ممدودة وبأحكام عظيمة ليتخذهم شعباً له ويكون الها لهم.

وهكذا صنع الله على يدي هذا الرسول موسى اثني عشر معجز، بعدد أسباط بني اسرائيل الاثني عشر، وهي تحويل الماء الى دم، وضربة الضفادع، وضربة البعوض، وضربة الذباب، وضربة اهلاك الماشية، وضربة الدمامل، وضربة البرد، وضربة الجراد، وضربة الظلام، وضربة موت الأبكار، بالإضافة الى ضربتين هما عصا هارون تتحول الى ثعبان، وكذلك مطاردة فرعون لهم وغرقه في البحر هو وجيشه.

وحررهم المولى من العبودية، واخرجهم من مصر، وجاءت سنوات التيه الأربعين في شبه جزيرة سيناء، كقصاص وعقاب لأولئك الذين تمردوا على الله من قبل هذا الشعب، حتى تسقط جثث جميع المعدودين من ابن عشرين سنة فصاعدا ممن انغمست العبودية فيهم وترعرعت بعقولهم واجسامهم، ليدخل هذا الشعب الأراضي الكنعانية بثوب جديد ملؤه التحرر من العبودية والحياة الأفضل والانفتاح على عالم جديد.

٢- عبر ودروس من التيه:

انّ نزول الكتب السماوية من قبل المولى على الشعوب عن طريق الرسل، جاء لتهذيب اخلاق الانسان، وترسيخ الروابط بين الانسان واخيه، ومن ثم لبناء حياة مجتمعية صالحة دينياً واجتماعياً. فالحياة لها ثمن مثلما لكل شيء في هذا الوجود ثمن.

والثمن الذي دفعه الشعب الإسرائيلي على الأخطاء التي ارتكبها وبلغ عددها العشرة، قبل نزول

الأمر بتوهانهم في شبه جزيرة سيناء مدة أربعين سنة وكانت كلها عبر ودروس ومواعظ، ليتعلم منها الشعب الاسرائيلي خاصة والشعوب الأخرى عامة، سواء أكانت مثل هذه العبر وتلك دروسا ايجابية ام سلبية.

انّ المولى يحاسب على كل صغيرة وكبيرة، فها هو موسى بن عمران الذي استطاع أن ينقذ شعبه من غضب الله لدرجته الكبيرة عند رب العالمين، قد دفع ثمن خطئه عندما خالف ربه، فبدلاً من ان يكلم الصخرة في محطة قادش لتخرج ماء ضربها بعصاه مرتين، وعلى اثر هذه المخالفة منعه المولى من دخول الاراضي المقدسة، لأن الله يمهل ولا يهمل. ومع ذلك وَفّى المولى بوعده الذي قطعه لآباء هذا الشعب من الأذكياء والصديقين، وذلك على الرغم من كل افعال بني اسرائيل الفاحشة.

٣- الحقيقة الدامغة:

ان مسيرة التيه الاسرائيلي قد حيرت وما زالت تحير الكتاب والباحثين والمفكرين وعلماء الآثار، من حيث الخروج والأماكن والمحلات والمواقع، وكيف تمت مسيرة شعب باكمله بلغ عدده المليوني نسمة، لمدة زمنية طويلة وهي الأكبر في التاريخ، ضمن ظروف معيشية صحراوية صعبة كصحراء شبه جزيرة سيناء. كما تخبط الكثير من العلماء في الموقع العام لهذه المسيرة التيهية، وفي الحقيقة إن مثل هؤلاء لو كرسوا جهدهم للمسيرة فقط من حيث التعمق والدراسة والتسلسل في خطواتها، لأصبحت النتيجة في متناول ايديهم، ولوفروا الكثير من الجهد على البقية الباقية من الباحثين والمفكرين ممن ما زالوا يرزحون تحت وطأة البحث والتمحيص بخصوص هذه المسيرة.

إننا نأمل من وراء هذا الكتاب ان نقدم توضيحاً كافياً للخريطة الصحيحة لهذه المسيرة التيهية، بالاعتماد على التوراة العبرية السامرية، كركن اساسي في تحديد محطات هذه المسيرة. وبذلك نكون قد قطعنا الشك باليقين من خلال تحديد الرسم البياني للمسيرة من الناحية العامة، مع تحديد معظم المواقع للمنازل التي نزلوا فيها ورحلوا عنها، اذ من غير المعقول تعيين المحطات الاثنتين والأربعين جميعها، بسبب طبيعة الجو الصحراوي للمنطقة التي حدث فيها التيه الإسرائيلي.

٤- السلالة الحقيقية لشعب بني اسرائيل:

انّ السامريين الذين يعيشون في الأراضي المقدسة منذ ٣٦٥٠ سنة وحتى الآن لم يغادروا الأراضي المقدسة قط، ويملكون من الحقائق التاريخية ما لا يملكه شعب آخر من شعوب العالم على الرغم

من قلة عددهم، حيث يحتفظون بتاريخهم منذ آدم عليه السلام وحتى الكاهن الأكبر الحالي عبر ١٦٢ سلالة وكل واحد من هذه السلالة هو تاريخ بحد ذاته، كما يملكون أقدم نسخة خطية للتوراة موجودة في العالم، كاتبها الرابع من هارون، ابيشع بن فينحاس بن العازر بن هارون شقيق موسى بن عمران، حيث كتبت على أبواب الهيكل بعد وفاة موسى بن عمران بـ ١٣ سنة، أي قبل ٣٦٣٧ سنة.

أما لغتهم العبرية القديمة (اللغة التصويرية) فهي أم لغات العالم اجمع، وهي لغة الأذكياء والصديقين. كما انهم ما زالوا يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم الدينية منذ آلاف السنين وحتى وقتنا الحاضر.

لذلك نجد أنّ الباحثين والمفكرين والكتاب ممن عالجوا هذه المسيرة عبر كتاباتهم وأبحاثهم، وتجاهلوا الاعتماد على التاريخ السامري الموجود لديهم منذ آدم وحتى الآن وكذلك على التوراة العبرية القديمة، قد غاصوا في متاهات مسيرة الشعب الاسرائيلي التيهية هذه.

ومن الجدير بالذكر أن هناك ما يقارب السبعة آلاف خلاف بين التوراة العبرية القديمة السامرية وبين التوراة النسخة اليهودية والمكتوبة باللغة الآشورية، والعديد العديد من تلك الخلافات يرجع لقصة التيه هذه .

أين تكمن حقيقة التيه؟

هناك العديد من الخلافات في نصوص التوراتين العبرية القديمة «السامرية» واليهودية الآشورية والتي تقارب السبعة آلاف خلاف ما بين حرف، وكلمة، وسورة. وانني اذ أضع أمام القراء بعض من هذه الخلافات على سبيل المثال لا الحصر، والتي استطعنا من خلالها ان نحل ألغازاً عديدة في مسيرة التيه.

جاء على لسان التوراة « النسخة اليهودية» سفر التثنية الاصحاح العاشر الأية رقم ٦ ، «وبنو اسرائيل ارتحلوا من ابار بني يعقان إلى موسير، هناك مات هارون، وهناك دفن، فكهن العازار ابنه عوضاً عنه من هناك ارتحلوا إلى الجدجود ومن الجدجود إلى يطبات ارض انهار ماء.»

لكن ما ورد في التوراة العبرية القديمة « النسخة السامرية» وفي سفر التثنية أيضاً ونفس الاصحاح كان مخالفاً لهذا النص حيث جاء فيه، «وبنو اسرائيل ارتحلوا من مسيروت ونزلوا في بني يعقان من هناك ارتحلوا ونزلوا في الجدجود وارتحلوا من هناك نزلوا في يطبات أرض ذات أنهار ماء. ومن هناك ارتحلوا ونزلوا في عبرنة وارتحلوا من هناك ونزلوا في

عصيون جابر وارتحلوا من هناك ونزلوا في برية صين هي قادش، وارتحلوا من هناك ونزلوا في جبل هور، هناك مات هارون وهناك دفن وأمم العازار ابنه عوضا عنه.»

إنّ هذا الاختلاف في نص التوراتين اليهودية من جهة والعبرية القديمة من جهة أخرى له معاييره و ارتكازاته الدينية، من حيث كيفية المسيرة، الاتجاه الذي ساروا فيه، والأماكن التي حلوا بها وارتحلوا منها وتسلسل الأحداث التي واكبت ترحالهم بين محطاتها، ففي الوقت الذي قيل فيه انهم ارتحلوا من آبار بني يعقان ونزلوا في **موسير** (النص اليهودي) جاء هذا النص مغايراً لما ورد في التوراة السامرية «**ارتحلوا من مسيروت ونزلوا في بني يعقان**»، اي ان محطة **بني يعقان** جاء موقعها بعد محطة مسيروت وليس العكس، وهذا ما اكدته لنا الآية الكريمة في سفر العدد الاصحاح٣٣ الآية (٣٣) وعلى لسان التوراتين (النسخة اليهودية والنسخة السامرية)،« **ارتحلوا من مسيروت ونزلوا في بني يعقان**».

اما من حيث ان سيدنا هارون مات في محطة موسير (موسيروت) ودفن هناك، فهذا عكس ما جاء في سفر العدد، وعكس ما جاء على لسان التوراتين ايضاً من انّ سيدنا هارون توفي في جبل هور الواقع في طرف ارض ادوم وهناك مات، «**فصعد هارون الكاهن الى جبل هور حسب قول الرب، ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني اسرائيل من أرض مصر، في الشهر الخامس في الأول من الشهر. وكان هارون ابن مائة وثلاثة وعشرين سنة حين مات في جبل هور**». (عد ٣٣، ٣٨-٣٩)

ويجب الا يغيب عن البال انّ محطة موسير او **مسيروت** لا تاتي قبل او بعد محطة **بني يعقان** فحسب بل هناك سبع محطات نزلوا فيها قبل وصولهم إلى المكان أو المحطة التي توفي بها سيدنا هارون عليه السلام في **جبل هور** وهي، **بني يعقان، جدجده، يطبات، عبرنه، عصيون جابر، برية صين (قادش) و جبل هور.**

عند رجوعنا إلى النص الكامل الذي جاء في سفر العدد الاصحاح ٣٣ الآية (٣٠) وعلى لسان التوراتين العبرية السامرية والنسخة اليهودية لأصبحنا في غنى عن تفسير ما ينبغي تفسيره، و لأصبحت الحقيقة أمام اعيننا واضحة للعالم كوضوح الشمس، وها هو النص الكامل اضعه امامكم كما جاء في الشريعة المقدسة، « **ثم ارتحلوا من حشمونة ونزلوا في مسيروت ثم ارتحلوا من مسيروت ونزلوا في بني يعقان ثم ارتحلوا من بني يعقان ونزلوا في حور الجدجاد ثم ارتحلوا من حور الجدجاد ونزلوا في يطبات ثم ارتحلوا من يطبات ونزلوا في عبرونة ثم ارتحلوا من عبرنه ونزلوا في عصيون جابر ثم ارتحلوا من عصيون جابر ونزلوا في برية صين وهي قادش ثم ارتحلوا من قادش ونزلوا في جبل هور في**

طرف ارض ادوم». فصعد هارون الكاهن إلى جبل هور (التي تقع جنوب البتراء في الأردن)، حسب قول الرب، ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني اسرائيل من أرض مصر في الشهر الخامس وفي الاول من الشهر.

ولا بد لي هنا من الإشارة الى ان وفاة مريم شقيقة سيدنا هارون كان في الشهر الاول من السنة الاربعين لخروج بني اسرائيل من مصر وكان هذا في برية صين (قادش) وقد دفنت هناك، في هذه المحطة بالذات حيث خاصم الشعب الاسرائيلي موسى بسبب قلة الماء، فضرب الصخرة ليخرج منها ماء متفجراً حيث سميت « ماء المريبة»، اي ماء المخاصمة ومن اجل هذه الحادثة حُرِمَ الرسول الكريم وشقيقه سيدنا هارون عليهما السلام من الدخول إلى الاراضي المقدسة وذلك لمخالفتهم اوامر مولاهم اذ قال لهما كلما الصخرة، وبدل ان يكلماها ضرباها، ومن اجل هذه الحادثة استمر مكوث ابناء شعب اسرائيل في هذه المحطة حوالي الاربعة اشهر. وارتحلوا بعدها إلى محطة جبل هور قادمين من برية صين (قادش) ومات هناك سيدنا هارون.

في النص العبري اليهودي وفي الآية الشرعية، « وبنو اسرائيل ارتحلوا من آبار بني يعقان إلى موسير هناك مات هارون.» (تث ١٠:٦) نجد انّ هذه الآية تتجاهل حقيقة وفاة السيدة مريم قبل سيدنا هارون، بالإضافة الى عدم تحديد المكان والزمان لوفاة كل منهما.

وهنا يجب ان نتطرق الى موقع جبل هور اذ يقع إلى الجنوب من وادي موسى، قرب البتراء، وعلى قمته يجثم قبر سيدنا هارون عليه السلام حتى وقتنا هذا، حيث يؤمه الزوار والسُّواح من جميع انحاء العالم، اذ يقومون بزيارة هذا القبر ويقدمون ذبائحهم وقرابينهم من على هذا الجبل، متحملين مشاق السفر وخطورة الصعود إلى قمته، وكل هذا من اجل التبرك بالمقام النبوي وليقبل رب العالمين نذورهم وليستجيب إلى طلباتهم.

لكن بالنسبة لأولئك الذين حددوا موقع جبل هور إلى الشمال من محطة قادش برنع والواقعة في برية فاران، اي إلى الجنوب من النقب، فذلك امر مخالف الحقيقة، ولقد تطرق الكاتب اسعد منصور الى هذا الموضوع بكتابه « جغرافية الكتاب» صفحة ٢٨٧، تحت عنوان «جبل هور» حيث كتب يقول: «هنا مات هارون ومسح مكانه اليعازر بابنه، ذكرت في سفر التثنية: موسير بعد ابار بني يعقان وقيل هناك مات هارون وهناك دفن • فتكون موسير اما نقش هور او بالقرب منه بينه وبين ابار بني يعقان».

إن الوقوع في مثل هذه الاختلافات هو الذي قاد اولئك العلماء المتبحرين والباحثين المتمرسين الذين تناولوا هذه المسيرة بالبحث إلى طريق مسدود لعدم استكشافهم الطريق او المسلك الذي سار فيه ابناء شعب اسرائيل منذ ان خرجوا من ارض مصر وحتى وصولهم إلى عربات مؤاب في الأردن اريحا. ولربما يعود ذلك إلى عدم اطلاعهم او استشهادهم بما تحويه التوراة العبرية الأصلية « النسخة السامرية» والتي يحتفظ بها السامريون منذ ٣٦٢٥ سنة ميلادية.

الســـامريون

الســـامريون

السامريون هم السلالة الحقيقية لشعب بني اسرائيل، هم غصن شجرة الأباء الذي جار عليهم الزمن بنكباته وملاحمه، مؤلفين بتاريخهم ملحمة من اقسى الملاحم التي عرفها التاريخ، هم اشعاع القدماء الذين لم يغادروا الأراضي المقدسة منذ قدومهم الى أرض فلسطين قبل ثلاثة الاف وستمائة وخمسون سنة.

منذ القرن السادس عشر، بدأ الاهتمام من قبل المستشرقين الاوروبيين بمعرفة السامريين، بعد ان ساد الاعتقاد أن السامريين انقرضوا من على وجه البسيطة. السامريون هم بقايا شعب قديم، ينحدر من مملكة اسرائيل الشمالية، ورغم مرور السنين السحيقة في القدم، الا انهم لم يفقدوا هويتهم كشعب قائم بحد ذاته، تمثلهم الآن أصغر واقدم واعرق طائفة موجودة في العالم، عاشت وما زالت تعيش على ارض فلسطين، وعلى الرغم من أهمية هذه الطائفة دينيا، تاريخيا، اجتماعيا وعراقة عاداتها وتقاليدها وثقافتها إلا انها لم تحظ بالاهتمام الكافي من قبل الكتاب والباحثين والمستشرقين و علماء التاريخ والآثار الا في مطلع القرن العشرين.

تاريخهم

كلمة سامري محرفة من الكلمة العبرية « شامري» اي بلفظ الشين بدلا من السين، وتعني محافظ، اي المحافظون على الديانة العبرية القديمة، والذين بقوا امناء لها من سائر بني اسرائيل.

يرجع تاريخ السامريين الى ما قبل ٣٦ قرنا من الزمن، حين قام يوشع بن نون القائد الاسرائيلي الذي خلف موسى بن عمران في قيادة هذا الشعب، بدخول الأراضي المقدسة عند اريحا، وما ان وصل الى مدينة شكيم (نابلس)، حتى صعد الى جبلها الجنوبي «جرزيم» برافقه العازار بن هارون الكاهن الأعظم لشعب بني اسرائيل، وقاما بنصب خيمة الاجتماع على قمة هذا الجبل المقدس، وتكون نسل هارون فيها بالوراثة.

انقسمت الدولة العبرية الى مملكتين بعد وفاة الملك سليمان قبل ٣١ قرنا من الزمان وهما، المملكة الجنوبية (مملكة يهودا) وعاصمتها القدس وملكها رحبعام بن الملك سليمان، والتي كانت تضم سبطين من الاسباط الاثني عشر ابناء يعقوب عليه السلام وهما سبطا يهودا وبنياميم ، والمملكة الشمالية (مملكة السامرة) وعاصمتها سبسطية وملكها يربعام بن نبط، وكانوا يمثلون العشرة اسباط الباقية.

ينتسب السامريون الأن الى ثلاثة اسباط من الاسباط الاثني عشر، اولاد سيدنا يعقوب، هما سبط لاوي الذي تنتمي اليه عائلة الكهنة، وسبطا ابناء سيدنا يوسف، افرايم ومنشي تنتمي اليه بقية العائلات الاربع الاخرى دنفي، صدقة، مفرج وسراوي.

تعدادهم

عند انقسام الدولة العبرية الى مملكتين، كان عدد سكان المملكة الشمالية (المملكة السامرية) يقارب الثلاثة ملايين نسمة، وتضاءل هذا العدد حتى وصل في القرنين الرابع والخامس للميلاد الى مليون ومائتي الف نسمة، وكانوا يسكنون في مدن وقرى كثيرة في ارض فلسطين، من جنوب سوريا حتى شمال مصر، الا ان الاحكام التي مورست ضدهم وما حل بهم من مذابح وملاحقات واكراه للتخلي عن دينهم، اضافة الى الحالة الاقتصادية السيئة التي كانوا يعيشونها ادت الى تقليص عددهم حتى وصل في عام ١٩١٧ الى (١٤٦) نسمة، اما الآن فيبلغ عددهم (٧٦٠) نسمة، نصفهم يسكن جبل جرزيم جنوب نابلس، والقسم الآخر يسكن في مدينة حولون قرب تل ابيب.

أركان الديانة السامرية

ترتكز الديانة السامرية على خمسة اركان اساسية هي، وحدانية الله الواحد الأحد، نبوة موسى بن عمران كليم الله ورسوله، التوراة (خمسة اسفار موسى)، قدسية جبل جرزيم قبلة السامريين ومأوى افئدتهم، واليوم الآخر يوم الحساب والعقاب.
وكل سامري لا يؤمن بالأركان الخمسة هذه، ايمانا اكيدا ثابتا وراسخا غير قابل الشك، لا يعتبر سامريا.

الوصايا العشر

تعتمد العقيدة السامرية على الوصايا العشر التي انزلها رب العالمين على موسى الكليم على جبل «طور سيناء» وهي، لا يكن لك الهة اخرى امامي، لا تحلف باسم الله كذبا، احفظ يوم السبت، اكرم اباك وامك، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد شهادة زور، لا تشته زوجة قريبك، ولا بيت صاحبك، وقدسية جبل جرزيم الذي اختاره المولى لإقامة الشعائر الدينية عليه.

الشريعة المقدسة (التوراة)

السامريون يؤمنون بخمسة اسفار سيدنا موسى فقط وهي، التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية، كما يملكون اقدم نسخة خطية للتوراة في العالم، ويعود تاريخها الى ما قبل ٣٦٢٧ سنة وكاتبها الرابع من هارون، ابيشع بن فينحاس بن العازر بن هارون، شقيق موسى عليه السلام، كتبت بعد دخول شعب بني اسرائيل الى الأراضي المقدسة بثلاثة عشر سنة، مكتوبة

باللغة العبرية القديمة. تختلف التوراة السامرية عن التوراة النسخة اليهودية بسبعة الاف خلاف بين كلمة وآية وسورة. اما كلمة التوراة تعني التورية، حيث يجد الانسان فيها كل ما يحتاجه في هذا الوجود.

لغتهم

اللغة السامرية هي اللغة العبرية القديمة، لغة الاشارة والتصوير لهذا تعتبر اقدم لغات العالم اجمع، تقرا من اليمين الى اليسار، تتالف من ٢٢ حرفا وكل حرف منها يشبه احد اعضاء جسم الانسان، واقرب اللغات الى العبرية القديمة هي اللغة الآرامية والعربية، وجميعهم لغات سامية.
اما اللغة اليهودية فهي لغة اشورية، قام بتغييرها من اللغة العبرية القديمة الى اللغة الاشورية اليهودي عزرا هسوفير في عهد قائدهم زوربابل قبل حوالي ٢٣٠٠ سنة.

الجبل المقدس «جرزيم»

جبل جرزيم هو الجبل الجنوبي لمدينة شكيم (نابلس)، يقع في قلب الأراضي المقدسة، وهو احد الاركان الخمسة التي يرتكز عليها الدين السامري، اذ يعتبر قبلتهم وماوى افئدتهم، حيث بنى ابراهيم عليه السلام مذبحه فيه، واراد ان يقرب ولده اسحق عليه، و راى يعقوب عليه السلام حلمه عليه، وأقام القائد يوشع بن نون والكاهن الأكبر العازار بن فينخاس هيكل موسى على قمته، كما خص الله جبل جرزيم بثلاثة عشر اسما مميزا في الشريعة المقدسة، بينما لم تذكر القدس في التوراة بتاتا .

الختانة

الختانة عند السامريين عهد قطعه الله مع سيدنا ابراهيم عليه السلام، ومنذ ذلك الوقت والسامريون يحافظون على هذا العهد حيث يختنون المولود الجديد من الذكور في اليوم الثامن لميلاده، ولا يجوز تاخير هذه الختانة لأي سبب من الاسباب.

الميراث

شرحت التوراة موضوع الميراث بإسهاب، حيث يوزع الارث عند السامريين بين الورثة بالتساوي وتكون حصة البكر الضعف، وميراث البنت والمراة السامرية في الأموال المنقولة مساويا لحقوق الرجل، أما في الأموال الغير المنقولة فلا ترث اذا كان لها اخوة. لكن اذا توفي شخص وترك بنات

ولم يترك ذكورا، فإنهن يرثن بشرط ان يتزوجن من ابناء عمومتهن، كي لا يختل توازن تقسيم الارض المقدسة على اسباط بني اسرائيل.

التقويم

يملك السامريون حسابا فلكيا يعرف (بحساب الحق)، وهو حساب فلكي قمري منقول عن سيدنا ادم حتى يومنا هذا، وهو متوارث مع عائلة الكهنة، اذ يستهلون الشهر باللحظة التي يتولد بها القمر، خلافا لليهود الذين يعتمدون على الرؤيا. فاذا حجب القمر الشمس فهذا يعني بأن الشهر ٢٩ يوما «قمريا»، أما اذا حجبت الشمس القمر فالشهر ٣٠ يوما «شمسيا». والسنة العبرية مكونة من اثني عشر شهرا قمريا، لكن هناك سبع سنوات كبيسة (ثلاثة عشر شهرا) في كل تسع عشرة سنة. وقد بدأ التاريخ السامري منذ دخول بني اسرائيل الاراضي المقدسة اي قبل ٣٦٥٠ سنة خلت.

الموسيقى السامرية

الموسيقى السامرية هي أنغام ترتل بدون ادوات موسيقية مساعدة، انتقلت من جيل الى جيل عبر ١٣٦ سلالة، وهي فولكلور بحد ذاته، وهناك ما يقارب الألف نغمة تروي حكاية السامريين عبر التاريخ، بأحلى صورها من خلال هذه الموسيقى المجردة والعذبة.

أعيادهم

يحتفل السامريون بأعياد التوراة فقط وهي سبعة أعياد موسمية، عيد الفسح، عيد الفطير (العجين الغير مختمر)، عيد الحصاد، عيد رأس السنة العبرية، عيد الغفران، عيد العرش (المظال)، العيد الثامن (فرحة التوراة). ومن خلال هذه الأعياد يحج السامريون الى جبلهم المقدس «جبل جرزيم» ثلاث مرات سنويا وذلك اثناء عيد الفسح وعيد الحصاد وعيد العرش، وليس للسامريين اعياد وطنية او قومية.

صلواتهم

الصلاة عند السامريين هي بمثابة التقرب من الله، تأمل تشفع ابتهال وتضرع، وتقوم مقام القرابين التي كانت تقدم في الهيكل. والسامريون يصلون يوميا صباحا عند الفجر ومساء عند الغروب، وكل منها بسبعة ركعات، (صلوات السامريين ركوع وسجود). وبالنسبة يوم السبت هناك سبع صلوات، يؤديها السامريون في الكنيس السامري، بإمامة احد الكهنة، ولا يجوز للسامري ان يزاول أي عمل يوم السبت مهما كان نوعه، سوى تحضير الطعام البارد.

اضافة الى طهارة الجسم يسبق الصلاة الوضوء بغسل الاعضاء المكشوفة، ثلاثا لكل منها، مع قراءة آيات مخصصة من التوراة على كل عضو وبما يدل على نوعية حركته.

طهارتهم

تعتمد الديانة السامرية على الطهارة، وهي ركن الدين واساسه، فالرجل لا يجوز ان يخرج من البيت الا اذا كان طاهر البدن، وعليه الاغتسال فور عملية الجماع، وكذلك اذا احدث (استحلم) اثناء نومه، وكذلك اذا لمس من الحيوانات المحرم أكلها او لمس ميت.
وكذلك المراة السامرية بالإضافة الى ما ذكر اعلاه، لا يجوز لها ان تلمس الانسان السامري او اي شيء من حاجة البيت اثناء العادة الشهرية والتي تستمر سبعة أيام، تكون فيها منزوية في فراشها الخاص، ويلي أيام طمثها هذا الاستحمام بالماء (غطس)، أما اذا ولدت ابنا ذكرا فإنها تبتعد (٤١) يوما، لكن اذا ولدت انثى فإنها تبتعد (٨٠) يوما، يحق لها فقط الاعتناء بولدها الرضيع، وتستطيع مزاولة وظيفتها وتعليمها خارج البيت فقط.

طعامهم

لا يجمع السامريون في طعامهم روحين على مائدة واحدة كاللحم واللبن، كما لا يجوز اكل اللحوم المذبوحة على غير طريقتهم لان للذبيح عندهم شروطا دينية، اهمها ان يكون القصاب سامريا ملما بتعاليم الشريعة، يعرف المحللات والمحرمات، وان يستعمل سكينا حادا لا يقل طولها عن ٢٥ سم حتى يستطيع الذبح بنحرة واحدة، وان يعرف موقع السكين من رقبة الحيوان، وان يتوجه اثناء الذبح الى وجهة جبل جرزيم، ويجب ان يطمر الدم بعد الذبح . هذا ويأكل السامريون من الطير ذوات الحوصلة وغير مشبكة الاصابع، ومن الحيوانات البحرية ما كان له زعانف وحراشف، ومن الحيوانات البرية ما كانت مجترة ومشقوقة الظلف، ويحرم ذبح الحبالى من اناث الحيوان. ويذكر ان مثل هذه الحيوانات البرية والبحرية والطيور جميعها اليفة.

الزواج

الزواج هو رباط مقدس عند السامريين، معقود على الولاء والإخلاص بين الذكر والانثى، حتى يكون هناك نمط سلوكي مقبول، وممارسة اجتماعية موروثة ومكتسبة لمخالطة ومقارنة للتاهل بها، والتكيف لإبرامها، فالحياة الزوجية الشرعية هي النواة لبناء مجتمع افضل، فالإنسان السامري لا يكتمل دينه الا بالزواج، الذي يجرى باحتفال يراسه الكاهن الأكبر او من ينوب عنه من الكهنة، وبحضور جميع أفراد الطائفة في كل من نابلس وحولون، الزواج السامري يمر

بثلاث مراحل، خطبة، عقد قران، وزفاف، يتم بعقد وشهود ومهر معجل ومؤجل، غير أن المهر في السنوات الأخيرة أصبح رمزيا في معظم الأحيان. تكاد تكون طقوس الزواج عند السامريين تشبه الى حد بعيد، الأعراس الشامية، لأن العديد من العائلات السامرية كانت تسكن في القرون الوسطى في عدة مدن سورية وخاصة العاصمة دمشق.

يحرم على السامري الزواج من الشقيقات والعمة والخالة وابنة الأخ او ابنة الاخت والربيبة وابنة الزنا، ولا يجوز له ان يتزوج من مطلقته اذا تزوجت من أحد غيره، ويجوز للسامري ان يتزوج من اخرى اذا كانت هناك اسباب مقنعة لذلك، ولا يحق للسامري ان يجمع بين اثنتين على ذمته من اجل المتعة. أما حالات الطلاق فهي نادرة وتحت شروط منها، الغير قادرة على القيام باعمال البيت وتربية أطفالها، الجنون، المرض العضال، العاقر والخيانة الزوجية.

الحياة الاجتماعية

يراس الطائفة السامرية الكاهن الأكبر، وهو من سبط لاوي، اي من عائلة الكهنة والأكبر جيلا، يساعده في مهامه هذه مجلس كهنوتي مكون من اثنى عشر كاهنا، وهو الذي يقرر كل ما يتعلق بالشؤون الدينية، والكاهن الاكبر هو لشطري الطائفة سكان جبل جرزيم وحولون.

أما الشؤون الدنيوية يديرهما لجنتان منتخبتان في كل من جبل جرزيم وحولون، لإدارة شؤون الطائفة، ويراس كل منهما سكرتيرا وتنتخب اللجان مرة كل سنتين وبطرق ديمقراطية.

السامريون كانوا وما زالوا، يشكلون جسر سلام في الصراع العربي الاسرائيلي،ليس فقط لحسن علاقاتهم مع كلا الطرفين فحسب، بل لأن الشعبين الفلسطيني والاسرائيلي يجب ان يتخذوا من السامريين عبرة، بعد أن كان المجتمع السامري يعد بالملايين في الماضي، اصبح أصغر مجتمع موجود في العالم، بسبب كثرة الحروب التي خاضها عبر آلاف السنين، والذي لا طائل له فيها، الحرب ليس فيها منتصر ومهزوم، الحرب كلها خسارة للطرفين، والسلام هو سيد الاحكام، وليس هناك افضل من هذا المجتمع الصغير ان تتخذه المجتمعات الأخرى عبرة وعظة من اجل السلام.

السامريون والاسلام

الاسلام هو أقرب الديانات الى السامرية من حيث الوحدانية والطهارة، وصلوات السامريين ركوع وسجود يسبقها وضوء اليدين والفم والأنف والوجه والأذنين والأرجل.

جاء في القرآن الكريم سورة الأعراف ١٥٩، «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون».

وتذكر كتب التاريخ السامري، انه لدى انتشار الاسلام في الجزيرة العربية، توجه وفد سامري برئاسة احد حكمائهم ويدعى «صرمصاه» الى النبي «محمد» عليه السلام، من اجل الحصول على

كتاب خطي لأمن السامريين وحمايتهم، فكان له ما اراد، حيث أمر الرسول علي بن ابي طالب بان يكتب للسامريين عهدا جاء فيه:

«انا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب أمرت ان يكتب للسامرة امانا وذماما على انفسهم وعلى ديارهم واموالهم وبيوت عبادتهم واوقافهم في كل بلادهم وان يسري فيهم وفي ذمم اهل فلسطين بالسيرة الحسنة».

السامريون والمسيحية

لقد ورد ذكر السامريين في العهد الجديد مرات عديدة، وكان موقف المسيح ازاءهم عامة ايجابيا، وأن أهم ما يجمع الديانتين السامرية والمسيحية من قواسم مشترك هو المحبة والسلام. ويطلق المسيحيون على معظم مؤسساتهم الخيرية (السامري الصالح) تيمنا بالسامري الرحيم الذي انقذ المريض من الموت على طريق القدس اريحا (لوقا ١، ٢٥)

والمرأة السامرية التي اسقت المسيح ماء الحياة في بئر يعقوب قرب شكيم (يوحنا ٥، ٤١)

وكذلك نكران الجميل والاعتراف به بخصوص قصة «العشرة البرص» (لوقا ١٧، ١١-١٨).

السامريون واليهودية

يصف اليهود السامريين بالكفرة والكوتيين نسبة الى كوت (مدينة سومرية اكادية قديمة تعرف اليوم بتل ابراهيم) في العراق، وكذلك اطلق عليهم التلمود البابلي المعارضون والكفار، من أجل هذا جاء اهتمام اليهود بالسامريين، حتى يقفوا على الحقيقة والواقع، على ماذا استند ويستند السامريون بأنهم السلالة الحقيقية لشعب بني اسرائيل؟ انهم يملكون أقدم نسخة خطية للتوراة، يتكلمون العبرية القديمة، ويحافظون على العادات والتقاليد العبرية القديمة، يؤمنون بقدسية جبل جرزيم، ويعتبرون اتخاذ القدس من قبل الملك سليمان مسالة سياسية أكثر منها دينية. والسؤال هل يدرك اليهود هذه الحقيقة حقا؟

اما الشعوب الاخرى تهتم بالسامريين لرغبتهم بالتعرف على اقدم واصغر واعرق طائفة موجودة في العالم، والتي رغم الأحكام التي مورست ضدهم وما حل بهم من مذابح وملاحقات وإكراه للتخلي عن دينهم عبر التاريخ، الا انهم ما زالوا يحتفظون باعرق التقاليد لأقدم العادات.

الاختصارات المستعمله في الكتاب

تث	سفر التثنية وهو السفر الخامس من التوراة.
تك	سفر التكوين في الشريعة المقدسة وهو السفر الأول من التوراة.
خر	سفر الخروج في الشريعة المقدسة وهو السفر الثاني من التوراة.
عد	سفر العدد وهو السفر الرابع من التوراة.
لا	سفر اللاويين وهو السفر الثالث من التوراة.
مل	سفر الملوك في الكتاب المقدس.

معجم المصطلحات

الحلفاء: نبتة تنمو على شاطئ النيل.	أ
التقويم العبري السامري: حساب فلكي متوارث عن الآباء والأجداد عند السامريين يعتمد في الأساس على الشريعة المقدسة .	
السامريين: أصغر طائفة موجود في العالم تعيش في مدينة نابلس منذ الأف السنين وهم السلالة الحقيقية لشعب بني اسرائيل.	
الأذكياء والصديقين: السلالة من ادم وحتى سيدنا موسى وعددهم ٢٦ سلالة .	
اوركشدم: تقع في بلاد ما بين النهرين في العراق.	
أرض سعير: تقع الى الجنوب من الخليل في فلسطين.	
أرض أدوم: تقع الى جنوب النقب، وسميت بذلك نسبة الى عيسو ابن يعقوب.	
أرض جاسان: تقع الى شرقي دلتا النيل في مصر.	
أهيه: اسم للذات الالهية والتي تعني الذي لم يزُل.	
القفر: الصحراء	
المنّ: هو الخبز الذي أعطاه الرب لبني اسرائيل ليأكلوه في البرية .	
السلوى: هي طير كانت تصعد من البحر الاحمر وتُغطي المحلّة في شبه جزيرة سيناء .	
الفسح: هو عيد القربان عند السامريين، ويُلفظ بالسين وليس بالصاد وذلك من فسح، عندما فسح رب العالمين عن شعب بني اسرائيل عندما قُتل ابكار المصريين.	
السراري: بنات قيطورة من ابراهيم حيث أعطاهم الهدايا وتركهم.	
الساميين: من أصل سام احد أبناء نوح، و يشملون العرب بالإضافة الى العبرانيين وغيرهم.	
لأبيف: فصل الربيع (نيسان).	
أوريم و تميم: كلمتان عبريتان معناهما أنوار وكمالات، تشيران الى جهاز كان يضيء على صدر هارون لمعرفة ارادة الله في الأمور الكهنوتية.	
اسمانجوني: نوع من القماش كان يستعمل في الهيكل لونه أزرق.	
أرجوان: نوع من القماش لونه أحمر فاتح.	
الرفوش: أداة مصنوعة من النحاس تستخدم لتصفية الماء.	
المراكن: اداة لوضع الطعام في القدور.	
المناشل: اداة لإنتشال الطعام من القدور.	
القهاتيون: فرع من سبط لاوي كانوا ينصبون خيامهم جنوبي الخيمة وكانوا موكلين على التابوت، وامتعة القدس، والحجاب .	
القثاء: نوع من الخضار.	
الكراث: نوع من الخضار.	

أ	المكابيون: مجموعة يهودية تمردت على اليونانيين في الفترة ما بين سنة ١٦٧ ق.م وحتى سنة ٣٧ ق.م في عهد هيرودوس، ونجحوا في طرد اليونانيين من البلاد.
	المعاجيز: بمعنى المعجزات، وقد ورد هذا المصطلح في الترجمة العربية للتوراة السامرية والتي قام بترجمتها ابي الحسن الصوري.
	التوليدا: هو تسجيل للتاريخ السامري، وهو من توالد أي تسلسل السامريين.
ب	بلاد الرافدين: العراق.
	بوص مبروم: نوع من القماش كان يستعمل في الهيكل لونه اصفر.
	بيد قوية و ذراع ممدودة: عبارة مقتبسة من التوراة.
ج	جمطرة: حساب فلكي متوارث عند السامريين منذ القدم، يقوم على مبدأ إعطاء كل حرف قيمة عددية، فأحرف كلمات " ابجد هوز حطي" قيمتها من ١-١٠، اما احرف كلمات " كلمن سعفص" فقيمتها من ٢٠-٩٠ ، اما " قرشت" فقيمتها من ١٠٠-٤٠٠.
	جلود التخس: نوع من جلود الحيوانات الأليفة استعملها شعب بني إسرائيل في تغطية الهيكل لحمايته من عوامل الطبيعة سواء من حر الصيف أو برد الشتاء.
	جمطرتنا، جمطرية: مشتقة من جمطرة.
	خشب السنط: نوع من الشجر كان ينمو بكثرة في سيناء وقد صنعت العديد من ادوات الهيكل من خشب السنط.
د	دور و دور: جيل في جيل.
س	سجفا: نوع من الستائر كان يوضع أمام باب خيمة الاجتماع.
	سفطا: سلة من البردي مطلية بالحُمَر والزفت حتى لا يتسرب الماء إليها.
	سبط لاوي: هو احد ابناء يعقوب عليه السلام الذي اختصه رب العالمين بحمل مسؤولية الكهنوت.
	سقيط الندى: شيء دقيق كالجليد على الأرض مثل القشور يُعرَف بالمَنّ(الخبز).
	سياجيم ربرابيم: بمعنى السياج العظيم كناية عن سلالة الأذكياء والصديقين
ش	شكيم: نابلس.
	عليقة: نوع من النبات ينمو في شبه جزيرة سيناء . فعندما كان موسى يرعى غنم يترو قرب جبل سيناء رأى العليقة تتقد. ولا تحترق.
	عزرا هسوفير: الحاخام الأكبر لدى اليهود قبل ٢٣٠٠ سنة ، حيث قام بتحويل لغة التوراة من العبرية القديمة الى الآشورية.
ق	قسطا: وعاء خاص من اجل حفظ المَنّ.
	قرمز: نوع من القماش كان يستعمل في الهيكل ولونه ابيض.

ك	**كتاب الاساطير السامرية:** كتاب حول اقوال موسى عليه السلام.
	كروبيم: طيرين مصنوعين من الذهب موضوعين على غطاء تابوت العهد يظللانه.
م	**مدينة صان الحجر:** مدينة تقع قرب الاسماعيلية وذكرت التوراة على انها بنيت قبل مدينة الخليل بسبع سنوات ويقال عنها انها رعمسيس حالياً.
	مذبح الصعيدة: هو احد اجزاء الهيكل تقدم قرابين الصعيدة عليه.
	مجمرته: اداة كانت تستخدم لتبخير الهيكل.
ن	**نحال زارد:** جدول ماء كان يصب في الجزء الجنوبي الشرقي من البحر الميت

المراجع:

١- التوراة السامرية. ترجمة ابي الحسن الصوري، اعداد الكاهن عبد المعين صدقة السامري، نابلس، جمعية الكتاب المقدس الفلسطينية ١٩٧٨.

٢- نخبة من الأساتذة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين. قاموس الكتاب المقدس، بيروت، مكتبة المشعل، ١٩٨١، الطبعة السادسة.

٣- الشاعر الحكيم الكاهن اهارون بن منر (القرن الثالث عشر)

٤- الشاعر الحكيم الربان العازار بن فينحاس بن يوسف (القرن الرابع عشر)

٥- مرموره، القس الياس، السامريون.

٦- اهاروني، يوحنان، اطلس كارتا، القدس، إصدار كارتا يورشليم، ١٩٦٤.

٧-الجوهري، رفعت، سيناء ارض القمر، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥ .

٨- منصور، اسعد، مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب، ١٩٠٥.

٩- حافظ، ابو الحجاج، تيه القلب.

١٠- الأسعد، مرجان، شرح الرابع، ١٩٢٠.

١١- مجموعة من الأساتذة والمحاضرين اليهود، عولام هتناخ، القدس، ١٩٩٨.

١٢- التوراة اليهودية.

١٣- شحادة، ا. د حسيب،(٢٠٠٥)، نافذة على السامريين، حولون، معهد ا. ب. للدراسات السامرية.

١٤- النجار، عبد الوهاب، قصص الأنبياء، دار الكتب العلمية للتوزيع والنشر.

١٥-د. لفنسون، -الكنعانيون والأرض المقدسة-

١٦-وزير التخطيط المصري لعام ١٩٨٠، الدكتور عبد الرزاق عبد المجيد، مقال في جريدة القدس.

١٧- بن عمران، مارقة، المعاجيز.

١٨- جور رولنس، كتاب السنن القويم في تفسير اسفار الكليم (المجلد الاول)، سنة ١٩٠٧م.

١٩- فرج، فؤاد، المدن المصرية (منطقة قنال السويس).

٢٠- الكاهن، خضر اسحق، مولد موسى.

٢١- زكي، عبد الرحمن، سيناء ارض المعارك.

٢٢- جريدة يديعوت احرنوت، اطلس يديعوت أحرنوت، القدس.

٢٣- مصباح، ابراهيم، الأمين، راضي، توراة الخُلُف، حولون، ١٩٦٤.

٢٤- الصايبي، كمال، خفايا التوراة، لبنان، دار الساقي، ٢٠٠٦.

٢٥- فنكلشتاين، د.اسرائيل، سيلبرمان، نيل، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ترجمة سعد رستم، ٢٠٠١

٢٦- الدنفي، ابو الفتح ابن ابي الحسن السامري، اخبار السلف، ١٣٥٥م.

٢٧- سوسة، د. أحمد، العرب واليهود في التاريخ، دار دجلة، ٢٠٠٧.

٢٨- صدقة، الكاهن عبد المعين، الموجز في تاريخ وعادات وأعياد الطائفة السامرية، نابلس، ١٩٩٧.

٢٩- طوقان، صلاح عارف، مقالة، جريدة القدس.

٣٠- جريدة أ.ب السامرية، رئيس تحريرها بنياميم صدقه، حولون .

٣١-العالم السامري اسماعيل الرميحي.

٣٢- العلامة الكاهن عمرم داره بن سارد.

٣٣- ابن عمران، الكاهن عبد المعين، «كتاب التاريخ السامري» التوليدا»

٣٤- ويلكوكس، ويليم، بين عدن والاردن، ١٩٢٩.

٣٥- جارفس، شغل منصب محافظ سيناء في السابق.

٣٦- بن عمران، مارقة «سفينة مارقة».

٣٧- عياش، د. عدنان، الطائفة السامرية في نابلس، نابلس، الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢.

٣٨- العلاّمة «ترتليان».

٣٩- موسيناي، تسفي، واقع الحقيقة، تل أبيب، مطبعة التنسيق والتصوير، ٢٠٠٦.

٤٠- هاردنج، لانكستر، آثار الأردن، ترجمة وتحقيق سليمان موسى، ٢٠١٠

خرائط الكتاب:

الخارطة رقم ١	ارض جاسان
الخارطة رقم ٢	رعمسيس
الخارطة رقم ٢	سكوت
الخارطة رقم ٤	اتم
الخارطة رقم ٥	فم الحيروت
الخارطة رقم ٦	مره
الخارطة رقم ٧	ايليم
الخارطة رقم ٨	يم سوف
الخارطة رقم ٩	برية سين
الخارطة رقم ١٠	دفقه
الخارطة رقم ١١	اليش
الخارطة رقم ١٢	رفيديم
الخارطة رقم ١٣	جبل سيناء
الخارطة رقم ١٤	قبروتهتاوه
الخارطة رقم ١٥	حصيروت
الخارطة رقم ١٦	رتمه
الخارطة رقم ١٧	رمون فارص
الخارطة رقم ١٨	لبونه
الخارطة رقم ١٩	رسه
الخارطة رقم ٢٠	قهيلاته
الخارطة رقم ٢١	جبل اشفر
الخارطة رقم ٢٢	خرده(قادش برنع)
الخارطة رقم ٢٣	مقهلاته

الخارطة رقم ٢٤	نحت
الخارطة رقم ٢٥	ترح
الخارطة رقم ٢٦	متقه
الخارطة رقم ٢٧	حشمونه
الخارطة رقم ٢٨	ماسيروت
الخارطة رقم ٢٩	بني يعقان
الخارطة رقم ٣٠	جبل جدجاده
الخارطة رقم ٣١	يطبطا
الخارطة رقم ٣٢	عبرنه
الخارطة رقم ٣٣	عصيون جابر
الخارطة رقم ٣٤	برية صين (قادش)
الخارطة رقم ٣٥	جبل هور
الخارطة رقم ٣٦	صلمونه
الخارطة رقم ٣٧	فينن
الخارطة رقم ٣٨	ابوت
الخارطة رقم ٣٩،	عي عباريم
الخارطة رقم ٤٠،	ديبون جاد
الخارطة رقم ٤١،	علمون دبلاتايم
الخارطة رقم ٤٢،	جبال عباريم
الخارطة رقم ٤٣،	عربات مؤاب

الفهرس

انتهى



المؤلف

الكاهن حسني السامري

- الكاهن حسني واصف توفيق السامري من مواليد مدينة نابلس سنة 1944م .
- هو ابن الكاهن الأكبر واصف توفيق ابن الكاهن الأكبر توفيق بن خضر .
- متزوج وأب لخمسة أولاد وثمانية أحفاد .
- أنهى دراسته الابتدائية والاعدادية والثانوية في مدينة نابلس .
- عمل موظفا حكوميا من سنة 1968 وحتى عام 1992 في دائرة الطابو .
- درس علم الفلك والفقه والثقافة السامرية على أيدي كهنة وفقهاء الطائفة .
- باحث ديني منذ أكثر من أربعين سنة .
- له عشرات الأبحاث الدينية السامرية .
- أختاره الكاهن الأكبر يوسف أبو الحسن كاهناً للطائفة السامرية عام 1992 .
- أسس نادي الشباب السامري وانتخب رئيساً له في عام 1968 .
- عمل كمحرر لجريدة معرفة السامريين .
- انتخب أميناً لصندوق الطائفة السامرية بين عام 1984 - 1990 .
- أسس المتحف السامري سنة 1997 .
- أسس مركز السامري الطيب سنة 2011 م .
- شارك في عدة مؤتمرات محلية ، وألقى العديد من المحاضرات في عدد من الجامعات بالاضافة الى محاضراته الى الشباب السامري ، وكذلك في مؤتمر نزع السلاح في الأردن ومهرجان القدس عاصمة الثقافة .
- له العديد من المؤلفات والأبحاث التي نشرت في الصحف والمجلات بالاضافة الى تلك التي لم تنشر بعد .
- أجرى العديد من المقابلات التلفزيونية والأذاعات المحلية والعالمية .